



بِعْدَ الْاِثْنَيْنِ

2260
1397g

2260.1397g
Baghdad.

DATE

ISSUED TO

JUN 1 2002

JAN 30 2017

DATE ISSUED

DATE DUE

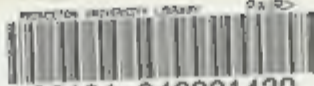
JUN 15 2002

JUN 15 2003

JUN 15 2002

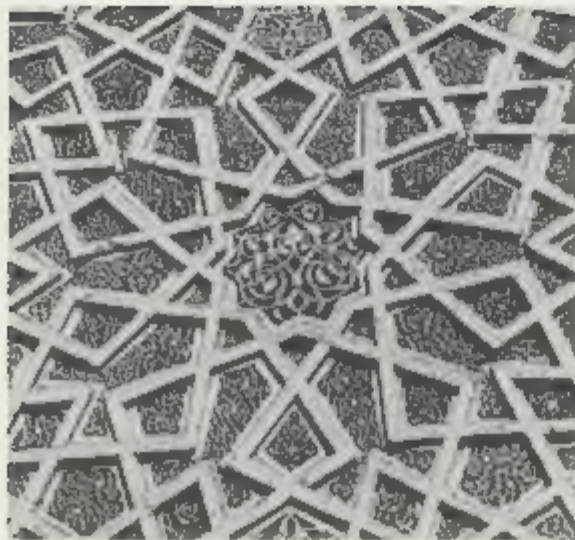
JUN 15 2002

JUN 15 2002



32101 042221430

Baghdād



بغداد

2260
.1397 f

قامت بنشره
نقابة المهندسين العراقية
على نفقة
مؤسسة كولبنكيان
١٩٦٩





البحوث من اعداد
الدكتور مصطفى جواد
الدكتور احمد سوسه
الدكتور محمد مكيت
الاستاذ ناجي معروف

أشرفت على النسخة محبة مؤلفيها الاساتذة المهندسين سعيد علي مطلوم والدكتور المهندس مكي سلمان • إخراج وطبع مؤسسة زمري للطباعة



السفارة العامة لجمهورية مصر العربية

بغداد عاصمة الدولة العاسية الطويلة الآماد ووارثة مابل السامية وسلوقة اليونانية والمدائن الساماية ذات تاريخ راھر ومستعمل باھر وحصاره مجيدة ، وأثار مدينة عتيقة ، وهي الى ذلك من المدن العالمية التي قارعت الأحداث وقارعتها ، وقاومت الرمن وقاومها ، ورأت من ماحررات التاريخ ، ووجوه أهل الحرب وأهل السياسة ورجال العلم والعمون والأسراب والكناسة ما قل أن رأته عاصمة من عواصم الدنيا ، وإن سميت « مدينة السلام » .

هذه العاصمة العظيمة وهذه المدينة الجيبة قامت بدور في تاريخ الشرق على اختلاف صروده وأنواعه من تاريخ الحرب وتاريخ الثقافة الاجتماعية وتاريخ العلوم والفنون وتاريخ الآداب في شعرها ونثرها فضلاً عن التاريخ السياسي كانت حرية أن تؤلف لها عشرات بوارسح ، وتسجل حصاراتها بنات سجلات ، ويكشف عن وجهها الحصارى بما تظهره للعالمين وصاحبة الجبين ، وأعجوبة لطريقين والقارئين ، وفتنة للمستظلمين والمستبين ، ويوصف تراثها العلمي والأدبي للمحققين الباحثين ، فسمها لا يزال يرن في آذن الدهور ، ورسمها لا يزال متالياً على تماق العصور ، وكتابها ألف ليلة وليلة ما بقي يداع أذهن السمار ، في مختلف البلدان والأقطار ، وعجائبها وطرائفها لا تزال تتردد في الأحبار ، وما أجمل قول من سأل صاحبه قديماً هل رأيت بغداد ؟ فقال : لا فقال له : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس ، وقال آخر : بغداد حاضرة الدنيا أي بلدنا المتمدن

وقد وصفت بغداد بأنها كانت من أعظم المدن هندسة وإحكاماً ، والشاماً والتعلماً ، قال الجاحظ وهو كبير كتاب العرب ووصافهم « رأيت المدن العظام بالشام والروم وغيرهما فلم أر مدينة قط أرفع سمكاً ولا أجود استدارة ولا أوسع أبواباً ولا أجود فضلاً من مدينة أبي جعفر كائما صحت في قالب وكائما أفرغت إفراعاً » . وقال أحمد بن الحارث « صورت بغداد لملك الروم ... أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها في عريبها وشرقها فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصاً من شارع الميدان وشارع سوقة نصر بن مالك الخراعي والقصور التي في الأسواق والشوارع من سوقة نصر الى فطرة البردان وكان إذا طابت معه دعا بصورة شارع نصر ويقول ، لم أر صورة شيء من الآية أحسن منه » .

قال هذا القول وهو قصر بيرطة وملك العمارات الفخمة وصاحب المائي الصحة ، وقد أحدثت بغداد اليوم تستعيد مكانتها الصناعية ، وتجدد حصارتها الرائعة في جميع مباحي التمدن في الهندسة والعلوم والعمون والآداب ، فأبناؤها اليوم هم أحفاد أولئك الذين أغلوا حصارتها ، وأعموا تجارتها وجعلوها راھرة رابية ، في

جميع شؤون الحياة المدنية ومختلف الوجوه الحضارية .

ولقد كان من العلة والحكمة أن تظل بغداد العظيمة الكريمة عديمة من كتاب تاريخ جامع مكرر يسورخ حطتها ويذكر مخطها ، ويسجل هدمتها وحضارتها المسارة والعارية ، ويصف مجدها ونراثها ، وينمئ آثارها ويحمل أحارها ، ويبيح وجهها الوصي ، وفيها المصي . فبها الله لها همة « نقابة المهندسين العراقيين » التي ما فتت تهتل العرص بمعارضها ومحاصراتها ، لتظهر بغداد في مظهرها اللائق الرائق . وبجدها المريق العائق ، ثم تطورت هذه الهمة الشماء إلى نية فكرة التأسيس والبناء ، والتأليف والانشاء ، مما وصت مؤسسة « كولسكيان » ذات السيرة المجيدة في الانفاق على المشآت العلمية والمشآت الرياضية وعلى المعاهد الخيرية في الشرق والعرب ، لخدمة الاساية جمعاء ، فأوصتها في إطلاق مبلغ من المال يفيق على وصع كتاب لعدد يمثل تلكم الوجوه المحصرة المشرقة قديمها وحديثها ، ممرراً بصور الآثار الباقية ، مؤيداً بالمباحث اللارمة ، فاستجابت المؤسسة بهذه الدعوة استجابة رصاً واستشار ، على عاداتها الكريمة وسيرتها المتقيمة . وأرصدت لتأليف الكتاب وضعه عشرة آلاف دينار ، فأصافت حسنة جديدة إلى حناتها العديدة .

وقد ندب نقابة المهندسين النارعة جماعة من المختصين تاريخ بغداد وحضارتها للقيام بتأليف الكتاب وهم كاتب هذا التقديم والدكتور أحمد سوسة والدكتور محمد مكيه والامام باهي معروف فأسدت موضوع خطط بغداد في مختلف عصورها بمصطفى حواد وأحمد سوسة معاً وإرواء بغداد قديماً وحديثاً إلى أحمد سوسة وثقافة بغداد إلى باهي معروف والفن العماري في بغداد والتراث المعماري للرسم التصويري إلى محمد مكيه وولكت ترتيب الكتاب وتنظيم طباعته العنة إلى الاساد سعيد علي مطنوم والدكتور رمزي سلمان ، وقد بهن جميعهم بما أسند ووكّل اليهم أحسن بهوض وأمه فحاء الكتاب بحمد الله وعونه نموذجاً حسناً للتصنيف والتأليف ومثالاً مستحاً للترتيب والتنظيم وإماماً للعراة والدعاة في التحبير والتصوير .

ولم يكن المؤكد الاستعانة والاستقصاء بذلك يحتاج إلى عدة مجلدات وإنما كان المراد الايجار الوافي ، والاعتد الكافي ، جلاء وجه الحضارة العداة قديمها وحديثها ، مع مراعاة ما يستلزم ذلك الجلاء من التمهيد والتوسط ، والبيان والايضاح ، وإنه ليسما في حتام التقديم كل السعة أن تقدم أبنا ورملائي الشكر الأوق لمؤسسة كولسكيان على منحتها الأدبية العانقة وللمهه امهندسين على نية فكرة التأليف وحرصها الحميد على احراجها هذا الكتاب العلمي الأدبي الذي هذا الاحراج الرائق لدفع واثقه الموقف لنصواب .

مصطفى حواد

رئيس لجنة تأليف الكتاب

تخطيط بغداد في مختلف عصورها

الدكتور مصطفى جواد
الدكتور أحمد سوسة



بغداد في أدوارها الأولى

تسمية بغداد

اختلف المؤرخون قديماً وحديثاً في بيان اسم «بغداد» وتعين معناه. فبعض من قال إن أصله «بعل جدد» لأنه البلية ومعناه «مبكر بعل»، وبعض من قال إنه «بعل داد»، أي الآلهة الشمس، وبعض من قال إنه كلداني وبن أصله «بلداد» و«بن» اسم الآلهة الكلداني و«داد» كلمة آرامية معناها «العتك». ويذهب هؤلاء إلى أنه حدث على عهد جيتصر (٦٠٤ - ٥٦٢ ق.م.) مدحمة عظيمة حضر فيها بأعدائه، فأشأ هذه القرية تحيداً لظفره وسميت باسم الصم «بن» وبعض من يقول بأن الاسم يأتي من عهد حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وأن أصله «بيت كداد»، أي بيت الصم ويرى بعض الباحثين أن كلمة بغداد آريه الأصل وأن الكثيرين استعملوها أول مرة في مستهل الألف الثاني قبل الميلاد ومعناها «عنية الآله» والفرس يسمونها على عادتهم ويرجعونها إلى أصل فارسي هو «باج داد»، أي ستان دادوبه أو «باج داداي»، أي الصم مع أعطاي، أو «باج أي داد» وهو اسم ستان أشاء عسكري أبوشروان (٥٣٢ - ٥٧٩م) في هذه القصة سميت القرية باسمه، وقيل كان اسم ملك الصين «باج» فكان تجار الصين إذا احضروا إلى بلادهم بأرباحهم الوافرة من سوق بغداد قالوا «باج داد»، أي هذا الربح من عنية الملك، وهو أضعف الأقوال وأبعدا عن الاحتمال.

وقد ورد اسم بغداد في أحوار فتح العرب للفرار في الثلث الأول من القرن السابع للميلاد وأحوار الدولة الأموية، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب حملت أبا جعفر المنصور على تأسيس مدنته المعروفة بمدينة السلام والذي يسميها هذا البحث الموحى هو أنه عزم أكيداً على إنشاء مدينة حصينة بين عدة قرى مسكونة مردهرة وهي بغداد العتيقة البلية وموسوب الأرامه التي من بقاياها الاسلامة اليوم مسجد المطفة بين بغداد والكاظمية، والخطاية وشرافية وسورا وورثالا وبرانا ونقطتا التي هي اليوم «محلة المشاهدة» بجانب الغربي من بغداد، والوردانية، وقد احتير لموضع المدينة مررة تعرف بالمشاركة تسمى باسمها على عادة العرب في التماثل بالأسماء، وكانت المررة ملكاً لستين شخصاً من أهل بغداد هو بوضهم المنصور عنها بالنقد، وكانت هذه المررة في موضع الساتين المنسوبة في أيامها إلى الراحل عبد الحسين الجلي بين المنطقة والكاظمية في الجانب الغربي من بغداد.

هندسة مدينة المنصور وبنائها

وأحضر المنصور المهندسين والبائين والدرايين والملاحين والقلمة والصانع من التجار والحدادين والمجهرين وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه عن يعهم شئاً من البناء فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصاعات، فمثل لهم صورة المدينة الحصينة التي يريد إنشاءها وطلب أن يراها بالاحتطاط رأي العين، فحطت له بخطط مهندسة فأمر أن يوضع على تلك الخطوط حب انعط ويصب عليه عطف وتود فيه النار، فاشتوا أمره واضطربت الد فيها حسب الخطوط فأملها والنار تشتعل فيها فتحققها وعرف رسمها.

وكان الذين وضعوا تصميم المدينة وهدسوها وأشرفوا على بنائها على حسب قول البيهقي في كتاب البلدان أربعة من المهندسين هم عبد الله بن محرز وعمران بن الوصاح وشهاب بن كثير والحجاج بن يوسف (١) يحضره يومئذ وباراهم بن محمد القراري والقبيري المجهين أصحاب الحساب ، ثم قسم المنصور عمل الماء أربعة في أرباع المدينة وهي ساكن الناس ومرايقهم كالأسواق والحدائق والحمامات والمساكن وجعلها قطائع ، وهي جمع قطعة أي أرض مقصورة محدودة ، وأمر أن تكون الحواشي واسعة ويكون عرض الشارع خمسين ذراعاً بالبوادي والدرج ست عشرة ذراعاً (٢) ، وأمر أن يسوي جميع الأرباع والأسواق والحدائق والمساحات والحمامات ما يكفى به في كل ناحية ومحلة ، وأمرهم جميعاً أن يجعلوا من القطائع التي أقطعتها الحواد والحدود ورحل الدولة مساحة ذراعاً معوماً كما أقطع النجار أرضاً يومئذ ويرلوها ويسوقها الناس وأهل البلدان ، وقسم الأرباع أربعة أرباع وقدر للتمام بكل ربع رحل من المهندسين وأعطى أصحاب كل ربع مبلغ ما يصدر لصاحب كل قطعة من الدرغ ومبلغ ما لعمل الأسواق في ذلك ربع

وذكر الخليلي المديني أن المهندس الذي خط بغداد هو أبو أرطاة (الحجاج بن أرطاة) مع معاونين من أهل الكوفة وذكر أن هذا الخراج كان عربياً فخصوا جميعاً كوفياً ، وقد علم بأكثر هندسة بغداد ونصب قلعة جامعها ، وكان مع علمه بالهندسة أحد علماء الحديث النبوي والمخاطبة له والراوية له والمحدثين به وكان شريعياً سريعاً مصححاً لأبي جعفر المنصور ، ثم حمله من طاعه ابنه المهدي وهو المهدي إلى البلاد التي حكم فيها وهو ولي العهد كاري وتوفي بها وكان المهدي بها والياً وقتل بطنه في حربه ماء مدينة السلام بن المنصور ، أمر باختيار قوم من ذوي الفصيلة والسدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة فكان من حضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وقد ذكر البيهقي أن المنصور قد رجع المدينة المستند من باب الكوفة إلى باب الصرة وباب المحول والكرج وما اتصل بذلك كله المنسب بن ربهير والربيع مولاه وعمران بن الوصاح المهندس ، والربيع من باب الكوفة إلى باب الشام سليمان بن مجالد وواصل مولاه وعبدالله بن محرز المهندس ، والربيع من باب الشام إلى البحر على دجلة حتى انتهى دجلة حرب بن عبد الله وعزوان مولاه والحجاج بن يوسف المهندس ومن باب حرسان إلى البحر الذي على دجلة ماراً في الشارع على دجلة هشام بن عمرو التلعلي وعمارة بن حمزة وشهاب بن كثير المهندس ، ووقع إلى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رحل من الدرغ ولمن معه من أصحابه وما قدره للحواشي والأسواق في كل ربع وأمرهم أن يجمعوا في كل ربع من السكك والحدائق والبساتين وغير الناهية ما يتعدل بها المنازل وأن يسموا كل درب باسم القائد الذي فيه والرحل الذي يترقه أو أهل البلد الذي يسكنه به وذكر المصيري في «مروج الذهب» أنه كان يعمل في كل يوم خمسون ألف رجل في ماء المدينة

وانتدأ المنصور ماء مدينته بأوائل شهر آب «اعطس» سنة ٧٦٢م الموافق لجمادى الأولى سنة ١٤٥هـ ولانزال بغداد حارة في العراق أن بدأ الماء احتشاً في شهر من أشهر الصيف غير أن بعض المؤرخين وهو البيهقي يفسر ذلك من أن المنصور احتشد مدينته في شهر ربيع الأول سنة ١٤١هـ أي شهر تموز سنة ٧٥٨م. وذكر مؤلف كتاب «التوقيعات الذهبية» أن المنصور بدأ «بناء مدينته في شهر ربيع الآخر سنة ١٤٥هـ الموافق لشهر صفر سنة ٧٦٢م وهو من أشهر الصيف أيضاً ، وتم بناء بغداد المنصور أي مدينة السلام في أربع سنوات وشهرين اليوماً واحداً ، والنسب في هذا الاختلاف أن من المؤرخين من يعد تاريخ الاحتطاط ابتداءً للبناء ومنهم من يعد تاريخ الانتهاء هو الانتهاء

(١) لقد وهم بعض الباحثين في تعيين شخصية الخراج بن يوسف فنسبوه للحجاج بن يوسف بن مطر الحكيم فترجم المنصور المذكور في أخبار الحكماء بصفطي وغيره وقد عاصر الرشيد وبنو العباس في حين أن المنصور هو الحجاج بن أحمد بن أبي ذر ذكره الطبري والخطيب البغدادي وهما شخصتان مختلفتان كما سيأتي بيانه .

(٢) تساوي الفراع حوالي نصف متر .

وأمر المصور هرب اللس تام المربع الذي يمايه ذراع في ذراع وورن الواحدة منه مائة رطل أي رهاء مائتي كلوعرام وهرب اللس النصف الذي يمايه في الضول ذراع وفي العرض نصف ذراع وورن الواحدة منه مائة رطل ، وقد جاء في بعض التواريخ أن وزن اللبة الواحدة من اللس العظام كان ١١٧ رطلا كما سيأتي بيانه . وحفر آثار لأحد الماء منها في صرب اللس وغيره وكذلك شرع في طمع اللس ليكون أحراً ، لأن أكثر مشآت المدينة كانت مبنية باللس وأقلها كان مبنياً بالأجر . وقد حاول المصور أن يقض أبوان كسرى بالمداين والفصير الأبيض فيها ونقل أجرها إلى موضع بعيد لانتماء مدنته وحرب ذلك فوجد أن عقبات القضاة انقل أحكث من صرب له وطحه قرب المدينة فأعرض عن ذلك .

وقيل مدت قناة من نهر كرجا وهو نهر كان مشتقاً قبل إنشاء المدينة يستمد ماءه من نهر مأخذ من الغرات وجرت القناة بأحكام هندسي إلى داخل المدينة للشرب ولصرب اللس ونيل الطين وسائر إلى ذلك في الكلام على إرواء المدينة ، وأظهر ل أن القناة اشتقت بعد الفراغ من ماء المدينة ، ولو كانت قد عملت في أثناء الانشاء ما احتاجوا إلى حفر الآبار المشار إليها .

وقد سميت هذه المدينة « مدينة المصور » و« مدينة السلام » تعاضلاً بالسلامة والأمان من الخطر والعدوان ، وقد تسمى « دا » « السلام » وهو اسم مقتبس من القرآن الكريم ، وإذا أطلق لفظ « المدينة » فإما يراد به مدينة المصور ، وسميت أيضاً « الرواء » لأن المصور لم يعمرها حمل الأبواب الدخلة الأبي ذكرها بعد هذا مروره عن الأبواب الخارجة أي لت عن سبيلها واشتدق هذه الصفة يؤيد هذا المعنى ، ويؤيد أيضاً كون جامعها موزوراً عن القبلة ، في قول بعضهم وكانت السمات عن يمين مدينة المصور وحدها أربعة ملايين درهم وثماني مائة وثمانين درهماً وقيل إنها كانت ١٨ مليون درهم وبها مائة ظاهراً .

وأقطع المصور دوي فراسه ودينه ومواده و حال دولته بطائع حول المدينة يريد عذب على أربع وخمسين قطعة ، وللمقطع أن تصرف قطعه فيجعل سناً أو سبي في داراً أو قصر أو جعلها سوقاً وحياً ومسجلات أخرى وقسم ما حول المدينة إلى أربعين والرهن تقسم هندسي للمدينة وهو أوسع من القطيعة ، فهي القطيعة نظر إلى اسمك وفي الرهن ينظر إلى المساحات المربعة ويكون في الرهن قصور ودور وأسواق ، وقد ذكر أن رهن حرب من عبدالله السلمي أحد فواد المصور كان أوسع الأربعين المساحات المربعة وأسمم وأكثرها درواً وأسواقاً ، ومن قصبة الرهن من يوس بالحداب العربي جعلها أسواقاً ومسجلات أخرى فأقطع المصور أيضاً جديدة بالعرب من برصافه بالحداب العربي ، والمانس من محمد بن علي التماسي جعل قطعه بين لصرانيين بالحداب العربي سبلاً كد ستم إليه من أمر المصور أنه بذلك ، فامتنقطع أرضاً بالحداب الشرقي قرب الرصافة أيضاً . وقد أحصيت دروب الحداب العربي وسككه فكانت ستة آلاف وأحصيت المساجد فكانت ثلاثين ألف مسجد وخمسمائة عشرة آلاف حمام ، وفي هذه الأحصاء مائة بلا إذا كانت الحصانات خمسة .

وصف مدينة السلام

كانت مدينة السلام بني تشاه أبي جعفر المصور مدونه مثل عدة مدن أشتب هدمتها فيها كمدنه الحضر وأمدن ومن الحصون لأشبهه وبها يكن هي لا حصناً حاراً فيه جميع مرافق المعادمة عند الحصار وأسباب العيش وأمن بره وأصبح الأقوال في سعة المدينة ومجاهاً : أنها تبلغ (٣٨٨٠٠٠) درعاً مربعاً أي (٢٦٢٠٠٠) ر٣١٤ (٥٠٠) مرة مربعاً أو (٢١٢٦) مشاه . وعنى هذا يكون طول قطر محيط المدينة (٥٣٨٣) درعاً أو (٣٦١٥) مشاه وطول المدنه بحسب هذه الأبعاد (١٦٥٩٧) درعاً أو (٨١٣٢) متراً .

وجعل للمدينة أربعة أبواب كبار كل بابين منهما متقابلان والفرق بينهما يقسم مدينة قسمين فصارت مدينة

الطريقين المتعامدين أحفظطين أربعة أرباع ولذلك كانت عمارة أرباصاً أرباعاً أيضاً ، كما تقدم ، فالباب الشرقي سمي « باب حراسان » وسمي أحاصاً « باب المدولة » لأنه كان يؤدي إلى طريق حراسان ولأن ثوره العباسيين وحطة إنشاء مدولة كانت في حراسان . وقيل باب حراسان من العرب « باب الكوفة » لوقوع الكوفة في العرب من مدنة السلام وكان في حوب المدينة « باب البصرة » لأنه مؤدي إلى جهة البصرة ، وبعدله من الشمال « باب الشام »

ويرد في أحبار بغداد ذكر أبواب عدة غير ما ذكرناه مهياً كتاب النس وباب حرب وباب الأسار وباب قطرب وباب الشعير وباب الحديدي وباب المحول وباب الكرخ من أبواب الجانب الغربي وكانت هذه الأبواب مهابد وطرقاً ومداخل لأرباص مدينه المصور التي أشرنا اليها آنفاً ، وقد ذهبت هذه الأسماء من عدة عصور وهي غير معروفة الآن وبني للمدينة بالنس سوران اثنا عشر حصص بهما أرباص حالة من الباء أعدت لحركات الدفاع سمي « انفصيل » كأنه مفصول عن العمارة أو فاصل للسور عن العمارة ، والسوران أحدهما أعلى من الآخر بما يقارب النصف ، فكان ارتفاع السور الأعظم مع الشرفات المدورة (١) (وهو الأقرب إلى الأبواب الدخلة) ستين ذراعاً بالذراع السوداء ، وطول السور الأعظم مع شرف مدته وعشرون أصصاً وستون ذراعاً تساوي ثلاثين متراً على وجه التقريب وكان عرض السور من أسفل عشرين ذراعاً أي نحو عشرة أمتار وقيل عرصه من أسفل خمسين ذراعاً أي نحو خمسة وعشرين متراً وهو الر حص . وكان عرصه يقف في الأرباص بعد تلك وبعد ثلثيه حتى يصل في أعلاه حصنة وعشرين ذراعاً ، أي رهاه اثني عشر متراً ، وكان يوضع في كل سائر من أسوار السور مدته ألف واثنتون وسبب ألف لفة من النس العظيم المعروف باسم الجعفري الخرب الذي وزن كل لفة منه مائة وسبعة عشر رطلاً أي رهاه ١١٧ كيلوغراماً ومساحتها ذراع في ذراع ، والسبب في صحاحه هذا السور ونعائنه كونه من النس ، فإن نص أسوار النس في الحصار وهدمها بالمجنيق أسهل من غيرها . وكان على السور لأعظم شرف مدورة وأربع عديها ١١٣ رصاً ، بين كل رصين من الأبواب الدخلية ثمانية وعشرون رصاً ، وبين باب البصرة وباب الكوفة حاصه ٢٩ رصاً ، وارتفاع كل برج فوق أسوار حصن أدرع أما السور الخارجي ، وهو السور بصير فكان من النس كالسور الأعظم عرصه في أسفل نحو عشرين ذراعاً وارتفاعه حصن وثلاثون ذراعاً ، أي نحو سبعة عشر متراً .

وحفر حول المدينة حندق عرض عمق وله مدته محكمة عاله من جهة المدنة منه بالآخر وبصاروح وهو مادة بانه كالصبي في نقوه ولون وأخري فيه الماء من قناه بأحد مائه من سبب اسمه كرجاء وكرحاً باباً يسند مائه من سبب مأتي من الفرات

وحف المصور لأبواب مدنته رماحات من الحديد لا يعلق لربح الواحد منها ولا يفتحها إلا جماعة رجال بصحابه ، فقد كان الفارس يدخل منه بالعظم والرمح بالرمح لثوبل من غير أن يميل الأول العلم ولا أن شي الثاني رصه ، فربما باب حراسان خارجي كان قد حفر به من شدة من عمل الفراعة ، وباب باب الكوفة حي به من الكوفة وهو من عمل خالد بن عبد الله نصري والبا أيام هشام بن عبد الملك وعمل هو رماجاً لباب الشام وكان أصعب الأبواب ، أما باب البصرة فظاهر أنه وضع فيه رماح من أرباصه حصنة أمر المصور بجعلها من واسط وهي أبواب الحاجاج وكان الحاجاج وجدها على مدينة نازاه واسط كانت تعرف بوندود .

وجعل للأبواب الأربعة رماحاً أربعة عظيمه كل رماح أي عقود وطول كل دهليز ثمانون ذراعاً وعرصه عشرون ذراعاً وعقودها من الآخر والحصن لكون حصنة حصنة ، فكان الداخل إذا دخل أحد الأبواب وجد الدهليز على سببه ، وبصير الباب دهليزه سمي مثله « باب البصريه » الحالي المعروف بالباب الوسطاني في شرقي بغداد ، غير

(١) الشرفات جمع الشرفة وهي تواب من اساء تكون على حافة السور العليا وحافة سطوح اسور للزينة والاطلاع من حولها

أن الداخل من باب الظفرية يعطف نحو اليمن لا نحو اليسار .

وكان يرق كل عقد من عقود أبواب السور الكبر الداحلي مجلس له درج منى على السور فكان الصعود إليه من تلك الدرج وكان على كل مجلس فيه شاهقة عظيمة ارتفاعها حصون دراعاً ، أي نحو خمسة وعشرين متراً فيها حروف ونقوش وعلى أعلاها تمثال ندره الترمع . وكان المجلس فيها يشرف على بواح متعددة كثيرة وبثهد ما يعني أن ثهد الهددع عند الحصار . وكان يصعد إلى هذه القبة وأمنائها سيراً أو كوماً على الدواب بصحافها فكان الصعود على عصور صبة بالخص والآخر أو ليس للكل . وكانت معقود متكة على هأة : راح نصف أي من بعض الداحل لأراح الحد ، الرابطة والحرس ، وصهددها على المصعد الموصل إلى القباب التي على الأبواب وعلى المصعد أبواب تعق وتفتح ، فكان أبو جعفر منصور إذا أراد الظفر إلى المد ومن قبل من ناحية الشرق جلس في قبة باب حراسان ، وإذا أحب نصر إلى مد حرك مدسه من العرب وما والاه جلس في قبة باب الشام ، وإذا أحب النصر إلى الجنوب ومن قبل من باب الكوفة أنجبه جلس في قبة باب الصرة . وإذا أحب الظفر إلى اليمن والمراخ جلس في قبة باب الكوفة .

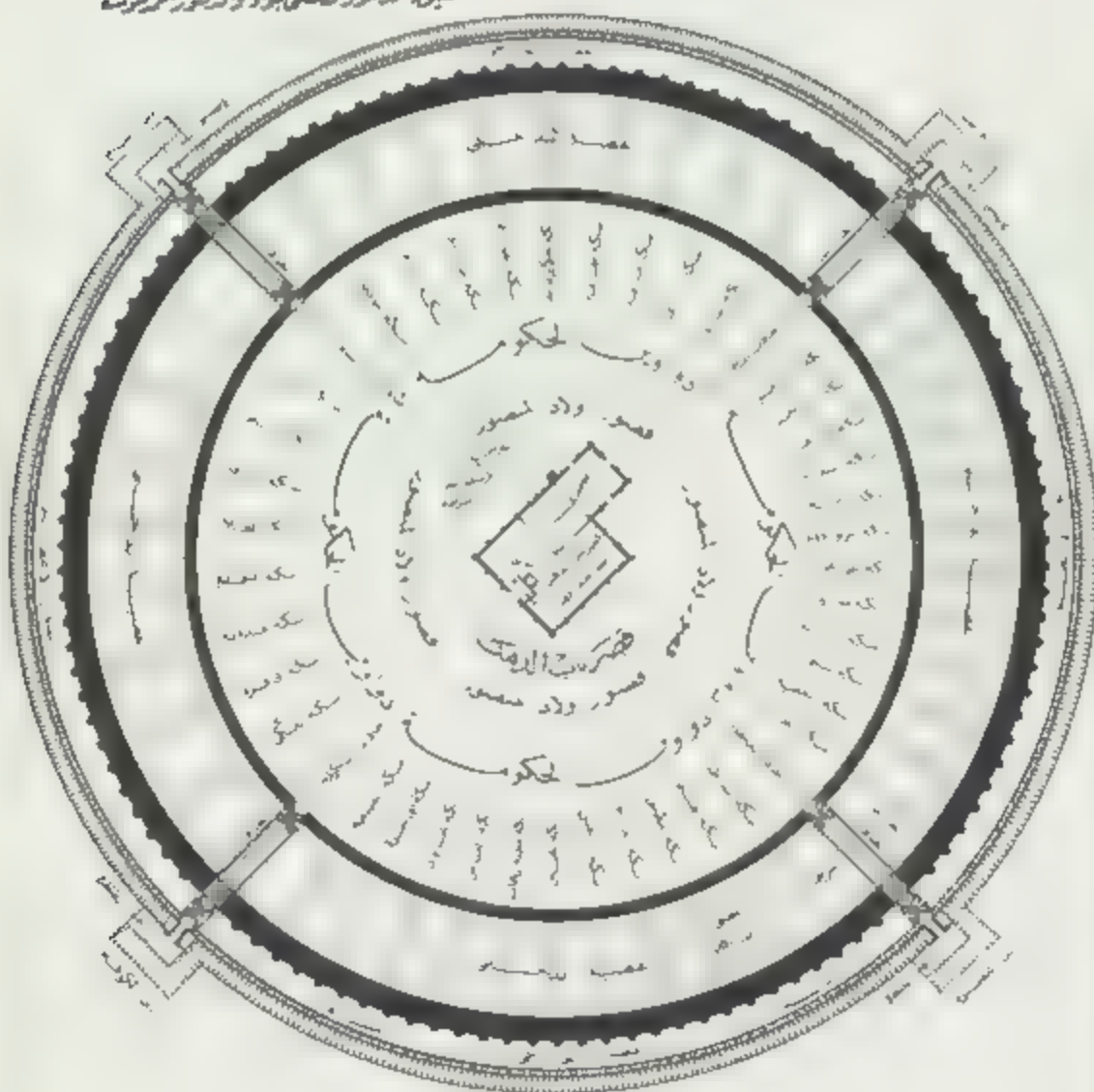
مدينة المنصور من الداخل :

قد ذكرنا آفاقاً مدحه المنصور وسورها وحدها ، أبوابها الخ حجه لأربعة ولأن ذكر ما في داخلها على طريقة « السباحة » ههنا ، وذلك أن سبي كان يدخل من باب الشرقي وهو باب حراسان يرد طلبات من الأسحكامات مثل ما ساعده اليوم في باب الظفرية المعروف بالباب الوصفي . وقد أشبهنا إلى ذلك من قبل ، فدادع قصره الخندق إلى باب واحد عند الباب في أدم المنصور فاندأ اسمه صلحه من صوب القسبي في ألف حدي ، فكما هي الحال في الأبواب الثلاثة الأخرى قد كل على باب الشام سبب من بخالد في ألف حدي ، على باب المنصور حده المكي في ألف حدي ، على باب نصره أبو الأهر نمنسي والثلاثة منه أسماها عربية صرحه . وكان راح الباب من الحدي كما قدم ذكره في وصف الأبواب . وكان الباب كبير شاهق وهو أحد أبواب السور الصغير المذكور . انه (وسماه يعقوبى باب المصل) فاد حاور سائح ادب عطف على ساره منه في ذهبير أرح معقود بالآخر والحصن عرصه عشرون دراعاً وصوبه ثلاثون دراعاً وهذا الصغير يقضي إلى حجة معروضة بالخص طولها سوب دراعاً وعرضها أربعون دراعاً ، وبها في حسم ، الحوي والشماي ، حطه سور باب يسبان عند باب في آخر برجه وهو باب الذي يراه الداحل . وفي كل من الخنصين باب يقضي إلى حصن عرصه سوب دراعاً وفي مائة دراع بالسوراء ، أي رهه خمسين متراً فمن بعض الداحل من باب حراسان فصيل باب الشام وعلى ساره فصيل باب نصره ، وههنا باب الشاهو الذي هو باب سوب النكي . وذلك سمي باب المدينة مع أن الباب لأول هو باب الفصن فدخل الداحل من الباب المذكور في ذهبير أرح آخر معقود بالآخر والخص أيضاً صوبه عشرون دراعاً وعرصه اثنا عشرة دراعاً وبوري إلى رجة مربعة عرصه كطولها عشرون دراعاً في مثها ، فمن يمين الخاشي بها طريق يؤدي إلى باب الشام وعلى ساره طريق يؤدي إلى باب الصرة في حصن ثوب دور في داخل المدينة كدوره فصيل لأول ، عرصه خمس وعشرون دراعاً . وفي هذا الفصن تكون أبواب سكك مدسة المنصور التي يسكنها سكان المدينة الذين أجاز لهم المنصور الإقامة فيها ، وحمل المنصور الأسواق في طاقات المدينة من كل جانب وبها سوب القضاين ، ثم يدخل السائر من باب ساج كبير فريدي إلى طاقات عدتها ثلاثة وحصون صناً وعرض الواحد منها خمس عشرة دراعاً وطولها مائة دراع ، أي رهه مائة مة ، ثم يخرج من طاقات إلى رجة مربعة ماحتها عشرون دراعاً في عشرين دراعاً فمن يمينه طريق يقضي إلى فصيل ثالث ويؤدي إلى رجة ثمانية لها سلك إليها من باب الشام ، ورجة باب الشام بها طريق يؤدي إلى رجة ثالثة يسار إليها من باب الكوفة ومنها إلى نظير الباب الرابع في طريق باب الصرة . وفي الفصل الثالث نترع أبواب لعدة سكك . وادد حرح السائر من الرجة نحو الجنوب دخل في طاقات صغيرة ثم ذهبير وسور ثالث يخرج منه إلى رجة دائرة حول قصر المنصور

المعروف باب الذهب ومعبد المنصور الذي عرف بجامع المنصور .
ومدد الفصلاں والأبواب والذهلي والرحاب الي ذكرها لطريق باب حراساں من أوله الى قصر المنصور له
ظائر في طرق أبواب اعدسة الثلاثة الأخرى . باب الشم وباب الكوفة وباب الصرد . وكانت طرق اعدسة صفه وفي
سنة ١٥٧٢هـ (٧٧٣م) وسع المنصور الطريق وجعلها على أربعين درعاً وأمر بهدم ما راد من الدور على ذلك المقدر
ويقدمنا من وصف الاستحكامات الحصينة لمدينة المنصور يظهر للعرى أنها كانت من أصح الحصون العظيمة في
الشرق بالغروب بوسطى وأعجبها عمارة ومهندسه وصحافة وصحة (أنظر صورة مدينة المنصور اندورة) .

مَدِينَةُ الْمَنْصُورِ الْمَدَوَّرَةِ

تحقیقہ المذکورہ مطبعیہ برادریہ کتب خانہ اہل بیت



قصر المنصور (قصر الذهب) وجامعه :

ويهي المنصور في وسط مدنته في الرحة الوسطى قصرأ بالأجر سماه « قصر الذهب » وسمى بانه « باب الذهب » وأشأ بصفه مسجداً واسعاً وكانت مساحة القصر أربعمئة ذراع في أربعمئة مساحة المسجد مائتين في مائتين، وكان في صدر القصر إيوان طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون، وفي صدر الإيوان مجلس مساحته عشرون ذراعاً في عشرون وارتفاع الإيوان عشرون ذراعاً وعلى سطح الإيوان مجلس مثله و فوق المجلس القبة الحصراء، وارتفاع الإيوان إلى أول عقد القبة عشرون ذراعاً، وارتفاع المجلس والقبة الحصراء ستون ذراعاً، قال الخطيب العدادي « حصار السمك من الأرض إلى رأس القبة الحصراء ثمانين ذراعاً . وكان على رأس القبة تمثال فارس عليه فارس في يده رمح واتحد المنصور في قصره ديواناً لنفسه أما المسجد فقد أشأه المنصور من اللبن والطين كما ذكر الخطيب ، وحمل لأروقة المسجد أساطين من الخشب كانت كل اسطوانة منها قطعتين معقبتين بالعقب والعراء وحملت الحديد إلا خمس أسطوانات أو ستاً كانت عند صدارة الجامع فقد كانت تلك الاسطوانات ملففة من حطب الأساطين ويهي لنفسه مقصورة به ليعلي فيها ويخشي بها وقد نقص هارون لرشد في خلافته المسجد سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧م) وأعاد بناءه بالأجر والجص وكتب عليه اسمه مع ذكر الأمر بالساء واسم الساء واسم الساجار، وكان ذلك ظهراً في القرن الخامس للهجرة على جدار المسجد من الخارج مما يلي باب حرامان وفي سنة ٢٦٠ هـ على عهد الخليفة المعتمد على الله أصبح ديوان المنصور المعروف بدار الفطيان من قصره إلى المسجد لتوسعه، ثم راد سر مولى المعتمد في الجامع من قصر المنصور أيضاً المسقطات التي بنت إليه هدمت بالندرة ثم أصف المعتمد بالله سنة ٢٨٠ هـ من القصر بمقدار المسجد الأول أو نحوه بعد أن بناء على هيئة المسجد وفتح يسمها في الجدار سعة عشر طاقاً منها إلى الصحن ثلاثة عشر طاقاً وإلى الأروقة أربعة طاقات وحول الممر والممرات والمقصورة إلى المسجد الجديد وذلك لأن المسجد كان يصق بالمصليين في صلاة الجمعة وكان يوم الجمعة إذاك وما بعد ذلك كيوم العيد في غير سداد في كثرة المصليين واجتماع الناس من كل حذب وصوب (أضر مخطط الجامع ومراحل بطور سانه) .

ولم يكن في الرحة الوسطى التي في قصر المنصور ومجده بناء ولا دار ولا مسكن لأحد إلا داراً من جهة باب الشام وسقيفة كبيرة تمتد على أعندة مئة بالأجر والجص ، فكان صاحب الشرطة يجلس في الدار وصاحب الخرس يقيم في السقيفة ، وكان حول الرحة مارل على حط دائر وهي مارل أولاد المنصور الأصغار ومارل القريين من خدمته ويت المال وحرانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الخمد وديوان الخواتج ، أي التعيينات ، وديوان الاحشام ، أي الأنواع ، وديوان العقاق وديوان الصدقات ، أي الزكاة .

وقسم المنصور مدنته على شوارع محدودة أو دروب سماها « السكك » بسكنها الذين احتارهم المنصور ومنهم موظفوه ومواليه كسكة الشرط وسكة سجنه المعروف بالمنطق ، وهو السجن الأعظم الذي أسسه المنصور وأحكم سوره ، وكان للسكك أبواب وثيقة من طرفها ، واحتفر في المدينة بقاء تمتد تحت الأرض إلى مائة فرسخين خارج المدينة أعده للهرب إن حاصره عدوه ودخل عليه في مديته الحصينة .

نظافة مدينة المنصور :

وأمر المنصور أن تكس رحاب المدسة في كل يوم ووكل ذلك إلى الفراشين فكانوا يكتوبها ويحملون التراب إلى خارج المدينة ، وأمر بصنع الدواب من المرور في الرحاب لتلا تروث في أثناء سيرها فتوسح الرحاب وما تجتره من الأبواب ، ولم يشش من ركوب الدواب في المرور بالرحاب إلا المنصور نفسه وعنه داود بن علي لأنه كان مصاباً بالقرص فكان يسار به في جمعة على دابتين وإلا أنه محمد المهدي لأنه ولي العهد

أرواء مدينة المتصور:

لما بنى المنصور مدنته لم يفكر في سحب المياه من جداول الري لقرىها من دجلة فكانت المدينة ترتوي بماء الروانا وهي جلود سلا ماء وكانت تنقل الى المدينة على بعال ، ولما شرب صمونة بعل الماء في الروايا ورأى ما تحدثه البغال من الأوساخ أمر رجلين من العالمين بمد العي وهما « شميس » و« حلال » بأن يمدا قنابين من دجلة الى داخل المدينة ، وأمر أيضاً بمد قناة من نهر دجيل وقناة من نهر كرخايا وجرحها الى المدينة في عقود وثيقة من أسفلها بحكمة بالصاروخ والأجر من أعلاها وكانت كل قناة منها تدخل المدينة وتعد في الشوارع والدروب صلاً عن الأرباع خارج المدينة ويجري صعباً وشتاءً لا ينقطع مائها في وقت من الأوقات لأحكام هندستها ولزيادة الأرواء حشرت أبار للشرب تستمد مائها من القنوات المذكورة وقد ذكره سابقاً أن حديق المدينة كان تستمد مائه من قناة مشقة من نهر كرخايا ، فكان من السهولة بمكان أحد فرغ من تلك القناة وتوجيه نحو داخل المدينة . وقد أمر المنصور أيضاً بغرس الأشجار في القطيعة العباسية ، وهي موضع بين يدي قصر المنصور من جهة باب النصر ، خارج المدينة فكان الجالس في مجلس باب العصرة المقام فوق باب السور على الضفة المقدم ذكرها من قبل يطل على فرعي نهر العصرة وبها العاصية الرائعة بساتينها ومارعها البهجة .

موقع مدينة المنصور من بغداد الحالية :

اختلف المؤرخون الخطط في تعيين موقع مدينة المنصور من بغداد الحالية ، فقد رآه آثار المدينة مدقرون عديدة
وإندرت معالمها مد عصر طولته ولم يبق من مايبها وأسوارها وحيوانات هضلاتها وحديدتها وأبنائها الداخلية
أو أبنائها الخارجية أي أثر كأنما ما كان وحسبك من حرابها أن حامها ، وهو معد مقدس ، لم يبق منه أجرة واحدة ولا
حرف واحد ، عليه من الكتابات ، فهو محمول الموقع كائنات المدينة المقدم ذكرها ، ولذلك كثرت خطأ المصنفين
لأصيب بالنسبة إلى الأرضين الحالية وأقدم الروايع في التعيين هو الاستاد المؤرخ الخططي كني لي ستراخ في حرانته
أن رسمها للحداب العربي من بغداد ، بعد بصور موضعها أسهل مما كان به على الحقيقة ، حتى لظن الناظر إلى صورها
الجنوبي أنه قد غارب محلة أجمعها الحالية ، التي هي « الزمعة » في العصور العباسية مع أن يسيرا وبين مدينة المنصور
القسم لأسفل من الكرخ أولاً ومحلة باب المنصور الكبيرة ثانياً ، وقد قلد أكثر الباحثين في خطط بغداد الاستاد
لي ستراخ في تعيينه هذا فإرلوها في حرانته عن موضعها مئات أمتار كما فعل هو .

وكان على الاسناد لي ستراجع ان نعلم أولاً أن مدينة المنصور من العرب كانت تقابل محلة الرحاقة من الشرق وأن الرحاقة كانت محاورة لمحلة الامام أبي حنيفة التي اثبتت حول ترثه ومقبرته ، كما يهيم من معجم البلدان لياقوت ، فتعين الرحاقة كان يعني ان تعين مدينة السلام ، يعني مدينة المنصور ، وعلى ذلك يكون الرحاقة في محلة هبة خانن وما حولها من شاطئ دجلة فادامدما خطأً متعمداً الى العرب غار أمر دجلة فانه يمر في وسط مدينة المنصور من الجانب الغربي ، منه يظهر أن المدسة كانت قرية من مقابر قريش ، أي الكاظمية الحالية ، وأن أكثر مواضعها أصبحت سائين ومررع منها سنان عبد الحسين حلي ، ثم جرى عليها تغيير متدام بسبب تقدم العمران وتكرار الاعراق من قبائل العربات ودجلة

هذا ولم يحاول من وكلت اليهم شئون الآثار بالعراق ان يسبروا الأرض الجانب العربي لعلهم يجدوا أثراً للحدق أو المساء أو للور أو لاحدى الدور ، فمكئ تحديد موضع بغداد جديداً يزيل هذه التلقة ويطل الأراء البعده عن الصواب ، وذلك مما يؤسف عليه أشد الأسف . وقد كان الأستاذ هررلند أقرب المحين لموقع مدينة السلام من الصواب ، وقد اجتهدنا أن نصح في جارحنا في الموضع الذي رأياه أقرب الى الحديد الصحيح ، ورفعا موضعا عما كان في

حرائط السابعة ، لأن مجرى النهر الخالي الذي هو في أعلاه بقية مجرى نهر الصراف وموصله نهر عيسى كان في حرائطنا الأولى يدعى مدينة المنصور ، وذلك محال لأنه يوازي سورها على بعد من الجنوب والشرق ولأن المنصور كما جاء في الأحبار رأى صياداً قد اصطاد منه سمكة وهو ينظر إليه من فوق أحد الأبواب يعني أسوار مدنته (انظر خارطة بغداد في أول أدوارها العاسية بالنسبة للعالم بعدد الحالية - بغداد قديماً وحديثاً)

إنشاء الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد

كان المنصور قد عزم أن يبني للمهدي محلة كبيرة في الجانب الغربي من بغداد شرقي مدنته المدورة وقدر ذلك وعزم عليه ، وكان المهدي بعد قدومه ببغداد يقيم في قصر مشرف على دجلة ولم يكن يحتم البناء ، ثم عدل المنصور عن هذه الفكرة فقرر جعل المحلة في الجانب الشرقي من بغداد لطر على الجدد جعلهم قسماً شرقياً وغربياً .

لم يذكر المؤرخون عن المنصور الباق في تسميته القسم الشرقي من بغداد ما أنشأه هو باسم « الرصافة » وهذا الورد (قوله) بالله العزلة يدعى على « القبة » من الشيء الكثير ، وهي إما من رصف الحجارة وإما بمعنى أمنت والمرس . ومن حيث أن المنصور سمي هذا القسم من المدينة بهذا الاسم بعيداً لأخيه الساج قد يبي بالاسم « الرصافة » وعرف باسم (رصافة أبي العباس) وأبو العباس الساج قد بنى هذه القبة هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي فإنه أنشأ « رصافة الشام » في غرب الفرات وعربي الرقة بينها وبين الفرات رهاء عشرين كيلومتراً

والسبب في إنشاء الرصافة قرب قبر الإمام أبي جعفر الشافعي سنة ١٥٠ هـ أن المهدي بن المنصور قدم من الموحدة بالري على وائده بغداد في شوال سنة ١٥١ هـ ، (تشرين الأول سنة ٧٦٨ م) وكان معه جيش ووقعت عنه وعود فأمره بأن يسكن في الجانب الشرقي ويبني له ولأصحابه دوراً وشيئاً مرافق أخرى وقيل إن المنصور هو الذي أنشأ له ذلك . فسكن الرصافة قبل أن تسمى بهذا الاسم ، ويبني له سوراً وحفر حديقاً وأبعد ميداناً وعمرس تناً وأجرى إلى الرصافة الماء من نهر يشهد ماءه من جدول البروان الأحد من دجلة . وسمي هذا القسم الجديد من الماء أيضاً « عسكر المهدي » ، إلا أن اسم « الرصافة » كثر في الاستعمال فترك الناس الاسم الآخر

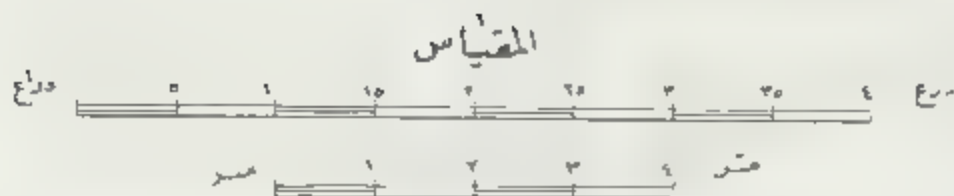
وأول ما أحط المهدي من أبيته « المجد الجامع » الذي عرف بعد ذلك بجامع الرصافة وجامع المهدي وجعله أكبر من جامع أبيه مدينة السلام وأحسن روعاً ، وإلى جانبه بنى قصره الذي عرف بعد ذلك بقصر الرصافة وقصر المهدي وكمل البناء سنة ١٥٤ هـ وقيل سنة ١٥٩ هـ . وكانت أكثر الأبنية من القصور وهي الأطلال التي بنى بها جعل مصفاً على نهر كما هو معروف اليوم إلا الجامع والقصر فانهما بالآخر . وأقطع المنصور أخوته وبنو جشهم في الجانب الشرقي حول الرصافة بعد إقطاعه إياهم من الجانب الغربي وقسمت القصور ما كما قسمت هناك ، وتنافس الناس في سكنى الرصافة وما حولها لمحبهم للمهدي وتوسعت عليهم الأموال والمطامير ولأن الجانب الشرقي كان أوسع الخاضع أرضاً ، وصارت الرصافة وحدها بقدر مدنته المنصور ، ولأن من المقطعين من حملوا هباتهم بالجانب الغربي سائين وأسواقاً ومغلات وغير ذلك من الخرافات . وكانت بين القصور عمارات الجدد وسائر الناس من النساء « الملاكين » وسائر ، وهي أكثر من سبع وثلاثين قطعة . وكان في الجانب الشرقي حبس قبل الخطيب البغدادي أربعة آلاف دراهم ، سمكة خمسة عشر ألفاً مسجد وحمة آلاف حسم ، والظاهر أن طريقة الإحصاء التي تتبعوها كانت غير محكمة . وأحد باب حاتم لافتحدر والمناجاة ومنه المنصور حسماً من الزواجر بين مدنته في الجانب الغربي والرصافة في الجانب الشرقي وجسراً آخر أسفله للذين يعبرون من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي

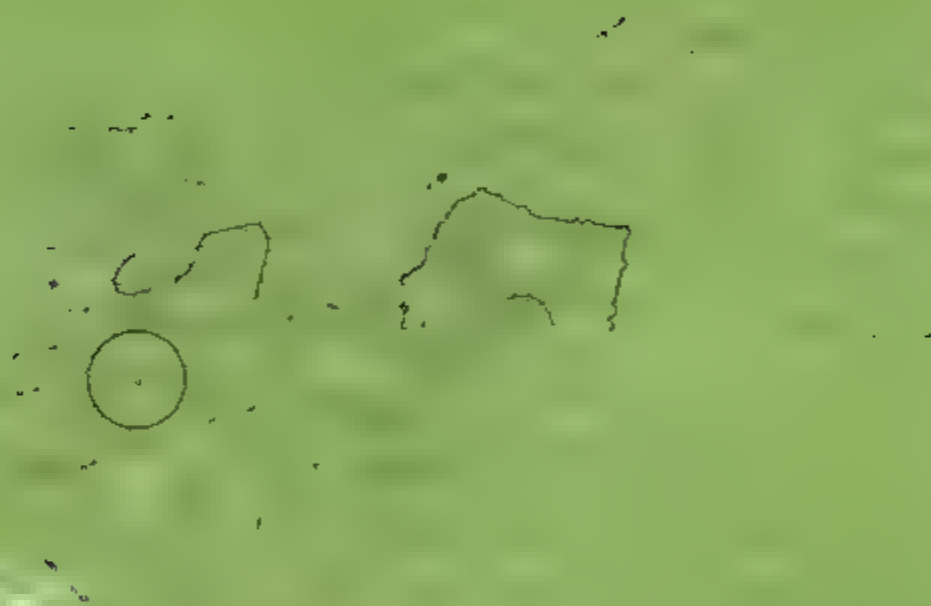
عمارة الكرخ في الجانب الغربي

الكرخ « لمارسية معاه الدار والقصر ، وفقر ما قرب الحموي » « ما أطل الكرخ عرية » « ما هي سطة » ، وأكثر

مخطط الجامع المنصور ومراحل تطوُّر بنيته

تحقيق للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة





الكلمات النحى بالعراق آرامية الأصل ، وفي العراق عدة مواضع عرفت باسم « الكرخ » وهي مصافة الى أسماء آرامية مثل كرخ «جدا وكرخ سامراء أو مصافة الى غيرها مثل « كرخ مار » ، كما أن في أسماء انهار الجانب العربي « كرخا » وهو آرامي كذلك ، ومنها « كرخي » (كركوك) فيجوز أن العرس أحدوه من الآراميين

والكرخ قرية قديمة كانت في بعض مواضع كرخ العباسيين وكان يمر بالقرب منها نهر الصراة ونهر الرميل الذي عرف بعد إنشاء مدينة المنصور بن عيسى بن علي العباسي ، وفي سنة ١٥٧ هـ (٧٧٢ م) بعل المنصور أسواق مدينته الى مواضع في خارجها لأن المدينة صافت «لتجار والدعة ولأن دحاجيهم كانت ترتفع فتعود حيطان المدينة ويتأدى المنصور بالدحاج ، فعم على إحراج السوق من المدينة وأمر إبراهيم بن حشيش الكوفي وحرث بن المسيب اليماني بذلك وأوعز إليهما أن يسبا ما بين الصراة ونهر عيسى سوقاً وأن يجعلها صفوفاً ويرتا كل صف في موضعه وقال : « إجملا سوق القصين في آخر الأسواق باسم سبها » وفي أيديهم الحداد القاطع » ، وأمر أن يبنى لهم مسجد يجمعون فيه يوم الجمعة ولا يدخلوا المدينة للصلاة في جامعها ، وقلد المنصور ذلك الوصاح بن شافعي العصر الذي يقال له قصر الوصاح والمسجد فيه ، ووضع المنصور على هؤلاء علة من الصرية على قدر الساعة ، ولما كثرت الناس صافت عليهم الصفوف فقالوا لإبراهيم بن حشيش وحرث بن المسيب « قد صافت علينا هذه الصفوف ونحن نتبع وبي لأفأ أسواقاً من أموالنا ونؤذي صبا لاجارة » ، فأجيبوا الى ذلك فانسعوا في البناء والأسواق ، وذكر الخطيب البغدادي أن الذي بى سوق الكرخ هو الربيع مولى المنصور وأنه جاء من من المنصور ، وبى أيضاً أسواق في الشرقية وباب الشعير والمحول من أرباص المدينة إلا أن الكرخ سى سرعة بالكان والتجار فانتدت سوقه العظمى من قصر وصاح صاحب حراة السلاح الى ما يقام سوق الثلاثاء في الجانب الشرقي طولاً مقدار مرسحين ، أي رهاة عشرة كيلومترات ، واستمر نقل الأسواق من مدينة المنصور الى الخارص الى أم المهدي فان « سوق درب الطيح » كانت في درب من دروب المدينة يعرف درب الأساكفة ودرب يعرف درب الريت ودرب يعرف درب الحاج فقلت الى داخل الكرخ في أيام خلافة المهدي

وانصلت عمارة الكرخ وأسواقه بقرية « سونايا » الآرامية التي سميت بالتيقة لتقدمها حصراً على مدينة المنصور وعرفت أيضاً بشيها المعروف اليوم بمشهد المنطقة بين الكاطمية وبعداد وقد تقدمت الإشارة اليها ، واتصلت من الجنوب بموضع الديارات الصراية العربية كـ « دير كليشوع » و « دير النيق » وهو الدير المبني على قرن من الصراة في مصه الى دحلة ويعرف في تاريخ الصراية بـ « دير مارثيون » ، واتصل الكرخ من الجنوب بقرية « قطفا » من القرى الآرامية العتيقة وكانت في حلة المشاهدة الحالية كما أشرنا اليه سابقاً وهي الأرض التي دمر فيها الشيعة معروف الكرخي ، ومقبرته عرفت بقبلة الدير أي « دير كليشوع » المقدم ذكره .

قصر الخلد

ذكر بعض المؤرخين أن المنصور بعد إتمام مدينته وتحويله الأسواق منها وتوسيعه شوارعها انتهى في سنة ١٥٧ هـ فصراً على شاطئ دجلة فوق مصب الصراة بقليل ووراء باب حراسان ، واختار هذا الاسم تشبيهاً له بجنة الخلد لما يحويه من كل مطر رائق وعرض عريب وسماه به تفاؤلاً بحلول ملكه ونقاء الخلافة في يده ، ولم تذكر التواريخ ما كان في الخلد من البان ، وقد جرت العادة أن لا يحلوا قصر من القصور ولا دار من الدور العظمة من إيوان ، وقد بقيت هذه العادة الاشائية ببغداد وأهل السواد الى العصور الأخيرة ورالت قبل ثلاثين سنة من تأليف هذا الكتاب

وكان ماء الخلد قد تولاه الربيع بن يونس حاجب المنصور وأبان بن صدقة واشتهر من أحاربه حملة عرس الأمير هارون بن المهدي قبل أن يتولى الخلافة وهو الرشيد ، لما تزوج ريبة بنت جعفر استعد له والده المهدي ما لم يستعد لأحد من العباسيين فله من الآلات والآية والعرش والمتاع والقمائش والطيب والجواهر والخم والوصائف ، وأعد لريبة درع من اللؤلؤ ، وهي شه القميص ، تفوق حد الوصف ، وحشر الناس من الأفاق وهرق من الأموال في ذلك

العرس ما لم يتصور أن يوت الأموال تحرجه وكانت أواري الذهب تملأ دراهم وأواري الفضة تملأ دنانير وسفع ذلك لوجوه الناس إلى غير ذلك من بواصع المك وقطع العبر وحلح الوشي . وكان ذلك العرس في المحرم سنة ١٦٥ هـ (٧٨١ م) ، وعنده الوليمة إحدى ولاتهم الإسلام الثلاث الكبرى ، وهي أولاهن والثانية وليمة المأمورين واحدة بواصع الحس من سهل والثالثة وليمة المتوكل في ظهور ابنه أبي عبد الله الرزيق من حلاته وهو المعتز بالله وكانت في قصر المتوكل « بركوار » بقادسية سامراء .

قصر عيسى :

ومن القصور الفخمة دوات المرافق الكثيرة التي بنت في عهد أبي جعفر المنصور « قصر عيسى » وهو الأمير عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس عم المنصور ، وهو أول قصر بناه الهاشميون العباسيون ببغداد وقد أنشأه عيسى عند نصبه بهر الرميل في دجلة بالجانب الغربي من أرض بغداد ، وذلك أن المنصور أعطاه هذه القطعة المصلة على دجلة في بها وغرس وأشأ ما شاء ، وكان في موضع قصره قصر ساساني أنشأه سابور الثاني المعروف بذي الأنكاف في القرن الرابع للميلاد . وجاءت أحده في حوادث أول غزو العرب المسلمين للعراق بقيادة خالد بن الوليد سنة ٢٣ هـ (٦٣٤ م) ، فنزل البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » « عن المسلمون جسرأ كل معقوداً عند قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي » قال مؤلف مرآة الأطلاع « بهر الرميل اسم لأعلى النهر الكبير المعروف بهر عيسى القديم ، وكان يرمي فاصله إلى الصراة فاسترح عيسى بن علي هذا النهر الذي يرمي إلى دجلة عند قصره ليكون جارياً عنده مسمى بهر عيسى لذلك » . وكانت ولادة الأمير عيسى سنة ٨٣ هـ وبقي سنة ١٦٤ هـ ودفن في مقبر قريب « الكاظمية الخالدة » .

وقد ذكر في التاريخ أن المنصور دار عمه عيسى بن علي في قصره هذا ومعه أربعة آلاف رجل فعندئذ عنده هو وجميع حاشته ودفع إلى كل جندي رطل فيه حر ورمع حديد ودخانة ودرجان وبيض ولحم بارد وحلاوى فاصرفوا كلهم مسطعين ذلك ، فلما أراد المنصور أن يصرف قال لعمه عيسى « يا أبا العباس لي حاجة » قال عيسى ما هي يا أمير المؤمنين فأمره طاعة ؟ قال ، تب لي هذا القصر ، قال ما لي محل عيش به ولكي أكره أن يقول الناس إن أمير المؤمنين دار عمه فأخرجه من قصره وشرده وشرده عياله فان به من حرم أمير المؤمنين ، يعني ساء دوات قرابة منه ، ومواليه أربعة آلاف نفس فان لم يكن به من أحده فلأمر لي أمير المؤمنين بمضاء بسمي ويسمهم أصرب به مصدرت وحياً أقلمهم إليها إلى أن أتني لهم ما يواربهم » فكف المنصور عن طمعه وبهض وأصرف

ولما كان بهر عيسى أو بهر الرميل على الصحيح يصعب القصر ، وكان رباط الطامي المشأ بعد ذلك مطلقاً على النهر وكان الرباط معه مقابلاً لمسجد قمرية المعروف حتى اليوم جامع قمرية على شاطئ دجلة بالجانب الغربي عندها أن قصر عيسى ومصب النهر كانا قرب جامع قمرية المذكور من محلة الشح شار الحالية

وقد تميز موضع القصر وقطعة عيسى حتى ذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) أن المسمى قصر عيسى هو في أيامه في وسط العمارة في الجانب الغربي وليس للقصر أثر إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى ، وذكر الخطيب العدادي أن قطعة عيسى كانت تمتد من القصر نحو الشمال ووصل إلى قرن الصراة أي مصب بهر الصراة في دجلة وكان في الشرق من باب حراسان من أبواب مدينة المنصور ، وشاركه فيها عيسى بن جعفر وجعفر بن أبي جعفر من الأمراء العباسيين أيضاً ، وكانت قطعة جعفر بن أبي جعفر في الأعلى

قصر الفرار :

ولعل الفرار أحد من الآية ٣٩ من سورة طه الكريمة « وإن الأحرار هي دار الفرار » ولا واحدة لما ذكره لتراجع من أن معناه الماء المستقرة أو الحركة ، فقد كان على مياه جارية يعني ماء دجلة وقد ذكر الخطيب العدادي

« القرار » في مقدمته تاريخه الخطيئة في بابل « وأما شطرنج » دجلة من فوق القادسية إلى البحر (الأعني) إلى باب
 حرسان فذلك بعد ثم ما بعده إلى البحر (الأسفل) ثم القرار بركة المصور في آخر أيامه ثم أوصاه الأُميين
 ولقد ظهر أن قصر القرار في أيام المصور لم يكن ذلك من صحته فإن الخطيب عنه قال في موضع آخر « بابل » إن موضع
 البحر أحد عشر كان قد دخل في بابل « أم جعفر على عهد أسد بن محمد الأُميين وهو الباء الذي سببه القرار » وهذا
 يعني أن قصر القرار أو بابل من أحد في بعض رتبها البحر الجديد وأما الذي في اليه أقالب الباء وسببه
 الأُميين كجاء في الخبر الأول ويسمى أحياناً « قصر ربيعة » كما جاء في تاريخ الطبري غير مرة في حوادث حصار
 طاهر بن الحسين للأُميين سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) وغيرها فهي الطبري أن إبراهيم بن المهدي كان « راجعاً مع محمد الأُميين في مدنة
 المصور في قصره باب الذهب حصاره طاهر بن الحسن فخرج الأُميين ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من المصيق
 يدي هو فنهض إلى قصر القرار في فوج بهر القفزة أسير قصر الخلد في خوف الليل ثم أرسل إلى إبراهيم هذه الباء
 فقال له « يا أمهم » أما ترى صيب هذه الليلة وحسن القمر وجموده في الماء فمن لك في اشرب ؟ وشرب بدأ

وإذا كانت عمارة القرار قد قامت على يد ربيعة على عهد أسد الأُميين علماً أنه بقي به فيه « بحسن لم تر العرب والعجم
 مثله قد صوبت فيه كل التصوير بذهب سبعة وحفظه وأما به وعطف على أبوابه شجر معصره مذهبة وفرش بشجر
 ذلك من فرش من جميع أسامه وعرف الأُميين ذلك أحياناً به يوماً ، وعمد بأن يؤمر الندماء والشعراء
 بالمصور عدوه ذلك يوم لشربوا الباء فصاروا فلم تحلف أحد منهم وكان ممن حضروا أبو يوسف فدخلوا
 المجلس ثم رأوا بدأ برؤا منتهى من أبواب مشرف ففتح فسمع سافر فيه القصر وقد يصر حتى حصار « به كآون
 سببه ثم ذهب بالبربر المصانف به بالبربر ووجدت به أبواب عظم ومصابيح غلاظ نلألقها مسامير الذهب
 وقد دست رؤوس المسامير بأخمير القصر وفرش فرش كأنها صاع لدم ونقش بصور الذهب وتماثيل العنكبوت
 ولقد به أجمع الأشبه والكافو المصعد وعمر أسك به وصوف مذكبة والشمامات وأنرايين ، فدعوا له وأثوا
 عليه وحسوا في مدعاهم على مر بهم وماله كل منهم وبعد أن طعموا وشربوا مدت سائر ومن وراءها المصانف
 وأما طاهر بن يحيى حر الباء « عشرة آلاف » موضوع في مصابي فأمير سترها عليهم فثرت و « تهبوا »

ولما لاح الليل لظهور من آخر سنة ١٩٧ هـ (٨١٢ م) عرضت على الأُميين مبالغ مقدارها « مئوتاً درهم » ثمناً
 لأفصاح في القصر ، بما جاء من المصابي فم توافق على ذلك في الطبري « وكانت المدة مدهمة فحررها
 أصبحت طاهر كلف وهو من العراء والبهنة بشراً كذا » وفي ذلك قال بعض الشعراء

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| أقول وقد دوت من القرار | سقيت النبت يا قصر القرار |
| رمشك يد الزمان بسهم عين | صبرت ملوحاً بدخان نار |
| أين لي من جميعك أين حلوا | وأين رمى بهم بعد المزار ١٩ |

قصر جعفر بن يحيى البرمكي « الجعفري »

ومن القصور التي اشتهرت في دول هذه الأُميين قصر جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد فقد ذكر
 تاج الدين علي بن أحمد المعروف « بن السعدي المؤرخ البغدادي » في كتابه « ساء الخلفاء » أن جعفر بن يحيى
 البرمكي كان كثير المنة بفقهاء « مستهزأاً باللدات مصلحاً على الدين والمصنف ، وشهر ذلك عنه وطمع الناس عليه به
 فحلبه والده يحيى بن خالد البرمكي وصحبه له « حاد قصر الجانب لشرقي تجمع فيه سماءه وقباه وسعد عن أعين
 العامة وتحمل أموره على الخاصة ، فحشد جعفر قصره في الجانب المذكور واسع البناء والقصر معتدل الهواء طيب الثرى
 ما بين رصين ودايره وماء جاريه ، مبدأ عن أصوات الناس وراحيتهم والروائح المشبه وقد أبا أن يحقق الخطابي

الحديث أن القصر كان على شاطئ «دجلة» في أرض شارع المتنصر الخليفة بمتنصفه وجعل بقصر يستأجره رباب مربعة محصنة عرس فيه من أنواع الشجر ما شمر بكل ثمر بدع، ودلع في لافاق عليه بعد جمع الصواع «أهل الحرف» وما قارب الفراغ من سنة ابن حيدر إليه ومعه أصحابه ومهم مؤنس بن عمران فلم يستجبه ووجهه مثل انقصور الأخرى، ووضح له بأن يجعله باسم المأمون ويأخذ ابتغيات من هروب الرشيد وكان في هذا القصر ثلاثمائة وستين مرفعاً ما بين مجلس ومشراف (بالكون) وحجره وموضع حش يتنرد بالصف وحجره، وقد حطب لكل مقصورة فرش على مقدار سائها، فمثل جعفر بن سبي الرشيد وذكر له أنه في القصر للمأمون فسكنه منه خصوصاً ودانته وجواربه وغيره منه، وأنه يحتاج إلى كمال ثلثه إلى حرائر حنيفة فأمر الخليفة بحاجته إلى طه وورث انقصور له ولم يرل جعفر بتدريج إليه في كل أوقات أو أحده إلى أيامه ثم رشده بأنه مكة، وكان إذا ذلك يسمى «بقصر الجعفري»، ولما قتل جعفر صار انقصور إلى المأمون فوجد من أكمل انقصور وأمره لاحتلاله على رحله وحمله في الطر واشتماله على الرياض وأنواع الشجر «أهل» حطب له سكة، ووجه موضع حيد وقص ومشراف، وقطع من التربة المتصلة به من الرق أرضاً حديداً مبداء للركض ولعب بالكرة والصلح ولحله الساق وأساساً حيراً، أي حديقة حديد، لجمع له حشوب مما يقصدها، وفتح انقصور ما شردا وبني عليه مظلة مرفوعة على مساهات واسعة وحصصاً طريق حراسه وأخرى إلى ذلك به، ساه من به المعنى وبني عليه وغرباً منه مدخل برسه حصه وأصغره وحاشيته قسمت للمأمونية وهي الملحفة الكيرة التي قرب بعدد معبودة إلى هذه الأيام وهي بحه عند بعض وعلة التناوين وعلة صايغ الأك، لأن اسمها قد زال منذ عدة عصور.

وكان المأمون مع والده هارون حراسان حين توفي والده سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ م) فبويج أخوه الأمين ببغداد ويبيع المأمون حراسان وحرب بعض اشتبه في الدرع حتى قتل الأمين سنة ١٩٨ هـ. ولما وصل حذوقه إلى أخيه المأمون هناك أرسل الحسن بن سهل نائباً عنه بالعراق لتدبير الأمور ولدور لشؤون عزل الحسن القصر المأموني ثم روج المأمون بوران بن الحسن بن سهل، وأجرى حملة العرس ثم قدم بغداد سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) وسكن قصر الخلد بالجاب الغربي وبقي الحسن بن سهل في القصر المأموني، وبعد احتفال عرس المأمون بعم الصلح عقلت أسد بوران إلى بغداد فأرلت في القصر المذكور وطالب الحسن بن سهل القصر من المأمون فكنه باسمه فوسعه الحسن بن أصافه إليه بما حوله وعبت عليه اسمه فسمي «القصر الحسي»، ثم انتاع هذا القصر الأمير الموفق بالله بن منه كن وبرله وصار إلى أنه الخليفة المعتمد بالله فهدمه وأعاد إيشاءه وراد فيه وهدم إلى حد «بهر بن» ثم بزله حكفي هذا ما ذكره بن السعي وذكر خطيب العددي بأرواية عن هلال بن الحسن الصدي وغيره أن القصر صار «أمراته» إلى سيده بوران بن الحسن بن سهل فأمر لها به الخليفة المعتمد بالله فرمته وجصصته وبهته وفرشته بأعس العرش لمدهسه وأحسب وبنار المقصة وعنتت على أبيه أصافاً من التور امر حرقه وملأت حرائره بكل ما يخدم به الخلفاء من انصرف وسب فيه من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه ثم سلطه إليه فأسحبه المعتمد ثم استوفى إليه سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠ م) ما جاءه من الكيرة وتوسيعه وأحده معراً للحدافة وبني عليه سوراً وحصه وأخذ حوله ما إلى كيرة ودهراً وأقتطع من التربة قطعة فجمعها مدناً عوضاً من الميدان الأول الذي أرحقه في العدة وأبقى عنه ما لا عظماً وأمر أن يبنى فيه مصمغ وهي سجون من سر ديب عميقة مظلمة، وقد رسمها هو نفسه لتصاع فبب بناء على عهده يكون من الأحكام والعيق وحملها بحاس لأعداء الدولة والمجرمين.

وصار بقصر بعد وفاة المعتمد بالله إلى ابنه المهدي سنة ٢٨٩ هـ (٩٠١ م) فكنه وأمر بهدم المظالم التي بناها والده وأمر أن يبنى مكانها مسجد جامع، وكان الناس من أهل الجاب الشرقي قبل ذلك يصلون صلاة الجمعة في بعض عرهم بقصر ولا رسم للمسجد فصلون وحرجون. وبم بناء المسجد الذي أمر بانه المهدي وهو أصل المسجد الذي

عرف باسم «جامع القصر» و«جامع الخليفة» و«جامع الخفاء». وقد دل التحقيق الخططي الحديث على أنه المسجد الذي يست فيه في أسم الممول لايتحايين إمارة الفحة العنفة حتى اليوم المعروفة بمساحة سوق العزل وعرف هو عبد العامة بهجامم سوق العزل.

قصر التاج :

وكان المصنف قد جمع الرجال للحجر أسر قصر به على شاطئ دجلة في أرض القصر الحبي المذكور ، واتفق
خروجه في مدة أمد سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م) فلما عاد رأى الدخان يرتفع الى أبنية دار الخلافة فكره أن يشر على الدار
وسمى قصر الثوب الأبي ذكره وقصر الفردوس ، ثم مات وأحد ابنه المكشي بالله في سعيد لشكره فأمر بقصر القصر
لتكلم في سامراء وقصر ما عي من القصر الأخضر الذي أنشأه كسرى أبو شروان في القرن السادس للبلاد وبفسل
حرمه الى بغداد وأدخل في مواد بناء هذا القصر الجديد الذي سمي « قصر الناح » ونسب اليه الجامع المقدم ذكره
فسمي « جامع قصر » كما ذكره أعلاً وحمل لقصر الناح مائة عظمه طاعة الى وسط بهردجلة وصارته في مرارها
وجعل وجهه مساً على حصة عقود كل عقد على عشر أساسين خمس أذرع ، كما قال نافوت الحموي في معجم البلدان
وهو نصف قصر بنيار قاصره ، وبني المكشي أيضاً راراً ومرمو لها ومساقة على أساطين رحام عرف بقعة الحمار لأبه
كان يصعد به في مدرج حولها كما جمع سامراء على حمار صعب الجرم وكانت عليه مثل نصف دائرة وفي أيام
الحكمه لمتقي الأمر الله في منتصف القرب لادس لبحرة ومعت صانقه على دار الخلافة في الدار التي أنشأها اخفتني
وأحجب فيها الدار وبسب يتقدم فيها تسعة أيام فاحترق هي والقبة وما أطفئت النار طهرت الدار كالبحر ثم أعاد
المصنف بناء بقعة على الصورة الأولى ولكن بالحصى ولآخر دور الأساسين رحام وأهمل بنائها حتى مات وبنت
الدار كذلك الى سنة ٥٧٤هـ (١١٧٨م) فأمر الخليفة المستضي بالله بقصها وأمر به المساه اليه بين يديها الى أن يحادي
بها بناء قصر نوح وأدخل بقاص قصر النوح وعمره في إنشاء هذه البنية ولم يق من الناح القديم الا اسمه في
أواخر أيام الدولة عباسية وكان يطلق على الصحن الذي بحري وبمساهم الخفاء على شاطئ دجلة من دار الخلافة المذكورة

دار الخلافة في أيام المقتدر بالله سنة ٥٢٠ هـ (٩١٧ م) :

[illegible]

جميعها تحب السباح المفروش من الأرض الى حد رؤيتها وذلك التيسر قائم مطلق من الشبه (الريح) اندهب
وجمع الحبل حامل بأبواب السر (الخلال المذوق) وكان في جوارب السائل أترج حامل ودمستونه مقفوع وهو أترج ركي
الرتحة وغير ذلك ثم انقل الى دار يعرف بدار الشجرة وفيها شجرة صاعدة من القصة وربها حسانة أثبت درهم
في وسط بركته كبيرة مدورة فيها ماء صاف ولشجرة ثمانية عشر عصاً أكثرها من القصة ومنها ما هو مذهب
وأوراقها مختلفة الألوان لكل عص من شحات كثيرة عليها طيور وعصافير من كل نوع مدهه ومعصمه
وهي تهدير وتصفر . والأعصان تتدبل في أوقات وورقها يتحرك كما يتحرك ورق الشجر بالريح ، وفي جانب الدار
على يمين المذبة مائتين خمسة عشر فارساً على تماثيل خمسة عشر فارساً وقد ألبسوا الدياج وغيره وجمع في أيديهم
رماح هصار وهم يدورون على خط واحد حراً وعرياً ويرون كالأكل واحد منهم فاصد الى صاحبه وفي الجانب
اليسار من المذبة مثل ذلك ، ومن هذا الموضع انتقل الى قصر الفرسوس فرأى في دهليزه عشرة آلاف خوش مدهمة
معلقة وفيه من الآلات والفرش ما لا يحصى ، ثم خرج منه الى بحر طوله ثلاثمائة ذراع قد علق في حاشيه نحو من عشرة
آلاف درقة ووحدة وبسة مديع وخمسة مديع وفيه وقد وصف بهاء الهي حادثة (مخوك) من البيض والسود صفين
بشاً وشمالاً . وبعد أن يجتاز تلك المواقف يتم في طوله منه (٢٣) قصر أعصى الى بعض النعيمي ويرى فيه
العلمان الحجرية أي حراس داخل القصر وهم في سلاح كامل وبره حله وهما رتبة في أسبهم الجروح
والهزيرات والاعمد والدايس . ثم يرى الخليفة مقتدر جلوس في كاخ ثمانية دجلة وعنه شاب ردية مقفوره
الذهب وهو جالس على سرير من الأوس قد فرش بالعماش الذي في المظفر بالذهب وعلى رأسه فلسه مديع ، وعلى
يمنه السرير تسعة عقود مثل السبع مديع وعلى يسره سبعة أخرى من أفراسه وأعطى فيها نصف صوته على
صوت الهار أما أسوار الدساح المدهمة بالظفر المصودة للجملات والملة والخن والجمال وسابع وهو الطرد
والمتور الأخرى على اختلاف أنواعها فكانت ثمانية وثلاثين ألفاً منها اثنا عشر ألفاً وثمانمائة سر من ستور
الدياج المدهمة . وأما عدد السط على اختلاف أشكاله في المذبة وتصويره سون ما في المصاحف والمجاس من
الطيات والديفقات ثمان وعشرون ألف قطعة . وأما حجم الحصان فكانت عدتهم أحد عشر ألف حاد من الحص
الصعالة والروم والأحاش وعددها المصاحف ثمانمائة حاجب وعدد العلمان السودا المفاظين الملازمين له الخلفة
أربعة آلاف غلام

قصر الثريا :

ما كره المتعبد بالله الاستمرار على اسماء في داخل دار الخلفة كما ذكرناه آنفاً انتهى على مسافة نحو من مياين الى
الشرق من دار الخلفة قصر اسماء « الثريا » وكان بناءً حصناً على التوت على نهر موسى من فروع نهر بين واسب
بعت قصور دار الخلفة وفقاً لجملة أرباح أي عقوداً مديعة بحسب سطح الأرض وأوصله الى قصر الثريا فكانت حواربه
وسراربه وحرمه بمئين منه . واحد قرب القصر حياً للوحوش ومائتين ذات أشجار مشجرة وحدائق مزهجرة . وقد
ذكرنا آنفاً ما يقيد أن المتعبد انتهى الثريا بدم سنة ٢٨٦هـ وهذا قول يابوت في معجم البلدان مع أن الطبري ذكر الثريا
في أحوار سنة ٢٨٤هـ (٨٩٧م) . ففي هذا القول يكون قصر الثريا قد بني قبل ذلك التاريخ . وحدث عنه بنة بس على
يدنه قات « كان المتعبد يقول كتبني ثريا » أتعلم أن بناءً من أبنية الخلفاء يشبه هذا البناء أو ما يعادله في عمل
أو موقع « أم تلامي فاعداً على سريري . معرض على . يري ، ويصاد بين يدي صيد البر والبحر ، كأي في وسط المتعبد .
وذكر حمزة الاصمعي في تاريخه أن « المتعبد شفيوا عليه في شهر ربيع الأول من سنة ٣١٧هـ وظلوا يشعرون حتى
صدموا في القصر المعروف بالثريا فحرقوا أكثره واشتهبوا ما فيه من الخرائن وآخرها القبة والقصر المعروف بالثريا »

و تكوك وسوا ما كان فيه من الآلة والكتع والوحش والطير . وقد ذكر المسعودي في « مروج الذهب » أن المعتصم أتى على قصره هذا أربعة آلاف دينار . وكان طول القصر ثلاثة فراسخ (١٥ كيلومترا)

قصر المعتصم بابل

أشياء المعتصم على نهر موسى الجانب الشرقي من بغداد بالميدان وبني فيه إيواناً مقوشاً بالصفاء . قال الخطيب العدادي « وفي الجانب الشرقي نهر موسى بأحد من نهرين . ونهر نهر موسى أيضاً إلى قصر المعتصم بالله فيحمل منه هناك نهر يمر إلى سدق العطنش . ونهر نهر موسى أيضاً ملاصقاً لقصر المعتصم إلى أن يخرج إلى شارع عمرو الرومي ثم من حلستان ، نهر هضبة ونصف في دجلة أسفل النهر . وقد اتحد المعتصم لقصره هذا بناً فيه أسوار من الرصاص والعروس فكان المعتصم ينشئ فيه لشجر . وذكر غيره أنه كان للعباسية أخته وعمه ولما خرج منه جلس فيه وجمع أهل بيته وأصحابه وأمر أن يلبس الناس المدحون كلهم الدماح . وجعل سريره في الإيوان المقوش بالصفاء . وكان في صدر الإيوان صدره عفاء . وجلس على سرير مرصع بألوان الجواهر . وعن رأسه دلتج دسني فيه الدرر البشمة وفي الإيوان أسره من الأسرى عن نفسه وعن سائر من حد السرير الذي عليه المعتصم إلى باب الإيوان . فكلموا دحرج حل رتته هو نفسه في الموضع الذي وراءه . فما رأى الناس أحسن من ذلك يوم . وقد اشتهر هذا بقصر بالحسين عسكري عدي أجره المعتصم فلما شغله إلى أرض سامراء وأشائه بها وذلك أنه أمر بسح الطريق من باب قصره إلى مصلى العيد ثم قسمه على فواد جيشه وأعطى كل واحد مصفة فلما كان قبل العطر يوم واحد حضر الفواد وأصحابهم في أجمل ري وأحسن منه فمدوا مصافهم وكان فيهم أخوه إبراهيم بن المهدي . ولما أصبح المعتصم أمر انقواد الدين ثم برتوا في المصلى أن يصيروا إلى المصلى على بعثة عبا لهم . لبس ثيابه وجلس على كرسي ينظر مصي الفواد . وقد نقص أمرهم أمر الرجال بالناس . بين يديه تقدم منهم ستة آلاف صاحب قوس من الخوالي كل ثلاثمائة منهم في ري مخالف لري الباقين وأربعة آلاف من المعارضة وأمر شعث أن يكتوبوا وراءه منطلعين بالأعمدة وعدتهم أربعة آلاف وهكذا صار إلى المصلى وتمت أمور العيد .

وفي حين الاحتفال الأول إشارة حصار به عمارته طهرت في قوله « وجعل سريره المقوش بالصفاء » . وهذا يعني أولاً أن القصر كان في بيته إيوان . وثانياً أنه كان فيه إيوان أو أكثر غير الإيوان المقوش بالصفاء ولولا ذلك لقال الخطيب « وجعل سريره في الإيوان وكان مقوشاً بالصفاء » وهذا واضح جداً .

قصر السلام والسادة

أشياء هذا القصر المهدي من المنصور في محلة من محلات شرقي بغداد كانت تعرف بيساناد أي عمارة عيسى وهي مبنوية إلى عيسى بن المهدي وكانت إقطاعاً له . وقد ذكر الخطيب العدادي في تأريجه أن المهدي بنى قصره الذي سماه قصر السلام في عيساود سنة ١٦٤ هـ (٧٨٨ م) وذكر الطبري أنه بنى سنة ١٦٥ هـ . وكان القصر على نهر المهدي وكان مرله هناك ومستره في عيساود . وبلغت المصفاة على القصر المذكور خمسين مليون درهم . وذكر الطبري أن المهدي بنى عيساود الكبرى قصرأ من لبس إلى أن أسس قصره الذي سماه بالأجر وسماه قصر السلامة وكان تأسيسه إياه يوم الأربعاء في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة . ثم ذكر أن المهدي تحول إلى عيساود سنة ١٦٦ هـ . مرلها وهي قصر السلامة وبنى الناس بها معه وصرب بها الدناير والدراهم . وما نقل من أقوال يعقوب بن داود وزير المهدي قوله « بنى هذا الرجل بي بي الخليفة المهدي . مشرعاً أمضى عليه ٥٠ ألف ألف درهم من أموال المسلمين . » يعني قصر عيساود . قيل ولما خرج المهدي من إنشاء قصره بعيساود ركب في جماعة للظفر زينة فدخله مفاجأة وأخرج كل من هناك من الناس وبقي رجالاً حفا عن أنصار الأعوان هال أحدهما عن سب بخته فقال جئت لأنظر إلى هذا الساء وأتمتع بالنظر

إليه وأكثر الدعاء لأمر المؤمنين طول العاء وسام العمر وساء العر والسالة ، فأجاره بجائزه
وفي قصر السلام يقول أبو العاهة :

| | |
|------------------------|--------------------------|
| فعم علة الملك الهمام | سقت بالنيث يا قصر السلام |
| وجعلك الملائكة الصكرام | لقد نشر الآله عليك نوراً |
| تدور علي دائرة الحمام | سأشكر نعمة المهدي حتى |

والظاهر أن موسى الهادي سكن هذا القصر على قصر خلافة وفيه نوفي .

قصر أم حبيب :

كان الجانب الشرقي مشرفاً على المدان ميدان سور الرصاة . كان في إقطاع عدد من الخصب بأمر الرشيد ثم صار
للنصر من الربيع ثم صار لأمر حبس الرشيد في أيام المأمون ثم صار لثات الخلفاء إلى أن صار يكنى في قصر
المهدي بالرصاة ، وقد دحكر الصابي هلال أن المعتصم كان يعق على من في قصر أم حبيب بعد إخراج النساء منه
من ولد انوائق بالله والمهدي بالله والمتعين وسائر أولاد الخلفاء حممة ديار في الشهر ، وبما دل قيمتها الشرعية
اليوم أكثر من خمسة آلاف دينار .
وفصور بعداد أبي بيت في حد الدور كثيرة جتري منها بكر أشهرها وأكرها وقد صفا .

دار الروم :

دار الروم محلة الجانب الشرقي أنشت حول دير الروم . وألصق في هذه النعمة أن أسرى من الروم قدم بهم إلى
المهدي فأسكوا در أي شرقي باب الشمسية وشمال الرصاة فسمت بهم وسبت لهم بيعة هالك ، فن ياقوت « ودير
الروم هو بيعة كبيرة حنة البناء محكمة الصنعة للسطورية خاصة والحائلق فلاة إلى جابها وييه ويسها باب يحرج منه
إلبا في أوقات صلاتهم وقرابهم ، وتجاوز هذه البيعة بيعة لليعقوية معددة لهم حنة المظرعية الباء مقصودة لها
فيها من عجيب الصور وحسن المصل . وكانت قرب دير الروم محلة يقال لها (الدور) قال ياقوت الحموي .
« إنها حريت الآن » .

دير درمالس :

كان هذا الدير في رقة باب الشمسية شرقي بعداد فوق دار الروم وقال الشاشي في كتاب « الدمارات » « وكان
ربهاً كثير الأشجار والساتين وبقربه أجمة نصب وهو كبير أهل معمور بالقصف والترب والشرب وأعيد النصارى
مقسومة على ديارات معروفة بها أعاد الصوم الأحد الأول في دير الناصة والثاني في دير الرقيقة والثالث دير
الرودورد والرابع دير درمالس هذا يجتمع إليه النصارى والمتفرجون » .

دير سمالو :

ومال « صالو » أيضاً وهو الأصل وسمالوس الثمر الشامي في قرب المصيفة وطرسوس . والظاهر أنها من مدن
أرمسة الصغرى وكان الرشيد الخليفة حاصر سنة ١٦٣هـ صالو فبال أهلها الأمان لعشرة أيام منهم مهم القومس
فأجابهم أي ذلك وكان في شرطهم أن لا يفرقوا فأرلوا بعداد على باب الشمسية فسموا بمصمهم « سمالو » ناسين وبني
هناك دير سمالو المذكور وهو دير مشيد الأركان كثير الرهان وبني يديه أجمة نصب يرمى في الطير بقسي الخلاقي وفي

ذلك يقول أحمد بن عداثة الديلمي الشاعر :

هل لك في الرقة والدير دير سمالو مسقط الطير؟

وقد وصف بعض المؤرخين هذا الدير بقولهم « هذا الدير شرقي بغداد سبب التسمية على نهر المهدي وهناك أريحة لنساء وجوهر سنين وأشجار وحل والموضع يره حرس العماره ، أهل من بطرقة ومن فيه من رهبان . وعيد الفصح بغداد فيه منظر عجب لأنه لا يبقى مصري إلا حصره وتقرب فيه ، ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين إلا قصده لثمره فيه وهو أحد مرهات بغداد المشهورة ومواضع النصف المذكورة »

دير الثعالب :

ذكره ياقوت الحموي قال « دير مشهور بين بغداد ملان أو أم في كورة نهر عيسى على طريق صرصر رأسه أنا والحرب منه قرية تسمى لحرثه » . قال « وذكر الخليلي أنه الدير الذي يلاصق قبر معروف الكرخي بمرعي بغداد وقال « هو عند باب الحديد وباب هرويه وهذا الباب لم يعرفه اليوم والمشهور والمتعارف اليوم ما ذكره » . وبينه معروف الكرخي ودير الثعالب أكثر من ميل وإلى جانب قبر معروف دير آخر لا أعرف اسمه وهذا الدير سميت أميرة معروف باب الدير وقال فيه ابن الدهقان .

دير الثعالب مألف الضلال وعجل كل غزالة ونحوها

وورد خبر هذا الدير في حوادث سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م) وذلك أن دجلة راقت رعدة عظيمة هزمت سواح كثيرة من الجانب العربي ومنها قباب دير الثعالب والدير الذي لم يعرف ياقوت الحموي اسمه هو دير كليشوع

دير كليشوع :

كان هذا دير على فرع من نهر الرميل الذي عرف نهر عيسى أيام العباسيين وكان بجوار مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، وكليشوع لفظة سريانية معناها « الكلب سوع » (سبي السند المسح) وقد حفر هذه القطعة في مراد الاطلاع الى « دير كليشوع » . قال مؤلفه « دير كليشوع ومنهم من يسميه دير البقال ملاصق بمقبرة معروف ولهذا تسمى أميرة مقبرة باب الدير وكان يسمى أيضاً دير الخائيق طينثاوس الذي جدد بناءه وأقام فيه ودفن فيه في سنة دخول المأمون بغداد .

دير قوطسا :

هو دير من ديارات بغداد أيضاً وكان بين بغداد وبين الرملة وكان ترعاً كبير البساتين والمزارع .

دير الزندورد :

ولمعه دير الزندورد ونصحت الزندورد الى زندورد ومعنى زندورد بالفارسية « النهر القوي الحي » ، وكان في الجانب الشرقي في طبع كبادا وحد الزندورد من باب الأرح الى الشيعي وأرضها كلها ذات شجر من أشجار العواكه كالأنج و الألبان وهي من أحوذ الأعاب التي كانت تنصر بغداد في العصور القديمة ، والظاهر أن تسمية الزندورد بمعنى « نهر الحي » متدة الى نهر كان هناك شديد الجربة يصلح لتحريك الأرحاء وإدارتها . قال السمعاني في الأسباب عند الكلام على باب الأرح « قيل كان بها أربعة آلاف طاحونة » . فكيف كانت تدور هذه الطواحين بعير جربة النهر الحي ؟ ... ؟

دير درتسا :

درة اسم آرامي موضع قريب من بغداد على مقاطعة قطر بل وفيه دير النصارى قديم معروف قبل إنشاء المصور مدينة ، مدينة السلام وقد وصفه باخوت بأنه كان يحاذي باب الشمسية وكان راساً على دجلة حرس المعمار كثير الرهبان ، وله هيكل في نهاية العلو .

دير مار قثيون :

منسوب إلى قثيون أحد عباد النصارى النساطرة المشاهير وكان قد أنشئ بعد قرن الفسافة في مصر الى دجلة وذلك يعني انه كان مشرفاً على الفسافة من الجنوب وعلى دجلة من الشرق ، والبقعة التي أنشئ فيها كانت تسمى «سوبايا» وسميت بعد تأسيس مدينة السلام «العتقة» لأنها أقدم من عماره مدينة المصور . رماً ، وسمي الدير أيضاً «الدير العتيق» وكان إنشؤه في أيام بني ساسين وجمده «سريشوع الثاني» المؤرخ سنة ٨٢٩هـ وبني جماعة من النصارى فيه فلما أنشأ المصور مدينة بالعرب منه فطعم المسلمون من أرضه قطعاً فطالب النصارى بها بعد حين وأرادوا نعمة إياك فيهم فاستجاب لهم وقالوا هذا ما من إياك فأمرهم المصور بحبس كرها ، فهدم سريشوع تلك الأبنية العتيقة وحدد بناء بيت الشهداء (في عقيدته) أولاً وفيه وعمل موضعاً سكنه هو نفسه وهدم فيه سكناً أي مدرسة دينية وجمع الممنوعين فيه وسار مقام اعطرك فيه أيضاً وقد ذكروا أن المصور بنى بهذا الدير قبل بناء مدينته ، مدينة السلام

كنيسة قطيعة عيسى (الرملة) :

الرملة هي اسم محلة الخضر الخدانة في الجانب الغربي من بغداد على شاطئ دجلة . وكان فيها كنيسة لليهود ومعبداً يعود تاريخها إلى اليهود أساسه كما يعلم من أن الإسلام أبقى معبد أهل الدمة على أحسنها القديمة ومع الاستحداث والاسجداد ، وقد ذكر ابن عديم في كلامه عن قطيعة عيسى بن علي صاحب العصر المقدم ذكره باسم «عصر عيسى» قال في المراد «قطيعة عيسى هو عيسى بن علي بن عبد الله بمقداد أظن المحلة التي يقال لها الرملة ، الجانب الغربي عامرة الآن (٧٣٩هـ - ١٣٣٨م) لأن الكنيسة التي كانت لليهود كان اسمها عديم كنيسة قطيعة عيسى والظاهر أنها منسوبة إلى موصفها» ويؤيد هذا القول أنه كانت لهم مقبرة في الشويبري ، فقد ذكر ابن مطر أن أبا موسى دفن في بن اليهود على قبر عيسى ولا تزال لهم مقبرة معروفة قرب قبر الشيخ حمد الراشد وتعرف عند العامة بمقبرة النبي يوشع . والنصران الحكاية الشعبية في وجود الخضر الياس وتسعة المشرقة بشرية الخضر الياس وابعاد لشموخ وتوحيدها على كبر الحل في دجلة لها صلة بهذه الكنيسة التي جرمها النهر مع ما جرم من العمارات الفخمة ، كما أنه من الأرجح كون الكثر من الدناير التي عثر عليها سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) من حيايا هذه الكنيسة ، وذلك أن ملاح قفقه اسمه صالح بن حلف المشداني من عشيرة المشاهدة لأحد مرديه بركة أي بركة ، وقيل حياً كبيراً وهو الراجح ، كانت مدفونة في جوف الشاطئ المعروف بالخضر الياس بالجانب الغربي من بغداد فكشروها وكانت مملوءة دناير فأنزلت منها الدناير منها ما غاصت في الماء ومنها ما استطاع العصف أحد ، ووصل الخبر إلى الحكومة فحاصرت على ما بقي واستخرجت الدناير العائنة في الماء فكان مجموع ما استولت عنه نحواً من ثلاثة آلاف قطعة تزحف نحواً من عشرين ليرة عثمانية وهي هيئة سكة فعلت إلى العاصم استأصل وهي الآن في متحفها مع القود التاريخية الأخرى ، وقيل إن الذي احتججه الملاح لعصف ملء كفة وثلاثة أكاس وكان السبب في إثرائه حتى عرف بين الناس باسم المقتصد لشهره على ما ذكره من عصر المقتصد بالله الخليفة العباسي . وكان والي بغداد أيامه تائق باشا الصخر

اتساع بغداد وتوسع عماراتها

كان من نتائج اتحاد المصور لعمدة الدولة العباسية أن تواجد إليها الناس على اختلاف طبقاتهم وأبناوا الدور والقصور والأسواق والحمامات والخانات وأشأوا المساجد الخاصة بهم والمرافق المعيشية الأخرى ، وبذلك اتسعت بغداد في جانبها الغربي المحيط بمدينة المصور والشرقي المحيط بالرصافة وامتد العمران شمالاً وجنوباً ، قال أحمد بن حنبل إمام الحنابلة « بغداد كانت من العراق إلى باب التين ثم انتقلت إلى الجانب الشرقي من الشامية إلى كلواذي » . يعني أنها كانت في أيامه من أرض الكاطمية إلى الأرض التي سقى فيها العراق قرب محلة الجعفر الحالية ، هذا في الجانب الغربي وفي الشرقي من الصبيح الحالية إلى الكرادة . وقال الخطيب البغدادي « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها وجماعة أمرها وكثرة علمائها وأعلامها وسير حواصلها وعوامها وعظم أقطارها وسعة أطرارها وكثرة دورها ومنازلها ودورها وشعوبها ومجاليها وأسواقها وسككها وأرقتها ومساجدها وحماماتها وطورها — يعني دور حياكنها — وحاناتها وطيب هوائها وعدوة منبها ورد طلالها وأمينتها واعتدال صيبتها وشتائها وصحة ربيعها وحريتها ووريدة ما حصر من عدة سكانها وأكثر ما كانت عمارة وأهلها في أيام الرشيد إذ الدنيا قارة المصاحح ، دارة المراصع ، حصنة المراتع ، مورودة المشارع . » وذكر أن رجلاً من سكانها كان يبيع سوق الحمص منه رداً به وكل يبيع في كن ستة مائة وأربعين كراً منه (الكر أرمون إردنا أي ٧٢٠ كيلوغراماً عربياً) مع أن سوق الحمص غير طيب ولا يأكله إلا المتجملون والصمماء شهرين أو ثلاثة أشهر بعد عدم الفواكه ، ونقل ياقوت الحموي قول بعضهم « بغداد جنة الأرض ومدينة السلام وفة الاسلام ومجمع الرافدين وعره اتحاد وعبر العراق ودار الخلافة . ومجمع المعاسر والطاعات ، وممدد الطرائف واللطائف وبها أرباب العبادات في كل من واحاد الدهر في كل نوع » .

وذكر الخطيب أن بغداد صوبت لملك الروم أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأبناؤها وعربها وشرقها وأن الجانب الشرقي منها صوبت شوارعها قصورها وشارع الميدان وشارع سوقه نصر بن مالك من باب الجسر إلى الثلاثة الأبواب والقصور التي فيه والأسواق والشوارع من سوقه حصير إلى قطرة الردان ، فكان ملك الروم إذا شرب دعا بالمصور فيشرب على صورة شارع سوقه نصر المذكورة ويقول « لم أر صورة شيء من الآيات أحسن منه » ونقل عن بعضهم قال : طفت دار الخلافة علمها وخرباها وحريمها وما يجاورها وما يتاحمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز .

قال أحمد بن أبي طاهر طبرموني كتابه بغداد إن مساحة بغداد للجانبين ٥٣ ألف حرب و٧٥٠ جريباً ، منها الجانب الشرقي ٢٦ ألف حرب و٧٥٠ جريباً ، والجانب الغربي ٢٧ ألف حرب ، والجريب ١٣٨٤ متراً مربعاً . ونال في ذكر الحمامات وأنها كانت في ذلك الوقت ستين ألف حمام فيكون المتجملون في الحمامات ٣٠ ألف رجل ، وقيل أخصيت الحمامات في أيام المعتز فكانت ٢٧ ألف حمام ، وهذا محال ، وعرف مع الدولة النوبختي المائلة في ذلك فأمر أن يسجل للحمامات أربعة آلاف وذلك في أواسط القرن الرابع .

وقال أبو الوفاء علي بن عقيل المتوفى سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) « سألني صدر من حدود طريق حراسان (يعني لواء

يعقوب) عن بغداد وما اذكرك بها ههنا « لا أذكر لك أمراً تستعده فادكر لك الخلق وهي واحدة من عشر محال — يعني محال الجانب الشرقي — كل محلة كد من بلاد الشام وهي المعروفة باب الطاق ، أم شوارعها وشارع ما يلي دخلة من أحد حاييه قصور على دجلة طراز تمتد من عند الحسار إلى أوائل الزاهر وهو سنان لملك نحو مائتي جرم وجانه الآخر مصحح أبواب القصور ومساكن علمائهم . وفي حلال ذلك اصطلاحهم . ثم يليه من بعده عدد الجسر سوق يحيى الجامعة بين دور الوزراء والأمراء ما يلي المنط كدار شادي واكريب واس الأوجد وقصر الزواي الذي كان عتيق دوانه كن يوم انف محله ، ثم في آخر هذا السوق دار هرج مساكن التائه والرؤساء . ومن الجانب الغربي الدكاكين العالية والدروب العمرة من دقايق وحناوين وحلاوين ثم نهاية الدور الساطنة دار معز الدولة ذات المساء التي عرسها مائة أخرى وكان لها كروشن تدفع — يعني النانكون — فهذا طراز باب لصادق لشخصي ، فأما دواحيها فأولها العرصة التي هي رجة خمر وبصم رجة خمر إلى شارعين عظيمين أحدهما للأصاكنه ثم سوق نظير وهو سوق يجمع الرابحين وفي حوائشها الصراف والطرف وأصحب الطاليس وفاجر الملاص ثم سوق المأكول — بخاريس — والعصاين وسوق الصاعقة لم يشاهد أحسن ماأما مسه — بابه شاهق وأساطين ساح عليها عرف مشرفة ثم (سوق) الدور بين سوق كبريه وهي مجلس العلماء واشتراء ثم سوق الرصافة عظيمة حاصمه ثم شارع التوب — يعني مقابر العساكين — وقصر الميدي وحمام الرصافة — يعني حمام الميدي — ودرب الروم وشارع عبدالصمد ولستقات المعية في طريق الحمام ذات الأخواص الكبريه — ونظير هذا من اجانب الغربي الكرخ وشطه قصور مسطحة دوت دواليب وسدين وروشن متفلة وبين يدي كل دار خطه — يعني السب — مشددة مشرفة محله ومقشنة بموش بدعه عضة والنظ تلاعب في مشرفة ايدار ولربما احتضنت أصوات أغانيها برسم دولتها ونطق بها وصحة علمائها وحدهم ودجلة تسير بين شاطئتي قصورها الشاطنة . وقد رلت كبريه أي سميرة — نوع من انس المبسطه — متحد أهما أزال أسمع هذه الأنعام من مشرفة باب الحسار باب الطاق إلى باب المراتب وكان دور الشط أبواب إلى شوارعها وعلى كل باب مراكب مشرفة لركوب الظاهر . كما بين أيدي رواشها جيطه أو ررب — نوع من السع أيضاً — لركوب الشط والانس كأهم في رعوها لا تنحصر من حسان حبي أو رفاف امرأة — وفي السوق مجلس انقراء على الكراسي بالألحان . وحلق الملاح والصراع ومبذبة السع . ومن أحسن القصور كانت الدار المعجرة بالجانب الغربي ودار المملكة بالشرقي ولم تكن لدار المعصرة مثل . ودار بلنرك والحرير الطاهري ودور الشاطنة وسور ابدائر وبابه الحديد ودار الأمان حسن بن اسحق بن المفسر الذي عرست عليه الخلافة فأبناها ووراء الحرم شارع دار ارقيق محلة كبريه كثيره الحار المعينة ثم درب سليمان والبرستان وسوقه العجبة ثم دار القاعة الشاطنة وكنت أسمع من امشاح أن بدخلة حمصانة مصفرة — نوع من السع . مرة لا يركبها الا طراف التجار والأجدة وأساب لمقاطعات الرجل وعلامه والملاحون ناشاب الحميلة ثم باب المعصرة ذات السكك العدة ومن حدت الشر الزاهر . سنان عظيم جامع لسجل والأرها ووراءه ثلاث محال سوق السلاح والمحرم وسوق الدبة ومنت العمارة أي بهر معي ودار الخلافة وناجها المعجب وهي — يعني دار الخلافة — بلد . وباب المراتب علة يحتمل بالكبراء وأرباب لمصا وباب الأرج والمأمونة — وفي الجانب الغربي قصر عسى وقصر (يعني) المأمون وغير ذلك وحملت الكرخ مدر عجيده بدعه البناء وهما درب الزعفران وفيه الدور المعينة ودرب رياح وشارع ابن أبي عوف وباب محمول . وكان سوق الخلاوين خزانة كتب فيها ثمان عشر ألف مجلد وكانت أسواق الكرخ وباب الطاق لا يحلظ لمطالرون بأرباب الرهنم والروشح المنكرة . ولا أرباب الأماط بأرباب الاسقاط . وكان لأرباب المرومات دروب تحصم فدراب ابرعمران بالكرخ لا يسكنه أرباب المن بل أهل الدبر والعطر . ودرب سليمان في الرصافة مقصود على الفضاء وشهود وحصار التجار » .

وأحصيت السمريات وهي سبع مئذات الصغيرة في أيام حكم ولي العهد أبي أحمد الخوفق اصبر لدين الله وكانت

ثلاثين ألف سميرة تكتب ملاحوها كل يوم سبعين ألف درهم . وذكر الخطيب البغدادي عن بعضهم أنه رأى في أيام أبي جعفر المنصور عن . حص الأسمار أن الكش باع درهم والحمل بأربعة دوايق والتعمر ستون رطلاً بدرهم والربيت ستة عشر رطلاً بدرهم والسم ثمانية أرطال بدرهم وستة مكايك من دقيق الارز بقطعة معروضة من الديار والمكولة مكان وهو ثلاث كينجاب والكسعة من وسعة أنمان من والمي رطلان والرطل اثنا عشرة أوقية والأوقية أستر وثلاثا أستر والأستر أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم والدرهم ستة دوايق ودايق هيراطان والهيراط طوحان والطوح حتان والحمه سدس ثمن الدرهم وهو جيره من ثمانية وأربعين جرهأ من الدرهم وأجره السامن الينوي كل يوم بخمس حبات .

وذكر القاضي النوحى أنه تحدث مع القاضي محمد بن صالح الهاشمي في سنة ٣٦٠ هـ (٩٧٠م) في عظم بغداد وكثرة أهلها في أيام خليفه المقتدر بالله وما كان فيها من الألبه والشوارع والدروب وكثرتها أهلها في سائر أقاليم انيس ، فأحصا أن أهل بغداد كانوا يشترون في أيام اسباب الخس ما ثمة خمسون ألف دينار . وإذا كان الديار بتقديم مساوي في القيمة سبعة أخاياه عشرين ديناراً يكون ثمن الخس المشتري مئتين دينار من دينار هذه سنة ١٩٦٧

بغداد في العصر العباسي الأوسط والعصر الأخير

لم يكن من قصدنا في هذا الموجز الخططي أن نصل الكلام على خطط بغداد فإن هذا الكتاب لا تنبع لها ، وإنما كانت غايت ذكر استجار عمرائها وصحابة بيئها . والاشارة الى معاهد ثقافتها من مساجد ومدارس وورط ، والمؤرخون انعقوا على أن بغداد بلغت أوج اساعها في أيام المقتدر بالله ، وأنها تردت بعد ذلك ، ولكن هذا القول يسمى أن لا يؤخذ على وجه العموم فقد جرت عادة ناس من المؤرخين أن يسيئوا ذكر الزمان الذي انحطت وأحط آمالهم .

قال الخطيب العددي بعد إطرأته بغداد الذي قدما ذكره : « ثم حدثت بها الفتن وتناحرت على أهلها المعن ، فحرب عمرائها وانتقل قطائبا ، إلا أنها كانت قبل وقتنا . والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال ، والنقص في جميع الأحوال مائة جميع الأمصار ومحالفة لائر الديار » وقال أبو الحسن علي بن الحسين المعروف بأبي أحمد المصري وقد دخل بغداد في أواخر القرن الرابع للهجرة « ورأيت دورى على الشط قصر عيسى والنصرين مساني ربيع وماتت شيع . وبغداد كسوا المدن حالاً . . »

وقال بعض مشايخ بغداد من أهل القرن الرابع : « عمارة بغداد في سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) عشر ما كانت عليه في أيام المقتدر على التحصيل والصلح » . يعني في الأسنة والناس . وقال المؤرخ محمد بن عبد الملك البغدادي في حوادث سنة ٣٣١ هـ (٩٤٣ م) « اتصلت الفتن ببغداد فانتقل كثير من تجارها مع الخراج الى مصر والشام » . وقال هلال بن الصامي . « عبرت الى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الأحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة وسوق العيش ومرسة الخرسى والراهر وما في دواخل ذلك ورواصفه وقد خرب خراباً فاحشاً حتى لم يترك النقص جداراً قائماً ولا مسجداً ماناً . وأما بين باب الصرة والعتابين والمخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً . وصار الجامعان في المدينة (مدينة المنصور) والرصافة في الصحراء بعد أن كانا في وسط العمارة وقد صكت أركب من داري باب المراتب الى دار مصر الدولة بالشعابة في الأسواق بين الظلال والمحال والدروب وكذلك بالشعابة الجانب الغربي والدور على دجلة متفالة وساتيا متناهية وأبهارها متشاككة وما فيها دار تحلو من الأغاني والأفراح ، فبحلن الدائم الذي لا يزول ملكه . »

دار المملكة

وقال ابن الصامي في ذكر دار العامة التي أشتأ ملصقها عند الدولة البويهية دار المملكة « وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت السبي والأروقة خراب ولقد شاهدت مجلس الوزراء في ذلك وعجل من يقصدهم ويحصرهم ، وقد جعله جلال الدولة البويهى اصطلاً أقام فيه دوايه وسوائه وأما ما ساء عند الدولة وولده بعده في هذه الدار فهو متمسك على تشمته » . وبهم بما ورد في أحوال هلال ابن الصامي من خراب بغداد أن الخراب بدأ فيها من الشمال من الجانبين ، ولكن المؤرخ الصادق النظرة بهم أيضاً أن عمران بغداد اتجه نحو الجنوب ، وذلك أن العباسيين بعد أن تركوا سامراء

اتحدوا بغداد عاصمة مرة ثانية ، واتحدوا داراً للخلافة بالجانب الشرقي لا بالجانب الغربي كما فعل أوائلهم ، فكان المأمون والمعتمد قد رعا في الجانب الشرقي . وهذا الرعة من جاؤا بعدهم ، فمركز العمران كان دار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي ، وقد أشرنا الى هامة هذه الدار وأبتها وسعتها في عهد المقتدر بالله ، فقد كانت تشكل نصف دائرة قطرها نهر دجلة ونصف محيطها رهاء كيلومتر ونصف من شرقي دجلة ولها سوران خارجي وداحلي وأبواب خارجية وداحلية واستطاع ذوو الحول والطول والأثرياء الكنى بين السورين ، وسمي باسم « حريم دار الخلافة » وكان يكاد يكون مطلقه متميزة عن مناطق بغداد الأخرى حتى في القضاء فانه كان الحاكم يعرف بلقب « قاضي الحريم » يحكم باسم قاضي القضاء وهذا يحكم باسم الخليفة .

بناء المارستانات أي المستشفيات :

وشاع في هذا العصر الأوسط بناء المارستانات أي المستشفيات وإنشاء الرط أي الأربعة أو الرماطات وهي جمع الرماط وهو دار مهندسة لكي تعيش فيها جماعة من العاد الرهاد المرحلين عن أكثر شؤون الحياة الاجتماعية لتوفرهم على عبادة الله وصيهم من يعني أيضاً بالعلم والثقافة والأدب ، ويسمى الرماط في بلاد الشام باسم فارسي هو « حاشاء » و« حاشك » وهذا الرماط هو غير الرماط الذي كان بني في الطريق الطويلة بين المدن والأقطار لايواء القوافل والراحلين وإراحة دوابهم ، كما هو معروف في بلاد الفرس وله آثار وأطلال لا تزال شاحنة .

وشاع إنشاء « المدارس » وهو جمع المدرسة اسم مكان للدرس يعيش فيه تلامذة علوم الدين وما يقويها من علوم أدبية كاللغة والمعاني والبيان ، وهو بناء أيضاً كالدار يسكنه الطلاب ويتعلمون فيه العلوم المشار إليها ويعيشون سعة مشى المدرسة ، فكانت هذه المدارس تشبه المدارس المصرية الداحية التي تنعق عليها الدول أو الأحياء المتبرعين بالاشياء والأثاث .

دار مؤنس المظفر :

وبما اشتهر من الأسرة الفخمة في أوائل هذا العصر وهو عصر ضعف الخلافة العباسية التي بغداد ، وكان الأول سامراء دار الأمير مؤنس المظفر مقدم الحيوث العباسية وهو الذي حارب المقتدر وسب قته ، وكانت على شاطئ دجلة بمحلة سوق الثلاثاء التي يعرف موضعها اليوم سوق الجيدرجانة وسوق باب الأعما وما يليه من سوق الرايين حتى شاطئ دجلة ، وكانت واسعة تمتد من مشرقة الابريين المجاورة لدار الخلافة من الشمال الغربي الى مشرقة الصباحيين التي كانت في الموضع المصور لرأس الجسر الحالي المعروف بالعتيق ، هي دار كاملة المرافق ، يظن أنها كانت تحتوي على كل ما تستوجبه السكن الكاملة لصاحب جيش حتى الاصطلات ، ذكرنا هذا لمن لم يعرف كيف كانت دور الأمراء من القواد والحكام . وقد سكن في هذه الدار مع الدولة أحمد بن بويه مؤسس الامارة البويهية بالعراق في أوائل حكمه بالعراق في الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة .

الدار المعزية :

ومن الدور التي اشتهرت في أوائل هذا العصر « الدار المعزية » وهي الدار التي أسسها مع الدولة البويهية المذكور أعلاه ٣٥٠ هـ (٩٦١م) عند باب الشمسية على شاطئ دجلة ، والشمسية تعرف اليوم بالنصليح في شمالي الأعظمية الغربي ، وأهلق عليها رهاء ثلاثة عشر مليون درهم سوى ما استولى عليه من الحصرة ، أي المواد الاشائية ، وأصلها مما يلي النان الصيري من قصر مريح واناغ ما يليه من العمارات الى حدود البيعة المعروفة ببيعة الدور وقلع أبواب مدنة المصور وأبواب الرصاه والتي على شارع نهر المظلي ونقلها الى داره ، ويزل بعض أسسها ٣٦ دراعاً بالثورة والأجر وقل

أدخل فيه مساجد وذلك من الأموال الباطلة ، لأنه هدم الكثير من قصر لعشوى عربي سامره ونقل آخر الانقاص اليها وعمل له مائة من حדרقة استديبه الى بعض ابيدان وهذه ألفه وحمساته درع وعرضها نصف وسبعون آجرة كالأر السوى الدت هيجات الخارجة منها الواقعة فيها لتسها وتقوتها ، وألح سوراً محكماً وميداناً وعقد حبراً سالب الشمس لصل دره بخاب العربي حيث معاصر فريش ومشهد الامامين العلويين موسى بن جعفر وحفصه محمد اجواد من أئمة الطائفة الاثنا عشرية

دار المملكة البويهية بالخرم :

بحرم من الموضع واحمال الصدقة بعداد غرفت بهذا الاسم من سنة مئته مئود وعرف اليوم بالخرميه من حصر الخندق الى القيوضية ، وقد ذكر الخطب « انما سمى بحرم بعداد بحرم من شريح من حرمن من ريد وكذا قد أطلقها أيام تول العرب في عهد عمر بن الخطاب » وكذلك من دعوت في معجم البلدان وفي « حلة كات بعدد من الرصافة وهر المللي » ، وذكر الخطب تحت عنوان « ذكر دار الخلكه التي بأعي المحرم » مقلداً عن هلال بن الحسن أن دار المملكة التي كانت بأعي المحرم كانت قديماً لسكنى مملوك مع الدولة وذكر المحسن القاضي اشوجي أن السدة شعب واده اخسفة المعتد بالله بنت مجدداً بالمحرم على شاطئ دجلة وأمر بأن يكتب اسمها عنه وأنه أني الكتاب على الخلف الأخر بما بني دجلة بالأحر المقطوع وأن سكنى مسجد بن المجدد وأدخله في ميدان داره وجعله مصلى لفلاناه

ثم بعض عهد دولة بويه بعد احلاله العراق بعداد سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٨م) دار سكنى وم يستق منها ولا ستاً يعرف بالستى وهو في وسط أروقة من ورائها أروقة في أطرافها فاب معموده ونسخ أبوابه العربية أو دجلة وأبوابه اشترقة الى حصن من حلقه سدان محل وشجر واسع عهد الدولة دوا كثيرة كراً وصعداً ونصفا ورعى حطاب بالعلية جميعاً للمؤنة والفعه وأصاف عرصاب أو الميدان وكانت بعدد مدان سكنى دفتين وقد كان أراد أن يترك في الميدان اسكنى أدرعاً ليحمله سدان ويرد بدل العراب رملأ ويهرح انتراب تحت روض على دجلة ، وأما للجمع مسدة وجعل الدار التي فيها ذلك السبي لعدم ذكره « دار العامة » وجعل تحت برسم جلوس للوراء ، وما يتصل به من الأروقة والقباب مواضع لسدواوس ، والصحن اتحدت منماً لتدليم التوبة من حراسه في ليالي الصيف .

وفكر عهد الدولة في أنه يجعل شرب السان من دوايب ينصب على دجلة ثم علم أن الدوايب لا تكفي فأخرج سنة ٣٧١ هـ (٩٨١م) مهندسين الى الأنهار التي في ظاهر الخاب شرقي لبحر حواصها نهراً سمح مؤد الى دره فلم يجدوا ما أرادوه إلا في نهر الخالص فعلى الأراسي بين البلد والخالص بنعه أمكن منها أن يحدى الماء على قدر من غير أن يحدث به ضرر وعمل بدين عظيمين بسوايان سطح ماء الخالص ويرفعان عن أرض الصحراء أدرعاً وشق في وسطها نهراً جعل لها حورين من حايه وداس الجمع بالملء دوساً كبيراً حتى قوي واشتد وصلب وتدد فلما بلغ مازل البلد وأراد سوق النهر الى داره عمد الى درب يسمى درب البصلة فذلك أرضه دكا قوياً ورفع أبواب الدور وأوثقها وبى حواص النهر طول البلد بالأجر والكلس والبورة حتى وصل الماء في المحرم سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢م) الى الدار وسقى الستار وستان الراهر ، وبلغت النفقة على ذلك وحده خمسة ملايين درهم ، ونقد نفقة دار المملكة مثل ذلك ، وكان عارماً على أن يهيم الدور التي بين داره وستان الراهر ويصل الدار به فمات قبل ذلك ولما ورد طمرلك العربي بعداد مولاً عليها عمر هذه الدار ووجد كثيراً مما كان وهي منها في سنة ٤٤٨ هـ فمكت كذلك الى سنة ٤٥٠ هـ ثم أحرفت وبلغ أكثر آلتها ثم عمرت بعد ذلك وأعيد كما كان ما وهي منها وكان الستان الراهر — وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب — بين الأرض المعروفة اليوم بالكرة والأرض المعروفة بالصرافيه ، وكان عهد الدولة يجلس فيه في أيام

ديته ، جاء في حراة لأدب أن عهد الدولة كان حاسماً في التسن الزاهر يوم رسته وأكابر حواشيه وهوف فقال
عند العربر بن يوسف اذكرارى « ما مور مجلس مولانا سوى أحد الطائرين - يعني أما بمام والحقري - فقال عهد
الدولة : لو حضر المتى ثابتهما » .

وكانت الماشي التي ألحقها السلاطين بالسلاجقة دار المملكة الوهبة متصلة بها من الجنوب وصارت تعرف أيضاً بدار
السلطنة لأن ربة الملك الجوق كانت سلطنة أي أنبساطورية ، وقد احتل طغرل بك في أحد هذه الماشي بـ واحة الاسمي
لا الحقيقي بالسدة العنسة انه الخليفة القائم بأمر الله ، وقد وهم ناس من المؤرخين المصريين ظهوره رواحاً حقيقياً ولم
يكن كذلك لأن الخليفة القائم بأمر الله لم يوفق على الا بدخول « شريط عدم الاحمد » فكان رواجاً ديباً نقدياً
حب ، وأصبحت دار السلطنة نفسها والحق والجدة مقرأ سلاطين اسلاجقة أحسن قدومهم بعد د أو إقامتهم فيها
وقد أنشأ في تلك المينة السلطنة السلطان منكشاه بن ألب أرسلان وهو من ذرية أخي طغرل بك جامعاً حصناً كان
صالح أسسه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) وبقي بعده تديره وأمر جماعة من برصدين تنوعه فلكه وأشرف على إيدته
وصي قيصه بوقت أبو بكر شامي ، وحصل له أختاب من جامع سامر ، ولم يسم منكشاه بانه بل مات قبل انصاه
فتم عهد به محمد أسير بهرو الخادم شحه العراقي مد سنة ٥٠٢ هـ ، ١١٠٨ م على عهد سلطان محمد بن ملكشاه
وذكر ابن الجوزي أن الجامع م على يد بهرو المذكور سنة ٥٢٥ هـ ، ١١٣٠ م) وأنشأ بهرو أيضاً داراً أصحمة لسلطان في
دار السلطنة قبل به بها من أعضاض ذو الناس وسحر في عذاب أهل بغداد حتى العدة والأشرف والأعيان فكأوا
بعبود الأندلس في مد لهم ولما كمل بؤها أمرهم أن يعمدوا إليها بفرش ووسط والأوبى وعينها من المصنوع
وأنشأ منكشاه أيضاً سور السلطنة بحدوات لدعه وسوقاً بها « دود » وأنشأت زوجته إحدى داراً للصراف هناك
وبودي أن لا تعامل إلا بالدينار .

وفي سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م) وقع حريق في المنطقة فاحتقت الدار التي سجدت فيها ور وكان السبب في حرقها أن جارية من الجوارى كانت تخدم بالحياء من بعد أسدب اشمعة الى حش عفتق به سار فما انحسرت أن نطق فاحترق الدار . وكان فيها اسطوان محمود بن محمد بن ملكشاه هرب الى مصر في دحلة فوجد فيها واحدة من العرش والآت والأواني . بسطه وجواهر والنقود وغير ذلك ما قدر قيمته بمليون دينار . وم سلم من الدار حشة قط ، فقال السطان « لا حاجة لي به » هذه الدار التي لم يسمح بها أي ولا حال نقاؤه ودهست بها أموات وأرراف وتكفيا دار الملكة المتقنة . يعني الوهبه . وقال سط اس الجوي أبو المظفر يوسف « لا جرم أن ما دار كان الى الخريق واخرار وقد رأيت في الأمور المشهودة أن كل دار يست على وجه الاعتصاب تكون مألها الى الانداس »

وقد هدم الخليفة الناصر لدين الله را السلطنة السلجوقية هذه سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧م) على أثر تحدي السلطان طغرل ثالث من أرسلان السلجوقي (٥٧ ومطابقه له بالخط له باسم السلطنة وترسيم الدار المذكورة، وبعت بذلك رسولا إلى بغداد فرد الخليفة رسوله بغير جواب وأمر بعض دار سلطنة فقصت إلى الأرض وعفي أثرها ومن الديهي أن الخليفة الناصر لم يأمر بفتح جامع السلطان ملكشاه ههنا لأنه مسجد، ويؤيد ذلك وجوده بعد تاريخ الفتح معموراً ومتحداً مدرسة لتدريس الفقه الحنفي الذي هو فقه مذهب الخلافة.

المارستانى العسدى :

أما سنن اسم عارسي محضر أصفه « يمارستان » مركب من كلمتين هما « يمار » أي مريض و« ستان » بمعنى مكان فهو « مكان للمريض » أي دار المرضى وقد شاعت هذه الكلمة في أكثر البلاد العربية ، على حين شاعت تسمية « دار الشفاء » العربية في البلاد الفارسية . وكان إنشاء المستشفيات من الأعمال الخيرية العامة وم يكن الدولة تصطلع بمثل هذا العمل الصالح العظيم .

وقد ذكر مؤرخو العرب أحوالاً لما رستأن أنشأه الرشيد وما رستأن آخر أنشأه أعوانه السرامكة ، ولكن أحدهما قليلة بحيث صعبت على الباحث وصف أحوالهما الحصارية ، وقد ذكروا أيضاً أن الأمير سراً المتصدي أحد عماليك الخليفة المعتضد بالله أنشأ ما رستناً بالمعجم الذي ذكر « أنه اليوم لصرافية الشرفية والعيوانية ، وهو بدار الحرمي وأصله من علمان المتوكل وقد قتل سنة ٢٨٩هـ (٩٠١م) وليس هو سراً الحمدي كما ذكر الدكتور أحمد عيسى في كتابه « تاريخ المارستانات في الإسلام » (ص ١٨٠) ثم أنشأ الوزير علي بن عيسى ابن الجراح ما رستناً بمعلة الحرية بجانب العربي من بغداد سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) . وفي سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) أنشأت السيدة شعب والده الخليفة المعتضد بالله ما رستناً سوى بجي من الجانب الشرقي على شاطئ دجلة وأمرت بترتب الأطباء فيه وقبول المرضى وكانت النفقة عليه على بندي يوسف بن يحيى بن المعجم في كل سنة مائة ألف دينار وفي الشهر ست مائة دينار

وفي سنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) فيها أنشد المعتضد بالله ما رستناً باب الشام بجانب العربي وسمي المارستان المقنري وكانت النفقة عليه في كل شهر مائتي دينار ، وفي سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) أنشأ الوزير أبو الحسن علي بن الفرات ما رستناً في درب المعقل وأعقب عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار بغير قطع . وورد ذكر ما رستانات أخرى كمارستان ناب محول في عربي بغداد وعرف بالمارستان الأول ، وأكثر هذه المارستانات التي بعد رواة أصحابها سوى ما كان لها أوقاف جارية عليها مصاريفها واستمرارها على الخدمة الصعبة الإجماع . وبلاحظ في إنشاء المارستانات أثر التقليد والتأثر فأثير الأمراء بحكم التزكي المتولي على سلطة الخلافة العباسية سنين وثماني أشهر وقد قتل سنة ٣٢٩هـ (٩٤٠م) شرع في إنشاء ما رستان فلم يمه وأمه بعد سنين عهد الدولة البويهية وهو المارستان العسدي الذي ملأت أحجاره التواريخ قدماً وحديثاً ، وقد أحضر له عهد الدولة الألبان والأدوات والأثاث الكامل ورب فيه الأطباء البارزين ووقف عليه أوقافاً كثيرة صممت دوامه وقامه بخدمة المجتمع الصحية عصوراً

في عهد الدولة ما رستانية على شاطئ دجلة بين أرض قصر الخلد والحجر الذي بين مدينتي المصور والرافقة . وقبل من أكثر قصر الخلد دخل في عمارته ، وأنشأ بين مدينتي المصور والرافقة بين عريف سوى المارستان ومن أوقافه أرحمة مائتيه أقامها على نهر عيسى ، وحمل بينه كاملاً معقل الشيبك على دجلة . وقد فتح في ٢ صفر من سنة ٣٧٢هـ (آخر صفر سنة ٩٨٢م) وفي شهر ربيع الآخر ، أي ٢٤ أيلول ، والاحلاف بدل ، قال ابن الجوزي في تاريخه المستقيم في حوادث سنة ٣٧٢ المذكورة : « وفي يوم الخميس ثلاث حلون من صفر وقبل بل ليلة حلت من ربيع الآخر فتح المارستان الذي أنشأه عهد الدولة في الجانب العربي من مدينة السلام ودرج فيه الأطباء والمعالجون والخزائن والبوديون والوكلاء والباطرون ونقلت إليه الأدوية والأشربة والعرش والآلات » . وفيه ابن حلكان « عزم عليه عهد الدولة مالا عظيماً ولس في الدار مثل برسه وخرج من مائه سنة ٣٦٨هـ وأعد له من الآلات ما يفصل الشرح عن وضعه » . وفيه أبو المظفر سبط ابن خوري في مرآة الزمان في أحجار سنة ٤٤٩هـ (١٠٥٧م) « وفي هذا الوقت نظر أبو المصور عند الملك من يوسف في المارستان العسدي وكان قد حلا من دواء وطيب وشراب ، وكان المرضى على وجه الأرض وعد رأس المرضى مئة يسميها ، فعرض أحدهم مقام نفسه إلى حب الماء فوجده حماً ودوداً وكان أبو الحسن محمد بن أحمد ابن المهدي بالله قد رد أمره إلى مهدي فاستل عليه وأكل أوقافه ، وبلغ عند الملك من يوسف ذلك فصرف العناية إليه ، فأقبل ما فعل أنه انتزع أوقافه من أيدي الظالمين من المتعصبين عليه ، وصممها بما وفر ارتدعها (وارداتها) توفيراً لم عهد مثله . وشرع في الصدارة فقبل أنه طلق المارستان بحمة آلاف طابق وقبل عشرة آلاف ، وكان على سوق فيه مائة دكان قد دثرت فأعادها ، (ووضح) فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي بعر وجودها شيئاً كثيراً وأقيم العرش واللصق للمرضى ، والأرايح الطيبة والأشربة والتلج والمستخدمين من الأطباء والفراشين فكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً وسب طباحيات وبيبايون وحرر من الحمام والستان إلى جانب فيه أنواع الثمار والبقول ، والسفن على أنه تنقل الصمغ والعقراء والأطباء ينابونهم بكرة وعشية ويمون عدهم بالوبة . وكان فيه عدة حبات فيها الكركم الطيرد والالواح واللوز

والشيش والخشخاش وسائر الخبثات والبراني أي السائق - الصبي وفيها الفقير وأربع فواصر
فيها الإهليلج الأصفر والكافور والهندي وأربع فواصر نمر هندي ورجل وعود وند ومسك وغيره والرواند الصبي في
البراني والتربيق الفاروي وجميع العقاقير وصاديق فيها ثبات جدد للمرصى وماديل وصاديق فيها أكفاء ، وقدر كوار
وصعد والآلات وأربعة وعشرون قرناً وأشياء ما توجد في دور الخفاء والملوك وحتى في هذه الآلة ثلاثمائة وواحد
وثمانين صبياً وكان راتب المقيم فيه من المتخدمين في كل يوم ألفاً وثمانمائة وسعين رطلاً من الخبز « (والرطل
البراني يومئذ رضاء الكيلوغرام الواحد) وقد جاء في تاريخ المارستانات في الإسلام (ص ١٨٩) أن الذي أصلح شؤون
المارستان العسدي هو عمده المذكور وهذا من خطأ التصحيح ثم يمكن لعبد الملك منصور بن محمد الكندري وزير
طغرل بك السلجوقي صلة بالمارستان العسدي الآلة

وقد أشار العماد الأصمعي في كتابه « صرة أنقرة » إلى إصلاح أبي منصور بن يوسف لمارستان العسدي
بأسبويه السجعي ، وذكره ابن خلدون الرحلة الأندلسية في وصفه لبلاد في أثناء زيارته لها سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) وفي
ذكر محلات عربي بغداد « بين الشارع ومحلة باب الصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان الشهير
بغداد وهو على دجلة وتتمتع بالاطباء كل يوم اثنين وخميس ويظالمون أصحاب المرصى به ويرتبون لهم أحد ما يحتاجون
إليه وبين أيديهم قومة يتولون طبخ الأدوية والأعذية وهـ قصر كبير فيه المقاصي واليوث وجميع مرافق السكن المملوكية ،
وله يدخل إليه من دجنه » وفي هذا المارستان على حال حسنة بعد سقوط الدولة العباسية ، فقد جاء في أخبار سنة
٦٨٢ هـ (١٢٨٢ م) من سيرة الدولة الاندلسية أن سعد الدولة بن صفي الدولة عزل عنها عن طر وفهم المارستان
العسدي وسلم إلى عمده بن عبد سام بن سعد بن سعد الدولة بن صفي الدولة عزل عنها عن طر وفهم المارستان
وفي العصر السلجوقي أنشأ الأتم حماركيك لشي المنوي سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤ م) مارستاناً باب الأرح سمى
« المارستان الشفي » ، وذكر نفوس الحموي المنوي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) أن المارستان الشفي كان معموراً في أيامه
وجارماً على أحسن بدم وسبق عليه من العقار الشفي وهو سوق بالحجاب الشرقي من بغداد قرب دار الخلافة
مدرسة أبي حنيفة :

وكانت الدولة السلجوقية حجة بالذهب كما أشرف إليه أعيان وكان كثير من موظفيها على مذهبها ومهم شرف الملك
أبو سعد المستوي ، مستوفي الأموال في دولة السلطان ألب أرسلان السلجوقي وولده ملكشاه الكبير الكبير ، ومهم
عبد الملك منصور بن محمد الكندري وزير السلطان طغرل بك ، وكان من موظفيها من هم على مذهب الإمام الشافعي
وعلى رأسهم نظام الملك الوزير الكبير ، حدث تافه بن الدهين ، وشرع نظام الملك في تأسيس المدارس النظامية في
المدن الكبرى من المملكة السلجوقية كعند عاصمة الخلافة العباسية ، وكان يتفوق بالخلفاء العباسيين لأنهم صاروا من
الشافعية في أواخر عصورهم وجاهروا بذلك منذ عهد المستظهر بالله ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م)
وفي عاشر جمادى الأولى من سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ م) قدم أبو سعد المستوي بغداد فأمر بإنشاء مدرسة للحنفية عند
قبر الإمام أبي حنيفة ورتب مدرساً يدرس طلاب العقبة هو أبو طاهر إمام بن ناصر الديلمي الحنفي الفقيه وأوقف على
المدرسة صفة تصرف عليها لها ، وشهد على غير أبي حنيفة عة عاله وأنشأ بين يديه رواقاً وصحفاً وجعلها مشهداً كبيراً
وحمل بنقش ملكاً عالياً على مثال عمود آل أبي طالب في المشاهد ، وعاد بعدد في يوم الاثنين السابع والعشرين من
جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

المدرسة النظامية :

وأنشأ نظام الملك الوزير في السنة بها بمدرسة للشافعية الأشعرية مدرسة في قطعة من دار مؤسس المظفر

عد الحظائر في سوق الثلاثاء وعجلة الحظائر هذه كانت في موضع سوق الكمرك العتيق وحيان حمان الذي حول في السنوات الأخيرة الى أسواق . وموضع المدرسة يعرف اليوم سوق الخفافين ، وإن ظل عمل الخفاف ودهت ، وقد أخطأ الأستاذ كي لسترح في تسميته موضع المدرسة النظامية في جنوب صور دار الخلافة العباسية على مسافة أكثر من كيلومتر ونصف جنوب موقعها الحقيقي ، على حين أنه ينقل من رحلة ابن بطوطة أن المدرسة كانت تقع في وسط سوق الثلاثاء ومن سوق الثلاثاء سوق البرازين الكبير الحالي المتجه الى شاطئ دجلة .

لم يذكر باقوت الحموي « المدرسة النظامية » في مادتها من معجم اللذان ولا المدارس الأخرى ، وإسما ذكرها استطراداً في « تش » قال : « هو اسم رجل نسب اليه مواضع بعداد وهي سوق قرب المدرسة النظامية يقال له العقار التشي . ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حيفة يقال لها التشية ، ويملستان بياب الأرز يقال له التشي . » وذكرها في مادة القرية قال « القرية عثان بعداد احدهما في حريم دار الخلافة وهي كبيرة فيها محال وأسواق ، والقرية أيضاً محلة كبيرة جداً كالمدينة من الجانب الغربي من بعداد مقابل مشرقة سوق المدرسة النظامية » وقال في كلامه على تلك القرية في المشترك ٢٠ « معال سوق المدرسة النظامية » . ولذلك لم يجد وصفاً للمدرسة النظامية كاملاً سوى ما ذكره العلامة محمد شكري الألوسي في تاريخ ماجد بعداد وأثارها (ص ٦) من قوله . « جامع مرجان هذا مسجد بحكم الساء دو طقتين على وعلا فمبصلي واسع وحجر في الطقة السفلى والعليا وقد جعله مائة مدرسة حاكي بها المدرسة النظامية وجعل الحجر مكنياً لطلبة العلم . » ولم يذكر مرجعاً تاريخياً لهذا الوصف ، حتى يصح الاعتماد عليه في تبي شكلها ، وقد ورد في التواريخ استطراداً ذكر دهليرها ودار المدرسين المتوخ بها عليه ، ودهلير المدارس يكون مستقيماً دائماً ولا عبرة بالعدود ، وصحبها العظيم وأروقها الواسعة ، ودار كتبها العتيقة ودار كتبها الجديدة ، ولم نقف على ذكر إيوان فيها ، وإن كنا لا نحسبها عديمة الإيوان فالإيوان اتحد في قصر باب الذهب للمصور وكثير من القصور والدور وقد مر ذكر إيوان الأمير بقصر القرار وإيوان المعتصم بقصره وإيوان جوسقه سامراء لا يزال قائماً ، وإيوان دار المساء « القصر العباسي » وأواوين المستنصرية لا تزال عامرة . وكذلك إيوان دار الخلافة واتحد الإيوان في المساجد أيضاً كإيوان جامع ابن المطلب بالجانب الغربي من بعداد وإيوان مسجد ساوة

كل القصد من إنشاء المدرسة النظامية بتعداد والمدارس النظامية في المدن الكبرى لتدريس الفقه الشافعي والعلوم الإسلامية والفنون الأدبية ونصرة المذهب الأشعري في العقائد وتحرير فقهاء يتولون القضاء في المناطق الشامية الخالصة كحراسان والمختلطة كالعراق وما في شماله وخصوصاً الجزيرة وسخرج مدرسين يزاولون التدريس في المدارس أو المساجد في الأقل ، ووعاظ يعظون الناس ويرشدونهم الى الطاعة والديانة والعصاة .

وقد استمرت المدرسة النظامية على القيام بوظيفتها الدينية ووظيفتها المدنية ومناشطها الأدبية حتى أواخر القرن التاسع للهجرة ، أي أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، ثم وقف التدريس فيها في أواخر أيام الحكم التركماني انقره قوبلي ولأق قوبلي ، واتحدت هي أسواقاً ودكاكين وحاماً للتجار وغيرهم ، بحث لم يقف على موضعها إلا بعد بحث وتمييز واستدلال مدة طويلة ، بعد أن انتشر حرجوها في العالمين عشرات بل مئات واستمرت على التحريج أكثر من أربعة قرون . وتوالى إنشاء المدارس بعد مدرسة أبي حيفة والمدرسة النظامية ، فأنت مدرسة ابن الأبرادي ومدرسة إبراهيم من ديار ومدرسة رمرد حاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله والمدرسة الثقة ومدرسة السيدة بعشة حظية الخليفة المستضيء بأمر الله والمدرسة البهائية والمدرسة الناجية والمدرسة التشية المقدم ذكرها استطراداً ومدرسة بركال حاتون ومدرسة الحاتون المتطهرية ومدرسة ابن الحل وهي الكماله ومدرسة ابن الجوري ومدرسة ريرك ومدرسة دار الذهب وهي المدرسة الصخرية والمدرسة الأسديية ومدرسة جامع السلطان ملكشاه التي تقدم ذكرها ومدرسة أبي الحب السهروردي ومدرسة ابن بكروس ومدرسة الأمير سحادة الرسائي ومدرسة أبي الصقال ومدرسة المحرمي التي هي مدرسة الشح عبدالقادر الجيلي والمدرسة العياثية والمدرسة المعينية والمدرسة العيسرية ومدرسة ابن العطار والمدرسة الموفقية

ومدرسة صحر الاسلام الشامي ومدرسة ابن الل بالجاب الشرق ومدرسة الزبير ابن هيرة ومدرسة عمر الشمل والمدرسة البشيرة والمدرسة المنتصرة التي نحن ذاكروها بشيء من التفصيل .

المدرسة المنتصرة :

والمدرسة المنتصرة مبنية الى الخليفة المنتصر بالله واسمه منصور وكنيته أبو جعفر تولى الخلافة سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) وتوفي سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م) . وكانت أرضها من دار الأمير مؤسس المطهر التي سبت في أسسها المدرسة الضميمة كما تقدم في الكلام عليها . وهذه المدرسة العظيمة لا تزال قائمة المائي شاحصة المعاني تدل سعتها وجمعة بياب وكثرة حجرها وعرفها وتمتداد أروقها وسعة مصلها وكثرة مراقبها الأخرى وجمال ريارتها وعروش أواسها انواعه والشاحصة على كماله وجلاله . وقد أعادتها مديرية الآثار الى معظم بيوتها القديمة قال محمد بن أبي البرور الصديقي في كتابه « عيون الأحرار وبرهة الأصار » ٢٠٠ وفي سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) شرع في عماره المدرسة المنتصرة بعداد وهي على شط دجلة من اجاب الشرق بما يلي دار الخلافة وكان مكابها اصطلات ومولى عمارها أستاذ الدار العالية مؤيد الدين محمد بن العلفمي وتكامل ساؤها في سنة إحدى وثلاثين وستمئة (١٢٣٣م) قال ابن البروري « تكامل بناء المنتصرة وجاء في عانة الحس وبهاته وحلج على أستاذ الدار العالية متولي عمارتها وعلى أخيه علم الدين أبي جعفر بن العلفمي وعلى حاجه وعلى المعمار وعلى مقدم الصاع ، وجاءت مدرسة لم يس على وجه الأرض مدرسة أحس منها ولا أكثر وهما وحمل بها أربعة من المدرسين على المذاهب الأربعة كل مدرس مهم له سدة عالية ومستند يستند اليه ورتب في المدرسة حراة كتب فيها من الكتب العبية وأنواع العلوم شيء كثير جداً يقال إنه نقل اليها مائة وستون حملاً جملة واحدة ، سوى ما نقل اليها فيما بعد برسم من يطالع ويستبح من الفقراء ورب لهم فيها الورق والأقلام لمن يريد السبح . وفي يوم الخميس خامس رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وستمئة (١٢٣٣م) فتحت المدرسة المذكورة وحضره سائر (أرباب) الدولة والقضاة والأعيان والمدرسون ودرس فيها وكل يوماً مشهوداً وكانت حراة كتبها عديمة المثل وأوقافها عظيمة وانفق أن غلثها في بعض السنين ستمون ألف دينار » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث الذي سمي علماً الحوادث الجامعة بذكر أخبار سنة ٦٣١هـ « في حمادي الاحمر تكامل بناء المدرسة المنتصرة التي أمر بانشائها الخليفة المنتصر بالله وقد أنفق عليها أموالاً كثيرة ، مركب صير الدين الناقد نائب الوزارة في يوم الاثنين خامس عشر حمادي الاحمر وقصد دار الخلافة واجتار بها الى دجلة وبرل في شارة من باب الشرى مصعداً الى الدار المستجدة (١) المجاورة لهذه المدرسة وصعد اليها وقل عتبتها ودحبا وطاف بها ودعا لمالكها وكان معه أستاذ الدار — أي دار الخلافة — مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلفمي وهو الذي تولى عمارتها ثم عاد متوجهاً الى داره في الطريق التي جاء بها وحلج على أستاذ الدار وعلى أخيه وعلى حاجه عبدالله بن جمهور وعلى العمير والعراشيين المرتين في الدار المذكورة المستجدة وعلى مقدمي الصاع . ونقل في هذا اليوم الى المدرسة من الرعات الشريفة أي أجراء القرآن المفصلة — والكتب النعيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حملة مائة وستون حملاً وجعلت في حراة الكتب وتقدم (أي صدر أمر) الى الشيخ عبدالعزير (الناصح) شيخ رباط الحرير بالحصور بالمدرسة وانشأت الكتب وأعددها — يعني جردها — والى ولده المعدل صياء الدين أحمد الخازن بحراة كتب الخليفة التي في داره أيضاً حصص واعتبرها ورثها أحسن ترتيب معصلاً لمعها ليسهل تناولها ولا تنعب ماؤها » وفي يوم الخميس خامس شهر رجب حضر صير الدين بن النافذ نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة

(١) هي دار القرآن التي أمر المنتصر أيضاً بانشائها لتدرس الأنعام القرآن ولا يزال إيوانها الخافل بالزيارة العاتقة المرمية قائماً شاهداً معمارتها وبهاتها .

والمدرسون والعقلاء ومشايخ الرط والصفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار العرباء إلى المدرسة وتعتبر لكل مذهب من المدارس وعندها (أثنان وسبعمائة) ورسب لها مدرستان وثاناً لتدريس أما المدرسان فمحمدي الدين أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فصلان الشافعي ورشيد الدين أبو حصص عمر بن محمد القرعبي الحنفي، وحلج على كل واحد منهما حقه سوداء وطرحه — أي طيلان — كحلة وأعطى بركة حنبل وعده كاملة، وأما الثانان فجمال الدين أبو الفرح عبد الرحمن بن يوسف بن أنجوري الحنفي بنه عن والده لأنه كان مافراً في بعض مهام الديوان، والأحرر أبو الحسن علي المغربي المالكي. وحلج على كل واحد منهما قميص مصمت وعمامة قصب، ثم حلج على جميع المعديس وهم لكل مذهب أربعة، حلج بالحكمة — أي كالبقرة — ثم حنح على المتولين للعمارة والصناع والحاشية وعلى المميين للخدمة بحراية الكتب وهم الشمس — يعني شمس الدين — علي بن لثكي الخازن والقعد — يعني عماد الدين — علي بن النحاس المشرف، والجمال — يعني جمال الدين — إبراهيم بن حننقه الماويل ثم مد سماعة في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الأشربة والحلواء وأنواع الأطعمة ما يجاور حد الكثرة، فتداوله الحاضرون بعتة وكوبراً ثم أقيمت الخلع على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الرط والمعدس ومدرّس الشعراء والجار العرباء ثم أشد الشعراء المدحج فيها وفي مشتهاً ثم ذكر المدرسان المقدم ذكرهما الدروس كل واحد منهما على سنده والثانان كل واحد منهما تحت السنده ثم سميت الأرباع — أي أرباع المدرسة — مسلم ربع القلة لأمن لى الشافعية والربع الثاني سرة القلة لحننقه، والربع الثالث بصة الداخ للحنابلة والربع الرابع سرة الداخ للمالكية، وأسكت بيوتها وعرفها وأجري لهم امرأة أوافرة عملاً بشرط الوقف، ثم بهن بهير الدين وأرباب الدولة والحاضرون وكان يومئذ الحبيبة (المشعر) جانباً في الشباك الذي في صدر الأيوان ينظر جميع ما جرت الحال عليه.

« واشترط المصير بالله أن تكون عدة العقباء — يعني تلاميذه القلة — (مائتين وثمانية وأربعين) متعفاً من كل طائفة اثنان وستون بالمشاهرة الوافرة والجراية الدارة والجمع لمراتب والمصحح الدائر إلى غير ذلك من الحلواء والعوداكة والصابون والزر والفرش والتعميد، وشرط أن يكون في دار الحديث لبي بها شيخ علي لاساد، وفارثان وعشرة أهل يشغلون معلم الحديث النوبي وأن يقرأ الحديث في كل يوم ست وأثنى وخمسين مرة كل اسبوع، وشرط لهم لجرارة الوافرة والمشاهرة والتعميد أسوة بالعقباء — يعني تلاميذه القلة — وشرط أن يكون في الدار المتصلة بالمدرسة يعني دار القرآن — ثلاثون حياً أتماماً يتلقون القرآن المخبذ من مفرى من صالح ويعظمهم التلاقي ولهم من الجراية والمشاهرة والتعميد ما للمشغلين بمعلم الحديث وشرط أن يرب بها طبيب حننق مسلم وعشرة أهل من المسلمين يشغلون معلم الطب أو بوصى لهم مثل ما للمعلم ذكرهم وأن يكون الطبيب يخطب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف ويعطي المريض ما يوصف له من أدوية وأشربة وغير ذلك وشرط أن يكون بالمدرسة من شغلهم بمعلم العرائض — أي قسمة التركات — والحجاب إلى غير ذلك مما إذا استقصى ذكره طال سعادته

« وفي سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥م) تكامل بناء الأيوان الذي أنشئ معادل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعدده جماعة الذين يشغلون عنه معلم الطب ومقصده المرحى جداويهم، وبني في حائط هذه الصفة دائرة وصو فيها صورة العلك وجعل فيها طاقات لطاف — أي صغار — لها أبواب لطيفة. وفي الدائرة مزارع من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما مدقان من شبه لا يدركهما الناظر فمسند مصي كل ساعة يفتحهما البارين وتفتح صفت البستان، وكلما سقطت مدقة افتتح باب من أبواب تلك الطاقات والباب مذهب يصير مقصداً، وإذا وقع البستان في الطاستين تدهبان إلى مواضعهما، ثم تطلع شمس من ذهب في سماء لارودة في ذلك العلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتعيب مع عيوبها فإذا جاء الليل هناك أعمار طالعه من ضوء حلجها كلما مكملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يتدنى في الدائرة الأخرى إلى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة. وقد استمر التدريس والتحريج للعلماء والعقباء والمدرسين والأطباء في المستنصرية عدة قرون إلى أن دهمت أوقافها أو استولي عليها

فنحبت حباً في العصور الأخيرة ثم محرراً للكرك ثم استعادتها مديرة الآثار العتيقة وأصلحتها ورسمها وكذلك فعلت ديوان دار القرآن التي لم يبق منها إلا الأيوان وقد كانت سبعة ، وجاء في كتاب العجد المسوك لأبي الحسن الحررجي بعد تفصيه أحوار افتتاح المستصرنة تفصيلاً كثيراً « أنها لم يبر مثلها أحد وأنها أحسن ماء وأحكم فواعد من كل أثر أثره الخلفاء الماصون والأئمة المهديون كالشاه والعروس والرح والجوسق والمختار والعرب والدمع والقلانة والقصر والبركة والجعفري والمعشوق (يسلمراه) » .



أسوار بغداد الداخلية والخارجية

قد وصفا سوري مدنة العصور المدورة في كلامه عليها في هذا الموجز وكانت العامة من ماء السور في تلكم العصور كما معلوم الحفنة من المدو ، أو الحفظ والصيانة من العرق أو كلاهما معاً ، وفي أيام الخليفة المستعين بالله وقد ولي الخلافة سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣م) والحرب به وبين المعتز الموكن المارح له عن الخلافة أشيء سور دفاعي حربي على شرقي بغداد ، ولكنه سرعان ما زال ولم يبق له أثر لأنه كان وقتاً ، وفي الأرمين التي تلت ذلك كمصر اعتمد على الله وأسس أحبه اعتمد بالله والمكهي بالله واعتمد بالله والفاهر بالله والراصي بالله والمستكفي بالله وعصر إمارة الأمراء وعصر بني بويه حتى سنة ٤٨٨هـ من العصر السلجوقي لم تكن لبغداد سور يحصنها من الهجوم وبصونها من العرق ، فكانت مفتوحة حربياً للهاجمين كمصر الدولة أحمد البويعي وأبي الخارث أرسلان الساسيري .

وفي سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) عرفت بغداد العرق الهائل الفظيع الذي هدم دورها وقصورها وأحرب معبورها ، من سبط ابن الجوري « طلع الماء من البركة على الحرم (بني حرم دار الخلافة) وأحرب أسوار المحال وسع الماء من أسفل وجاء من فوق وقطع الطوايق من دار الخليفة ودور الناس وسعت اللاليع ووقع بعض الدور على بعض فصارت ملاً عالية وأثأ أعابية ، وعرق الجانب الغربي وجرح الموني من القصور في التوايت على رأس الماء من عند قبر الإمام أحمد (ابن حنبل) رحمة الله عليه والمشهد (بني مشهد الإمام موسى بن جعفر [ع]) ووقعت الخانات والمدارس وأصبحت دار الخلافة ملاً ، ووقعت جميع الدور والمدار التي في جانب بغداد الشرقي وتهدمت هائلة ألف دار وأكثر ودخل الماء من شايك الجوامع والماسد وكان الماء في الجامع (بني جامع القصر الذي من نقايه جامع سوق العزل) فامة « وذكر أكثر من ذلك ابن المحوري في المنتظم وأقل منه ابن الأثير في الكامل .

وهذه الكثرة الكثيرة من أسوار والمدارس والأسواق في الجانب الشرقي كانت تتجه لتجمع السكاك حال دار الخلافة اعساسة وظلمهم الأمن والدعة واستعدادهم عن المزعجات والتعدي ، كما أن باب المراتب وهو باب دار الخلافة الجنوبي شرقي مدناً للحنافيين وملاداً للمطوليين ومراداً للشاكبين ، لأن حماية الخليفة كانت تمتد إلى الجريسم وإلى من يصل إلى هذا الباب ولذلك راد عمران هذا الجانب حتى أصبح الجانب الغربي مبدأ عن مساوئته في العمارات والحياة والسكاك

مسور دار الخلافة :

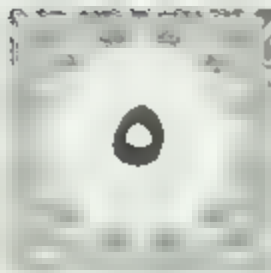
وكان أثر ذلك المرق العام سيء الأثر في النفوس والأفلاك والعمران . فحمل أولي الأمر أن يتحدوا مسورا حول حرم دار الخلافة أي بجانب الشرقي الأسفل ، وفي سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) على عهد الخليفة المظفر بالله حظ عبيد الدولة أبو منصور محمد بن محمد المعروف بابن حيدر التلعلي ووزير الخليفة حطة السور وفلده عنه أحد رجال الدولة وأمر بجانب الأموال من الناس ذوي العقار والدور للامتناع على إنشاء السور وأدى لنعوان في التفرح والتسرّع في المشاركة في البناء والإنشاء ، فظهر بذلك فساد النفوس والشدة وطمان سكان بغداد المرحه ، فان كثير منهم خرجوا بالصلاح والأعلام والأوقاف والطبول ومعهم المماول واللال وأنواع الملاهي من الرماح والحكايات — أي التمثيل الشعبي — فأهل محلة باب المراتب صعدوا على السور واللال والواردي المقيمه . وحتة رجال يسرون به وعملوا رافة كذلك ، وحاد أهل محلة قصر عيسى سميرية كبيرة وهي بوع متوسط من السور وفيها ملاحون يجدهون وهي تجري على حدود يشه الجروح قد عملوه ، وأتى أهل سوق يحيى بدعوة بدور معهم في الأسواق ، وعمل أهل سوق المدرسة التشبة طلع حشمت تسير على عجل وفيها حائك وإخيارون من أهل سوق الثلاثاء جاؤوا بسور تحت ما سيره والخيار يحضر ويرمي بالحجر الى السور ، فبوا من السور مائة فامة فقط وحدثت عواقب عن إسماعه ، وخصوصاً نارح اهدوك للجوحيين على السلطة وهم برصقارقي ومحمد وسجر أبناء ملكشاه الكبير . فكانت بغداد عرصه لاستلاء كل قوي الجيش وأصبح الناس في بلاء ومعرضين للاعتداء . والحلمه المستظهر مشغول بالخطبة بهذا الملك وقطع الخطة لداث والاصلاح يهيم ، مع حمل همت ، وميله الى الدعة واستكفاء المرحعات .

السور الكبير في الجانب الشرقي من المدينة :

ثم توفي المستظهر سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) وبويع بحلّاه أنه المسترشد بالله واسمه انصهر ، وكان خليفة همدان شجاعاً عيبراً على شرف الخلافة متفقاً مؤمناً . حدثنا وأخبار المصنفات لمرويه عند الأبرج بـ (١٢٥١٢) ، فكان يرى منه الرجل الذي بعثه الله تعالى لإصلاح الأمة وشؤون السياسة وفتح العلم ونشر العدل والأمن في عهد إرادة الجور والظلم والفساد ، فهي سنة ٥١٧ هـ (١١٢٣ م) عزم على بناء سور للجانب الشرقي من بغداد فأمر بحجبه العقار كما فعل وزير أبيه فحصل من ذلك مالا كثيراً ولكن الناس صعدوا وخرجوا لقتله ، في أيديهم وكثرة الأحداث التي أصابتهم ، فأعاد المسترشد أموالهم وأبقى على إنشاء السور من أمواله وأدى لفساد في التفرح والمشاركة في العمل والبناء ، فخرجوا على ملك الجار الذي كانت في أيام أبيه وصار أهل كل محلة يعملون اسوعاً ، فأشأ له وحصل له أربعة أبواب هي : باب الأعلى الذي سماه الناس « باب السور » ، أي السور طرلك لأنه دخل بغداد هناك وعرف في انصهر الأخيرة بـ « باب المعظم » ، ثم باب الطعريه ، هو الباب المقابل لمحلة لصفرية من محلات شرقي بغداد ، وهو الذي عرف في العصور الأخيرة بـ « الباب الأوسط » و« باب الحلة » وهو الذي عرف في العصور الأخيرة بـ « باب الظلم » لأثر في أعلى الباب تمثال رجل مترفع وعلى كل يمينه وسرته تمثال أعقى عظيمة ، وعد العامة ذلك طليمة لعداد تحفظها من الأعداء ، وهذا الباب كان من تجديدات الناصر لدين الله للسور ورممته سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وقد تحدد الأثران في أيامهم الأخيرة بالعراق محراً للبرود ثم أهدوا النار في البرود وسعوه لئلا يحررهم من بعده وإحلالهم لها للأنكيز ، أي ليلة ١١ آذار سنة ١٩١٧ م . فكانت هذه الخطة الحربية شؤماً على هذا الأثر العربي الاسلامي الرائع ، لأنه على كونه مثل ما وصلت اليه عمارة الأسو في القرن السابع للهجرة كانت عينة كنية تذكر تاريخ إنشائه واسم منشئه الناصر لدين الله مع الدعاء فضلاً عن الآيات القرآنية الكريمة . والباب الرابع من أبواب السور المذكور هو « باب النصبة » سنة الى محلة بجواره له كان مزرع فيها لصل ويسمى في العصور التي قبل الأخيرة « باب كاداد » سنة الى قرية كاداد القريبة من بغداد من الحبيب ، فكان الخارج من هذا الباب يلقى أو ما يلاقه في

معاذته بغداد قرية كلودا المذكورة وكانت قرب الكرادة الحالية ، وقد عرف هذا الباب في العصور الأخيرة بـ « الباب الشرقي » وقد هدمته أمانة العاصمة بعد أن اتخذته الإنكليز بيعة لجنودهم .

وقد تقدم ذكر سور دار الخلافة الداخلي وسورها الخارجي ، وثقلنا حراً بمد أن الحريم الظاهري كان مسوراً قبل القرن الخامس للهجرة ولم بدأت الفس بعده بين أهل إلى محلات بغداد ، أحد سكان كن محلة بسور وبها بأسوار وثقفة الأبواب والمساكن للدفاع عند هجوم خصومهم ، وصار لكل محلة « باب عالمان ومعهم » ان عليهم طاقان من الآخر كان واحد مهم يسمى « المقعد » وأصبحت في العصور الأخير كلمة « العقد » تطبق على المحلة كلها ، كما كان الباب يطلق على المحلة كلها قبل ذلك كتاب النصرة المحلة الكثر « التي شأت حال باب النصرة من أبواب مدته المصور المذكور فلا مع سائر أبوابها ، فمن سنة المحلة بالعقد اليوم » محلة عقد انقل « شرقي بغداد القتيقة بعقد النصري ومن مصالح كتاب فيلكس جوس يبعد عشرات العقود التي أريد بها المحلات أيامه .



الآثار الباقية من عصور بني العباس

ذكرنا من الآثار الباقية من عصور بني العباس استطراداً لا فصيلاً « باب الظهيرة » أحد أبواب سور بغداد الشرقية الجنوبية وقد قدمنا صورته في البحث عن أوصاف أبواب مدينة المصور ، والراجح أن « به هو الخليفة الناصر لدين الله كما يعمم من قول ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية من تجديد الناصر لدين الله سور بغداد قبل سنة ٦٠٠ هـ ومن نموذج حط الطرمار المكتوب بالأحر في أعلى البرج ، ومن صدى الدعاء للامي وبصه « ولا زالت دعوته الهادية للدين قواماً ، وللإسلام نظاماً ، ولدولة القاهرة سكية وللامة اعتصاماً ، ولمدينة السلام بآناً . . وأبواب . . »

وذكرنا أيضاً « باب الصلوة » الذي عرف أيضاً بباب كلودا وهو الباب الجنوبي من أبواب السور المذكور . وذكرنا المدرسة المستنصرية التي لا تزال شاحصة المائي عبة المعالي راعية الرياسة بعض عدية مديرية الآثار ، ويسعى لنا أن نتكلم على ما بقي شاحصاً من آثار بني العباس تماماً لهذا البحث ، فمما « مارة جامع الجهاديين » وهو مسجد الخطان الذي أمرت مائته السيدة رمرد حاتون التركي روج الخدمه المستنصي . بأمر الله ووالده الخليفة الناصر لدين الله وقد بويعت سنة ٥٩٩ هـ ، وهي أقدم المائر القائمة . ومنها تربة السيدة رمرد المذكورة أيضاً ، أمرت مائتها في جانبها قرب مقبرة الشيخ معروف الكرخي وهي ذات قبة محروطة من الطراز السلجوقي وقد رمت غير مرة إلا أن موادها الأصلية وشكلها الأصلي وهديتها الأصلية على حالها القديمة ، وقد اشتهرت بين العامة بقبة « الست ريده » روح هارون الرشيد مع أنها كانت مدفونة في مقابر قريش كما جاء في حوادث سنة ٤٤٣ هـ من كمال ابن الأثير في أحزاب الفس المذهبية

ومما دار المسرة الناصرة التي أسأها الخدمه الناصر لدين الله في أوائل خلافته وتعرف أيضاً بالقصر العباسي على شاطئ دجلة جنوبي وزارة الدفاع التي هي القلعة الداخلية قديماً ، ويرى بعض الباحثين أنها « المدرسة الشراعية » التي

أسسها وقال الشرايبي مقدم الجيوش العباسية وإن كان لها شارعاً على دجلة ومحرف المدخل بمت وسيرة خلافاً للهندسة العامة للمدارس العربية الإسلامية ، وقد وضع الناصر لدين الله فيها كتاباً مهيبة كما ذكر القطيبي في ترجمة برهان الدين أبي الرشيد أحمد بن علي المهندس الخاضع المنبوي سنة ٥٨٩هـ وهذه الدار رائعة الزينة جميلة المقرصات مقوشة الأيوان صوب ترابين الأجر ، واسعة الأنهاء ، صفه الأروقة والممرات عديدة الحجر والعرف ملوكة النجارة والشكل ، وقد اتخذت متحفة للآثار الإسلامية ، فأخصى ذلك بعض روعتها .

ومنها مارة تربة الشيخ معروف الكرخي بالجانب العربي من بغداد وهي مباره على قصرها رشيقة القوام ، ظاهرة الأسجيم ، محكمة البناء جميلة الانشاء ، في حوصها مقرصات جميلة وأرواب صفار زهرية ، وقد كتب في أحدها أنها بنيت سنة ٦١٢هـ (١٢١٥م) وهي البنة التي توفي فيها ولي عهد الخلافة العباسية الملك المعظم أبو الحسن علي الناصر لدين الله فدهى عند جدته ومررد حانون المعظم ذكرها قرب تربة الشيخ معروف الكرخي ، والظاهر أن الناصر لدين الله هو الذي أمر بإنشائها .

ومنها مارة مسجد قديرة على شاطئ دجلة بالجانب العربي في محلة مصر عيسى القديمة وهي بما أنشأه المستنصر بالله باني المستنصرية وكان إيشؤه إنابا سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) وهي قليلة الروعة عديمة الناس لا تبلغ هندستها هندسة مارة الشيخ معروف الكرخي التي قدمنا الكلام عليها .

ومنها دار القرآن المستنصرية وقد مضى الكلام عليها وعلى إيوانها الرائع الزينة والزخارف ، ولكنها بالنسبة إلى إيوان القصر العباسي تعد ساذجة ، كما يظهر للمتاأمل العارف لهذا الفن .

وقد ذكرنا أن أمانة العاصمة هدمت باب كوادا ، وهدم الأثر كقلها باب الحلة . وهدم غيرهم ما بقي من بروج سور بغداد ، وكان في ذلك حمران عظم للتاريخ والحصارة عموماً ولأنار بغداد خصوصاً ، وكانت بغداد قطعة من مارة في محلة باب الاعا الحالية في درب عرف عند العامة بديوانه المارة المقطومة ، أي المقطوعة من أعلاها والظاهر أنها مارة المدرسة الامامة التي أنشأها إمام الدين يحيى الكري والي العراق المتوفى سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م) وقد هدمت في الأيام الأخيرة وأدخل موضعها في إحدى الدور ، وما أحرانا بأن نستشهد بقول الشاعر القديم

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| مررت برسم في سياك فراهي | به رجل الأحجار تحت المصاول |
| تناولها جبل الذراع حكانا | رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل |
| اتلفها شلت يمينك عليها | لمتير أو زائر أو مسائل |
| منازل قوم حدثنا حديثهم | ولم أر أحل من حديث المنازل |





المدينة في اواخر العهد العباسي

وفي العهد العباسي الأخير والأدوار التي أعقبت فقدت المدينة أكثر بياناتها فتقلصت من حيث سعة مساحتها وانحصر معظم عمرانها في الجانب الشرقي الواقع داخل سور الكبير (١) . فوصف ابن جبير في رحلته عند زيارته لعدد سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) الجانب الغربي فذكر « أن الخراب قد عمه وانسوى عليه » ولكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة علة كل محلة منها مدينة مستقلة . وفي كل واحدة منها الحمامات وصلاة الجمعة في ثمار منها وأكثرها القرية التي بناها فيها ثم الكرخ وهي مدينة مورة ، ثم علة باب الصرة وهي أيضاً مدينة وبها جامع المصور رحمه الله وهو جامع كبير عتيق البان ، ثم الشارع وهي أيضاً مدينة بهذه الأوسع أكبر المحلات . وبين الشارع وعلة باب الصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان (العسدي) (٢) الشهير بعدد وهو على دجلة . وأسماء سائر المحلات بطول ذكرها . ومن أسماء المحلات العنابية ومنها الحربية وهي أعلاها . وأهم المواقع التي ذكرها ابن جبير في هذا الجانب قرى معروف الكرخي (رص) وقرى الامام موسى بن جعفر (ع) . وقد ذكر أيضاً أنه شاهد في الطريق إلى باب الصرة مشهداً شامق البان داحبه قرى كتب عليه هذا قرى عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهو خطأ منه (٣) . أما الجانب الشرقي من المدينة وهو الجانب العامر في ذلك الوقت سماه ابن جبير (« شرقية ») وذكر أن أهم ما فيه دار الخلافة وبها المناظر والقصور الرائقة وساتين الأبيقة فيؤلف الربع من الشرقية أو أرض . ثم وصف السور الكبير وأبوابه الأربعة ذاكراً أسمائها . ومن جملة ما ذكره أن عدد المدارس في بغداد يبعد ثلاثين مدرسة . وهي كلها بالشرقية وأعظمها وأشهرها المدرسة النظامية . ومن المباني التي ذكرها ابن جبير في هذا الجانب من المدينة الجوامع الثلاثة الكبيرة التي كان يجمع فيها ، وهي جامع الخليفة وجامع السلطان وجامع الرصافة . وقد ذكر أيضاً ربب الخلفاء ومحلة أبي حمزة بالرصافة . وقد وصف ابن جبير من الجانب الشرقي القسم الواقع خارج السور الكبير فسماه « المدينة العتيقة » . وكانت أهم محلة من المحلات المحيطة بدار الخلافة داخل السور الكبير « محلة سوق الثلاثاء » التي كان فيها أعظم سوق في الجانب الشرقي . وقد أصبح في هذا العهد الأخير المركز التجاري الرئيس لبغداد ومنها المدرسة النظامية .

(١) أنظر ما تقدم حول هذا السور .

(٢) أنظر ما تقدم حول هذا المارستان .

(٣) كانت قرية عون ومعين بعد على صفة دجلة على مقربة من قرية « سلجوقي خاتون » الاخلابية السلجوقية زوجة الناصر

لدين الله وقد جرت فيها مياه النهر .

وظلت بغداد بعد احتلال هولاء لها سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) تتقاذفها أمواج الحروب فتاوبها أيدي الحكم من احتلال إلى آخر رهاء أربعة فروع متتالية إلى أن أحلها السلطان مراد الرابع في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨م)، وبقيت منذ ذلك الزمن تحت حكم العثمانيين حتى الاحتلال البريطاني في سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧م)، فقد حكم فيها الألبانيون أحلاف هولاء مدة ٨٢ عاماً من سنة ٦٥٦ هـ إلى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٥٨ - ١٣٣٨م)، ثم عظمهم الجلايريون، فلم يمض على ذلك أكثر من ٥٧ عاماً حتى احتل تيمورلنك المدينة في سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢م)، إلا أن حكم تيمورلنك لم يدم طويلاً فقد استعاد الجلايريون الحكم فيها سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤م)، ثم لم يلبث هؤلاء الجلايريون أكثر من ست سنوات حتى عاد تيمورلنك فاحتل المدينة للمرة الثانية في سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠م) ففيها هذه المرة رهاء خمس سنوات حتى عاد الجلايريون إلى الحكم سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥م) وفي سنة ٨١٤ هـ (١٤١١م)، حلت محلهم أسرة تركمانية تسمى (قرةقويونلو) ثم أخلتها عن بغداد في سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩م) أسرة تركمانية أخرى تسمى (اققويونلو)، وقد استمر حكم هذه الأسرة الأخيرة أربعين عاماً، ثم استولت جيوش الشاه اسماعيل الصفوي الأول ملك الفرس على بغداد في سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨م)، وأجلت أولئك التركمان عنها، وجاءت بعد ذلك قبيلة موصلو الكردية فارتعت الفرس على الحكم فتمكنت من انتزاعه منهم مدة ست سنوات إلا أن الصفويين تمكنوا من استرجاع الحكم من القبيلة المذكورة، لكنهم اضطروا بعد خمس سنوات من حكمهم إلى الجلاء عن المدينة ثانية وتسليمها إلى الأتراك العثمانيين فدخلها السلطان سليمان في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤م)، وظلت بغداد تحت الحكم العثماني رهاء سبعين سنة، ثم تمكن الفرس من إعادة احتلالها للمرة الثالثة في سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢م) على عهد الشاه عباس الصفوي، غير أنهم بعد سبعين قللاً أخرجوا منها أيضاً، فقد فتحها السلطان مراد الرابع في ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨م) كما أشرنا إليه، وظلت بغداد منذ هذا التاريخ تحت الحكم العثماني حتى احتلال الجيش البريطاني لها في سنة ١٩١٧م





بغداد في عصر الأئمة الخانيين

كان استلاء المول على بغداد واحتياهم العراق والعالم الاسلامي واكثر العالم العربي صداً لشر الحضارة والثقافة برهة من الدهر ، فقد هدموا كثيراً من المآبى العظيمة والمعاهد الجسيمة والمدارس الجليلة ودمروا عديداً وغيراً من المدن العائمة والقرى الراهرة ، والصباغ الفاحرة ، وتلف كثير من الكتب العلمية والكتب العلمية والكتب الأدبية ، بس معرة الجروب وإحراقها وإغراقها هضلاً عن أنادهم السف في مختلف الأقطار والأصقاع من العلماء والفقهاء والحكماء والعلماء والمحدثين والمفسرين والأدباء وأهل القلوب والشجرات ، فتصل بمقدم العلم والعفة والعلوم الاسلامية الأخرى والأدب بمرعية النثر والشعر ، إلا من الماء والموسيقى والحساب وعدم الجبانة والادارة

وبما جداً وصف بغداد بعد ذلك الاختلال والاختلال ، قال صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي في كتابه مرصد الاطلاع « وكانت بغداد عاصمة صهرت باختلاف الساكر اليها وإيلانهم على دور الناس وأمتهم فلم يبق من اجاب العربي إلا محال متفرقة ، أعمرها كالب الكرخ ، وحرب من الجاب الشرقي من التسمية (يعني أرض الصلح الحالية) الى المحرم (يعني أرض الطوارية الحالية) وبني السور على ما بقي منه على حارب دحلة حتى جاء النثر اليها صهرت أكثرها وقتلوا أهلها فلم يبق منهم غير أحاد كانوا مودجاً حياً وجاءها أهل البلاد فكبوها وناد أهلها وهي الآن (٣٧٩ هـ . ١٣٣٨ م) غير التي كانت وأهلها غير من عهدناهم والحكم لله تعالى »

وهذا القول وإن كان مائلاً منه وخصوصاً قوله « وقتلوا أهلها كلهم » يشعر بقلة سكان بغداد بعد الفاجعة الكبرى ، وحلو غلاتها بحيث وجد أهل البلاد الأخرى من العراق مواضع فيها لسكانهم وإقامتهم ، ولعله عد أهله وأهله وجده من الأتباع الناقين من أهل بغداد ١١

وأحسن من وصف مدينة بغداد في العهد الانلحابي المشار اليه أعماً هو ابن بطوطة الرحالة المغربي ، فقد زار بغداد في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) فقال إن أكثر الجاب العربي بها حراب وقد بقي منه ثلاث عشرة محلة ومن هذه المحلات محلة باب الصرة ، وكان ابن بطوطة آخر من شاهد جامع المصور مدحكر موضعه في محلة باب الصرة من الجاب العربي من بغداد أما المارستان فقال « إنه قصر كبير حارب بقيت منه آثار » ومن جملة المواضع التي شاهدها في الجاب العربي قبر الشيخ معروف الكرخي قال في محلة باب الصرة وهو خطأ منه ، وأمله نقل ذلك من أفواه الناس وخطب بين باب الصرة ومحلة قطعتا المحاورة له ، وذكر قبر عيون ومعين الذي ذكره ابن جبر من قبل كما ذكر قبري الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (ع) فقال إنهما داخل الروضة عليهما دكاة ملصقة بالخشب عليه ألواح الفضة . وشاهد قبر أحمد بن حسن - رضى - ولافة عليه ، وذكر أن بالقرب منه قبر سري السعطي والجيد بشر الحافي وهذا خطأ أيضاً فإن قبر الامام أحمد بن حسن كان باب حارب في الشمال العربي من بغداد وقبر الجيد والأخرين في الجنوب الشرقي منها وذكر أن المساجد التي يحط فيها وتقام فيها صلاة الجمعة في هذا الجاب أحد عشر مجداً ومن المواضع التي دكرها في الجاب الشرقي سوق الثلاثاء موضعه بأنه أعظم أسواق المدينة ، وبه كل صناعة على

حدة ، وفي وسطه المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب محسبها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية ، وكانت تدرس فيها المذاهب الأربعة لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس . ولما كان أكثر المدرسة المستنصرية لا يزال قائماً في موضعه كان وصف موضعها بالنسبة إلى سوق الثلاثاء والمدرسة النظامية يساعد على تعيين موقعيهما وإثباتهما بحارطة بغداد الحديثة . وقد ذكر أن المساحد التي تقام فيها صلاة الجمعة في الجانب الشرقي ثلاثة أحدها جامع الخليفة فقال إنه متصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقانات ومظاهر كثيرة للوصوف والفلس ، وهو كلام ابن جبير أعاده ابن بطوطة والصحيح أن الاتصال كان في سرداب يسمى « الأرح » لا على وجه الأرض ، ثم جامع السلطان وجامع الرصافة فذكر أن الأول يقع خارج البلد ، يعني بالنسبة إلى السور المحيط ببغداد الشرقية يومئذ وتتصل به قصور تنسب للسلطان ، والثاني يقع على مسافة نحو الميل من الأول ، يعني جنوبي الأعظمية الحالية . ومن المواضع الأخرى التي وصفها في هذا الجواب مشهد الإمام أبي حنيفة - رضى - وعليه قبة عظيمة ورواية يقدم فيها الطعام للوارد والصادر وهي الرواية الوحيدة ببغداد على ما قال . وكانت قرب الخلفاء لا تزال قائمة في زمن ربيعة ابن بطوطة لبغداد فذكر أن تقع بالرصافة وعلى كل منها اسم صاحبه . وذكر اثنين وثلاثين خليفة كتبت أسماؤهم على قبورهم منهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، وهو كلام مسمى على الخيال لأن الممول لما قتلوا المستعصم أحموا جثته مع جثتي أبيه أحمد وعبد الرحمن . ولم يعلم لواحد منهم قبر صحيح بين القصور ، والذي قيل في ذلك اختراع وأنداع .

ويقال بما دونه ابن بطوطة أنه كان في بغداد جسران في ذلك الوقت إلا أنه لم يذكر موقعيهما ، وكان الأعلى منهما في موضع دار الصلح الحالية والأسفل بين أرض المحاكم المدنية وما يقابلها من الجانب الغربي . وقد وصف ابن بطوطة سور بغداد الشرقية بأبوابه الأربعة ، وهو السور الذي سبق أن وصفه ابن جبير وبقى قائماً إلى أيام مدحت باشا وفي بغداد فهو الذي هدم حداره وبني من آخره القنطرة ومدرسة الصائغ وغيرها .

أما ما استحدث في أيام الإنجليز وما رمم من المباني فيها ، فمنها مارة جامع القصر المعروف أيضاً بجامع سوق العرل في شرقي بغداد وهي مارة صحيحة حارة قائمة في وسط بغداد عملاقة تحدى الرمان والحداث ، هي سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧١ م) أمر علاء الدين عطا ملك الحويزي والي العراق من قبل هولاكو ويعرف صاحب الديوان بتجديد عمارة مارة جامع الخليفة المذكور أيضاً ، وكان مدير الأوقاف أيامه شهاب الدين علي بن عبد الله فشرع في التجديد وأجرى ساؤها في آخر شعبان من السنة المذكورة ، ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ولم يتأد أحد من كافي المسجد ، فمرم على إعادته بناها هذا الساء الجار القاهر وشرع فيه حتى تكملت سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٨ م) على هذا تتكون مدة إنشائها ثمانين سوات .

ومنها حمام شرف الدين هارون بن شمس الدين محمد الجوزي ابن أخي علاء الدين المقدم ذكره ، فانه قد تولى الحكم على والده علاء الدين في سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣ م) فأشأ داراً صحيحة على شاطئ دجلة وأقام بها حماماً متنق الصفة حسن الساء كثير الأصواء قد احتضت به الأنهار والأشجار وأحدث له أنابيب من الفضة المطلية بالذهب وغير المطلية ومنها ما هو على هيئة حائرها فادار حرج منها الماء صوتت بأصوات طيبة ، وفي الحمام أحواض من الرخام سدعة الصفة والمياه تخرج منها من سائر الأنابيب إلى الأحواض وترمي جميعها إلى مركة حسة الانتقال ثم منها تخرج إلى السان ، وفي الحمام نحو من عشر حنوت كل حنوة صنعتها أحسن من الأخرى ، وفيها حلوة عليها باب مقفل بقفل حديد فادار فتحه الداخل مري دهلير طويل كله مريح بالرخام الأبيض السادح وفي صدر الدهليز حلوة مربعة تسع نحو أربعة أشخاص على التقريب إذا كانوا عوداً ونسج اثنين إذا كانا جالسين أو نائمين وحيطانها الأربعة مصقولة صقلا لا فرق بين صماء المرأة ، يرى الإنسان سائر مشرته في أي حائط شامها ، وأرضها مصورة بمصوم من الصيغساء من حمر وحصر ومدهة وكلها متحدة من اللو المنصوع بنصه أصغر وبعض أحمر فأما الأحضر فثقل إليها حجارة يؤمى بها من بلاد الروم (يعني أرض تركية الحديثة) والمذهب فهو رجاء ملس بالذهب ، وعلى جدرانها صور في غاية الحسن والجمال على هيأت مختلفة في حالة

الاصطجاع والتفاعل الجسي اذا نظر اليها المستعجم تحررك شهبوته ، وفي صدر الخلوة حوص رحام مصلع وفي صدره قد ركب أسوب ذهب يفتح وعلق بلول يدار ووقه أسوب أحر للماء الحار ووقه أسوب ثالث للماء البارد فالأسوب الأول للماء العائر وعن يمين الخوص ويساره عمودان صميران محتوتان من النور يوضع عليهما مآحر الند والعود البهدي ومها المدرسة الامامة سنة الى إمام الدين يحيى القروي الكري صاحب ديوان بغداد المتوفى سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م) قال مؤلف كتاب الحوادث في أحوال هذه السنة « وفيها توفي الملك إمام الدين يحيى العسكري القروي صاحب ديوان بغداد ، بالخلعة ، وحمل الى بغداد ودفن في تربة عملها في مدرسته بدار فرشا وأقيم له افتخار الدين في العراق مقامة » وذكر صلاح الدين الصعدي أن إمام الدين المذكور أجاد بناء المدرسة وتحسينها وأنه ساهم بأجل اشح تاح الدين علي بن أبي القاسم القروي الشافعي الفقه المتوفى سنة يبع وأربعين وسعمائة وولاه التدريس بها وولايه أوفاهما وقد قمنا حسابا أن المارة المقطوعة في محلة الدشي الحالية التي هي دار فرشا العيق من بقايا المدرسة المذكورة وأنها استولى عليها وأزيلت شيئا فشيئا .

ومها مدرسة جمال الدين عبدالله العافولي الذي سبقت اليه المحلة العافولة الحالية المعروفة قديماً بمحلة دارب الخاير ، وقد توفي سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) بعد ولايته التدريس بالمستصرية وغيرها والقضاء ببغداد والأوقاف ودفن بداره وكان قد وقفها على شيع وعشرة صار أيتام يتلقون القرآن بمحلة دارب الخايرين المذكورة أيضاً ، وقد اتخذت داره مجداً وقبره لا يزال في برته وللتربة قبّة ومئذنة وسط تعلب عليها الضخامة والذخجة في البناء مع الرصانة ومها المدرسة الثلاثة سنة الى علاء الدين علي عبدالؤمن بن كزدير المعروف بالكركحي التركماني قال كمال الدين ابن العوفي في كتابه تلخيص معجم الألقاب « هو الذي سميت منه الى عمل المدرسة الثلاثة بحصرة الجسر العتيق من مدينة السلام وحضر القاضي بدر الدين محمد بن علي بن ملاق الرقي ومعه جماعة من الفقهاء والرؤساء وهي في موضع حسن وكان وضع أساس المدرسة الثلاثة يوم الأحد رابع وعشرين رجب سنة ثلاث وتسعين وثمانه ووضع المنس على الباب في جامع شمعان ودمجوا بقرة تصدقوا بجمعها على الفقراء » . وقد في موضع آخر « المدرسة الشاطئية الراكدة على كرسي الجسر العتيق المعادي لمدرسة الشيع بماء الدين أبي النجيب عبدالقاهر السمروردي » . وهذا يعني أنها كانت في موضع دار العياط الحالية وأنها كانت للجمعية ، ودمج بقرة واحدة لها بدل على ضالتها .

ومها المدرسة العصبية سنة الى عصمة الدين شاهلي الأيوبية روح ولي العهد أحمد بن المستعصم بالله التي حلف عليها بعد قتل هولاكو لزوجها علاء الدين عطا ملك الجوري والي العراق من قبل هولاكو ، وقد تكامل بناؤها سنة ٦٧١هـ (١٢٧٢م) وكانت بجوار مشهد عبدالله العلوي المعروف اليوم بأمر راسة شرقي الأعطنة لأنها هي بمها أم راسة ست ولي العهد العاصية ودفنت هي وأمتها عند المشهد المذكور ، قال مؤلف الحوادث في حوادث السنة المذكورة « وفيها تكاملت عمارة المدرسة التي أمرت بانشائها روجة علاء الدين صاحب الديوان مجاور مشهد عبدالله - ع - ظهر بغداد وسميت العصبية ووقفتها على الطوائف الأربع وست الى جانبها تربة لها ورماطاً للتنصوة وفتحت في هذه السنة وجعلت النظر فيها الى شهاب الدين علي بن عبدالله والإشراف عليه الى من ولي قضاء القضاء ببغداد . »

ومها مدرسة بماء الدين عبدالوهاب المعروف بابن قاضي دوقا ، قال ابن العوفي في تلخيص معجم الألقاب « حذر الدين أبو علي بن النجيب يعرف بابن قاضي دوقا ، كان من الأكابر الأعيان وهو الذي أنشأ المدرسة بباب الأرج وأتمها أخوه بها الدين وكانت له حجرات دائرة وعله رسوم للفقراء والقراء وله سب متصل الى بني بطل ، وكان حسن السيرة جميل المعاملة وكانت وفاته في العشر الأول من ذي الحجة سنة أربع وستين وثمانه ودفن بدار القرآن التي أنشأها معاليل المدرسة ، وبسما ابن العوفي في موضع آخر الى بناء الدين قال في ترجمة حذر الدين

عبدالرحيم بن أحمد العدادي القبي « وهو من قضاء الحفص المستنصرية وشيخ دار القرآن المجاورة لمدرسة بهاء الدين ابن قاضي دقوقا باب الأرح ». وأيد ذلك مؤلف الحوادث قلل في آخر سنة ٦٨٨ هـ : « وفيما توفي بهاء الدين عدالوهاب بن قاضي دقوقا ودهى في مدرسة ساهها على شاطيء دجلة باب الأرح وكان دأمال وجاء من اكبر الساة بالعراق ». والظاهر لنا أن المدرسة كانت مقابل دار الإقامة البريطانية التي اتحدت مديرية للكمبارك ، وماتها هر مهمل في كراح سيارات كت عليه في عصر التروير إنه قبر أبي الفرح بن الجوري مع أنه دهى بالجانب الغربي من بغداد باجماع المؤرخين ، ولعله قبر بهاء الدين المذكور وهو القول الراجح عندنا

ومها مدرسة عبد الدين محمد بن الأثير من غير بني الأثير الموصلين المشهورين ، وكان أحد الحكام بالعراق قتل سنة ٦٨٥ هـ . قد مؤلف الحوادث في أحار السة المذكورة . « في المحرم فوص الأمير أروق أمر العراق الى عزيز الدين الأربلي ومجد الدين اسماعيل بن الناس وطلع عليهما وعزل عبد الدين محمد بن الأثير والأمير تاج الدين علي جكيان المشرف وسعد الدين القرويي الكاتب وسلموا الى عزيز الدين ومجد الدين (اسماعيل بن الياس) وأمر بمحاسنهم ومطالنتهم بما تعمدوا به من المال فطوئوا وصوبوا ثم حملوا الى الأردن المعظم فأمر بقتلهم فقتلوا وحملت جثة ابن الأثير الى بغداد ودهى في تربة له في مدرسته وحملت جثة الأمير علي جكيان الى بغداد أيضاً ودهى في تربة له بجواره داره وجثة سعد الدين حملت الى بلدته » .

ومها المدرسة العراقية أو الرشيدية أسسها الوزير رشيد الدين فضل الله الهمداني باب الطغرية من شرقي بغداد في موضع يعرف بالعراقي كما يفهم من كتاب تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطي قال « عماد الدين علي بن حنر الدين الحسين بن علي بروسيد الواسطي القبي شاب فاضل وهو من جملة الفقهاء الذين ائتمروا في المدرسة التي (أمر) بإنشائها المسمومة . شيد الدين فضل الله بن أبي الخير بالعراقي بغداد في سنة ثلاث عشرة وسميت « وكرر ذلك فسميها في موضع آخر « المدرسة الرشيدية » . وقد ذكر ابن الفوطي في معجمه المذكور عدة من أسانيدنا وتلاميذها .

ومها المدرسة المسمومة وهي مبنية الى الخواجه مسمود بن سعيد الدولة مصور بن هارون الهاروني اليهودي الأصل وقد أسلم والده سيد الدولة سنة ٧٣٥ هـ وصار شافعيًا . وكان في أيام السلطان أوس ابن الشيخ حسن الكبير الخلايري حياً وقد أسس مسمود مدرسة وصفيها بعض المؤرخين بأنها في عانة الحس حملت وفقاً على ابداعات الأسرة المشهورة ، على حاله المستنصرية وأوصف علياً أوفاً كثيرة وكتب على جدرانها سطره . وأسس فيها دار كتب كانت اكبر كتبها مكتوبة بضمه ، وكان حسن اعطى وكتب اسمه على جدران المدرسة بما هذا صه « وكه مسمود بن مصور بن أبي هارون (الهاروني) ساً ، الشافعي مذهباً » . وكان به يتصل بهارون أحي موسى - ع - وبني مسمود أسواقاً في عانة الحس قال النساك العدادي « ولما مات سيد الدولة عن مال كثير ورثه ولداه داود ومسمود ثم مات داود واستولى مسمود على الجميع ثم اقتضى رآه أن يعمر هذه المدرسة فابتدأ بعمارتيها في أيام السلطان أوس وانتهت في أيام السلطان أحمد . ولما سمع استدعي السلطان لينظرها وفرشوا بحب أرجه الدياح من عانة ثلاثمائة دراع وجواجه بهادر مملوك جواجه مسمود على كتفه قرنة السماء ملووه من الدراهم رشها تحت أرجله أم باقي الولاثم فلا يعرف شرحها . وقال بعض الشعراء إن ابراهيم تلى عند داود ويعني به أخوه المدفون في المدرسة » . وقال النساك العدادي أيضاً في تاريخه « لم يكن جواجه مسمود وزيراً وإنما كان يده رواق المدينة لا غير ، وكان قد ورث هو وأخوه داود من أبيهما مالاً كثيراً ورواصع بغداد هي الأنهار الصغيرة التي تتفرع من الأنهار الكبيرة كدجلة والفرات والظاهر أن النهر المسمودي ونهر الداودي في الجانب الغربي من بغداد صوب أولهما الى مسمود المذكور وثانيهما صوب الى داود أخيه ومها المدرسة المرحلية وهي مبنية الى أمين الدين مرحان بن عدا الله بن عبد الرحمن من الممالك ولذلك يسميه المؤرخون المصريون بالطواشي أي العد . وكان مولى آل حلاير مؤسسي الدولة الخلايرية بالعراق وادريجان ، وارتفع مقامه في أيام حكم الشح أوس خان الخلايري الاملاكي (٧٥٥-٧٧٣ هـ ١٣٥٦-١٣٧٤ م) . والكتابة المعوشة في أجر

الأعلى من باب المدرسة تدل على أنه كان مملوكاً لامرأة منهم هي أم الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلالية ، ومن
هنا جاء سبه « الأوجاني » وعلى وجه آخر « الأولافاني » بحسب لهجتين معوليتين ، وكلاهما مكونة في الأجر واسمها
« أولجاني » ست الملك أرغون بن أباغ من هولاكو ، كما جاء في جامع التواريخ لرشيد الدين ، وما صحح به أحد
المستشرقين الهولنديين في بعض جرائده بغداد من أن اسمها « أولجاني » وأن قسمة مرجان يعني أن تكون « الأوجاني »
خطأ محض ، لأن الآثار المنقوشة المكونة هي الراحة النص على كل من مقول غير مكتوب على الحجر أو الأجر
أسست هذه المدرسة لتدريس الفقه الشافعي والعقود الحنفي وشرط فيها أن تتحد موضعاً لفصل انصافاً للشرعة
الاسلامية والقضايا البارغونية أي التي تجرى على قانون جوكياخان « الياسق » ، ولكثرة ما اعداد الناس الصلاة في مصلى
هذه المدرسة في المنصور الأخيرة سماها الناس « جامع مرجان » وهي تعرف اليوم بهذا الاسم وقد أمر مرجان بنش
وقعبها وبجانب اسمه وسبه المنحول « عبد الله بن عبد الرحمن » ، لأن الناس كلهم عبد الله وعبد الرحمن ، على الأجر ،
واقبلت بصرى الواقعة الأخيرة إلى محراب مديرية الآثار العامة بعد هدم المصلى وتصغير رفعة المدرسة لتوسيع الطريق
الحافة بها وتقوم شارع الرشيد ، وقد جاء في أعلى باب المدرسة ما هذا نصه على تشعشع واحتات في الكتابة

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بما يحسن الله من عباد العلماء ، أشأ هذه المدرسة الماركة والمصلى من فواصل .
السيد أمير الله برهانها في دولة ولدها الوهاب الأعظم الشيخ العبد شح حسن الله وحكمت في إيلة
واده الوهاب الأعظم ناصر العدل في العالم ، سلطان الملاطين ، عات الدماء الذين وممكت الاسلام وامسلمين شيخ
أوس بنان الله دولته على يدهم ولاهم الصاحب الأعظم ، ملجأ وملاد لأمن ، مربى الميثاق وعصم السلاطين
وكعب الصمصاء . المحصوص بحابه الرحمن أمين الدرس مرجان ، أسع الله عليه بحبه الجبر (يلة) (له هو الكرم
الحار ، ابتدأ عمارة هذا المكان في تاسع حمادي . . وصلى الله على سيده ومولاه بني الرحمن وشجع الأمة ، وبني
العمة محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين كتبه العبد الضعيف المحتاج إلى
رحمة الله تعالى أحمد شاه النقاش المعروف برين قلم التبريري عمر الله دولته وسر عيوبه »

وقد دلت الكتابة على أن مرجان أقيم على إنشاء المدرسة من ماله الذي هو مال سيده أوجاني حاويون أم الشيخ حسن
الكبير جلالي ، لأن العبد وماله ملك لسيده بحسب الشرعة والسيد هو الوارث له إن مات أو ديرة سيده إن لم يكن
حياً ، وأن المدرسة لم تسم في حكم الشيخ حسن فاستمر على إنشائها حتى تمت في أيام حكم ابنه أوس ولا بعد أن
أجتاني حاويون هي التي أوعزت بملوكها مرجان باشا المدرسة ، فقد أسست عبد مير والده أرغون قرب بلدة سرجاس
عرب المدينة السلطانية رباطاً للقراء المحققين ، كما جاء في تاريخ كزيلة للمستوي

ووصف مرجان كثيراً من الصياح والمعار والسدين على هذه المدرسة من أخان المعجم الذي لا يزال قائماً شاهداً على
عظمة سبته ومناة مواده الآتية ، المعروف بحال الأورطمة أو الأرتمة أي المستور المعطى بالعمة لركبة واسمه ماصطلاح
ذلك . عصر « بيم » على ورت « تين » وهو بالمعاصرة الحراسية « حال التحار » . وأخان اليوم مقابل المدرسة يفصل
بينهما شارع الرشيد ، وموصفه الخططي سوق الثلاثاء المؤدي إلى المدرسة المصرية في تعرفه وقد رعت مديرية الآثار
وانحدته متحفة الآثار الاسلاميه وسبته « دار الآثار العربية » وقد سجل مرجان بعض الوقفية في أعلى باب الخان الشمالي
وهذا من التسجيل منقوشاً على الأجر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر باشا هذا القيم المارك ولدكاكين المولى المحدثوم الأمر الصاحب الأعظم الأعدل
ملك ملوك الامراء في العام صاحب العدل الموقور عصب السلطة والامارة حاوي مرتبة الوراثة والامارة ، افتحار شهد
الأوان (كدا) المحصوص بحابه الرحمن أمين الدرس مرجان الأولافاني ، وقعها عن المدرسة المرجانية ودار الشفاء باب
العرنة كذلك عمر قوف والصعب من القائمة وتل دحم ومررعة بالصراة وساتين بالمحرمة وساتين بقرمه الترت

« برادير وحرماند (١) ورباط جلولا المعروف بمرل رباط (٢) ورزير جوي وصف دورين وستين سقيا و بوهيرين
 ومارسجين (٣) وحاب وذكاكين بالحنة (٤) وأربع حانات الجوهريين وذكاكين الجوهريين وحاب الجلب العربي وذكاكين
 كاعد بالجرم ، كما هو محدود ومترشح في الوقف ، وعملاً صحيحاً شرعياً ، فعل الله به الطاعات في الدرس وبلغه بهته
 المراد وكان المخرج منه ستة وستين وسعمائة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق وعلى
 آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم . كنه الفقير الى رحمة ربه أحمد شاه القاش اندروف برين فلم عمر الله دونه .
 ومنها مدرسة الأيكجه وأيك باله كنة = « المرل » فالملعي = « المعرلة » ومنشأ محمود شاه . قال العيث العدادي في
 العمالات التي عمرت في أيام مرخان « تم عمارة الأيكجه وكانت دابة لنبض وتسمى بمدرسة وتلقب باليكجي لها
 مدرسة عديمة » وفي سنة ٧٦٢ هـ بروج سليمان بك دابة السلطان المذكور « وكانت بعد من الأمراء وعطسة بشأن
 مقصة برأي وسجاً إلى في حق القضاء المهمة وشدائد مصاحته فالروحها مصب الامارة لأن الرواح كان بأمر
 السلطان أوس وحده

ومها دار الشفاء أي الدكان ومعه المستشفى . أنشأها أمين الدين مرخان لمعالجة «فقراء» والمعوزين وقد تقدم
 بعه عينا وذكرها في بعض وصفاته المفقوشة على الأحمر بعله « وفيها على المدرسة المرجدة ودار الشفاء باب المربة » .
 ومن العايات العدادي « كان مرخان رجلاً استأجر عمالاً ووجد عمارات دائرية من قديم وأوقف عليها المقار والصيغ
 ما كنه بعت به وقبضته — وبش ذلك على حدران العمارات وكان له حيرات على «فقراء» ولما كين حتى أعطهم
 السابير والرايون وحت الشط وانصوب من اللحم والخبر والتيل في صحن دار الشفاء وصحب على شاطيء دجلة .
 وكان ثلثا أوقف لدار الشفاء وثلث للمدرسة » . والظاهر أن دار الشفاء كانت في موضع قبوة السط وهو السط
 كانت على نصف رباط الدرجة الذي أنشأه الهادي معاهد الدين بهرور أحد الأمراء المالكين للسلجوقيين في أواسط
 القرن السادس للهجرة ، قبل أن يهجره كنه لليهود ، وقد عادت مكانه قبوة الشط إلى اليهود أيضاً

ومها قلندرخانه ومعناها بالمارسة « دار القلندرية » أو « حان القلندرية » وهي طائفة من الصوفة لتحليل من
 أكثر «هرائن» الدية ، كما وصفهم خصومهم ، وكانوا يحلقون رؤوسهم وخافهم ، وقد ظهرت القلندرية في العراق بالقرن
 السابع للهجرة لأن الخلفاء كانوا يسمون بهرور في رعيتهم ، فطوبوها كان في أمام الدولة الاسمية

وقال العايات اسعدادي في ترجمه مرخان وما أشبه في أمامه من الممران وقد قدما أكثر « تم عمارة الأيكجه
 ودار الشفاء على جانب دحله في السلطان أحمد (اس أوس الخلابري) في وجبه القلندرخانه » وإد كانت دار الشفاء
 في موضع «ط بهرور وصارت قبوة الشط حافلة لرباط بهرور تكون القلندرخانه في موضع المدرسة البهائية العتيقة أي
 الحان المقابل لقبوة الشط من الشمال في الجانب الشرقي ولعلها كانت متصلة بأرض حان الحاجه حي لأنه كان راجعاً بشيخ
 الشوح السابوري ، ولم تكن في الجانب العربي كما جاء في كتاب أصول الفاظ اللهجة العراقية (ص ٨) وقد ذكرت
 القلندرخانه في التاريخ الفياثي غير مرة منها قول المؤرخ في بعض الملوك : «جلس على شاطيء دجلة تحت القلندرخانه وهو
 يشرب » . ونحن لا نشك في أن بناءها لم يكن من المائة والرصاص بحث بعدم التعادم واخوات الطيبة . فذلك لم
 يبق منه طلل ولا أثر

- (١) هي ناحية خرنانات الحالية في شمال بقبوا وعلى مقربة منها .
- (٢) أي الرباط الأحمر بالتركية وعرفت بعد العامه « فرباط » وقد سميت أخيراً بالسمدة نسبة إلى سيد بن أبي وقاص
- وكان أولى أن يسمى « المرقالية » نسبة إلى فاتحها هاشم بن أبي وقاص المرقال وهو اس آحي سعد
- (٣) هما بهرز ومندي الخاليان .
- (٤) هي باب الشبح

بغداد في العصر الجلائري

وفي سنة ٧٤٤ هـ (١٣٣٩ م) أي في ورس العهد الجلائري أنجز الشيخ أحمد أبي حمد الله الفارسي المؤلف المعروف بـ «رقة غلوب» بوصف فيه قسماً من أبنية بغداد ومنها مدرسة مسجدة وذكر أن من أحسن المباني التي كانت فيها في أيامه ، وبصف هذا المؤلف بوجه خاص مشهد بغداد ومشهد مثل مشهد الكاظمين وهو أحمد بن حنبل وهو معروف الكرخي في جانب الغربي ، ومشهد عبدالعازر الكيلاني في الجانب الشرقي ، ولا تزال هذه الأبنية وماشاهد قائمة إلى يومنا في مواضعها لأصلها عدا هو أحمد بن حنبل فإنه لم يبق له أثر منذ القرن الحادي عشر للهجرة وكانت قبة الحسين و الرضا في لال فائمة في أيام حمد لله بعددده وقد اندثر بعده والظاهر أن سببها أعدم لانها كانت قد احترقت في أثناء احتلال هولاكو ببغداد .

ومن العهد الجلائري أثر على صورة المدينة بعد ذلك قد رسمها أحد الاساطين بفرس وهي في عصره قصان حدث في عهد سلطان أوس الجلائري أس النج حسن بك (٧٥٧ - ٦٧٦ هـ ١٣٥٦ - ١٣٧٤ م) . وهذه تعد أقدم صورة وصلت إلينا بمدينة بغداد في أواخر عهودها شاهد على الحضر على بحر دجلة والنهر طامح بكار بغير عمران المدينة على جاني النهر و يرفق على سطح الماء بدار عدن شح انوبه والأساطن تقف من بينهم ، وشاهد الأبنام بشق عاب لها وهي سمي لاشغال يعرف ، كما يشهد في جانب الشرقي من المدينة بعض الابراج على ساحل النهر و حميرة من الخومع واثناثر مع عدد من العباب من الطراز السلجوقي وهو الطراز المعروف عند العراقيين بامل والراجح أن إحدى هذه العباب تمثل قبة نزه الشيخ شهاب الدين عمر السهرودي الصوفي المعروف والصورة لأصيلة مرسومة بألوان ثالثة وهي الآن بحوزة المتحف البريدي تحت رقم (٥٦١٢٠٥١٢٠٥١٢) كان قد عثر عليها في شيراز بدريجان مع مخطوطة لمجموعة من الأشعار الفارسية يرجع تاريخها إلى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) أي زهاء مائة عام بعد حدث قصان ، وكان قد قضاها في سنة ١٨٤٧ م شخص إنكليزي يدعى توماس رود Thoma Rodg وقد دوت في أعلى الصورة أبيات شعر باللغة الفارسية وصف فيها صاحبها حالة قصان يعتقد أن بعضا للشاعر الفارسي عبيد الراكبي وهو من شعراء القرن الثامن الهجري المعروفين في الأدب الفارسي وله نصيده في رثاء بغداد والراكبي هذا منسوب إلى راکن قرية قرية من بلدة قزوین في ایران . أما الأبيات فهذا نصها :

دجلة را ایصال رخسار عجب متناسه بود
بای در زنجیر و کف بر لب مسکرد دیوانه بود
جرخ میزد آب و بر می کشت بر مسکرد حصاد
کوتیا ببغداد شمع و دجلة چون پروانه بود

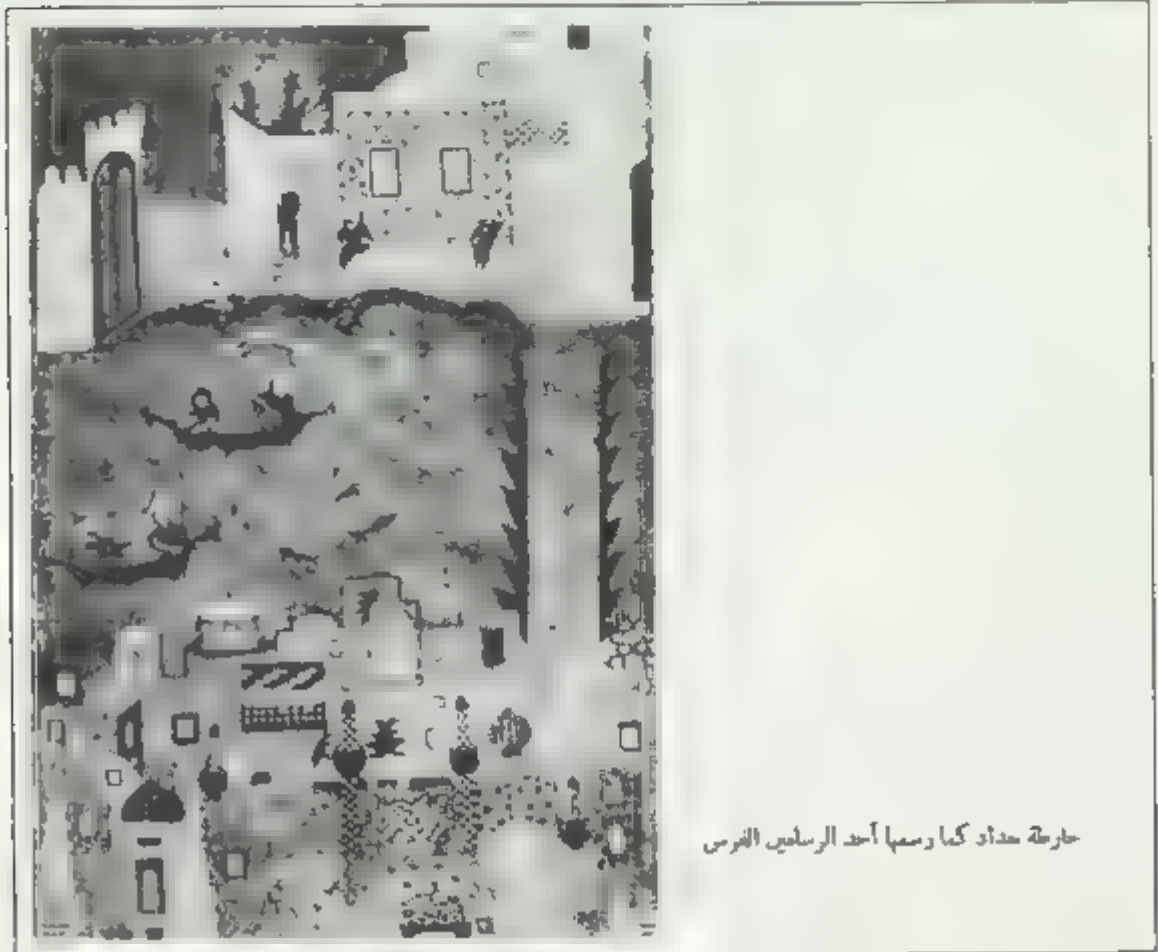
وقد تفصل الصديق الاستاد الفاضل جعفر الخليلي فترجم هذه الأبيات الى اللغة العربية بهذا هذا نصها

ما منى دجلة مثل هذا
جامع والحديد في قديمه
تلك حال تحكي المجاني في الدنيا
مثل دوامة يطوى بعداد
مكاني به فراشة أهبال
العام يوماً كمشية الكران
شمعاه بالعيظ مزدقان
فهل جن دجلة خيراتي ؟
ويشتد في حصار الماني
وبعداد شمعة البلدان

(أنظر خارطة بعداد كما رسمها أحد الرسامين الفرس وهي في عمرة الفصاح الذي حدث سنة ٧٥٧هـ)
والمعلوم أنه ورد ذكر قصصين خطرين حدثا في عهد السلطان أويس أولها وأخطرهما كان في سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦م)،
أي في السنة الأولى من حكم السلطان أويس ، والثاني في سنة ٧٧٥هـ أي من مائة حكمه سنة واحدة . والراجح أن
الفصاح المقصود في هذا الوصف هو الفصاح الأول بدلالة أن هناك أياً آخرى للشاعر الفارسي سلمان الساماني وهو
معاصر للرازي يصف بها بعداد سنة ٧٥٧هـ وقد أرح هذا الحادث بيتين من الشعر هذا نصهما :

يسال هفصند باتجاه وهفت خراب
دريغ روضة بعداد ان بهشت آباد
ياب شهر معظم حكه خاك سراب
كه كرده است خرابش مهلاخانه خراب

ومعناها أنه في سنة ٧٥٧هـ حرب اماء المدينة العظيمة أتم بحرب بحق الله ذلك المدة . هو أسعاه عليك يا بعداد
روضة البلاد التي هدمت سواؤك ما هدمت وحررت ما حررت . وبما ذكر عن هذا الفصاح أنه سب عرق أرسين ألقا
من سكان المدينة .



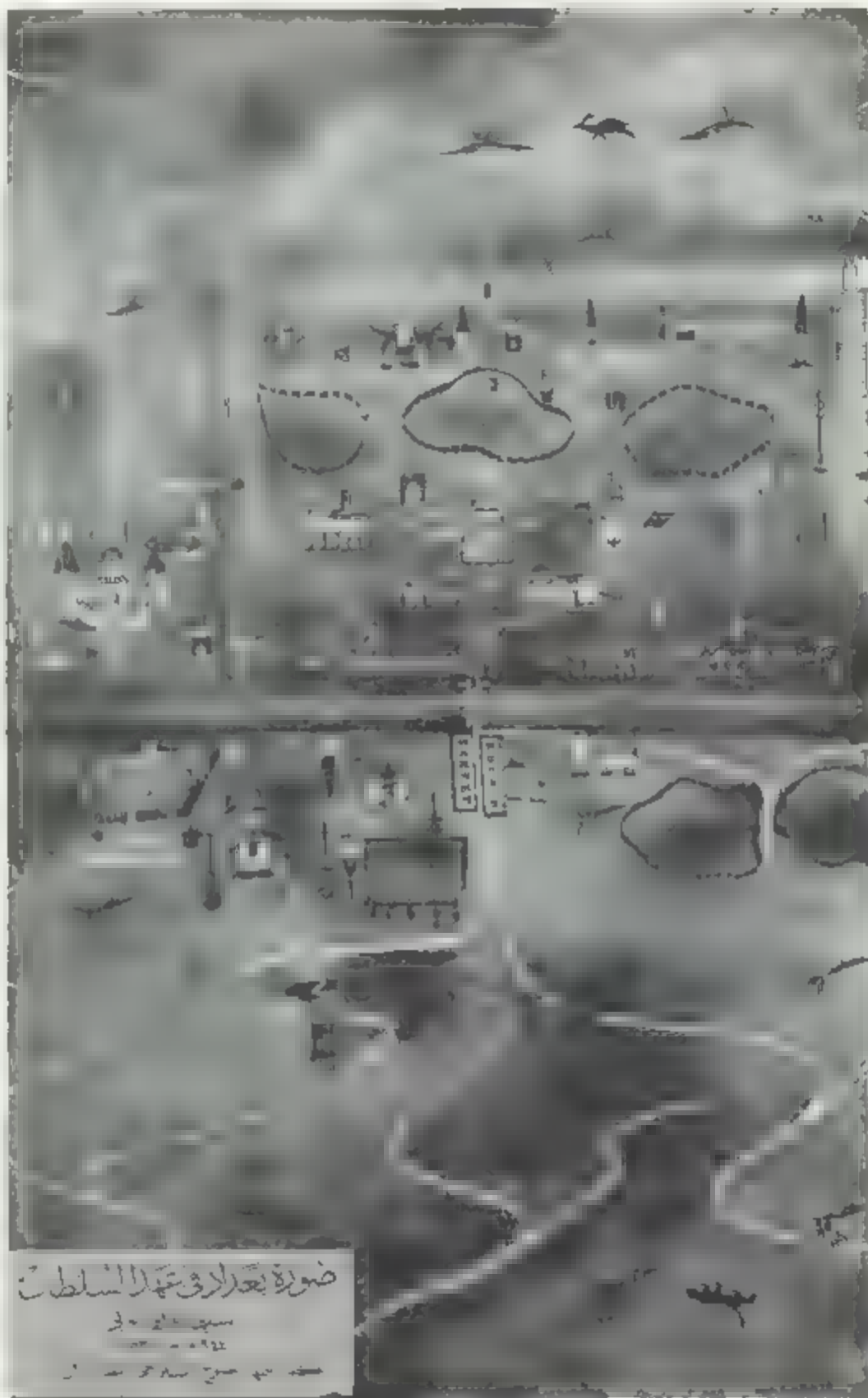
خارطة بعداد كما رسمها أحد الرسامين الفرس

بغداد في العهد العثماني

وبعد مرور مائة عام وضع بصوح اسلحى المطر في صدره بغداد في سنة ٩٤٤هـ (١٥٣٧م) ورسم فيها امواضع لمحله كالمقابر واشاهد ولأشبهه كنيسة كما كانت عليه من احتلال اسطان سنان العثماني الصديقي المندسة وانطراي هذا هو أحد الذين راووا بسنن سنان في حديثه عن بغداد فوصف حركة السلطان وعين مدبره وهو دهباً وإدناً وفيه صبر. ندوه لسان العرفقة ومرقدها من بغداد في ذلك الزمن (أنظر صورة بغداد في عهد اسطان سنان بدمي كما سماها بصوح اسلحى المطر في سنة ٩٤٤هـ ١٥٣٧م)

وحارطة الماظر في هذه حكم نصيح لعمري، مشابه لحارطة العهد الخلاوي التي عدهم وصفا من حيث طريقة التصوير وتختلف عن الأولى في كون الصورة الأولى بصره معطفاً صغيراً من حدي المندسة وهو المقصع الذي يمر منه الجسر سيما بعد على بصورة الكه الحيت نش في من اندسه بكماله مع السور الكبير الذي يدور حوله وأبوابه الح. ونلاحظ أن الصورة الأولى تظهر وكأن المصور واقف في الجانب الشرقي وراء سور الحامي يرى أمامه الأسنة من حامي المندية ومن صمها لهر. والآخر ربما يصور الصورة الثانية وكأن المصور واقف في الجانب الغربي أولاً فتدو أمامه المندة الشرفة ساسا وسورها وأبوابها وأمر حب ألح. ثم يعود وكأنه واقف في الجانب الشرقي فتصور الجانب الغربي وما يحتوي عليه من مشآت تبدو أمامه.

وانطراي هو أول من صور سور المندة الشرفة تصويراً واضحاً على حارطته التي تضم الكلام على رسم السور على أقرب ما يكون إلى وضعه في العهد العباسي الأخير، غير أن الأبواب التي صورها على السور ثلاثة، وهي سبب الشمالي (باب السلطان) والباب الجنوبي (باب كاوادا) وباب الوسطي (باب الصغرية) أما باب القلسم (باب الحية) فلم يصوره وهو الأمر الذي يدل على أنه كان معلماً في ذلك الوقت. ونلاحظ في الراوية العرسة التي تنقبي عدها السور مدخلة سور يحيط بهذه الراوية على شكل مع دائرة وتفصلها عن القسم الداخلي من المدينة، ذلك مما يدل على أن الراوية التي بنت فيها قلعه مما بعد كانت مسورة في زمن المطراي، والراجح أنها كانت قد انهدت قدعده لدفاع عن المدينة من جهة الشمال الغربي حيث نشده في وسط الزاوية بناء مرتفع على هيئة قبة يعتقد أنه جامع ويظهر أن حداثا راوية حاج السور جامع السلطان مدح الذي كان لا يزال قائماً على عهد المطراي. ومن المشآت التي تشاهد في الصورة في الجانب الغربي من المندة القبة المعروفة اليوم بقبة الزيت، وهي قبة زمره حتى روجة المصبي. بأمر الله المتوفى سنة ٥٩٩هـ ومسجد ومدرسة الشيخ معروف الكرخي المتوفى سنة ٢٠٠هـ، كما يشاهد في هذا الجانب من الخلاح (الحسن بن المصور) المنصوب المعروف (٢٤٤-٣١٠هـ ٨٥٨-٩٢٢م) وصرح بهول دانه، وقد ثبت هذان الموقفان على الخرائط التي وضعت فيما بعد عهد المطراي وفي الجانب الشرقي



تشاهد بالقرب من باب الطعريه (الباب الوسطاني) فيه الشيخ شهاب الدين عمر الصبروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ وهي من الطراد لسلجوقي على هامة فيه السند ومرد حانون (الست ريده) وتشاهد الطرق الرئيسة تمتد بين المشاهد وهي تتفرع من المراكز الرئيسة في المدينة .

وفي سنة ١٥٦٣م رآه سداد أحد بحار السفحة المدعو (فديريكو) (Caesar Fedrigo) كان قد قدم إليها عن طريق القلوجة ثم سافر منها إلى البصرة بطريق النهر . والظاهر أن هذا السائح شاهد آثار عرقوف في طريقه فسماها « برج بمرود » كما سمي بعداد « بابل » . ومن جملة ما وصفه في المدينة الجسر العائم عبر نهر دجلة . وقد وصف المدينة بعد أحد عشر عاماً (أي في سنة ١٥٧٤م) الطبيب الأناطلي روفوف وهو عالم من مدسة (أوغسورج) وذكر أن مدينة بعداد تقسم قسمين ، الجانب العربي وهو مكشوف ، والجانب الشرقي وهو عرص بالأسوار والأبراج . ثم ذكر أن أركة المدينة صيقة وأن أكثر بيوتها مهدمة وكثيراً من الخوامع قد استولى عليه الخراب . وقال إن الولي سكن في قصر يقع في القسم الشرقي من المدينة ولديه جيش قوي . ثم سأل بالبحث موضوع التجارة في المدينة فذكر أنه رأى ٢٥ سفينة محملة بالتوابل وسائر الصانع الثمينة مرسية في الميناء ثم وصلت سبورها من البصرة إلى بعداد . وقد استغرقت رحلتها هذه أربعين يوماً . وقل سقوط المدينة بيد الفرس (١٦١٦ - ١٦١٧م) رآها السائح لايبطلي (ديلاون) « Petro de la vale » . وكان هذا السائح أول من صحح خطأ السائد في ذلك الوقت ، أي سمي بعداد بابل .

وكان أول الرحالين الذين وصفوا بعداد في العصور الأخيرة وصفاً وافياً (حي بي نوريه) الجوهري الفارسي فقد مر بالعراق في سفره إلى الهند ورجوعه منها سنة ١٦٣٢م وسه ١٦٥٢م . وضح من ذلك أن نافرته شاهد بعداد في زيارته الأولى وهي تحت الحكم الفارسي الصفوي . في زيارته الثانية وهي تحت الحكم التركي العثماني وكان ذلك بعد فتح السلطان مراد الرابع لبلاد قليل ، وما ذكره أن طول المدينة بدع من ١٥٠٠ حصوة وعرضها ٧٠٠ أو ٨٠٠ خطوة . ولا يتعدى محيطها ثلاثة أميال ، ومعنى بذلك الجانب الشرقي أنواع داخل أسوار الكبر . ويقول نافرته في بعداد « خمسة جوامع أثان منها مبان برزاه بدعة ترسب فاب مكشوف بالفرد المدفون ذي الألوان المختلفة . وفيها أيضاً عشرة حمامات باؤها حقير ما حلا اثنين منها بابل فهما المسافرون فسقطاً من الراحة ، وحلاصة القول إن المدينة سادحة البناء لا جمال فيها . وبجارية المدينة رائحة ، ولكن ليس كما كانت عليه أيام فارس . ومد استيلاء السلطان مراد عليها لم يكن عدد نفوسها بأقل من خمسة عشر ألف نسمة . وهذا يدل على أن المدينة لم تكن مأهولة بما يناسب سعة رفعتها » . وقد وصف نافرته خارطة بقرية مدينة بعداد كما كانت عليه في أثناء زيارته لها وبين من يحيطها أن المدينة كانت أقرب ما تكون إلى وصفها في العهد الأخير الذي يعود إلى ما قبل الاحتلال العثماني في سنة ١٩١٧م . فكان الجانب الشرقي من المدينة محوطاً سور من الآخر بلع طوله نحو ثلاثة أميال وعنه أبراج على أبعاد مختلفة وحوله حديق عميق ، ويتفق وصفه للأبواب الأربعة والوصف الذي ذكره كل من المستوفي وابن حجر فيه ما عدا بعض خلاف في التسمية . ويلاحظ أن صورة نافرته هذه للمدينة قد اقتصر على السور وأبوابه فقط دون أن يدون أنه تفصل عما في داخل السور من أسمة ، فذكر « أن السور مني بالآخر ويفطع في بعض النقاط أبراجاً كبيرة كأنها من ذهب فوق جميعها دهاء ستين مدفعاً ، ولكن ليس بين هذه المدافع ما يحمل أكثر من خمس أو ست عمار . وتكشف السور حديق عريض ، عمقه نحو خمس أو ست فامات ، وللمدينة أربعة أبواب ، ثلاثة منها في جهة الشرق . وواحد مظل على النهر (سمي صوفايو أي باب الماء) ، ومنه يعبر النهر على جسر ذي ثلاثة وثلاثين قارباً ، بين القارب والآخر مسافة بلع عرص قارب واحد ، والقلعة في داخل المدينة بالقرب من الباب المسمى باب المعظم » . وتشاهد في خارطة نافرته سور بقلعة بكل وصوح وعليه أربعة أبراج كبيرة أحدها على النهر في الركن الشمالي من الراوية على حين أن هذه الأبراج لم تظهر على السور الذي رسمه المطراقي . ويلاحظ أن سور القلعة في خارطة نافرته رسم شكل مربع خلافاً لما ظهر عليه في شكل ربع دائرة على خارطة المطراقي (أنظر خارطة بعداد في القرن السابع عشر مأخوذة عن نافرته سنة ١٦٧٦م)



ومن كتواني وصف بغداد في القرن السابع عشر العالم المغربي الدكي حامي حنيفة . وهو مصطفى بن عبد الله المعروف باسم كاتب حلي المتوفى سنة (١٠٦٧هـ - ١٦٥٦م) . ومن كتبه التي تطرق فيها إلى «مع حفظ مدسة بغداد» «جوان بما» المصنوع في استنبول سنة ١١٤٥هـ (١٧٣٢م) ، و«فدلكة كاتب جني» المصنوع في استنبول أيضاً سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) . وقد ذكره في كتبه «جوان بما» أن محط مدسة بغداد سبع (١٢٤٠٠) أو (١٢٢٠٠) ذراع تحيط بها حائط عميقة ورهاء ١٦٣ برحاً

وفي أواخر القرن السابع عشر روى الرحالة الهولندي الدكتور أولفرت دابر الداق ووضع كتاباً صحيحاً عن أسس الصغرى فيه وصف لمدسة بغداد معبراً بحارطة كجده صوبها المدينة وأسوارها وأبراجها كما كانت عليه في زمن زيارته لها . وقد طبع كتابه هذا في امستردام سنة ١٦٨٠م . وقد ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية وطبع في نورنبرغ سنة ١٦٨١م . وهذه الصورة أحدث كما سطر إليها من وراء سور المدينة الشرقية . لذلك تجد أراج السور وأبوابه واضحة فيها كمن الموصوح . كما يشاهد فيها الحرس عبر بر دجلة وهو في نفس موقعه على الخارطات السابقة وكذلك الباب في نهاية الحرس وعليه برج صحن . وشاهد في هذه الصورة القبة في نفس مهب على حارطة نافرسه من حيث سورها وأبراجه مع انفراق أن صوره الجامع ومدرسه داخل القبة أكثر وضوحاً على حارطة الدكتور دابر . وشاهد الحب العربي من المدسة على هذه الحارطة بشكل مصر حيث سطر إليه من بعيد فيظهر فيه عدد من القباب والمناير برح أن مدسة مسجد الشيخ معروف وفاة الست ربيده وفيه الخلاح هي من يها . ولما نسب النصر أن العرب البحر وطه

الشكل من الطراز السلجوقي التي تشاهد على حرمقة العهد الجلائري لم يجد لها أثرًا في خارطة الدكتور دابر هذه (أظر خارطة بغداد كما رسمها السائح البولندي دابر).

ومن المؤلفات التي ظهرت في أوائل القرن الثامن عشر كتاب «كلش حلاء» بالتركية لمرتضى طلي راده المتوفى سنة ١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م وهو يبحث في تاريخ بغداد منذ تأسيسها حتى سنة ١١٣٠ هـ (١٧١٨ م) وقد ألغى ندية لطلب عمر باشا والي بغداد وقد طبع في الأستانة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ م).

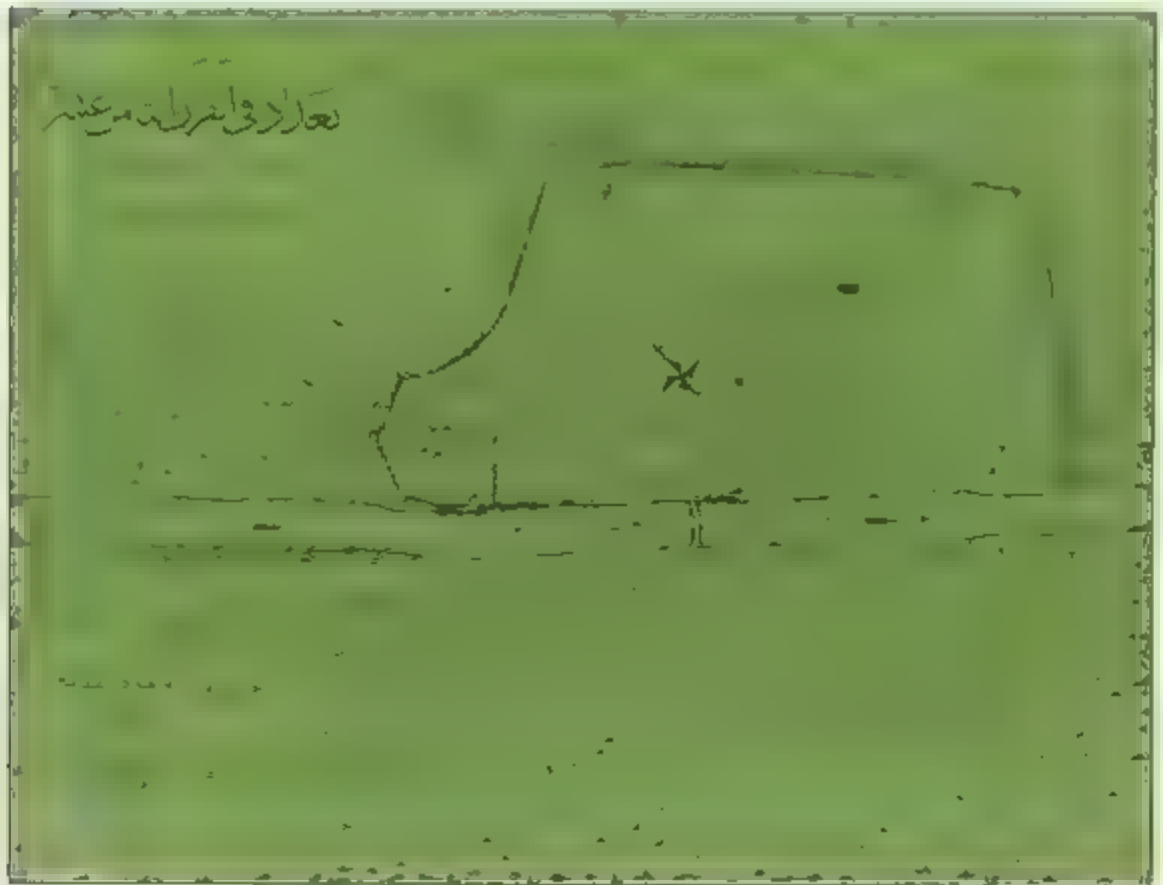
ومن الرحالة المسلمين الذين قدموا بغداد في أوائل القرن الثامن عشر أيضاً الشيخ معطى بن كمال الدين ابن محمد الصديقي الدمشقي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ (١٧٤٨ م) فإنه قدمها سنة ١١٣٩ هـ (١٨٢٦ م) ووصف مشاهداتها ومآجدها ومراراتها، منها مشهد الامام موسى الكاظم ومحمد الجواد، ومشهد الامام أبي حنيفة، ومشهد الشيخ

خارطة بغداد كما رسمها السائح البولندي دابر



عد القادر الجيلي (الكيلاني) ، وترنة الشيخ معروف الكرخي ، وترنة الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وقصر ريذة (ترنة رمرد خاتون) .

وأول خارطة لمدينة بغداد مبنية على مسح في وعلى مقياس معين على وفق الأصول المتبعة في وضع الخرائط الحديثة الخارطة التي وضعها الرحالة العالم الدانماركي كارستين نيور سنة ١٧٦٦م ، فقد ثبت بيور في خارطته هذه سور المدينة الشرقية وأبوابه الأربعة وحدود محلات حاشي المدينة العربي والشرقي ، فسمى باب كاواذا أو الباب الشرقي (باب قرولوق) ومعناه « باب الظلمات » . أما الأبواب الأخرى فقد سماها بأسمائها المعروفة بها وهي « باب المعظم » و« الباب الوسطاني » و« باب الظلم » . ويصل بيور إلى باب الظلم معلق بحائط فقد دخل منه مراد الرابع متصراً ولكي يبقى مقدساً ولا يصح أحد قدمه على عنه احتراماً له أعلق لهذا الباب ويدكر بيور أن عدد الجوامع ذات المنائر يبلغ عشرين ولكن في الوقت نفسه يوجد كثير من المساجد الصغيرة ، وقد كان في المدينة وصواحيبها حينئذ (٢٢) خاناً كما يوجد فيها كثير من الحمامات العامة . وفي المواضع التي ثبتها في خارطته في الجانب الشرقي مشهد الشيخ عبد القادر الكيلاني ومبارة سوق العزل والمتصرفة والقلعة في الرأونة الشمالية الغربية من السور وفي الجانب الغربي قبة التريذة وقصر يوشع وتكية الدراويش النكتشية وموقعها قرب محلة الجامع الحلة وصريح ببلول دانه ، ويلاحظ أنه أهمل تثبيت موقع مسجد المنطقة على خارطته . وذكر سور رأس الجسر الذي نشأ على خارطته مشيد فوق ٢٤ عوامة يرداد عددها في أثناء الفصل . وقد رعت تلك العوامات بالأسل ، إن هذه العوامات لم تكن مبروطة بالمراسي لذلك كانت تنقطع سلاسلها في العواصف والعصابت . وقد ثبت باب الجسر عماء « صوفي » ، أي باب الماء ، وهي نفس التسمية الواردة على خارطة باغرييه (أطر خارطة بغداد في القرن الثامن عشر عن بيور سنة ١٧٦٦م)



ورار بغداد بعد سور سمونيل ايفرر (eur Samuel Evers) في سنة ١٧٧٩م قضى بن مدينة بغداد « ليست
 نابل العتيقة كما من جماعة من الباحثين ، إن « بل قائمة في موضع على العرات ، قرب الخلة ، ولا تزال شاحنة الآثار
 والأطلال . . . وبغداد قائمة على دجلة مسافة خمسين ميلاً من الخلة بقرية وهي واسعة كثيرة السكان » . ويقدر ايفرر
 هذا سكان بغداد ثلاثمائة ألف سنة وكانوا قبل تمشي الطاعون على ما يظن أكثر مما هم عليه أساك أربع مرات . وهذا
 ولا شك مبالغ فيه ولم يؤيده السباح الآخرون . وبما ذكره ايفرر أن المدينة « حصنة سور عريض سابق من الأجر مع
 الطين وموثق بأبراج كبيرة تشبه ثكن العرسان ومحيط به كله حديق عميق . وشكل المدينة مربع غير تام والسور متهدم
 بعضه في عدة مواضع . والقلعة القائمة على الجهة الشمالية من المدينة مؤلفة من سائر وبروج عليها عدة مدافع طويلة
 جداً كل مدفع من على برج وهي مبنية على شيء آخر بمرش كقراض العسل ، وتغوب قنابل في حالة دويقة . وهي
 بهذه الخن السكة لا يمكن أن يرمى ولو مرة واحدة إلا تتفرد قطعاً . وسكان المدافع عدد من الأبراج الصغيرة
 ومراحل لرماس السدق ، ويحيط بأقله كلها حديق عمقه خمس وعشرون قدماً ويمكن ملؤه في كل وقت من ماء
 دجلة . والقلعة متصلة بدور بغداد ولذلك يكون من السهل الاستلاء عليها ، إذا استولى على المدينة . لقد رأينا عدة
 مدافع هاوبت كل بأدرشاه قد يركب عند تكوئه عن بغداد ، وفي زاوية من القلعة مضطربة بمدفع صغير يستعمل للنجاة
 العسكرية » . ويقول بوشان (Abbe Joseph de Beauchamp) الذي سكن بضع سنوات في بغداد كانت أحرارها
 سنة ١٧٨٢م إن المرء يقطع القسم الشرقي من المدينة معقاً لحدائق الخراجية من الباب الأول إلى الباب الأخير هدأ
 على الخيل في ساعة واحدة . وكثيراً ما يصادف أماكن من مدينة داخل المدينة . ويحس سكان المدينة بمائة ألف سنة
 تقريباً . وأغلب الظن أن الطاعون الذي أصاب المدينة في سنة ١٧٧٣م قضى على ٥٠ إلى ٦٠ ألف من سكان المدينة
 ولم يسجل عدد الأموات في ذلك الوقت لذلك فالتخمين الذي أحرى يستند إلى أدلة الخاتم التي ناعها تحار الأمشة
 لتستعمل أكفأاً للموتى . وقد أسس بوشان هذا مرصداً للنجوم في بغداد سنة ١٧٨٤م وكان ذلك مدعاة لافتخاره
 باعتباره أول من أسس مثل هذا المرصد بعد مرور ٢٥٠٠ سنة على الكلدانيين الذين قاموا بتأسيس مرصد في تدقيقاتهم
 الفلكية وبعد ألف سنة على دور الخفاء . وقد أسس هذا المرصد على بقعة (لويس السادس عشر) لكنه تهدم نتيجة
 أهماله بعد إعلان الثورة الفرنسية .

وفي أوائل القرن التاسع عشر بدأ العود العربي يتعلم في الدولة العثمانية فأوجدت حكومة الجمهورية بعثة إلى
 الامبراطورية العثمانية ومصر وإيران لدراسة حركاتها وأحوالها الاجتماعية والتجارية والزراعة والسياسة ، وكانت
 هذه البعثة مؤلفة من عالمين نوبي أحدهما في المرحلة الأولى من الرحلة الأمر الذي اضطر الثاني المدعو اوليفيه
 (G A Olivier) وهو طبيب وعالم في العلوم الطبيعية أن يواصل الرحلة بمفرده . وقد استغرقت سفرته عاماً أربع
 سنوات وطعت نتيجتها دراسات في سنة ١٨٠٠ و ١٨٠٧م ثلاثة مجلدات معروفة مجموعة من الخرائط في مجلد مستقل .
 وفي المجلد الثاني من الكتاب وصف الجغرافية العراق وتاريخه وورائته ، ومن ضمن ذلك وصف لمدينة بغداد
 التي أقام فيها مدة طويلة . ومن الباحثين العربيين الذين زاروا بغداد أيضاً جوبر (aubert) في سنة ١٨٠٦م
 وديري (Dupre) وروسو (Rousseau) سنة ١٨٠٨م ويمثل هؤلاء الاتجاهات الغربية . ثم أعقب ذلك اهتمام
 البريطانيين بالدولة العثمانية فأنجح سياحهم إلى هذه الديار ، ومن تناول وصف بغداد كبير (Kinne) في سنة
 ١٨١٣-١٨١٤م وبكنكهام (Buckingham) في سنة ١٨١٦م والرسام الشهير كر بوتر (Ker Porter) سنة ١٨١٨م
 وهود (Heude) سنة ١٨١٧م .

وفي سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢٢م دون السيد محمد ابن عبد أحمد الحسيني المعروف بالمشي البغدادي أحوال رحلته
 في العراق كتبها باللغة الفارسية تناول فيها ذكر بغداد ومساجدها ومشاهدها وقبورها وأسوارها وحماماتها ومواقعها
 التاريخية ، بوصف أسوار المدينة في الحدين العربي والشرقي كما كانت عليه في زمانه فوصف لنا سور الحجاب العربي

الجديد وأبوابه . وهو السور الذي أشاءه الوالي سليمان باشا الكبير في زمن ولايته بين سنة ١٧٧٩ و ١٨٠٢م وفي المدة بين سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٧م قامت بعثة جسي البريطانية المشهورة برئاسة معصية لهرري الغراب ودجلة وقد نشرت هذه الدراسة في كتاب قيم طبع في لندن سنة ١٨٥٠م جرتين ومنه مجموع من الخرائط في أطلس مستقل مؤلفة من ١٤ خارطة . وفي هذا الكتاب بعض المعلومات عن بحرى دجلة في المسافة التي يحتوى فيها مدينة بغداد وعن وضع المرات في جوار المدينة

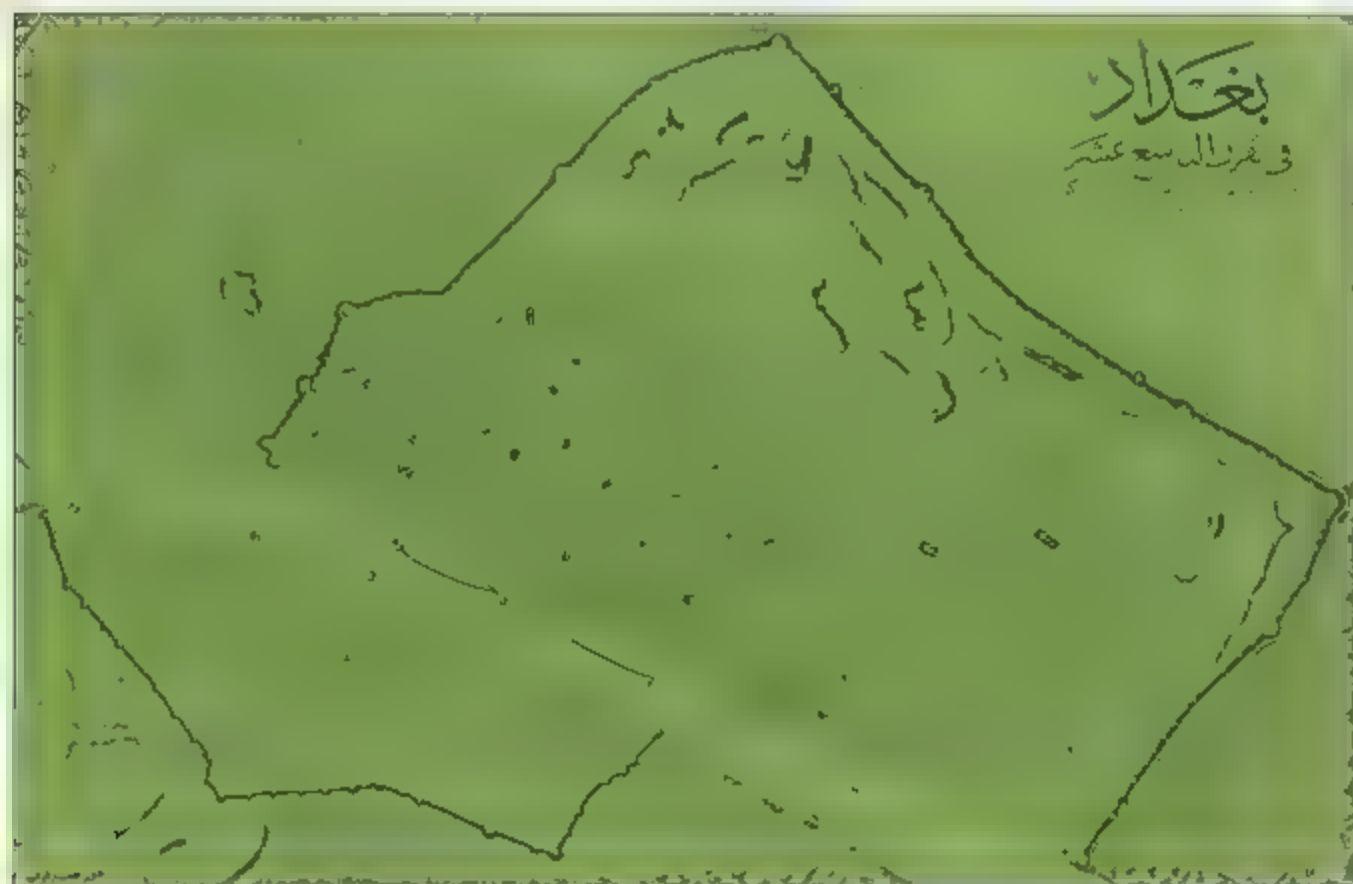
وفي منتصف القرن التاسع عشر وضع فيليكس جوس وكوليكود خارطة على أساس مسح خاص قام به للمدينة . وبعد هذه الخارطة أوصح خارطة دفعه لمدينة بغداد في ذلك الوقت ، فقد شملت جميع محلات بغداد وشوارعها وأسوارها بحسب الشرق والغربي وقد جاء ما دونه جوس وكوليكود في خارطتهما عن السور الشرقي للمدينة وأبوابه مطابقاً لما رسمه بيور فله نحو من مائة عام ، ويشاهد في خارطة جوس وكوليكود سور الحجاب العربي من المدينة الذي يضم محلات الحجاب العربي ، ولهذا السور أربعة أبواب ، وهي باب الكريعات في الجنوب وباب الحلة وباب الشيخ معروف في الشرق وباب الكاظمة في الشمال . وهذا هو نفس السور الذي وضعه المشيخ العدادي سنة ١٨٢٢م . ومشيخ هذا السور هو سليمان باشا الكبير والى بغداد . وقد أشرنا الى ذلك فيما تقدم

ونشاهد على هذه الخارطة في الحجاب العربي قبر الحسين بن منصور الخلاج وقبر الشيخ معروف وقبر سمي باسم « قبر الشيخ داود » وهو داود أنطاني الراهد وهذه كلها خارج السور كما يشاهد في الحجاب الشرقي من المدينة مشهد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وحامع الشيخ عبد القادر والقلمة وأراجيا ومدافعا ، وقد سميت المدرسة المتصرفة بالكمرك حيث اتحدت مركزاً لدائرة الكمرك في آخر العهد العثماني وقد ثبت في هذه الخارطة مواقع الجوامع المهمة في جاني المدينة كما ثبت موقع الجسر عبر النهر وهو نفس موقع جسر المأمون الحالي . وبلاحظ أن جوس وكوليكود أهملوا مثل بيور تثبيت موضعي الشيخ حيد ومسجد المنطقة

وقد وصف فيليكس جوس وكوليكود بغداد الشرقية بقولها « إنها محوطة سور ضخام أمامه من الخارج حديق عميق تحيط به من جهة الصحراء سداد قوية وإن السور الداخلي كان يحمي المدينة من خطر العرق بمياه نهر دجلة الحارية الى الخندق » . وقد قدر طول سور المدينة الشرقية ر (١٠٦٠٠) بردة أي (٩٦٨٨) متراً وفي ضمن ذلك المسببات التي على ساحل النهر . أما سور المدينة العربية فقد قدر طولها ر (٥٨٠٠) بردة أي (٥٣٠٠) متر . وكان باب الطلسم (باب الحلة) أحد الأبواب الأربعة لسور المدينة الشرقية معلقاً وقد أغلق منذ دخول السلطان مراد الرابع بغداد منه كما قدما الإشارة اليه . وهدرت مساحة المدينة الشرقية التي داخل السور ر (٥٩١) ايكر (٩٥٧) مثارة) والمدينة العربية التي داخل السور العربي ر (١٤١) ايكر (٢٢٨) مثارة) . (أنظر خارطة بغداد لفيليكس جوس وكوليكود سنة ١٨٥٣ - ١٨٥٤م)

وفي أوائل القرن الحالي وضع سار وهرزلد خارطة لبغداد وصوابعها عينا عليها موضع مدينة المنصور المدورة ورسمها في الموضع الذي أوصلها اليه تحقيقهما ، وهو أقرب الى الصحة من تعيين من سبقهما من المؤلفين والسائحين ، ويشاهد في خارطتهما سور بغداد الشرقية وأبوابه الأربعة الرئيسة وقد سميت بأسمائها التي صارت تعرف بها في العهد الأخير وهي باب المعظم والباب الوسطاني وباب الطلسم والباب الشرقي . ويشاهد فيها أيضاً سور الحجاب العربي وثلاثة من أبوابه الأربعة وهي باب الكريعات وباب الحلة وباب الشيخ معروف . وهذه الخارطة أوسع الخرائط التي سقتها حيث رسمت على مقياس أصغر بحيث شملت كل منطقة بغداد وصوابعها ومن ضمنها الكاظمة شمالاً والكرادة والدورة جنوباً . ويشاهد في هذه الخارطة سور جديد يمتد الى الشمال من الراوية العربية للسور الشرقي الكبير فيحيط المنطقة التي تقع فيها اليوم نايبة مديرية الري العامة وأبيه كليه الهندسة والآلية التي تصروف بالكرتية . ولا شك أن هذا السور أمني لحماية هذه المنطقة من خطر الفرق .

ومن المواقع التي نشت على هذه الخارطة في الجانب العربي من المدينة مرقد الشيخ معروف وقبر الحسين بن منصور الخلاج ومرقد الشيخ جد والتي يوشع ويهلول دانه وحامع قمرية . اما المواضع التي نشت في الجانب الشرقي فمشهد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ومارة سوق القرل وجامع مرجان وحان الأرطمة والمستصرية وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني والقلعة وقد سميت قلعة الطوجي . ومن المواضع المهمة المعروفة التي ظهرت على هذه الخارطة والتي



رالت معالمها في الوقت الحاضر مجرى المسعودي القديم والسداد التي أنشأها الاثراك في الجانب العربي من بغداد لحماية من خطر المصالح . ويستطع القول ان خارطة سار وهررطد هذه جاءت مصورة للوضع القائم في آخر العهد العثماني (أطر خارطة سار وهررطد لمدينة بغداد في أوائل القرن العشرين) .

وقد وضع السيد رشيد الخوجة خارطة لبغداد في سنة ١٩٠٨م عندما كان رئيساً رككاً في الجيش العثماني وجاءت مطابقة لما دونه سار وهررطد في خارطتهما وما دونه فليكس حوس وكوليكوود في خارطتهما من قبل . وهذه هي إحدى حرائط بغداد في العهد العثماني الأخير وهي تمثل وضع بغداد قبل الاحتلال البريطاني وقد ظهر فيها مجرى المسعودي الذي نته سار وهررطد على خارطتهما . ويلاحظ في هذه الخارطة أن قسماً من سور الجانب العربي لمدينة بغداد قد رالت معالمه في ذلك الوقت . وبالنظر لما طرأ على مدينة بغداد من تبدل كبير بعد الاحتلال البريطاني تعد هذه الخارطة من الوثائق المهمة في تاريخ خطط مدينة بغداد (أطر خارطة بغداد كما مسحها ورسمها رشيد الخوجة عام ١٩٠٨ للميلاد) . وفي هذا التاريخ بالذات وضع المستشرق الفرنسي ماسبيون خارطة للقسم الشمالي من الجانب العربي للمدينة نشت فيها المواقع التاريخية والتلول الأثرية في هذا القسم ، منها موضع الكاظمين وبرة معروف الكرخي وقبة

بغداد

کند و صیغه ساز و مقرریلا
فی وشر بقدر لعشرین

مقیاس

در



التريدة (مرد حنون) وقبر جيد والتكية الكناشبة. وتتحصر أهمية هذه الخارطة في أنها تظهر لنا بعض المواقع الأثرية والأشهر القديمة التي زالت معالمها في الوقت الحاضر لانتشار العمران في المنطقة، وبشاهد في هذه الخارطة سور الجانب العربي للمدينة وعلى ثلاثة أبواب دون اسم أحدها وهو باب الخلة يسما بجند السور على شكل متقطع دون أي ذكر للأبواب الأخرى (أنظر خارطة بغداد العربية من مسح المشرق الفرنسي ماسبيون سنة ١٩٠٨م).

وأخيراً وضع المرحوم السعانة محمد أمين ركي بك الذي كان يشغل منصب عقيد ركن (بكاشي) في الجيش العثماني خارطة لبغداد بمقياس ١:١٠٠,٠٠٠ طبع في المطبعة العسكرية سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وهي مقتبسة من خارطة رشيد بك الخوجة وخارطة أخرى لبغداد طبعها الألمان سنة ١٩١٧م وقد أدخل تصحيحات وإضافات عليها. ومن أهم الإضافات التي نلاحظها في هذه الخارطة الشارع الجديد الذي فتح في آخر العهد العثماني في الجانب الشرقي من المدينة (شارع الرشيد الحالي) ومحطة سكة الحديد الألمانية في الجانب العربي من المدينة وقد سميت «بغداد استانبولي» مع خط السكة المؤدي إلى سامراء وقد أشر عليه «بغداد سامراء شمدفري سامراء» ١٢٠ كيلومترًا. ومن المواقع الجديدة التي ظهرت على هذه الخارطة صرح «دا النون المصري» وموقعه جنوب شرقي مرفد الشيع جيد (أنظر خارطة بغداد لمحمد أمين زكي بك سنة ١٩١٩).



فصل

فرماندهی عالی و جنگی - وزیر امور - محم - طبر

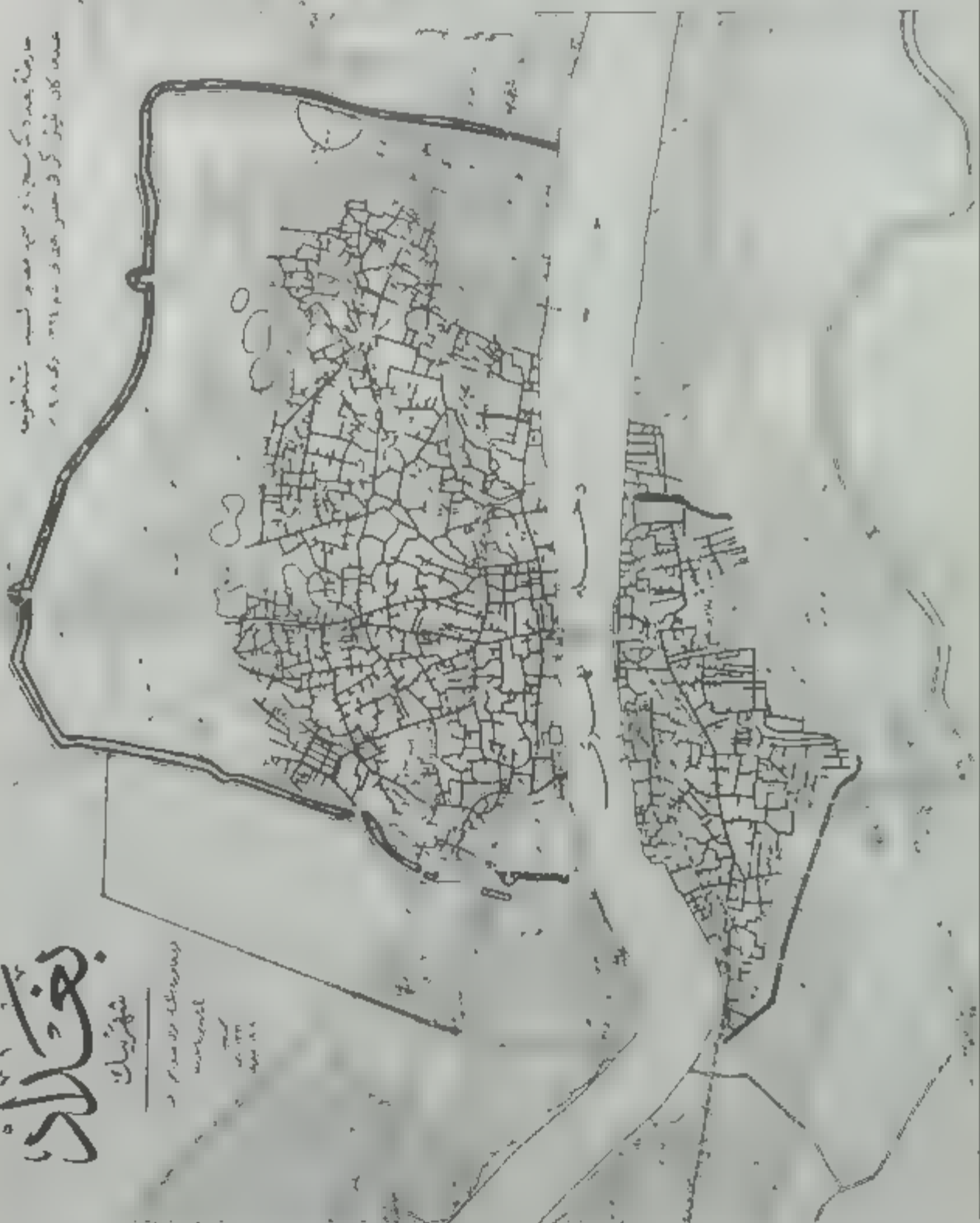
10/10/10

1

1970-1971

[illegible]

مجلس شورای اسلامی
کتابخانه



بغداد شهرک

بغداد شهرک
 در حدود ۱۰۰ کیلومتر مربع
 در حدود ۱۰۰ کیلومتر مربع
 در حدود ۱۰۰ کیلومتر مربع



سازمان اطلاعات و امنیت کشور
 ۱۳۴۹

سكان بغداد اجيالهم واخوانهم وآديانهم ومذاهبهم

كانت بغداد ولا زال كذلك موطناً لعدداً لا يحصى من العرابة القديمة ولطائف الأمم الحديثة ولمن يسمون من لأجبال الهند والخليج وسورية والحبش والأكدي واشعافه أهل العربي والأحبار ساسه الأخرى المعروفه بالسط عموماً كالآراميين والهند والحبش الكاشي والحبش الكندي والحبش الكردي والحبش لثي الذي من فروعهم كمن والحبش وسائر وأهل الرعي والحبش لأرضي والحبش الهندي وأهل الأفعالي من الذين سكنوا العراق قديماً وليس سكنوه حديثاً منهم من سكن في بغداد في زمن الفدح منهم من سكنها في الزمن الحديث ولا يزالون يسكنونها ولما فتح العرب العراق وجدوا فيه كثر من الأمم الساسه المقدم ذكرها وقد احتفظوا بصواعب العرب الذين طفقوا في دواقر قس صريح في الاسلامي والآراء في الفدح بعد في بعضهم جال من البلاد حسب راس أهل الخيرة من أسمه قال له بعض عرب استشهد وعظ سعد بن أبي السامه بعد غزاه في الاجلاء بالعرب النازحين الى العراق قبل الفتح.

ولما أسس النبوة مدينة كانت العرب التي حولها قد سكبت لعرب وسط والعرب من بلاد الأخرى التي سكنت في العراق أسلاً أو سبطاً وكان جيش الفاسي مؤلفاً من العرب والعرب والسط والزلز والربع والبر ، وقد كان بغداد من غير العرب الآراميين الذين من بقية السطويون أهل اسمايات والحصارات والتجارات والبيع والكائن والطب والزرع وكان العرب قد استمدوهم واستعمرهم فبدأوا يحدوا عند العرب حريتهم الدسنة وحريتهم جنبه أي القومه وقد برح الى بغداد بعد إنشاء مدينة المصور بالعرب منها كثير من سكان المدائن عربهم وفرسهم وبنوهم وسكان الكوفة وسكان البصرة لهذه أسبب اجتماعه وحصانة وسياسة ، وبهذه أجيال بغداد فاصبحت كالعديد المؤتلفه العبرات في بونقة واحدة ، وذلك بالاندماج والرواج ، إلا أن أكثر العرب ولا سيما طوائفهم السنية بعد كالبساسين والعلويين والأمويين والأنصار كانوا قديماً يتطعمون الرواج في الأمم الأخرى ولكنهم كانوا لا يروجون سائهم من تلك الأمم على عاداتهم القديمة في حفظ أنسابهم من طريق الأمومة.

أما الدسات التي بقيت في العراق مثلت بغداد ما عدا الاسلام الذي هو دين البواد الأعظم من السكان هي اليهودية والصراية والبروع (من سبطيه ويعقوبية وملكانة وكاثوليكه) والصائفة الخرنامة (١) ، وأما المذاهب

(١) نسبة الى دير الخرايين على غير القياس.

الاسلامية فهي المذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنلي والمذهب المالكي ، وقد شاع المذهب المالكي على عهد المصور ثم تصاد في أيام الرشيد لأحد المذاهب الحنفي وإساده فضاء القضاة الى القاضي أبي يوسف ، الأنصاري ، ثم بهن المذهب المالكي ، ولم يظهر المذهب الحنلي في أواسط القرن الثالث للهجرة ، مرع كثير من الناس بالعراق الى اعتقاده ، فأصبحت المذاهب الأخرى بعدد وأكثرت مدر العرق وقراء ، ولذلك استطاع مقاومة السلطة العباسية حاشاً من الدهر ، وقد ترجح الخلفاء العباسيون بين الحنلية والشافعية في أواخر عصورهم حتى مالوا الى الشافعية مد أواخر القرن الخامس للهجرة ونما على ذلك الى سقوط القرن السابع وكان من طسعة السك الاجتماعية آيات أن يتجهم أهل كرم مذهب في علة أو خلاف معينة معلومة ، فمحنة الرضاة ومحنة الحنلية وما يجاورهما من محلات المتأبين ودار القرو والحسنة وباب الضرر وأكثرت المأموية وباب الأرح وباب الحلة والريان كان ساكوها من الحسنة ، ومحنة الطفرية وعراق أبي شحيم وعراق بقاصي وما حو من مقبرة باب أبرر كانوا من الشافعية ومحنة الامام أبي حنيفة ومحنة الحنصين ومحنة نهر العلابين كان أهلها من الحنلية ، ومقابر قرش ومحنة الكرخ الواسعة كان سكانها من الشيعة لمامة الحنيفة ، ولم يكن للمالكية محلة معلومة لقتلهم وتشتمهم ، وكان أكثر اليهود في محلة الرملة أولاً بأحد العربي ثم انتقلوا الى المحللين في سوق التلثاء وحرقة ابن حردة في شرقي بغداد ، وكان أكثر النصارى من الساطرة بدار بروم في شمالي شرقي بغداد ، ودار دينار سوق التلثاء حيث أُنشئت لهم بيعة دار دينار مد العصور القديمة ، وكان فوق دار بروم دار للأرض من الدار حاش بهم المهدي بن أبي حمزة المصور ويعرف بدار « سمالو » وفي المحلات بعدد كات مشتركة بين المذاهب ولا سيما المحلات التي يختصها سور حريم دار الخلافة ، كالجوهريين والصائفة والقرية الشرقية والخامسة

أما عدد سكان بغداد في أيام تأسيس مدسة المصور المروعة بمدسة السلام فقد كان متوسطاً ثم توافد الناس اليها من المدن والقرى وسع العمران بسنة طرسة لكثرتهم وندبه على خلاف الأمان وتوالي بمصور ومهدا بالمع للملحون فلم يكن سكان بغداد على عهد هارون الرشيد يحسون بأكثر من نصف مليون نسمة ، وإن الإحصاء الذي ذكره بعض المؤرخين في مالهة بعدد الجماعات العداة وما يستعمل من الصابون لا يستند الى تقواعد العنصره ، فإن المؤرخ سمي أن يصدر في الحمن عن غفيرة راضية ، فعدد اليوم مع مدتها غير القليلة وما حو من لأصنة واسباع عمارت ووسعه فعبها وكثرة طبقات دواها وقصوها ومساكنها الأخرى لم تتجاوز مليوناً وثلاثة أرباع مليون من السمات وقد بلغت بغداد أوج عمارتها وباعها وكثرة سكانها على عهد المصور بانه بين أواخر القرن الثالث والرابع الأول من بقرن الرابع للهجرة ولم تتجاوز في حمت ثلاثة أرباع مليون نسمة ، وأما ما ذكره المؤرخون من كثرة القتل في دجة استلاء هولاءكو على بغداد سنة ٦٥٦ هـ فهو لا يخرج عن حدود المبالغه في أشرب اليها ، إلا أنها لا تسي أن يذكر أن الناس الذين كانوا بعدد مد كثرة عددهم كثرة عمر طبعه بـ لجوء أهل الدار وندى الدار أحفلوا أئمم لجوش المعولية من طريق حراس (لواء ريدلي) اليها وخوهم أهل بقية مدعي من مدس حلة وقراء أمام الجيش الثاني الذي أطلق على بتداد من الجهة الغربية .

واستمر سكان بغداد بين العلة والكثرة والتناقص والوقار على حب لأحوال واحداث من العراق والحرق والحروب والكروب والفتنة والذوثة والاضطراب والأمن والارهاب كدثر حد العامة الكبرى ، إلا أن بعدا أثرب عنها ومكاداة المصائب والكوارث والأفراح ، فحلاف احكام والخففة والباطل حتى ليعجب المؤرخ كيف قاومت مدارت تلك المعايمة وم بعض عيبها الحوادث صعبه والأحداث يسيرة ولم يجعل أثر أ بعد عن وعلم مد ذكره ابن عدا الحق العدادي في الكلام على مد من كدنه « مراد الإصلاح » من مقله أهل بعدد بسوق حش هولاءكو كانت كيرة وصغيرة معاً لأنه شـ مد مع أن أنه لم يـ من سكان الأصليين إلا أجد واجهه قصد الأشراف وقد كر المؤرخون أن بعد داهرت بعد هذه الحاجة الكبرى وكثرة عمرتها ودارد سكانها في

ولاية صاحب الديوان علاء الدين عطاء ملك الجويني ، ولقد قيل إنها أصبحت أحسن مما كانت على عهد الخليفة المستعصم بالله والظاهر أن حلوا الكثير من مكاتب الناس على المهاجرة الباصلة عن الازدهار معه منه من أقوى الأسباب في الانتقال الى المدينة المزدهرة .

وبعد بعداد على حال من الاستقرار تارة وأخرى من الاضطراب على حسب سياسة الحكام المتواليين ثم جاءت الدولة الجلائرية بعد الدولة الايلخانية ، وكانت دولة معدلة الأحكام والحكام . فلا يعقل ان نشأ مثل المدرسة الرحابة ذات لأوقاف الكثيرة ودار الشفاء والكثير وتم النجار المعروف اليوم بدار الاورمة ودار الآثار العربية ، في عهد ظلم وانغصام على شرط استياء حكم السلطان أحمد بن أويس آخر سلاطينهم فقد كان عهد ظلم واضطراب وقتل واستقصاء أموال ، ولذلك فسح في المجال لحكم أشد منه قوة هو حكم بيمور الأعرج المعروف بتمهركل فقد ذكر أكثر المؤرخين ولعنهم نائماً ، أنه قتل من أهل بغداد مقتله عظيمة ودمر وحرب مرتين ، ولا ريب أن المقتلة كانت فصحة إلا أنهم لم تكن على ما وصفوا ، لكنها وقعت عالياً على الجيود المحاربين والأحزاب المقاومين ، كما يحدث في كل عصر ومصر من العصور المصيبة والأمصار القديمة . وتلا هذا الحكم القصير حكم التركمان القراقوبيه وقد وصفه ابن عمري ردي بأنه كان حكم إفساد وإحراق وطمع واضطراب ، ولا بعد أن يكون فيه شيء من ذلك كما يعلم من تاريخ العياش امنتج بن عبد الله العدادي ، إلا أن النجاشي عليهم كان مذهباً أكثر منه إسمائياً ، وتلاههم في الحكم التركمان الأقويوسية وكانوا يحافظونهم في المذهب والمثرب ومع هذا فلم يكن سكان بغداد بأكثر في عهدهم منهم في عهد من سبقهم من التركمان ثم جاء إلى بغداد مستولياً الشاه اسماعيل الصفوي ، وأبد المذهب الامامي بغداد ، فبعث هذا المذهب وكثر المعتدون له واسفل كثير من العرس إلى بغداد وصارت ممرأ ومتحرراً لهم ، وضعف المذهب الحلي لاسي كان هو المذهب المظفر في العراق ، ولم يسلم بغداد في احتلال الشاه عباس من قتل ونقص في السكان ، ثم تولى حكم الصفويين وحل محله حكم الأتراك العثمانيين على يد السلطان سليمان في نصف الأول من القرن العاشر للهجرة وجاء معه جماعة من الأكرم . ولم يسلم بغداد أيضاً من اعتل الذي أصاب الخيود العرس والسكان العرس ومن والاهم ، واستعمل المذهب الحلي مذهب دولتك الأتراك على جميع المذاهب خصوصاً المذهب الحلي فقد ضد سطرته في عهد الأتراك العثمانيين هؤلاء . وفي صيفاً بديلاً حتى هذه الأيام . ونقوى المذهب الامامي مرة ثانية باحتلال الشاه عباس الكبير لبغداد في الثلث الأول من القرن الحادي عشر للهجرة ، وجرى في احتلاله أيضاً قتل وحرب لم يفاومه من خالف مذهبه الامامي ، ثم جاء حكم الأتراك العثمانيين الثاني باحتلال السلطان مراد الرابع لها ، هجرى في هذه المرة بعداد من القتل المظلم والاستئصال ما لم يجر على عهد من عهود الملوك المتأخرين ، فقتل عشرات ألوف من الجيود العرس ومن على مذهبهم من الأحزاب المقاومة ، وقل سكان بغداد وظلت بغداد بين نقص وزيادة في السكان حتى أنهم لم يتجاوز عددهم سبعين ألفاً في أوائل القرن التاسع عشر ، ثم هضمت الى ما يقارب ثلاثين ألف سمة بعد انتشار الطاعون والعرق اندس حدثا في ولاية داود باشا (سنة ١٢٤٧ هـ - ١٨٣١ م) وفي أيام مدحت باشا أجري أول تسجيل لعروس بغداد مبيداً لتطبيق قانون التجديد الاجاري فدللت نتائج هذا التعداد على أن مجموع عروس الذكور من سكان بغداد من في ذلك سكان الأعظمية والكاطمية بلغ ٦٥٦٨٣ سمة منهم ٢٤١١ من الأجانب أما سكان بغداد بعد الاحتلال البريطاني للمدينة فأول إحصاء رسمي لعديدهم أجري سنة ١٩٤٧ م حيث بلغت ٥١٥٤٥٩ سمة ، ثم أجري إحصاء ثانية سنة ١٩٥٧ فإزدادت عددهم الى ٧٨٤٧٦٣ سمة ونقصه إحصاء أجري سنة ١٩٦٥ بلغت عددهم فيه ١٦٢٦٦٣٠ سمة

بغداد اليوم

نحت فيما تقدم في تطور مدنة بغداد في مختلف أدوارها التاريخية وحتتم حتما هذا بذكر مدنة عن بغداد يوم بعد مرور أكثر من ألف ومائتي عام على تأسيسها :

تتسع بغداد اليوم بحدودها البلدية الأخيرة الى مساحات شاسعة فيبلغ مجموع مساحتها في الجانبين الشرقي والغربي (٨٥٠) كيلومتراً مربعاً أو (٣٤٠.٠٠٠) مشارة (١) من ضمن ذلك مساحة نهر دجلة البالغة (١١٢٤٠) مشارة وذلك بعد أن كانت مساحتها بحدودها القديمة قبل سنة ١٩٥٦ مائة كيلومتر مربع فقط . وقد قسمت مساحة بغداد الحالية عملاً بقرا مجلس أمانة العاصمة المرقم ١٠٧٨٩ لسنة ١٩٥٦ الى قسمين القسم المركزي الكثيف وقد سمي بالمطلة العمرانية ومساحته (٢٣٠) كيلومتراً مربعاً أو (٩٢٠٠٠) مشارة والقسم الخارجي المكون من أراضٍ شاسعة قد امتد الى العمران الحديث فسمي بالمطلة العمرانية الخاصة ومساحته (٦٢٠) كيلومتراً مربعاً أو (٢٤٨٠٠٠) مشارة .

ولاحظ من الخارطة المرفقة اني تبين الحدود القديمة لمدنة بغداد أن بغداد بحدودها هذه تشكل شبه دائرة بذكره بشكل مدنة المنصور المدورة التي أسست قبل أكثر من ألف ومائتي عام كما تقدم مع هي من الحصص والمساحة القليلة اني في الأخيرة ، هذا عدا كور الأولى محصورة في الجانب الغربي سيما تشمل اثباته على الجانبين الغربي والشرقي وبلغ مجموع عدد سكان بغداد اليوم بحدودها المدنة الحالية حسب آخر إحصاء لسنة ١٩٦٥ (٢٣٠.٦٢٦) نسمة منهم (٨٤١٥١٠) من الذكور و(٧٨٤٧٢٠) من الإناث ، وتوزع أقسام المدنة من الناحية الادارية بين خمسة أخصه من أخصية لواء بغداد (٧) ، وهي قضاء الرصافة وقضاء الأعطية في الجانب الشرقي وقضاء الكرخ وقضاء الكاظمية وقضاء المحمودية في الجانب الغربي ، وتتكون هذه الأقسام بما يأتي :

أ — مركز قضاء الرصافة :— وتتكون من مدينة بغداد الرئيسة التي تضم محلات القديمة بحدود شرقي من مدنة بغداد ويتألف من ٥٤ محلة . ويرتبط هذا القسم من بغداد من الناحية الادارية بتصرفه لواء بغداد مباشرة . وحتة في هذا القسم أربعة شوارع رئيسة متوازية تمتد باتجاه نهر دجلة من الشمال الغربي الى الجانب الشرقي ، أولها من الجهة الغربية « شارع الرشيد » ثم يليها الشوارع الثلاثة الأخرى تمتد من الشمال لشرقي وهي « شارع الجمهورية » ، « شارع الكفاح » و « شارع الشح عمر » . وجميع هذه الشوارع الرئيسة الأربعة عسده « مساحة التحرير » حوياً في الموقع المعروف قديماً بالباب الشرقي ومن هنا نشعب الشوارع التي تمتد الى محلات العلوية والكرادة والرونة الواقعة ضمن هذا القسم وتقع أهم مؤسسات العاصمة والمواقع الأثرية التاريخية في هذا القسم فبعض تقع المشصرة التي أنشئت في

(١) تساوي المشارة ٢٥٠٠ متر مربع .

(٢) قسم المراق ادارياً الى أربعة عشر لواء ويقسم كل من هذه الأربعة الى عدة أخصه وكل من الأخصه الى عدة نواح ، وسير شؤون اللواء متصرف وشؤون القضاء قائممقام وشؤون الناحية مدير .

آخر العهد العباسي والقصر العباسي ومآره جامع الخليفة القديم التي يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٦٧٨هـ والمدرسة المرجانية التي تعود إلى العهد الأيوبي ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلاني (الكلاسي) المتوفى سنة ٥٦١هـ (١١٦٥م) وتربة الشيخ عمر الهروي المتوفى سنة ٦٣٢هـ، هذا عدا الجوامع التاريخية العديدة الواقعة في هذا القسم كجامع الخفافين الذي شيده زمرّد خان بن روجة الخليفة المستنصر بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله المتوفى سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢م) وجامع المرادية المسسوب إلى مراد باشا وإلى بغداد بين سنة ١٠٠٨ و١٠١٢هـ وجامع المدرج الذي احتضنه وإلى بغداد داود باشا (١٢٢٢ - ١٢٤١هـ) وغيرها من الجوامع والمآجد التاريخية. وكان هذا القسم من المدينة يضم دار الخلافة العباسية وسورها الكبير في آخر عهدها ومن بقايا هذا الدور «الباب الوضائي» المتحد حولاً متحفاً للاستراحة كما كان يضم أهم محلات بغداد وأسواقها ودورها القديمة حول الدار المذكورة. وفي منطقة الروضة ضمن مركز قضاء الرصافة بقول القديمة تسمى بـ «حاجي عبد» فيها آثار من العهد البائي والعهد العباسي والعهد العباسي، وهي موضع مدرسة كانت تعرف باسم «كلوادي» في العهدين العباسي والعباسي وبلغ عدد نفوس هذا القسم (٣٠٢٤٠٥) سمات منهم (١١١٥٢٨) سنة من الذكور و(٩٠٨٧٧) سنة من الإناث ويؤلف ١٢٪ من مجموع نفوس المدينة.

ويرتبط قضاء الرصافة بـ «الكرادة» وهي تمتد شرقاً في مركز قضاء الرصافة حتى تصل ساحل نهر دجلة لأقصى فيجدها نهر دجلة من الشرق ومركز قضاء الرصافة وقضاء الأعظمية من الغرب. ويرتبط هذا القسم ببغداد من أكثر أطرافه لوقايته من حشد الغارات ومن المواضع المهمة التي يقع ضمن هذا القسم «سنة» و«برعراية» و«جامع الحكمة» كما يضم داخلها «بغداد الجديدة»، حيث يقع «من حرم» وهو من أقدم الأبنية العباسية في منطقة بغداد عثر فيها على بقايا من شريعة بعد أقدم شريعة في «بغداد القديمة» وهي أقدم رماة عربيين من شريعة حمورابي المشهورة التي يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٢ ق م. وتحرق هذا القسم هذه الجيش في أسوارها الأحياء حيث يقع مصفاي نهر دجلة. وبلغ عدد سكان هذه الناحية (المركز والصاحبة) (٣٠٢٢٩٧) سنة منهم (١٥٦٣٠٥) من الذكور و(١٤٧٠٩٢) من الإناث ويؤلف ١٩٪ من مجموع نفوس المدينة.

ب - قضاء الأعظمية : ويقع في الجانب الشرقي من دجلة شمال الرصافة وتسمى «الأعظمية» سنة إلى الإمام الأعظم «الإمام أبي حنيفة» (رض) حيث يقع مرقده وجامعه وتدل الروايات التاريخية على أن موضع الأعظمية كان مقبرة عامة في العصر العباسي تعرف بمقبرة الخيران ولما توفي الإمام أبو حنيفة (رض) في حوالي سنة ١٥٠هـ (٧٦٧م) دفن في هذه المقبرة، وفي سنة ٤٥٩هـ بني مشهد وفاة على قبره كما بني عده مدرسة كبيرة، وقد سميت المحلات الواقعة في جوار المشهد باسم «الأعظمية». ومن الأحياء المهمة في هذا القسم حي الثورة وحي جميلة وحي ١٤ تموز ومنطقة الصليح. وتحرق هذه الجيش هذا القسم حيث تقع مأجده من دجلة. وبلغ عدد سكان هذا القضاء (المركز والصاحبة) (٥٢٢٢١٧) سنة منهم (٢٦٥٧١٠) من الذكور و(٢٥٦٥٠٧) من الإناث ويؤلف ١٩٪ من مجموع نفوس المدينة.

ويرتبط قضاء الأعظمية أيضاً بحرم صغير من ناحية الراشدية تلح مآخذ (١٩٧٦٠) مشارة.

ج - مركز قضاء الكاظمية : ويقع في الجانب الغربي من دجلة مقابل قضاء الأعظمية ويتكون من مدينة الكاظمية وما يجاورها من مزارع وساتين، وبلدة الكاظمية إحدى المدن المقدسة في العراق تقع فيها المشهد الكاظمي الذي يضم صرحي الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام. ويقال إن المصور كان أول من جعل هذا الموضع مقبرة لما انتهى مدينته المدورة في جواره من الجنوب وإن أول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر، ثم صارت تدعى بالكاظمية سنة إلى الإمامين الكاظم والجواد (ع) اللذين دفنا فيها في سنة ١٨٣ سنة ٢٢٠هـ (٧٩٩ و٨٣٥م) على التوالي، وكانت هذه التربة تسمى قبل ذلك «مقابر قريش». وترتبط بلدة الكاظمية ببلدة الأعظمية بجر عبر نهر

دجلة يسمى « حر الأتنة » ويبلغ عدد سكان هذا القسم من المدينة الذي يضم مركز قضاء دور الصواحي الواقعة خارج حدود أمانة العاصمة (٩٩٠٨٦) سمة منهم (٥٠٦٦٢) من الذكور و(٤٨٤٢٤) من الإناث ويؤلف ٦٪ من مجموع سكان المدينة.

ويرتبط قضاء الكاظمية مركز « حجة أبي عرب » الممتد إلى الجنوب من مركز قضاء الكاظمية وبلغ عدد نفوسه (٨٥١٩) سمة منهم (٤٣٣٦) من الذكور و(٤١٨٣) من الإناث ويؤلف ١٪ من مجموع سكان المدينة.

د — مركز قضاء الكرخ : — يقع هذا القسم من المدينة في الجانب الغربي من نهر دجلة مقابل مركز قضاء الرصافة وجنوب مركز قضاء الكاظمية ويضم المحلات القديمة في هذا الجانب من المدينة ، ومن أهم المواضع الحديثة فيه القصر الجمهوري وبناية الملا و قاعة الخلد والمتحف العراقي الجديد وملعب الإدارة المحلية ومعروضات بغداد وعمارات السفارات الأيرانية والأمريكية والبريطانية ومبنى شركة النفط العراقية ومن محلاتها الواسعة منطقة حديثة ويرتبط مركز قضاء الكرخ بمركز قضاء الرصافة بحصة جسر على نهر دجلة هي من الشمال إلى الجنوب جسر الصرافة ، جسر الشهداء (جسر المأمون سابقاً) ، جسر الأحرار . جسر الجمهورية ، جسر المعلق في الروة . وبلغ عدد سكان هذا القسم من بغداد ١١٤٦٢٢ سمة منهم ٦٠٠٦٩ من الذكور و٥٤٥٥٣ من الإناث ويؤلف ٧٪ من مجموع نفوس المدينة.

ويرتبط قضاء الكرخ بأحياء المصور . وهي تقع غربي مركز قضاء الكرخ وأهم ما فيها بده امصور الحديثة وحي المأمون وحي اليرموك وحي الساع وحي الوشاش وحي إسكان عربي بغداد وحي الحرية وحي السلام وحي العروة . وبلغ عدد نفوس هذه الأحياء بقسمها المركز والصاحبة ٣٤٢٥٧٥ سمة منهم ١٧٥٣٧٨ من الذكور و١٦٧١٩٧ من الإناث يؤلف ٢١٪ من مجموع نفوس المدينة . ويرتبط قضاء الكرخ أيضاً بـ « حجة المأمون » ، مركز « حجة » وأهم ما فيه منطقة الدوة . وبلغ عدد سكان هذا القسم ٣٣٤٠٩ سمات منهم ١٧٥٢٢ من الذكور و١٥٨٨٧ من الإناث ويؤلف ٢٪ من مجموع نفوس المدينة .

هـ — قضاء الحمودية : — ناحية اليوسفة . ويؤلف هذا القسم جزءاً صغيراً من ناحية اليوسفة التابعة إلى قضاء الحمودية ويقع جنوب مركز « حجة المأمون » على حدود أمانة العاصمة الجنوبية وتبلغ مساحة هذا القسم ١١٩١٢ مشارة .

(أنظر خارطة مدينة بغداد بحدودها البلدية الحديثة) .

وفيما يلي حلاصة لتوزيع مساحات وسكان الأقسام الادارية من مدينة بنغازي الحالية :

| المساحة بالمشارت | النسبة المئوية من مجموع مساحة المدينة | العروس ذكور اسات | المجموع | النسبة المئوية |
|---------------------|--|------------------------|---------|-------------------|
| | | | م | م |
| | | | مجموع | |
| | | | السكان | |

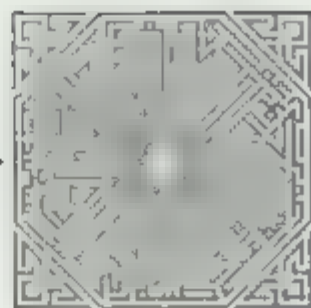
١ - الجانب الشرقي :

| | | | | | |
|---|---------|--------|--------|--------|------|
| ١٢٦٥٦ | ٣٢٦٠ % | ١١١٥٢٨ | ٩٠٨٧٧ | ٢٠٢٤٠٥ | ١٢ |
| ٦٠٨١٦ | ١٨ % | ١٥٦٣٠٥ | ١٤٧٠٩٢ | ٣٠٢٣٩٧ | ١٩ % |
| ٥٩٧٠٤ | ١٧,٥٠ % | ٢٦٥٧١٠ | ٢٥٦٥٠٧ | ٥٢٢٢١٧ | ٣٢ % |
| ١٩٧٦٠ | ٥,٨ % | | | | ... |
| أ - مركز قضاء الرصاة | | | | | |
| ناحية الكراة الشرقية (المركز والضاحية) | | | | | |
| ب - مركز قضاء الأعظمية (المركز والضاحية) | | | | | |
| ناحية الراشدة (جزء قليل منها) | | | | | |

٢ - الجانب الغربي :

| | | | | | |
|--|---------|--------|--------|--------|------|
| ٢٨٦٠٠ | ٨٤٠ % | ٥٠٦٦٢ | ٤٨٤٢٤ | ٩٩٠٨٦ | ٦ % |
| ٣٧٢١٦ | ١١ % | ٤٣٣٦ | ٤١٨٣ | ٨٥١٩ | ١ % |
| ١٠٤٧٢ | ٣,١٠ % | ٦٠٠٦٩ | ٥٤٥٥٣ | ١١٤٦٢٢ | ٧ % |
| ٦٠٥٢٨ | ١٧,٩٠ % | ١٧٥٣٧٨ | ١٦٧١٩٧ | ٣٤٢٥٧٥ | ٢١ % |
| ٢٧٠٩٦ | ٧,٩٠ % | ١٧٥٢٢ | ١٥٨٨٧ | ٣٣٤٠٩ | ٢ % |
| ١١٩١٢ | ٣,٥٠ % | | | | ... |
| ١١٢٤٠ | ٣,٣٠ % | | | | ... |
| أ - مركز قضاء الكاظمية | | | | | |
| ناحية أبي غريب (المركز) | | | | | |
| ب - مركز قضاء الكرخ | | | | | |
| ناحية المنصور (المركز والضاحية) | | | | | |
| ناحية المأمون (المركز) | | | | | |
| ج - قضاء المعسودية (ناحية اليوسفية جزئيا) | | | | | |
| مساحة نهر دجلة | | | | | |

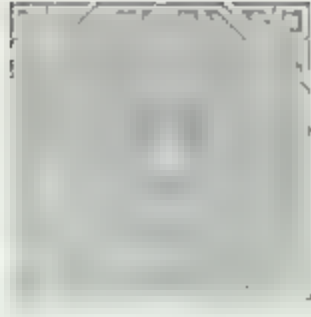
المجموع الكلي ٣٤٠٠٠٠ ١٠٠,٠٠ % ٨٤١٥١٠ ٧٨٤٧٢٠ ١,٦٢٦,٢٣٠ ١٠٠ %



رَیْ بُغْ دَاد

قدیمًا و حدیثًا

الدكتور أحمد سوسة



١ — صلة الري ببحث تاريخ بغداد القديم :

ما عرف التاريخ في أي دور من ادوار العراق التاريخية القديمة مدبه ذات شأن قامت في ربوع الرافدين إلا احتضنها مشروع لرواء مشى الى جنبها وذلك لتزوية حدائقها ومزارعها وبساتينها وتبئة مياه الشرب لساكنيها . ولا نبالغ اذا قلنا ان انهار بغداد القديمة كانت الأساس الذي شيدت عليه المدينة في مختلف ادوارها التاريخية ، لأن العمران اقمى اثر الانهار في كل خطوة من خطوات حياة المدينة ، وما من عماره او محلة ذات شأن شيدت في دور من ادوار المدينة إلا رافقها جدول يوصل المياه اليها سحاً وذاك لعدم تيسر وسائل الصخ الآلية الكافية في ذلك العهد . لذلك نستطيع ان نجرم بان دراسة تاريخ انهار بغداد يجب أن تكون الساد الذي يستند اليه في دراسة خطط هذه المدينة القديمة ، وعنه تصح كل دراسة . لا تأخذ مطر الاعتار وضع تحطيط الانهار بداية لها . معرضة للخطأ ، وهذا ما وقع به جماعة ممن بحثوا في ترويح هذه المدينة . فقد انحذوا تحطيط المدينة المدورة اسامياً بوا عليه اتجاهات الانهار ، وذلك هو الأمر الذي أدامهم الى أن يرسوا شكلاً هندسياً عرياً لحجاري الانهار يحالف الواقع بحالفة تامة ، وهذا الخطأ جرهم الى احطاء اخرى فيما يتعلق بتعيين حملة من اماكن بغداد رسموها في غير مواضعها الحقيقية .

وسطرة الى خارطة منطقة بغداد القديمة في اواخر العهد الساسي ، أي الوضع الذي كان عليه قبل ان انشأ المنصور مدنته فيها ، تريبا كيف جمعت شبكة الانهار ، التي كانت تحتزق هذه المنطقة على جانبي نهر دجلة ، منها بقعة من اجمل و«رعى القاع التي كانت في ارض سواد العراقي في ذاك العصر ولا عجب من انها سحرت المنصور بماظرها الختلة وجدت اليها جمالها الطبيعي وحياتها الساحكة المطمئنة . ولا أدل على ذلك من قوله تعالى في كتابه العزيز « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

٢ — شبكة انهار الجانب الغربي من منطقة بغداد القديمة :

كل معظم الجانب الغربي لهذه المنطقة يروى من نهر عظيم واسع يتفرع من الجانب الاسر لنهر الفرات من شمال العلوجة قبلل يقطع ارض الحريرة التي بين الفرات ودجلة وسقي هو ومروعه المزارع والسائين الواقعة على بواحيه واطرافه وينتهي بجراء الكبير الى دجلة حوب بغداد الحالية بمسافة اثني عشر كيلومتراً منها . وكل هذا النهر يتفرع من تحت مدينة الأسار القديمة ، عاصمة الخليفة العباسي الأول عداة الساج (١) ، يسير في اتجاه جدول الصعلاوية الحالي وينصب في دجلة في جوار « تلون حشم الدورة » الخاله الواقعة على طريق بغداد الى الممودة .

إن آثار هذا النهر العظيم ومروعه المديدة من حاسبه ظاهرة يمكن تتبع مجاريها القديمة على الرعم من تداحل

المرارح والأنهار الحديثه فيها . وقد كانت تشاهد الى وقت قريب آثار بركة واسعة في ذنائب النهر قرب « تل أم الطويل » وطريق بغداد الى المحمودية ، وقد كانت هذه البركة قبل خمس عشرة سنة مملوءة ماءً وذات عمق كبير ، وقد ست حولها أجمة من القصب والبردي ، والراجح أن هذه البركة أُنشئت على النهر لاحتادها بحيرة للثروة واصطياد الطيور فيها ، ولا سيما بعد شيوخ نظام الفتوة ودحول رمي الطيور في مداخلها العميقة . ويلاحظ أن الأقدمين كانوا يتعدون من الأراضي التي تقع في ذنائب الجداول عند مصباتها في الأنهر حيث تكثر المياه ويت القصب والبردي فيتحدونها مناطق لصيد الطيور فيها . ومن أمثلة ذلك أن سحاربت ملك آشور اصطح له متقماً في ذنائب الجدول الذي حفره لارواء عاصمته بئوى عرس فيه انواع الأشجار والنباتات كالقصب والجسار والسر والنبوت وغيرها من الأشجار التي تنمو في مناطق الأهوار ، وحلت مختلف أنواع الطيور والحوانات من مواطنها في المناطق الجوية كالخنازير الوحشية والأبائل وغيرها وأطلقها في المصحف المذكور فكثرت فيه . ومن أمثلة ذلك أيضاً أن المنطقة الشرفية من شمالي بغداد المعروفة حالياً بمنطقة الصليح والتي كان يصب عندها أحد فروع جدول النهر وان القديم (٢) المسمى « نهر الخصاص » وكانت ذات أجمة من القصب والبردي وكانت تصد فيها الطيور على اختلاف أنواعها . وكانت الوسائط النهرية التي تنقل سحارات الشام ومصر تسير بطريق النهر المتفرع من الفرات حتى تنهي الى دجلة ثم تصعد فيه حتى تصل مدينة بغداد ، وصار يعرف هذا النهر في العهد العباسي باسم نهر عيسى الأعظم لسميته وتسميته عن أحد فروع الذي عرف باسم نهر عيسى . وقد سماه سميوي بهذه التسمية فقال « أن نهر عيسى الأعظم الذي يأخذ من معظم الفرات يدخل فيه النهر العظيم الذي تأتي من بركة ويحمل فيها الدواب والتجارات من الشام ومصر يصير الى عرصة علي الأسوار وجوارب التجارة ، لا تقطع في وقت من الاوقات الماء لا ينقطع » . وفي وصف الاصطخري لنهر عيسى ما يوضح هذه المساحة بجلاء ، فقد ميز هذا فكانت بين نهر عيسى الأعظم الذي يمر منه ليس أي النهر الرئيس الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ونهر عيسى (الفرع) الذي سمي مع رعية الفروع الى دجلة في جوف مدينة بغداد . وما يدل على أن نهر عيسى الأعظم هذا كان من الأنهار الهامة التي تصرف كمياً من ماء الفرات أن بعض المؤرخين العرب اعتبره فرعاً من الفرات ينتهي الى دجلة ، فقد ذكر البكري في كتابه « هداية الأرب في جوف الأدب » أن الفرات بعد أن يمر بهت وينجاور الأنهار يقسم قسمين قسم يأخذ نحو الجنوب فذلك وهو المسمى بالعظيم والقسم الآخر يسمى نهر عيسى مشهور لعيسى بن علي بن عبدالله بن عباس وهو يصب في دجلة . أما نهر عيسى (الفرع) فكان يتفرع من الجانب الأسفل من نهر عيسى الرئيس فيمتد شرقاً حتى ينتهي الى دجلة في جوف مدينة بغداد .

وهنا نتحدث عن النهرين « نظرية اليها في أول هذا البحث » وهي أن كل دراسة لتاريخ بغداد القديمة

- (١) تقع أطلال مدينة الأسار على الضفة نهر الفرات اليسرى جنوب قرية الصقلاوة الحالية ، وعلى بعد ٨٠ كم من بغداد . وقد أطلق أمين مرفلان على المدينة اسم بيرسا بوراس (Prisaboras) وذلك عند وصفه الحملة بولاني (٢٧٧٢ م) . وقد أطلق أمين مرفلان على المدينة اسم بيرسا بوراس (Prisaboras) وذلك عند وصفه الحملة بولاني (٢٧٧٢ م) . كما أنه وصف سورها المصاعب المسج وفي العهد العربي أصبح اسم هيرور ساير يشمل مقاطعه الأسار بما فيها من القرى ، على أن من مؤرخي العرب من اعتبرها من مدائن كورة سامراء . وقد كان للأسار مكانة بارزة في هذا العهد إذ اتخذها الخليفة العباسي الأول عبدالله السامع (١٣٢ هـ - ٧٥٠ م) عاصمة لمملكته وبني فيها قصر أسماه « الباشية » يعني المدينة الباشية ، وقد تولى في هذا العصر ودهر في المدينة
- (٢) أظن ما علي من البحث في الكلام على هذا الجدول .

لا سند الى دراسة إرواء بعداد القديم تصح معرفة للخطأ ، فقد وقع أكثر الباحثين في ناربح بعداد وخصوصاً أولئك الذين حاولوا رسم حرائط لخطط بعداد القديمة أمثال كجي لسرايح وسيريك وغيرهم ، في إرسالك وجيزة من أمر نهر عيسى بسبب قصورهم واعتقادهم أن نهر عيسى هو اسم لنهر واحد ، وأوضح دليل لتحيير كجي لسرايح في هذا الأمر أنه وضع في أول الأمر خريطة لأنهار بعداد العربية عد تحميمه لبحث ابن سرايوس عن انهار العراق رسم فيها نهر عيسى واحداً يسير في اتجاه نهر عيسى الأعظم الذي مصب في دجلة جنوب بعداد ، وكانت نتيجته ذلك أن جميع الأماكن التي كانت تقع داخل بعداد رسمت في غير مواضعها الحقيقية ، لأن نهر عيسى الأعظم يسير على مسافة بعيدة عن بعداد ويظهر أن كجي لسرايح شعر فيما بعد بخطئه هذا محاولاً تصحيح خارطته في كتابه «بعداد في عهد الخلافة العباسية» ولكنه وقع هذه المرة في أخطاء أخرى تحثي فيها إرساكه وتحييره في أمر نهر عيسى ، فأهمل هذه المرة نهر عيسى الأعظم بالمرّة كأن لم يكن له وجود ورسم نهر عيسى على شكل دائرة يدور حول مدينة المصور المدورة ، وكانت محاذيته هذه غير مجدية أيضاً لأنه اتخذ مدينة المصور المدورة أساساً لاتجاه نهر عيسى دون أن يرجع إلى دراسة نظام الإرواء القديم الذي كان موجوداً في هذه المنطقة قبل أن يدخل المصور مدته طويلة ، ومن أهم الأخطاء التي وقع فيها كجي لسرايح بسبب ذلك أنه رسم الفرعة (١) التي كانت عند مصب نهر عيسى الأعظم الذي تنهي إلى دجلة جنوب بعداد في غير موقعها الحقيقي فسمي عند مصب نهر عيسى (الفرع) الذي تنهي إلى دجلة في جنوب بعداد ، ومن المعلوم أنه كان مصدر على السمع أن يسير في نهر عيسى (الفرع) لوجود عدة قناطر عليه ولصغر حجمه بالنسبة إلى النهر الرئيس .

وأما راجع إلى الخاطئة التي وصفتها المستشرق الألماني ستريث لمدينة بعداد العربية ، وهو من أشهر المؤرخين العربيين الذين بحثوا في خطط بعداد القديمة وقد وضع مؤلفه «بلاد بابل القديمة» في الوقت الذي وضع فيه كجي لسرايح كتابه في بعداد ، نجد أنه لم يكن في وسع هذا المؤرخ أعمال آثار نهر عيسى الأعظم التي لابد أن تكون قد استوفقت نظراً عند نفسه عن آثار بعداد فوقع في عين الخطأ الذي وقع فيه كجي لسرايح في محاذيته الأولى من مشكلة نهر عيسى المعقدة فسمي نهر عيسى (الفرع) في اتجاه نهر عيسى الأعظم وكانت نسخة ذلك أنه رسم جميع المواقع التي على نهر عيسى (الفرع) على نهر عيسى الأعظم ، وهذا أصححت المواقع التي في الجانب العربي من بعداد القديمة بعيدة كل البعد عن مواضعها الأصلية بل وقعت خارج المدينة بمسافة بعيدة ، وقد أخذ المستشرق الفرنسي الأستاذ ماسسيون وجهة نظر ستريث هذه ، وقد فأت الأستاذ ماسسيون أن نظريته هذه تجعل جميع الأماكن التي كانت على نهر عيسى في جنوب بعداد في غير مواضعها الحقيقية إذ تصح خارج مدينة بعداد .

أما ناربح حمر نهر عيسى الأعظم فعير معروف كما أنه ليست لدينا معلومات عن الاسم الذي كان يعرف به عند إسمائه في المصور القديمة على الرغم من أنه كان واسطة نقل هبة مهمة لملل الصائغ فيه بين لغرات ودجلة مضافاً إلى كونه مصدراً لإحياء الأراضي وبروتها ووراعتها ، على أن في الأمر دلائل أثرية تدل على أنه يرجع إلى عهد قديم جداً بدلالة أن المدينة المكتبة «دور كوريكالرو» التي أسست في أوائل القرن الخامس عشر ق.م. وهي الأطلال المعروفة اليوم باسم «تل عفرغوف» كانت تروى منه مياه واسعة تتفرع من حافة الأسر ، وقد عرفت في المصور الإسلامية باسم «الوراده» ، ولا يزال آثار هذه القناة في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة «دور كوريكالرو» على مسافة ثلاثمائة متر منها ، وهناك تنقسم إلى فرعين يتجهان نحو المدينة ، وقد وردت إشارات في النصوص الممارنة من العصر الكشي إلى نهر باسم «الليل» كان يتصل بمدينة «كوريكالرو» .

وقد أشار إلى هذا النهر الكاتب الروماني «أمان مرفلان» في رحلته صحة قصر يوليوس الروماني سنة ٣٦٣م . فقد ذكر في رحلته أن هذا القصر بعد أن رد هجوماً للفرس على الغرات تقدم نحو أرباص «ماسيراكا» وهناك

(١) الفرعة مرسى السفن في الأنهار وهي ما يشه البناء اليوم في المنارة .

تتمتع من العرات هوب عريضة يجري الماء فيها إلى داخل مملكة «بل لثونة المزارع والحقول وشرب سكان المدن والقرى الواقعة على تلك القنوات.

وكان قد أنشئ على نهر عيسى الأعظم سد من الحجر لرفع مستوى المياه وجعلها إلى جدولين رئيسين ، شمالي وجنوبي ، يتفرعان من الجانب الأيسر للنهر من أمام السد ويجريان متوازيين نحو الشرق ثم تنحيان إلى نهر دجلة فصار منه في وسط بغداد لحدة بعد أن ساء الأراضي المجاورة لهما بين نهر الرثنس ونهر دجلة . وكان هذا السد يحول دون وصول المياه إلى دجلة لذلك كانت تقبل بضائع من النهر التي تصل إلى هذا الموضع إلى سفن أخرى وردها إلى دجلة بقايا إلى بغداد التي كانت مركزاً تجارياً رئيساً في ذلك العصر . وقد شأب في زمن العرب منه في هذا الموضع سميت «بحون» أي الموضع الذي يحول فيه البضائع وغيرها من شحن النهر

وكان يعرف الجدول باسم «نهر الصراة» وقد بقي محطاً باسمه إلى ما بعد تشييد مدينة المصور حيث صار يسمى «نهر الصراة العظيم» وقد سمي بهذا الاسم لجميع «عشيرة» جدول آخر يتفرع منه كان يعرف باسم «نهر الصراة الصغير» . وكان هذا الجدول الأخير يتفرع من عمود الصراة العظيم متجهاً من الشمالين الواقعة على الجانب الأيسر من الصراة العظيم ثم يعود فصب في الجدول الرئيس الذي يتفرع منه . وقد ورد في رواية أن الأثر أن «نهر الصراة العظيم» كان قد حفره محمود بن حمد بن السطلي . أما «نهر الصراة الصغير» فقد حفره الساسانيون بعد أن آبادوا النبط.

أما الجدول الجنوبي الذي كان يتفرع من أمام السد أيضاً فكان يعرف باسم «نهر الرهيل» ، والرهيل الذي يسب إليه هذا النهر ، اسم دهن من الفرس أسلم على يد سعد بن أبي وقاص (١) ثم صار يعرف في العهد العربي باسم نهر عيسى نسبة إلى عيسى بن علي عم المصور الذي قام بأعادة حفره وشيد عند مصبه في دجلة قصرأ سمي باسم «قصر عيسى» . وهذا النهر الرئيس الممتد بين «نهرات» ودجلة قصر يعرف باسم نهر عيسى الأعظم بأعذاره النهر الرئيس الذي يعود نهر عيسى (الفرع) بأبوابه . وكان شعب من اصغره السرى لنهر الرهيل في موضع يعد بحراً من ميل تحت صدره فرع كان يعرف باسم «نهر كرخانا» فيمتد بمواياه نهر الرهيل من الشمال مؤلفاً شبكة من لقوت بين نهر الصراة ونهر الرهيل فصب في الصراة ونصب الآخر في دجلة وفي نهر الرهيل نفسه ، ثم يعود فصب في نهر الرهيل نفسه . وكان «نهر كرخانا» سمي انعطافه الواقعة بين نهر الصراة ونهر الرهيل وهي المنطقة التي كانت تعرف يومئذ باسم «رستاق (مرويسج) (٢)» . وقد روي أن القسم الأسفل من هذا النهر كان قد حفره مالك بن نهرام من مالك وهو القسم الذي صار يعرف بعد إنشاء مدينة المصور باسم «نهر طابق» .

ونلاحظ أن القدماء قد اعتادوا أن يصفوا كلمة «الأعظم» أو «العظيم» إلى اسم الجدول الرئيس للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منه ويحمل اسم الجدول نفسه أيضاً . كما كانوا يصفون هذه الكلمة إلى الشارع إذا كان أوسع شارع في المدينة . وهكذا فقد سمي نهر الصراة الرئيس باسم «نهر الصراة العظيم» للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منه والذي صار يعرف باسم «نهر الصراة الصغير» . وكذلك سمي نهر عيسى الرئيس باسم نهر عيسى الأعظم للتمييز بينه وبين الفرع المتفرع منه الذي صار يعرف باسم «نهر عيسى» . وهذا أكدنا القول في هذا الأمر بصورة خاصة لأهيت في دراسة نظام الأنهار القديمة التي كانت تروي منطقة بغداد.

(١) الدهقان وجسمه الدهاقين والدعاقة وهي لفظة فارسية تصد بها رعي الملاحين من ملاء الفرس الذين كانوا ملاكين وأصحاب صياح ومثله بالفرية «الثاني» وجسمه اثنا والذهقة : الثانة والثابة .

(٢) الرستاق وحدة زراعية كانت تطلق في زمن الفرس على المصق الذي يشتمل على مزارع وفري .

وكان على « نهر الصراة العظمى » قطرة مية ذات عقود من الآخر والجص يعود تاريخ انشائها الى العصر الفارسي ، وصارت تعرف هذه القطرة بعد أن شد المحصور مدبته المدورة في شمال نهر الصراة بالقطرة العتيقة ، كما كان على « نهر الصراة العظمى » في الراوة المكونة من مصب « نهر الصراة الصغرى » نهر الصراة العظمى طاحونة تسمى « رحي الطريق » ، وقد روي أن صاحب هذه الرحي كان من جملة الذين استدعاهم المحصور ليستطلع رأيهم في المواضع التي كانوا فيها وكان أيضاً حسب رواية المؤرخين دير كبير عند « قرن الصراة » ، أي مصب الصراة في دجلة ، وهو الدير الذي كان يعرف باسم « دير مار قتيون » ثم صار يعرف بعد إنشاء مدينة بغداد في عهد المحصور باسم « الدير العتيق » للتمييز بين أبيه العتيقة وأبيه الحديثة ، وكان الى جانب « دير مار قتيون » هذا دير آخر على نهر الصراة يسمى « عمر حليا » .

٢ — القرى والأديرة العتيقة في منطقة بغداد الغربية واستيطان المسلمين العرب فيها :

وبلاحظ ان المسلمين العرب قد استوطنوا في حصن اراضي هذه المنطقة بعد احتلالهم للمراق إذا يذكر المؤرخون ان الحقبة التي تقع في شمال نهر الصراة العظمى امتلكتها قوم من المسلمين العرب وقيت تلتق عرقي فسميت « مررعة الماركة » وهي عين القعة التي شيد عليها المحصور مدبته المدورة وقد عوصهم المحصور عنها وكان في الجيوب العربي من مررعة الماركة قرية كانت تعرف باسم قرية « الخطاوية » وهذه تحمل اسماً عربياً ايضاً ، كما كان شمال قرية الخطاوية دير يعرف سبر ستان القس ، وكان صاحب هذا الدير أحد الذين استدعاهم المحصور واستشار رأيهم في معرفة المواضع التي سكنون فيها وكانت في هذه المنطقة ايضاً قرية تسمى « الشرطانية » كانت لدهقان فارسي يسمى أبي الجور وقد اشئت في موضع هذه القرية « دار سعيد الخطيب » بعد تشيد مدينة المحصور . وكان في الراوة الجنوبية التي تقع بين صفة دجلة ومصب « نهر الصراة العظمى » شرقي مررعة الماركة قرية تعرف باسم « سونايا » بقيت في موضعها حتى إنشاء مدينة المحصور وصارت تعرف بالسقة ، وقد اشئت فيها المشهد المسمى مشهد المنطقة (مسجد المنطقة الحالي) ويروي المؤرخون انه منهد لعلي بن أبي طالب (ع) وقد اشتهرت قرية سونايا باللعب الأسود الذي يكثر على سائر الألعاب ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها . وبلاحظ ان نسبة المنطقة لهذا الموقع بقيت حتى يومنا هذا

وكان على الجدول الحويي (نهر الرميل) الذي صار يعرف باسم « نهر عيسى » دير قديم يقع بجوار مرقد الشح معروف الكرخي يعرف باسم « دير كلثيوس » ، وهي لفظة سريانية ومعناها اكليل يسوع ، وكان هذا الدير يسمى ايضاً « دير الجائليق » وكان في القسم الأسفل من هذا الجدول في الراوة الجنوبية التي تقع بين صفة دجلة ومصب الجدول قرية تعرف باسم « قطعتا » بقي مبصمها يعرف بهذا الاسم بعد إنشاء مدينة المحصور فقد اشئت هناك محلة باسم « محلة قطعتا » ويذكر بعض العلماء ان « قطعتا » كلمة آرامية معناها ما يقتطف او قطفاه وسميت كذلك لما كان فيها من وهرة الساتين والثمار . وقد ورد في رواية ان الامام علي بن أبي طالب (ع) مر بقرية « قطعتا » وشكوا أهلها اليه كثرة الخراج الموصوع عليهم وكان عند مصب الجدول في دجلة قصر ساساني يعرف باسم « قصر سابور » وكان قد نصب عنه جسر عائم يصل الجانب الشرقي بالعربي من دجلة عبره المسلمون عند غزوهم لهذه المنطقة . وكان عورهم سنة ١٢ هـ (٦٣٣م) بقيادة السيد بن ديسم فقد عمرو أولاً من الجانب العربي من دجلة الى الجانب الشرقي ثم من الجانب الشرقي الى الجانب العربي ، وجرت بين المسلمين والفرس وقعة قرب « تل عقروف » كان النصر فيها للعرب وقد أنشأ عيسى عم المحصور قصراً في موضع قصر سابور المذكور فسمي « قصر عيسى » ، وهو أول قصر بناء الهاشميون في ايام المحصور ببغداد . ومن أهم القرى في هذه المنطقة التي تناقل المؤرخون أسماءها من العهد القديم « قرية الكرخ » وهي القرية التي بسط اليها محلة الكرخ الواسعة التي اشئت عرقي بغداد في العهد العباسي حتى أحد يعرف الجانب الغربي من بغداد كله باسم الكرخ في الزمن الأخير . ويظهر من وصف المؤرخين ان الكرخ كانت أشبه بقرية منعزلة وقد ذكر ان الذي

اسمها هو الملك الساساني سابور الثاني الذي يلقب «العرب» «ذا الاكاف» وكان حكمه من ٣٠٩ الى سنة ٣٧٩ م. وكان على نهر كرخايا قرية مهمة تسمى «قرية براتا» يرتقي تاريخها الى هذا العهد القديم ايضاً ، وكان لهذا الموضع شهرة قبل الاسلام وقد انتهى أمره الى أن ادمج بغداد واشهر في المهود العباسية ايضاً لوقوع جامع براتايه ، وهو الجامع الذي يقصده الشيعة ماءً منهم على رواية تنسب الى أن الامام علي بن أبي طالب (ع) صلى في هذه القعة التي شيد فيها الجامع بعد ذلك ، واعتزل بالقرب منه وذلك في سجنه الى الخوارج سنة ٢٧ للهجرة (٦٥٨ م) ، ورواية اخرى تذكر ان صلواته واعتزاله في قرية «سونايا» التي قداما ذكرها وعلنا ان فيها مشهداً لعلي بن أبي طالب (ع) وقد عرف مشهد المنطقة ولا يزال قائماً بين بغداد والكاطمة وسمى بهذا الاسم . وكان على صفة نهر كرخايا ايضاً أحد الديارات النفيسة المهمة كان يعرف باسم «دير مدان» وكان يعرف ايضاً باسم «دير مرجين» ولقعة «مدبان» سريانية معناها «المعتزون» .

وكان في المنطقة المسماة «رستاق العروسيح» الواقعة بين الجدول الشمالي (نهر الصراة) والجدول الجنوبي (نهر الرهيل) الذي عرف في العهد الساساني بنهر عيسى ثلاث قرى تقع بين نهر كرخايا ونهر الصراة كانت تعرف الأولى باسم «قرية سال» . وقد أصبحت في هذا الموضع بركة في العهد الذي عقب إنشاء مدينة بغداد صارت تعرف باسم «بركة رلزل» . أما القرية الثانية فكانت تعرف باسم «قرية ورنالا» وكانت تسقى من ساقية تتفرع من نهر كرخايا وقد شيدت في عهد المصور محلة نهر القلائين في موضعها . وكانت القرية الثالثة تعرف باسم «قرية ناورا» وهي القرية التي أصبحت بعد إنشاء مدينة المصور من ضمن فطيرة الريح الواقعة التي أنشأها المصور حاجه الربيع بن يونس .

٤ — قرية سوق بغداد القديمة وأهمية موقعها .

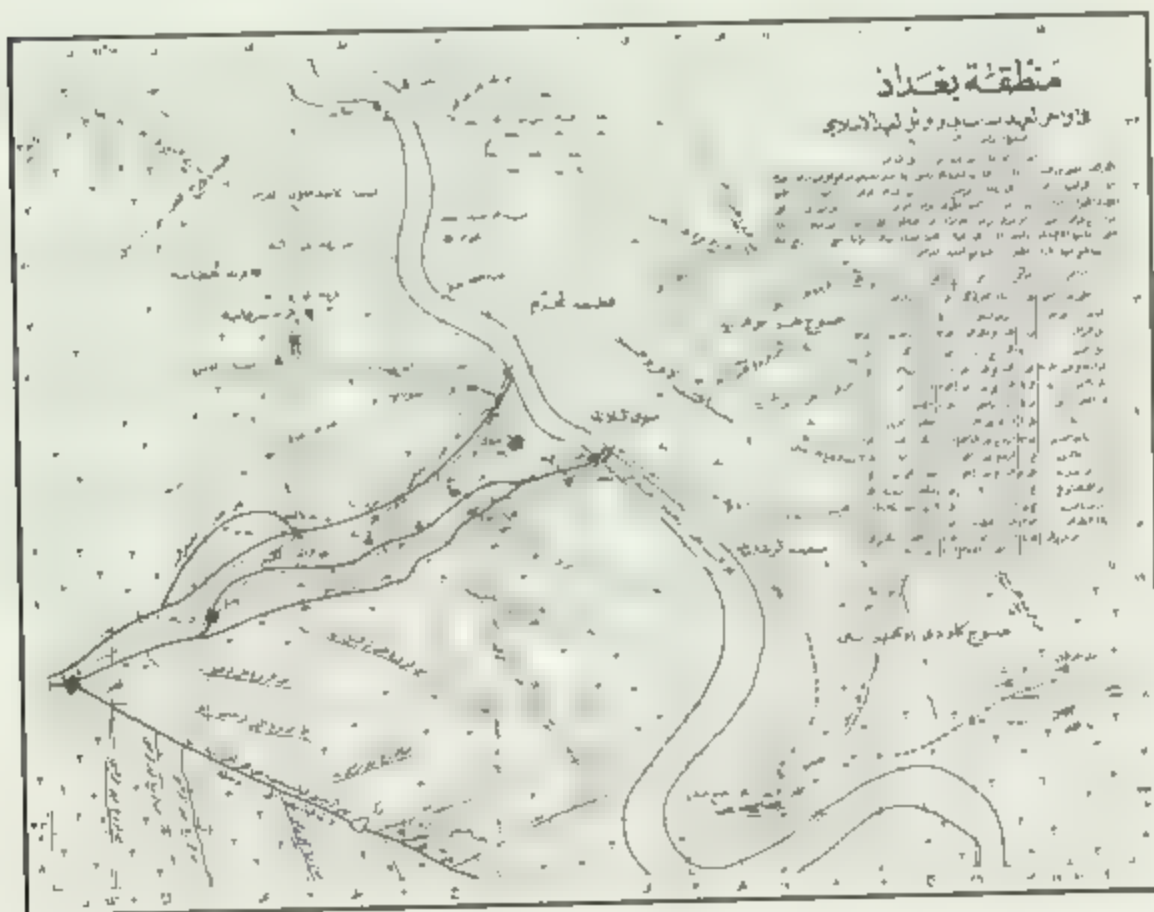
وكان في الجنوب من نهر الصراة موضع يسمى «سوق بغداد» يجتمع فيه التجار في رأس كل سنة وتقوم به للفرس سوق عظيمة مما جعله مركزاً تجارياً مهماً . وظل الأمر كذلك الى عهد الفتح الاسلامي ، ولسوق بغداد هذا أهميته التاريخية وذلك من حيث سمية المدينة التي أصبحت لها وعرفت ببغداد حتى يومنا هذا . وقد اشتهر ذكر هذا الموضع بالمرور الذي ياله العرب عند هجومهم عليه في سنة ١٢ هـ (٦٣٤ م) وقد ذكر بعضهم ان الهجوم وقع في سنة ١٢ هـ (٦٣٣ م) ، ويؤيد ذلك ما ذكرناه في الكلام على قصر سابور وعود القائد السير بن دبسم دجلة من الغرب الى الشرق ثم من الشرق الى الغرب عند القصر المذكور .

وقد ورد ذكر سوق بغداد بعد ذلك في حوادث سنة ست وسبعين في الحرب بين شيب بن يزيد بن نعم الشيباني والمجول بن سعد وكان المجول قد اودعه المحاج لمقابلة شيب هجرح في هذه المعركة ثم اقل من المدائن الى بغداد هجاء الكرخ بعد ان عبر دجلة اليها . ويروى انه ارسل الى اهل سوق بغداد فأمرهم . وكان يوم سوقهم وبلغه اهم يحافونه فاشترى أصحابه منهم دواً وأشياء أخرى يحتاجون اليها .

وكان لصاحب بغداد قرية تقع في الشمال الشرقي من قرية «الشرفاية» تسمى «الوردانة» ، وهي القرية التي أقيمت فيها في العهد الذي عقب إنشاء بغداد مربعة أبي الناس الفصل بن سليمان الطوسي . وكان صاحب بغداد هذا أحد الدهاقين لعزى هذه المنطقة الذين استدعاهم المصور عدة لئلاهم عن الموانع التي كانوا فيها ، وقد اختاره المصور من دون الدهاقين الآخرين لسطع رأيه في ملامحة الموضع لإنشاء عاصمته فيه .

وكان قد امتلك بعض الأكابر جملة من الساتين الواقعة في جوار قرية بغداد هذه لقضاء بعض الوقت فيها لما كانت تتميز به من جودة المناخ وطب الهواء . ويستفاد مما رواه بعض المؤرخين العرب أن المنطقة المجاورة لموضع المشهد الكاطمي الحالي من جهة الشرق كانت قبل إنشاء مدينة المصور سبياً لبعض ملوك فارس ثم أنقطعها المصور عمارة بن حمزة أحد مواليه ، وقد ذكر انه كان لكبرى أبو شروان ستان في جوار قرية بغداد سماه «ستان العدل» .

وكان موضع بغداد قبل أن يفتح الطريق البحري إلى الشرق الأقصى مركزاً مهماً للمواصلات بين الشرق والغرب ، فكانت توسط طرق العوائل العامة التي تمتد بين الهند وإيران ومطعة البحر المتوسط . وكان الزاهدان ، دجلة والفرات ، يؤلفان واسطة نقل مائية تربط المدينة بالمناطق الشمالية والجنوبية من العراق . وذلك عما جعل موضع بغداد محطة عالمية مرتبطة بروابط تجارية قوية مع الشرق والغرب . أما بعد أن طورت وسائل النقل فأحدثت تجارة إيران مع العرب تغيراً في طريق مياه الخليج العربي كما أن تجارة الهند اتصلت مع العرب بطريق قناة السويس وكانت المنطقة التي تقع فيها قرية بغداد تسمى إلى قسمين ، القسم الشمالي والمسمى الجنوبي ، وكان يسمى القسم الشمالي « طسوح قطربل » والقسم الجنوبي « طسوح بادور » (١) وكان نهر الصراة الفاصل بين الأول والثاني ، مما كان على يسار نهر الصراة في القسم الأعلى من منطقة بغداد (أو كما يسمى العرب ما كان من عربي الصراة) هو قطربل ، وما كان على يمين نهر الصراة في القسم الأسفل والأوسط من منطقة بغداد (أو كما كان يدعى عند العرب ما كان من شرق الصراة) هو بادور . وكانت قرية سوق بغداد التي مر ذكرها تقع في طسوح بادور ما أي في جنوب نهر الصراة كما سبق يانه . وكانت منطقة قطربل الشمالية (٢) تسمى من جدول هدم كان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة



- (١) الطسوح نقطة طرسية بمعنى المنطقة الزراعية أو الموضع الزراعي .
(٢) اسم قطربل يوناني الأصل سة إلى قطربل ثم حذف النون فصارت قطربل وهذه الصورة ورد ذكرها في جميع المصادر العربية

في جوار منطقة بلد الحالية بقي أكثر المنطقة الشمالية الواقعة بين الفرات ودجلة ، التي من ضمنها طسوح قطربل ، وصار يعرف هذا النهر في العهد العربي باسم نهر دجيل . ويمكن اليوم تتبع فروع هذا النهر العظيم في أرض الجزيرة التي بين بلد على نهر دجلة وانقاطات المعاد لمقاطعات العلوجة . وكانت تصل فروع هذا النهر الى حدود مراعي (نهر عيسى الأعظم) النهر الرئيس الذي يتفرع من الفرات وينتهي الى دجلة . وقد سبق البحث فيه . وكان ينشعب من نهر دجيل هذا فرع خاص يسير في مواراة نهر دجلة وينتهي فروعه في القسم الشمالي من منطقة بغداد العربية فتبقى هذه الفروع قسم طسوح قطربل الواقع في شمال نهر الصراة . وكان هذا الفرع يعرف باسم نهر طاطيا يسقي مررعة الماركة وقرى الوردانة والشرفانة والحظية التي تقدم ذكرها . وداستعاد المنصور وجود هذا النهر عندما أنشأ مدته المدورة في شمال نهر الصراة بعد ثلاثة فروع من نهر طاطيا الى مدته الجديدة . أما قسم منطقة بغداد الواقعة في منطقة بادوريا في جنوب نهر الصراة ، وهو القسم الذي كانت تقع فيه قرية سوق بغداد . فكان يؤلف شبه مثلث يحده من الغرب النهر الرئيس المتفرع من الفرات (نهر عيسى الأعظم) ونهر الرهمل (نهر عيسى الفرع) من الشمال ونهر دجلة من الشرق ، وكان هذا القسم يروى من فروع نهر الرهمل اليمنى ومن الفروع اليسرى لنهر عيسى الأعظم (انظر خارطة منطقة بغداد في اواخر العهد الساساني واولائل العهد الاسلامي) .

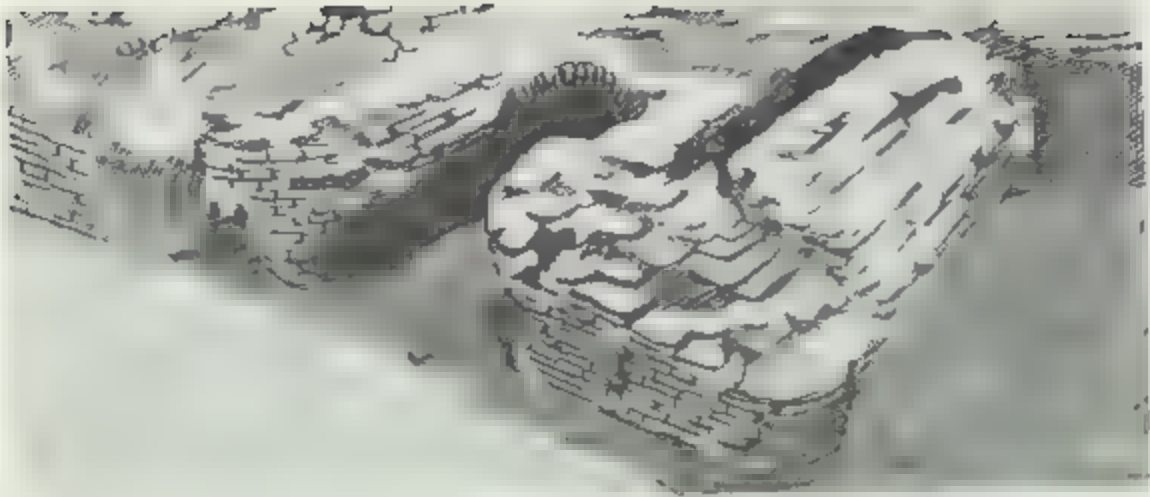
٥ - منطقة بغداد في التاريخ القديم :

وبما نذكر ان اردنا منطقة بغداد يرجع الى العهد البابلي فقد دلت النقيبات الاثرية ، التي اجريت في جوار قرية سوق بغداد القديمة ، على وجود مدنة مائلة قديمة يرتقي تاريخها الى ما قبل المين وحسمائة سنة ، إذ عثر سر هيري رولنس (Henry Rawlinson) في سنة ١٨٤٨م على هبوط الماء في نهر دجلة على بقايا متراس مستحاذة صفة دجلة العربية داخل حدود مدنة بغداد الحالية كل مشيداً بالأجر البابلي وملاطه من الفار ، وقد عثر بين الأجر على قطعة عتومة باسم مختصر الثاني مع الفاه (٦٠٥ - ٥٥٨ في م) ، ثم عثر غيره على غيرها في الناطق . نفسه ، وقد عثر أخيراً على مثل هذا الأجر الكلداني المحتوم باسم مختصر الثاني في التل المسمى « تل صرة باشا » في شرقي مدينة المنصور الجديدة وقناة الحمر الحالية ، وقد اجري بعض التنقيب في هذا التل فوجدت آثار قرية يرجع تاريخها الى عهد الفريين ، والظاهر أن الأجر نقل اليها بعد اسائها ، والمعلوم ان الدولة الفرية أسست سنة ٢٥٦ ق . م وقرصت سنة ٢٢٦ ب . م كل ذلك يدل على ان موضع بغداد كان معموراً منذ رهاة ثلاثة آلاف عام ولا شك انه كان يروى في هذا العهد القديم وفي العهد الساساني من الانهار التي كانت تستمد المياه من النهرين ، دجلة والفرات .

وستحصل بما تقدم ان موضع قرية بغداد القديمة كان مركزاً حربياً (مترابجياً) واقتصادياً وتجارياً وقد اشتهر في جواره العمران من كل صوب لوقوعه في بقعة متوسطة بين مراكز المديات للبابليين والآشوريين والكشيين واليونان والفرس ، فكان نقطة التقاء بين الأمم المتعددة المختلفة ، فازدهرت فيه مابل ثم سلوقية ثم طيسعون والمدائن واسيراً بغداد في عهد المنصور .

٦ - شبكة انهار الجانب الشرقي لمنطقة بغداد - النهران ومدنهم وود القديم :

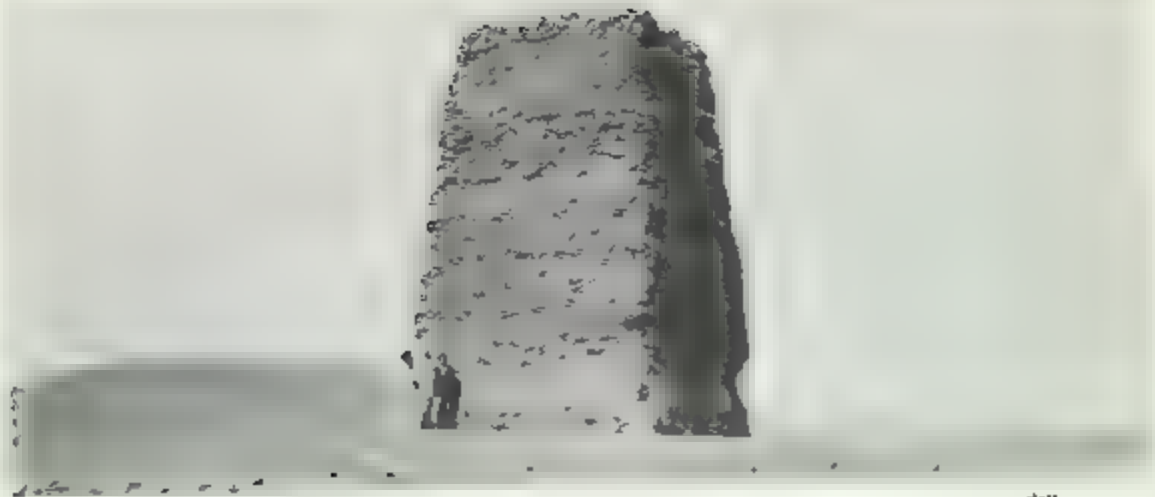
ناولنا فيما تقدم وصف الجانب العربي من منطقة بغداد في العهد الاسلامي ، أما الجانب الشرقي فكان طامراً ايضاً لا يقل في كثافة مراعيه وسائنه عما كان عليه الجانب العربي ، وكان يسمى هذا الجانب من نهر واسع يعوق كلاً من انهار الجانب العربي حجماً وطولاً ، وهذا النهر هو الذي عرف بالنهران . وكان يتفرع من الجانب الايسر من نهر دجلة في جوار سامراء فيمتد مستحاذاً نهر دجلة من جهة الشرق مسافة أكثر من مائتي كيلومتر ، حتى يلتقي أخيراً بدجلة بالقرب من أرض مدينة الكوت الحالية . وكان فرعاً رئيساً من المروع المسمى لهذا النهر العظيم بمدائن شبكة الانهار التي كانت



من بناء أحد الخوازم القديمة على جدول النهر

تعلل في قلب منطقة بحد الشرفة ، أحدهما وهو الشمالى كان يعرف باسم « نهر الخالص » والآخر وهو الجنوبي وكان يسمى « نهر بين » ، كما كانت مروج أخرى عديدة تنهى إلى مراع مطقة المداين حيوياً
وكان القدمون قد أنشأوا سدّاً تزامناً صحماً على نهر دجلة في حوا سامراء لتحويل اتعاها «نهر إلى بحراء العالي القديم المدرس ، وهو السد المعروف بسد نمرود وكان هذا السد يعمل على رفع مستوى ماء النهر وتحويلها إلى جداول واسعة بأحد من جانبي النهر من أمام سد كان أهمها وأكبرها النهر وان أدى أشراً إليه وهو الجدول الذي كانت مروجته تنفي مراع الخصب الشرقي من مطقة بحد وسأبي الكلاء على هذا السد فيما بيني وكان حدون النهر وان أعظم وأوسع حدون عرقه العام وأمنه أطول وأكبر الحدون الاصطناعية المعروفة في الدم حتى الآن ، وإذا لاحظت ان عرصه في بعض أقسامه يصل إلى حد المائة وأمشرين متراً وعمقه في بعض الأقسام يبلغ أكثر من عشرة أمتار ، أصبحت له صفة هذا المشروع وأهميته فلا يجب إن « إذا قال سب وكنوكس حبر الري لشهير » به لا يوجد جدول سواء كان في مصر أو في الهند يمكن ان يصاهي النهر وان في حوضه على أوسع جدول في مصر لا يحده عرصه التس متراً وعمقه العشرة أمتار » وكان للنهر وان ثلاثة مداين . ثبته تنزع من النصفه الشرقيه لهر دجلة في مطقة سامراء ، منها مدخلان تنزعان من جوبي سامراء ، وينزع الثالث من شماليها . وكان يجري النهر وان هذا يسير في الاتجاه الجنوبي اشرقي محاذاً نهر دجلة من جهة الشرق وبعد أن يعطع مسافة تزيد على مائتي كيلومتر تنهى إلى دجلة قرب مدسة الكوب الحالية كما ذكرنا آنفاً ، وكانت له مصارف تصب في دجلة جنوب بغداد .

وبدل دراسة تاريخ المداخل الثلاثة للنهر وان على ان أقدمها هو المدخل الأسفل وكان قد قسم هب عمده على هيئة رحل من الحجر الأسود لانه منى هذا المشروع . وكان هذا النصب قائماً في أواخر القرن التاسع عشر حين رآه الرحالة المشيخ العفادي سنة ١٨٢٢م فقال في وصفه « انه صنم كبير جداً في هيئة رحل من الحجر الأسود وقد هشم نصفه الأعلى » ، والظاهر ان ماء النصب جرفت هذا الحجر من النصب ، أما النصف الأسفل فقد عثر عليه الرحالة البريطاني الدكتور روس الذي رآه هذه المطقة في سنة ١٨٣٤م وحمله معه إلى انجلترا ولا يزال يعرف موضع هذا المدخل بالنصب . وبلى هذا المدخل في القسم المدخل الشمالى الاعلى الذي يأخذ من شمال سامراء وكان يحتص منطقة سامراء من جهتي الشرقة وكان يعرف باسم « القاطول الكسروي الأعلى » سبه إلى كسرى أو شروان الذي قام بحمله لارواه الاراضي الواقعة في حوا سامراء على ضفتي المجرى ، وهي الاراضي المربعة بالنسبة إلى مستوى مدخل النهر وان الأسفل والمدخل الثالث الواقع في الوسط هو أحدث المداخل الثلاثة وكان يعرف مجرى صدره بالقاطول وقد حفر

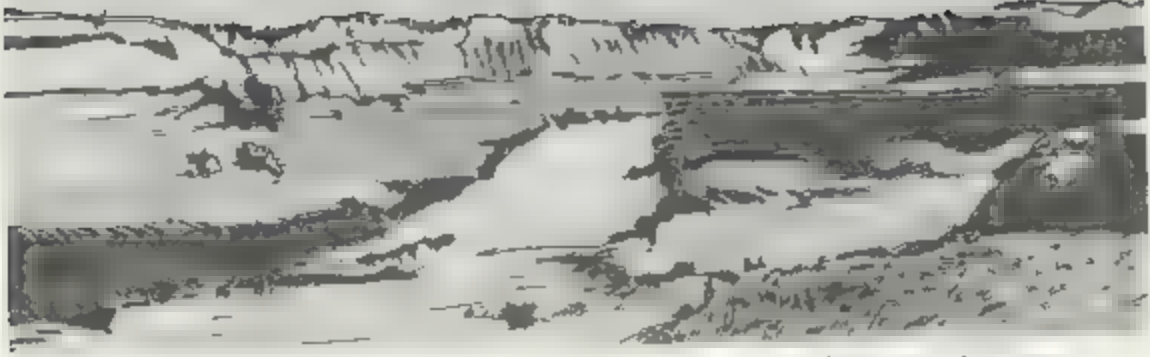


برج القائم في صدر النهر

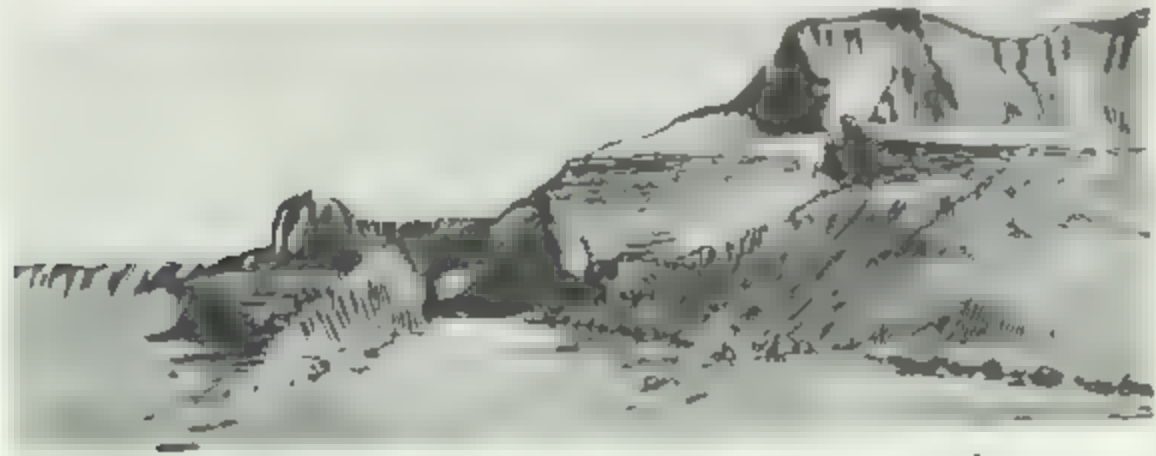
على عهد الرشيد وبني عليه قصراً للاقامة فيه عندما يخرج للتره هناك. وكان يعرف هذا المجرى باسم «نهر أبي الجند» وكان في صدره برج لا تزال آثاره قائمة يعرف باسم «برج القائم» على شاكلة النصب الذي اقيم في صدر المدخل الأسفل القديم.

وكان من عادة الملوك العظام ان يشيدوا اصباً بذكارة او ابراً عالية في صدور الجداول التي يشقونها هيدوب عليها اسم الغاهل الذي امر بانشاء المشروع وبارح اثنائه وغير ذلك من المعلومات الخاصة بالمشروع ومن هذه الانصاب انصب العظم الذي اقامه الملك الأشوري سحرزب في القرن السابع قبل الميلاد في صدر القناة التي حفرها لارواء عاصمته سوى من نهر الكومل وحاه في نارمع اميداً مرفلاً ان نهر ماكا القديم الذي يرجع تاريخه الى قبل اكثر من ائني عام والذي كان يأخذ من الغرات وينتهي الى دجلة كان في صدره برج اسمه ما يكون بالعار وهذه العادة لا تزال متبعة حتى يومنا هذا فتشاهد اليوم مائة مرتفعة تحرب الجراح الاسر للسد الذي انشاء العثمانيون على نهر الغرات والمعروف بسد الهدية القديم مست على وجهها رحامة نقش عليها تاريخ انشاء السد واسم السلطان عبدالحميد ومن جملة الأعمال التي كان تنظها مشروع جدول النهروان تحويل مياه النهرين «العظيم» و«ديالى» وهما النهران اللذان يعترسان طريق امتداده فيحدران من المنطقة الجبلية شرقي العراق ويصان في الضفة الشرقية من دجلة حيث يصب الأول في دجلة جنوب سامراء والثاني جنوب بغداد.

وقد عالج المتقدمون ذلك بانشاء سددين صحيان من الحجر على المجرىين المذكورين لتحويل مياههما عن اتجاهيهما الاصليين، وكان ذلك في الموقع الذي يقطع فيه كل منهما سلسلة جبال حمير، ولا تزال آثار هذين السدين ماثلة للعيان تشهد في موقعي احتراقهما سلسلة جبال حمير المذكورة. فقد حولت مياه نهر ديالى الى حيرة الشويحة ومياه الى نهر دجلة قرب مدينة الكوت كما حولت مياه نهر العظيم الى موية الفارح الواقعة جنوب شرقي سامراء فأشبه فيها حزان يمول جدول النهروان بانباء في موسم شح المياه في نهر دجلة. وتشاهد اليوم آثار سددين صحيان على نهر العظيم في موقع اجتيازه سلسلة جبال حمير احدهما في مصبق حل حمير والذي على بعد بضعة كيلومترات جنوباً مما يدل على ان احد السدين كان قد انهار فأشبه سد آخر لجعل عمله. ولعل سبب انهار السد الأصلي يرجع الى عدم صلاحية التربة التي اشبه عليها السد والسؤال الذي يتبادر الى الذهن. أي السدين كان قد انشأ أول مرة أم الأعلى أم الأسفل؟ فالأرجح ان السد الأسفل هو السد الأصلي ثم بعد انهاره انشأ السد الأعلى فوق السد القديم المهار وكانت مياه النهرين، العظيم وديالى، تحول في الموسم الصيفي الى جداول الري المنفرعة من امام السدين لارواء الاراضي الزراعية



غابا السد الأعلى على الجانب الأيسر من نهر العظيم



غابا السد الأسفل على نهر العظيم

المجاورة وذلك عن طريق فتحات في السدين تمتع وتعلق سوانات حشية خاصة . وفي الشمال كان على نهر الراب الصغير سد يعمل على حجز مياه هذا النهر ويحولها بطريق نهري الفيل والاساسي القديمين ووادي ريفتون الحالي الى نهر العظيم . وبعد انعقاد مياه نهرين الراب الصغير والعظيم ، يتم تحويل المياه المتجمعة امام سد العظيم عند مصق جبل حميرين الى بحيرة الشارح المتقدم ذكرها فتخرج فيها المياه ثم يحول منها الى جدول الهروان عند شخ المياه في دحلة وقد اشترى الى ذلك فيما تقسم . (انظر خارطة مشاريع الري القديمة في اوائل العصر العباسي) .

٧ — سد نمرود القديم :

يتضح مما تقدم ان منطقة بغداد القديمة كانت تعتمد جغائياً ، الغربي والشرقي ، على وجود سد نمرود وسدي ديالى والعظيم في ارواء مزارعها وسائيتها ، لذلك يحس قصة هذا السد وتاريخه : فقد كان نهر دحلة في العصور القديمة يجري في القسم المحتد ما بين سامراء وموقع بغداد في مجرى مرتفع عربي بجراه الحالي ، ثم اُحد مع مرور الزمن يتحوله مجرى جديداً متجهاً نحو الشرق في الاراضي المحفصة الواقعة بامتداد المجرى الحالي الذي سسمه المجرى الشرقي حتى تحول نهائياً من مجراه الأصلي في جهة الغرب الى المجرى الشرقي الجديد (المجرى الحالي) ، الامر الذي أدى الى هبوط مستوى مياه النهر امام صدور الجداول المتفرعة من جانبي النهر في جوار سامراء والتي كانت مروعها تروي منطقة بغداد من الجاسين الغربي والشرقي . وعلى أثر هذا التحول الخطير الذي سبب انقطاع المياه عن الجداول المذكورة قام الاقدمون

والدور الذي مر مجرى نهر دجلة بالنسبة الى فرعيه ، الشرق والعربي ، إنما تذكرنا بالدور الذي مر بالفرات بالنسبة الى فرعي الهدية والحلة ، إذ كل مجرى الهدية في بادئ الأمر مصرفاً لنهر الفرات ثم اصبح هو المجرى الرئيس للنهر في القرون الوسطى ، وكان كذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي للمرة الثانية ، وهو يكون المجرى الرئيس لنهر الفرات في الوقت الحاضر . وقد مر نهر دجلة بسنن الدور في أسفل الدلتا فتناوب مجراه بين فرع العراف من جهة وفرع العمارة من جهة أخرى .

وبما ذكره حبر الري المشهور سيح وبلنام وبلوكوكس في هذا الصدد ان مياه دجلة كانت في الماضي تغلب فوق منطقة حجرية صلبة وتدحل ذلك بسبب عال ، إلا انه حصل ابتكالم في هذه الارض الصلبة بتأثير المياه منذ العصور التاريخية المارة كان من نتيجة ان أقام رجل عظيم سداً تراكباً عبر المجرى حول الماء الى الارض الصلبة في الشاطئ الأيمن وقد عرف هذا السد باسم « سد مرود » . ودلل وبلوكوكس على ذلك ان هناك في هذا القسم من دجلة طقة حجرية صلبة عمقها عشرة امتار تقع تحت الرواسب الطينية وتمطي طقة أخرى من الصلصال فتتحد هذه الطقة الصلبة نحو الجنوب الشرقي ثم تحتفي تحت فاع النهر شرقي مدينة بلد ويرى وبلوكوكس انه بعد انشاء السد ويحول مياه النهر الى جهة الغرب بقي المجرى في تلك الجهة مدة بري على ثلاثة آلاف سنة ، وذلك بفصل السد الذي انشأه هناك حتى انهار السد فرجعت مياه نهر دجلة الى المجرى الشرقي الموطن . الأمر الذي أدى الى هبوط مستوى الماء في نهر دجلة في ذلك المكان الى عشرة امتار ، وكانت نتيجة ذلك ان حب الجدولان العظيمان : النهر وان ودجيل — الدان كانا يرويان منطقة بعدد مجايبها فتحوالت الاراضي الواقعة على صفي نهر دجلة في القسم الاعلى من مجراه القديم الى صحراء فحلة ، ويرى وبلوكوكس انه يستعمل بان سب انهار السد يرجع الى فضاء دجلة او ان الابتكالم في قعر النهر وصل الى السد فقص عليه .

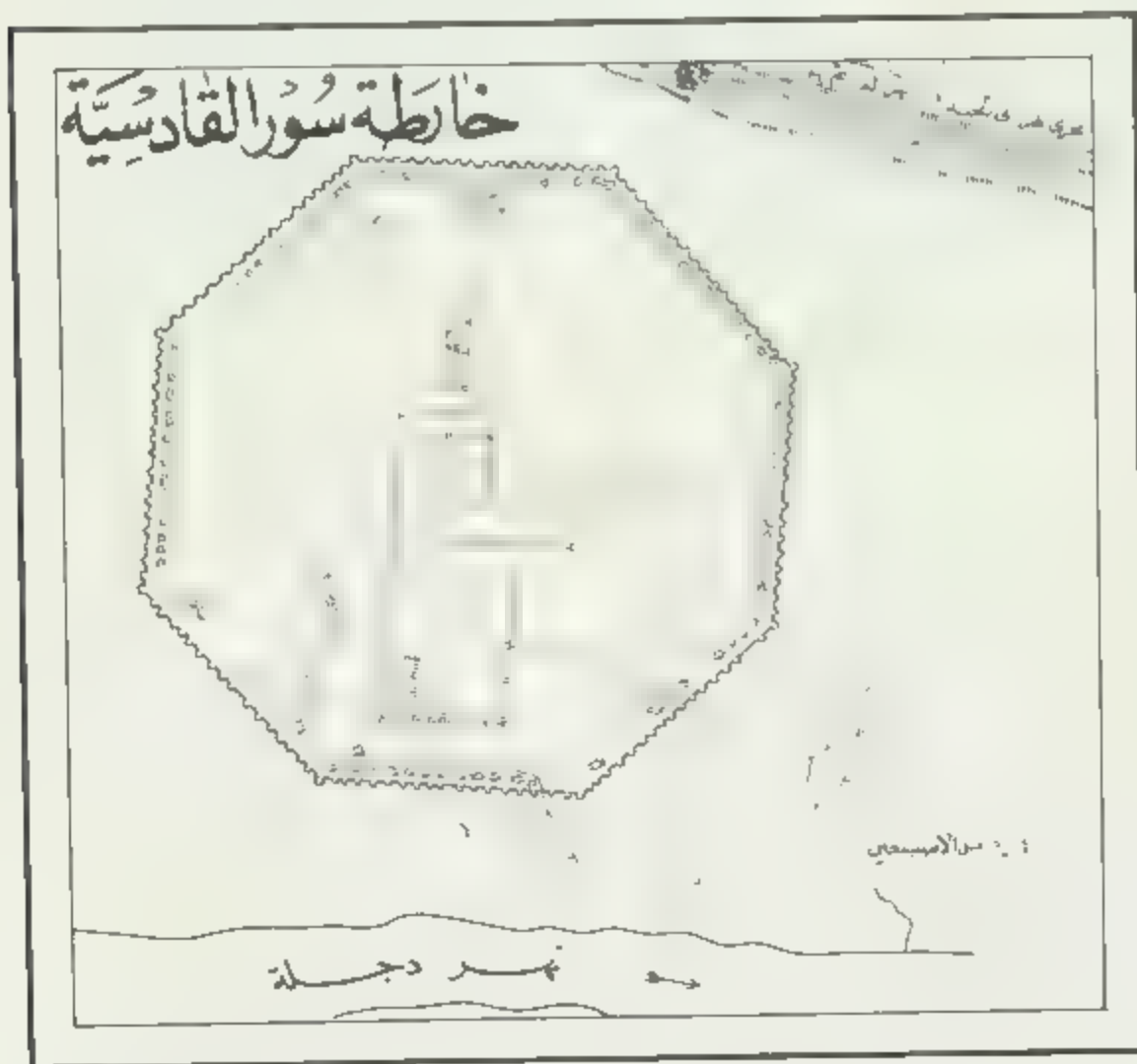
وإذا قام الاخصام سد فرع دجلة الشرقي سدهم الترابي وتحول كل مياه النهر الى الفرع العربي ، لذلك لانه لم تكن لديهم الوسائل الحديثة التي تسهل عملية انشاء سد مع بوابات تمتح وتعلق حسب مقتضى الحاجة على سطح قاطر الهندية او قاطر الكوت الحديثة .

ولابد من الاشارة في هذا الصدد الى ان سد مرود فقد علانته الأصدة كسد مرور الرمن حيث اصبح جزءاً من الاراضي المرتفعة الواقعة على شاطئ النهر ، لاسمها سد ان امتت على المجرى الشرقي القديم قرى ومرارح وجداول أدت الى محو معالم ذلك المجرى وابداس عتيقه . لذلك ان الاصح ان يقال ان مجرى دجلة تحول من عتيقه العربي المرتفع الى المجرى الشرقي الواقع في الاراضي الوطنية بدلاً من ذكر انهار سد مرود القديم إذ لم يبق هناك سد ليهار ، وكل ما حدث هو ان مجرى دجلة تحول من عتيقه العربي الى جهة الشرق حيث يسير مجرى دجلة الحالي ، وكان ذلك من جنوب السد القديم .

وبما يدل على ان الاقدمين كانوا يعلقون على مشروع سد مرود أهمية كبرى اهم اقاموا في جواره تحصينات عسكرية صعبة لصد هجمات الاعداء والحيلولة دون وقوع هذا الموضع التراتيجي الحيوي يد العدو ، وما رآه هذه التحصينات مائلة للبيان وهي تقع على مجاي السد ففي الجهة الغربية من السد انشئ جدار صحم من اللبن مدعم بدعامات على مسافات متقاربة في جهته الشمالية عليها أبراج صخرة ، يبدأ هذا الجدار من الصخرة التي لهر دجلة متصلاً بسد مرود من جهة الغرب ويمتد غرباً تحتراً الاراضي السهلة الواقعة على الجانب الغربي من نهر دجلة ، وبعد ان يسير مسافة حوالي عشرة كيلومترات في هذا الاتجاه تنهي الى حدود الاراضي الصحراوية المرتفعة ، ويعرف هذا الجدار اليوم باسم « عرقوب المطق » وقد سمي بسور سميراميس ، ويمكن المرء ان يتبع آثاره على طول امتداده بين النهر والصحراء المرتفعة بكل سهولة نظراً لصحات وارتفاعه الذي يتراوح بين ٣٥ و ٤٠ قدماً . وتناهد في نهاية الجدار في وسط الصحراء آثار بناء مربع الشكل يلع طول صلعه رهاً ثلاثين متراً . وفي كل من الاركان الاربع لهذا البناء برج صحم يطر منه الى

مسافات بعيدة في أطراف الصحراء المجاورة. كما يشاهد آثار حندق عميق عرضه حوالي (٢٧) متراً يمتد إلى عمادة الجدار شمالاً. وقد أُنشئ هذا الحندق وفق الطريقة التي كان يتبعها الأقدمون في إنشاء تحصيناتهم العسكرية. وكان الحندق المذكور يستمد المياه من نهر دجلة من أمام الد. وقد سبغت أطرافه بالحصى والنور. وسمى «الحالي».

هذا عما يخص تحصينات الجانب الغربي للد. أما التحصينات التي في الجانب الشرقي فتشتمل على حصن جسيم يقع عند مصدر مجرى النهر وان حث يقع برج القنم الذي اشترى إليه. ويعرف هذا الحصن حالياً باسم «سور القادسية». والسور مبني بالطين ويحيط مساحة واسعة ياهز معدل قطرها (١٦٥٠) متراً وهو مشتمل الأصلاخ يبلغ معدّل طول الصلح الواحدة منه (٦٢٠) متراً، وتدعمه من الخارج (١٧) دعامة نصف دائرية قطرها نحو خمسة أمتار وبين دعامة وأخرى (٢٩٥) متراً. وفي كل ركن من أركان السور الشمالية برج مدور يبلغ قطره دهاء ثمانية أمتار، وسبكت السور نحو ثمانية أمتار أيضاً. أما ارتفاعه فبلغ حوالي خمسة أمتار، وبلغ مساحة الأرض التي يشتملها نحو (٨٠٠) مساحة (١) (أنظر مرسوم سور القادسية). وهذا ما كنه سير ويليام ويلكوكس هذه التحصينات المذكورة قال «وشاهد اليوم على الجانب الأيسر من نهر دجلة في هذا المكان (أي مكان سد مرود) حصن ميب (ويقصد حصن القادسية) وعلى الجانب الآخر سور سميرامس الذي يسمى في بعض الخرائط سور الميديين وكانت تصون هذه المنابي جاحي سد مرود».



(١) تساوي المساحة ٢٥٠٠ متر مربع.

٨ — نهراً الخالص وبين في الجانب الشرقي لمطقة بغداد

نكفي هذا القدر حول مشروع سد مرود القديم الذي كان جدول النهر وان يعتمد عليه في سحب المياه من النهر و يعود الى العرين الرئيسيين اللذين كانا يتفرعان من جدول النهر وان لارواء منطقة بغداد الشرفية وهما « نهر الخالص » شمالاً و « نهر بين » جنوباً وقد سقت الاشارة اليهما .

أما الأول فكان يتفرع من الجانب الأيمن للنهر وان على مقربة من سفوة غرباً ، فيسج بين النهر وان ونهر دجلة جنوباً ثم يصب عموده في دجلة في نقطة تقع على رهاه ثمانية كيلومترات في الشمال من مدينة بغداد الحالية وتتصل فروع منطقة بغداد العليا التي صارت تعرف في العهد العباسي بالرافقة ، وأما « نهر بين » فكان يتفرع من النهر وان في نقطة تقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من شمال شرقي بغداد الحالية ، وبعد ان تتفرع منه عدة فروع تسقي القرى والصباع الواقعة على تلك الفروع يصب ماءه في دجلة عند قرية « كلوادة » في جنوبي منطقة بغداد الشرقية الحالية ، ويرجع ان موضع هذه القرية في تلوث الروبة المعروفة اليوم باسم « تلوح حاح عد » ، وقد عثر في اسفل سبع تلوث حاح عد هذه على حجر بابلي يحتوي على اسم الملك سوحنصر يرمي الى الدور التالي للحدث ، كما وجد في القسم الأعلى من التلوث آثار ساسانية و آثار اسلامية . أما قرية كلوادة فقد اصححت في الدور العباسي بدة مهمة فيها جامع خاص بصلاة الجمعة وسب اليها باب بغداد الجنوبي المعروف باب كلوادة

وكانت تقع قرية كلوادة على الطريق العام بين منطقة بغداد والمدائن ، ولا شك في ان هذا الطريق الذي كان يربط منطقة بغداد والمدائن هو نفس الطريق الذي وصفه المؤرخون العرب بعد ان شيدت مدينة بغداد فقد كتب ابن رسته في وصفه قال : « من بغداد الى كلوادة ثلاثة فراسخ ، الطريق يحده مع دجلة نهر حتى تنتهي الى كلوادة مدينة بها مسجد جامع ومبر واسواق . ومن كلوادة الى الرعراية الطريق محدد مع دجلة ومها الى المدائن الطريق في حبل ومزارع ، وتفرع على جسر يبر بين نهر بين ونهر وان حتى تنتهي الى المدائن ومنها مجدان جملان واسواق وعلى أحد جانبيها ، على المشرق قصر ساء الاكسرة وكان مقامهم بها ومنها الايواد الموصوف » (أنظر خارطة منطقة بغداد في اواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي) .

وكان يتفرع من نهر الخالص ونهر بين عدة فروع تؤلف شبكة من الانهار ينتهي بعضها الى دجلة والعصر الآخر الى المزارع مما جعل المزارع والناين والكروم متصلة بعضها ببعض لا مصلها غير الطرق الصفة المنتشرة بين المزارع تحت ظل الاشجار والحبل وهي الطرق التي تؤدي الى العرى المنتشرة بين المزارع . وكانت قد قسمت هذه المنطقة على منط تقسيم الجانب العربي ، فكان القسم الشمالي منها يعرف باسم « طسوح نهر بوق » والقسم الجنوبي يسمى « طسوح كلوادة ونهر بين » ، ويختلف هذا التقسيم عن تقسيم الجانب العربي في ان العاصل بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي في الجانب العربي هو نهر الصراة في حين ان العاصل بين مزارع القسم الشمالي والقسم الجنوبي في الجانب الشرقي لم يكن محدوداً بحدود نهر ما إذ كانت فروع نهر بين تسقي القسم الأعظم من طسوح نهر بوق

وقد اشتهرت هذه المنطقة بأديريها النظرة العامة وبساتينها وحقولها وكرومها . منها الدير الذي كان يعرف باسم « دير الزبدورد » وهو الدير الذي يقع في منطقة الزبدورد ضمن طسوح كلوادة ، وكان يروي هذه المنطقة نهر يسمى باسمها أي « نهر الزبدورد » ومنها نهر الحبي بالفارسية ، أي شديد الحريش ، ويتفرع من الضفة اليمنى لنهر بين . وكانت سائين هذا الدير مشهورة في العهد العباسي بترجها واعابها ، وقد شيد الخليفة الأمين قصر آفرب موضع هذا الدير ولعله ألحق هماً من سائين الدير بالقصر كما انشأ جسرين على نهر دجلة في جوار قصره للتقليل بين قصره في الجانب العربي وقصر الزبدورد هذا الذي اقامه في الجانب الشرقي ومن المحتمل ان الباب الذي شيد في سور بغداد الشرقية في العهد الأخير واصبح يعرف باسم « باب كلوادة » كان في موضع هذا العصر او مجازاً . أما دير الزبدورد فقد اصبح موضعه يعرف بمحلة باب الارح ومن المحتمل ان باب الارح نفسه كان قريباً جداً من موضع الدير المذكور وقد

ذكر السمعاني في «الأرحي» من الأسباب أنه كان في باب الأرح أربعة آلاف طاحونة وهذا يعني أن نهر الرسدود كان يجر كبحاً وهو قول ظاهر المخالفة ولذلك صدر «معه» «فيل»

وكان شمال مطعم الرسدود في طسوح نهر بوق قطيعة على نهر دجلة تعرف باسم «قطيعة المحرم» كانت تروى من أحد فروع نهر بين وقد سميت بهذا الاسم به إلى محرم ابن برد أو ابن شريح بن محرم وكان قد حل في هذه القطعة في أوائل العهد الإسلامي حينما فتح المسلمون العراق وقد أعطوه إياه الخلع عمر بن الخطاب وقيل ابن كسرى أقطعه إياه ، وفي هذه القطعة عينا «عقب حلة المحرم» التي اشتهرت بعد تأسيس مدينته بعداد ودار المملكة السوية ودار السلطة السلجوقية ، وهي منطقة الصرافية الحالية وما يليها من العوارنة أو هي العوارنة وما يليها من انصرافية

وكانت المطعم الواقعة إلى شرقي من قطعة المحرم تعرف في العهد القديم برستاق الأروصر ومعنى الرستاق مقاطعة أو مطعمه ، وكانت هذه القطعة تروى من أحد فروع نهر بين الشماليه بين يلتقي بفروع نهر الخالص ، وصار هذا الفرع يعرف في العهد العباسي باسم «نهر عبي» ، كما كانت المنطقة الواقعة في جنوب قطعة المحرم تعرف باسم «سوق الثلاثاء» وقد ذكرنا سابقاً أن هذا السوق «سمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل كلوادة و هل عدد ، قل أن يصير المنصور بعداد ، في كل شهر مرة يوم الثلاثاء فحسب إلى اليهم الذي كانت تقوم فيه السوق» وقد بقي هذا الموضع على اسمه الأصلي بعد أن شيدت مدينته بعداد انصرافية ، وقد بدأ صاحب المراصد وصف بقوت لهذه السوق غير أنه حصرها بأهل كلوادة فقط دون أن يشرك أهل بعداد فيها.

وكان في شمال قطعة المحرم مقبرة للمجوس قديمة ، وكانت هذه المقبرة في حوار الموضع الذي صار مقبرة لأبي حنيفة النعمان وغيره في عهد المنصور ثم صارت مقبرة أبي حنيفة هذه تعرف بمقبرة الخيران وبخيرانه نسبة إلى السيدة الخيران أم الهادي والرشيد وذلك بعد توسع حلة الرصافة وموضع الخيرانية هو مشهد الإمام الأعظم النعمان بن ثابت وما حوله.

وقد اشتهر القسم الشمالي من هذه الجانب من مطعم بعداد بداراته بمسورة للباطرة والباطنة ومن أهمها الدير المسمى «دير دمالس» ويرمي تاريخه إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي ، وفي العهد الذي عمت أشباه مدينته بعداد صارت تعرف هذه المنطقة باسم الشماسه ، والشماسية لغة عربية مسبوقة إلى وطعمه الشماس وهي وطيفة ديه عبد الصاري ، ولعل نسبة هذه المنطقة بالشماسية يرجع إلى وجود الدارات والبيع فيها وإلى شماساً من الشماسية كان مشهوراً فيها والأرجح أن معظم ديارات التي ازدهرت هناك في ذلك الزمن ترجع إلى أوائل العهد الساساني أي إلى زمن الجاهلية.

وكانت الأرض التي بجوار ديارات من ناحية الشمال تجمع عند مصب فروع نهر الخالص المتفرع من النهر وأن وكانت هذه المنطقة تسمى فيها العصب والبردي ونصاد فيها الضيوف بكثرة وقد أشربا إلى ذلك ، وصارت تعرف هذه المنطقة بعد إنشاء مدينته بعداد باسم الصحراء أو سهل شمالية وكانت تسمى أيضاً «رفقة الشماسه» والرفقة هي الأرض التي ينظفها الماء القاتن.

وما سمي ذكره في هذا النصف من الديارات النمرانية كانت نشأت في العدة في أحسن المواقع الخصبة التي تتوفر فيها مياه الأرواء وبكثر فيها الجنان والماض والاعراس من الأشجار والرماحين والأزهار وهذه كانت في أكثر الحالات عند دوائر الأنبار ومصباتها ، ولذلك يرى أن الخلفاء العباسيين كل تقع أحبارهم في الأكثر على ما بجوار هذه الديارات من الأماكن لإنشاء تصوراتهم وساتينهم فيها ، هي جوار الدير النيق في الجانب الغربي من بعداد أنشأ قصر الخلد في عهد المنصور وكذلك قصر القرار بعد ذلك بمدة يسيرة ، كما أنشأ مع الدولة البويهية قصره المشهور المعروف المسمى «الدار المعزية» في حوار دبر دمالس ، وأنشأ الأمير قصره عند دير الرسدود ، ومدينة المنصور بها كانت محروقة من أكثر أطلالها بالديارات.

٩ — منطقة بعداد الشرقية وازدهارها في العصور القديمة :

وقد كشفت لنا التنقيبات التي قامت بها دائرة الآثار العراقية في التلّول الأثرية الواقعة في المنطقة الشرقية من بعداد عن مدسة متوعلة في القدم يرتقي تاريخها الى عهد ملكة اشونا التي تعود الى اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ، فقد عثر في اثناء الحفريات التي اجريت في سنة ١٩٤٧ في « تل حرمل » وهو التلّ الواقع في الطرف الجنوبي الشرقي من بعداد الحالية (اطر حارطة منطقة بعداد في اواخر العهد الساساني) على لوحين من الطين دوت عليهما باللغة الساسانية مواد من قودين ملكة اشونا وهي اقدم رسماً بقرين من شرملة حمورابي المشهورة التي شرعت في حدود سنة ١٧٩٢ ق م

وكانت ملكة اشونا التي تعود اليها هذه الشرملة القديمة دولة من دولات المدن المهمة الكبيرة في نهر دجلة القديمة ، وكانت عاصمتها تسمى « اشونا » وموقعها الآن في حرائب « بل اسمر » الواقعة في شرق نهر دجلة ، وكانت جميع المنطقة الواقعة في الثلث الكائن بين نهر دجلة ودجلة ومها بلدة حرمل تابعة لها وقد نشأ في اشونا دولة مهمة مستقلة دامت خلال العصر البابلي القديم الى السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي فانه قصى عليها في هذا العام وصمم اراضيها الى امراطورته وفي منطقة بل حرمل اليوم بمجموعة من التلّول الأثرية أهمها واكبرها يدعى « تل محمد » وهو يبعد عن تل حرمل نحو ٦٠٠ متر في الجنوب الشرقي ولديها ما يدل على ان هذه التلّول يعود تاريخها الى العهد البابلي القديم ايضاً

ولاشك في ان العمران في هذه المنطقة لم يزدهر في تلك العهود السحيقة إلا على الماء الذي اوصته أسدي النسر اليها ، وهناك دلائل على ان البروان يرجع انشؤه الى عهد ملكة اشونا إذ جاء ذكر هذا نهر في لوح كشف عنه في حرائب « حجاجي » وهي احدي المدن التابعة لملكة اشونا ، وكان وروته فيه مصحراً ، وانه كان يخترق مقاطعة اشونا التي تقع فيها مدينة اشونا ، والظاهر ان هذا اللوح كتب على عهد « شمرايلونا » من حمورابي وحليفته أسدي ورد اسمه مقروناً باسم الموقع « دور شمرايلونا » المسمى « حجاجي » اليوم نسبة الى بعض الأعراب من قبيلة حجاجية والأرجح

أمدان من عهد تل حرمل



ان الهروان كان في ذلك الدور يقتصر على القسم الذي يمتد معجادة نهر دجلة بين ديبالى والكوت فقط وانه كان يستمد مياهه من نهر ديبالى متفرعاً منه او من احد فروع ديبالى التي كانت تتفرع من جوار مصق جبل حميرين . وعاء اسم الهروان في العهد العباسي على هذا الجزء من النهر وحده يؤيد رأينا في ذلك .

١٠ — ازدهار منطقة بغداد يحمل المتصور على اختيارها موقعاً لعاصمته :

يتضح مما تقدم ان المنطقة التي شيد المتصور مدنته عليها ، وهي منطقة بغداد بجانبها الغربي والشرقي ، كانت عامرة بربها ومزارعها منذ أقدم العصور ، ولعلها كانت في أوج ازدهارها عندما جاءها المتصور وهو يتجرى موقعاً ملائماً يشي على عاصمته الجديدة للدولة العباسية الفتية . وذكر المؤرخون انه بنى الدبر العتيق (دبر عراقيون) في الجانب الغربي من منطقة بغداد فوجدته قليل القل فأحضر صاحب رضى الطريق وصاحب بغداد وصاحب دبر ستان القس وصاحب ابيشقة من الجانب الغربي وصاحب المحرم من الجانب الشرقي فسألهم عن مواضعهم ومناحيها في مختلف المواسم ، ثم وجه رجالاً من قبله وأمر كل واحد منهم ان يست في قرية منها فبات كل منهم في قرية منها وأتاه بحرها . ثم عاد فأحضر صاحب بغداد ثانية وشاوره وسأله عن هذه الأماكن وطبيعتها فأجاب قائلاً : « نزل في بغداد فبات نصير في اربعة طاسيح ، طسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي ، فاللدان في العربي قطربل وبادوربا ، واللدان في الشرقي نهر بوق وكلوادا . فأت يكون من سخن وقرب الماء . فان أحذب طسوج وأحزرت عمارته كان الآخر عامراً ، وأنت يا امير المؤمنين على الصرة بجيتك الميرة من المغرب ، وفي الفرات بجيتك طرائف الشام ومصر وتلك اللدن ، وتجيئت الميرة من الصين والهد والصرة وواسط في دجلة . وتجيئت الميرة من ارمية وما اتصل بها حتى تصل الى الزاب . وتجيئت الميرة من الروم وأمد والجزيرة والموصل في دجلة . وأنت بين انهار لا يصل اليك عدو إلا على جسر او قذطرة . فاذا قطعت لجسر وأحزمت القاطر لم يصل اليك عدوك . وأنت بين دجلة والفرات لا بجيتك احد من المشرق والمغرب إلا احتاح الى المور . وأنت متوسط لبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وأنت قرب من البر والبحر والجلل » . وكان طبعياً ان تتمتع الخليفة بما أشير به عليه لما كان في منطقة بغداد من مزايا كثيرة . فعمل على تحقيق انشاء عاصمة دولته عليها وانشاء مدنته المدورة « مدنة السلام » التي كانت من « ادراسه ذلك العهد ، والآن بعد ان عرصا بما تقدم بدة عن نظام الري الذي كان سائداً في منطقة بغداد قبل ان يشأ المتصور عاصمته فيها ستعرض فيما يلي التطورات التي طرأت على ذلك النظام بعد ان اقيمت العاصمة المباسية فيها .

١١ — الجانب الغربي من منطقة بغداد بعد انشاء مدينة المتصور :

قد ان المنطقة التي انشأ المتصور مدنته المدورة فيها كانت في موضع مررعة المباركة في الجانب الغربي من نهر دجلة حيث كانت تروى من نهر قدس يعرف من الجانب الايمن لنهر دجلة من امام سد مروود ، وهو النهر الذي صار يعرف في العهد العباسي باسم « نهر دجل » . وكان ينشعب من هذا النهر شبكة من الصروع تعمل في الاراضي الواقعة بين دجلة والفرات والملتدة بين بلد وبغداد . وكانت تدخل الى منطقة بغداد من الشمال عدة قنوات تنبع من دلت هذا نهر فتتألف هالك شبكة من القنوات لتسقي المزارع والساكنين الواقعة في طسوج قطربل الذي من حده مررعة المباركة التي انشأ المتصور مدينته المدورة فيها . وفي اوائل العهد العباسي ازدهرت في منطقة دجل هذه على الضفة اليمنى مجرى دجلة شمالي بغداد مزارع وقرى كثيرة كانت تعرف باسم « طسوج مسكن » تمتد حتى تصل بأراضي « طسوج قطربل » ، وكان الفرع الذي يصل الى مررعة المباركة التي انشأ المتصور مدينته عليها بأحد من نهر دجل في نقطة تقع على بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من فوهة النهر فيحترق « طسوج مسكن » وينتهي الى منطقة بغداد وكان يعرف باسم « نهر طسوج » كما ذكرنا آنفاً . والفرع الذي اشتهر في منطقة مسكن هذه « حرمي » و« اوانا » و« مسكن » و« دجيل » و« المباركة » و« جمد » و« حوت » و« الاجمة » . وبما يدل على أهمية هذا الطسوج ان حياته في أيام المتصور



(٢١٨-٢٢٧ هـ. ٨٢٣-٨٤٢ م) بلغت ثلاثة آلاف كر حطة وألف كر شعير (١) و ٢٥٠٠٠٠ درهم (نظر حاشية مجرى دجلة شمال بغداد في قسمة الغربي القديم والشرقي الحالي) .
 وقد سوح مسكن أهمية تاريخية ، فحواً مدني دجل ومسكن هضبت المعركة التاريخية المشهورة بين مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان في حوالي سنة ٧٢ هـ . وفي هذه المعركة قتل مصعب وعسى ابنه وإبراهيم بن الأشتر والأرجح أنهم دفنوا في هذه المنطقة فيها .

وبما أنشأ المصور مدته المدورة في موضع مرادفة الماء كة مدب فيه من نهر دجل « نهر بصلط » الأخد من دجلة إلى المدينة في عقود وثيقة محكمة بالأجر والصاروخ وكانت تدخل المدينة وبعد في الشوارع والحدود ونجري صفاً وشتاء .
 وقد بقيت عداث مدينة المصور جداول الارواء التي كانت تقع في المنطقة المجاورة للمدينة المدورة من الجنوب و بقيت كانت تروى من نهر الفرات كما كانت عنه من قبل ، فان الصرراء الكبرى والصراة الصغرى وكر حايا بقيت محتفظة باسمائها القديمة اما نهر الرميل فصار يعرف في هذا العهد باسم نهر عيسى وقد ذكرنا أيضاً ان هذه التسمية نسبة إلى الأمير عيسى بن علي عم المصور الذي حدد اشتهر وشيد عند مصبه في دجلة فصرأ في موضع فصر ساور العتيق الذي مر ذكره سمي باسم قصر عيسى ، غير ان سمية الرميل القديمة لم تترك شيئاً فقد استمر بعض المؤرخين على تسميته القديمة ، ولا تترك آثار هذا النهر ظاهرة حتى يومنا هذا برغم عت العمران الجديد فيها وهي تعرف باسم « نهر الداودي » او « نهر العيسوي » كما كانت تعرف قبل نصف قرن وهي تقطع بعد أن تصل إلى مدنة بغداد حيث يصح أمام قبر الشيخ معروف الكرخي ، إلا أنه اذا اتجهنا شرقاً نجد ان آثار النهر تمتد في طهر المطار المدني الحالي وبعد أن نجتاز قبر الشيخ معروف الكرخي من الشمال تتلاشى بين أسنة بغداد ، واستناداً إلى اتجاه الآثار إن النهر كان ينتهي إلى دجلة بجوار مسجد هرة الحالي ، والمعلوم ان نهر الختر الحالي لم يكن موجوداً آنذاك ليعترض سبيله ونهر الداودي المذكور أيضاً منسوب إلى داود بن سديد الدولة أحد الخوارجة محمود الذي كانت يده رواق المدينة (النهر الصغيرة) وبما يحسن ذكره في

(١) الكر مكيال عربي عديم كان يستعمل في العراق قديماً وهو يساوي أربعين أردناً أو ٩٦٠ صاعاً ، ولما كان الصاع مساوياً حوالي ستة كيلومترات فيكون وزن الكر ٥٧٦٠ كيلوغراماً ، أي حوالي ستة أطنان .

هذا الصدد ان نقابا بهر عيسى كانت الى وقت قريب تعرف باسم النهر الأصلي كما تقدم رغم مرور مئات السنين على اندراس النهر كما لا يزال عدد من المواضع والمواقع التي كانت تحري فيها فروع النهر المذكور يعرف باسم عيسى ككل عيسى مثلاً الذي يقع في دلتا جدول الصعلاوة و« المساوية » (احدى شاحات فرع علي السليمان الحالي) الخ والأرجح ان لهذه التسميات صلة بالاسم القديم.

أما النهر الرئيس الذي كان يأخذ من بهر الفرات ويسهي الى دجلة جنوب بغداد . وهو نهر الذي كان بهر الرهين أحد فروعها ، فصار يعرف باسم « بهر عيسى الأعظم » لتسميه عن بهر عيسى (الفرع) وقد سفت الاشارة الى ذلك . وقد بقي بهر كرخايا المتفرع من بهر عيسى (الفرع) على ما كان عليه قبل انشاء مدنه المصور وقد مدت من جانبه الأيسر قناة حرت الى مدينة المصور في عقود ونفقه بحكمة بالأجر والصاروخ بدخل المدينة وتمتد في الشوارع والدروب على النحو الذي استت فيه القناة التي مدت من بهر طاطا الأحد من بهر دجيل . وقد روي عن المنصور انه قال للربيع بن تلمس في داني هذا موصفاً اذا أحدي الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين (١٢ كيلومتراً تقريباً) ؟ فقال لا قال بلى والأرجح أنه أشار بذلك الى القناة المذكورة . وبما ذكره اليعقوبي في هذا الصدد قوله : « وجرت المنصور القناة التي تأخذ من بهر كرخايا في عقود ونفقة من أسفلها بحكمة بالصاروخ والأجر من أطرافها معقودة عقداً وثيقاً ، لتدخل المدينة وتمتد في أكثر شوارع الأرياض تحري صيفاً وشتاءً قد هندست هندسة لا يقطع لها ماء في وقت » .

أما بهر الصراء فقد بقي أحد الفاصل بين القسم الشمالي من بغداد (طوبح قطرل) والقسم الجنوبي منها (طوبح بادوربا) ، فكان يتفرع من بهر عيسى الأعظم فوق المحور بقليل ويسير في عمراه القدم بموازي فرع بهر عيسى من الشمال حتى يصل الى الطرف الجنوبي الغربي من المدينة ابدوره عند القطر العتيقة . وهي القطر القديمة التي كانت عليه من قبل وقد أصبحت الآن القطر التي يمر فوقها طريق الكوفة العام ، ومن هنا تحرف النهر قليلاً ليكون شبه دائرة حول سور المدينة يمر بأداء باب الصرة حيث يمر طريق باب الصرة الرئيس على قطره تسمى القطر الجديدة ، وقد سميت بالجديدة لتمييزها عن القطر العتيقة التي كانت على الصرة قبل انشاء مدنه المصور . ويستمر في مجراه نحو الشمال الشرقي حتى يصل في دجلة عند الدبر العتيق المتقدم ذكره تحت حدائق قصر القرار وقصر الخلد وكانت حدائق هذا « قصر الأخير تسقى من بهر ومن المحتمل ان المصور ألحق قسماً من حدائق اندلس بقصره ههنا الذي اشتهر بحدائقه الواسعة

وكان على بهر الصراء العظمى عدة بساتين واسعة والحديقة الواقعة على طريق باب الكوفة وطريق باب الصرة ثلاث فاطر أخرى يقع بين ماخذ بهر الصراء المصري ومنها هي من الغرب الى الشرق : بساتين العباسي وقطرة الصبيات وقطره رحى الطريق . وقد استت هذه الفاطر على بحري الصراء العظمى ثمر من فوقها الدروب التي تبدأ من مدنه المصور واراضها المجاورة وتنتج الى محلة الكرخ الواقعة في جنوب مدينة المصور بين بهر الصراء وبهر عيسى . وكانت السق تسير في بهر الصراء حتى قطره الصراء ثم يحول ما فيها الى سق أخرى جنوب القطر ، وما ذكره الاصطخري في هذا الصدد : « وأما الصراء فان فيها حواضر تمنع من جري السق فتتهي السق منها الى قطره الصراء ثم يحول ما فيها ويتجاوز به ذلك الحاجز الى سق غيرها » .

وقد بقي بهر الصراء المصري على ما كان عليه في الأصل وهو يأخذ مياهه من الجانب الأيسر لنهر الصراء العظمى فيجري نحو الشمال الشرقي حتى يصل أمام باب الكوفة ثم يعود فيصب في بهر الصراء العظمى بعنه عند القطر العتيقة التي سبق ذكرها . وكان عند ملتقى الصرائين الرحي العظمى التي يقال لها رحى الطريق ، وكانت كما ذكر اليعقوبي مائة حجر هدمها بطريق قدم من ملك الروم هبت اليه . والأرجح ان تاريخ انشاء هذه الرحي يرجع الى العهد الذي سبق انشاء مدينة بغداد .

وقد أصبح مشروع الى بهر الصراء العظمى هو بهر جديد سمي « الخندق الظاهري » فتح من الجانب الأيسر لنهر

الصراة العظمى يأخذ من النقطة التي يتفرع منها نهر الصراة الصغرى ويجري نحو الشمال الشرقي وبعد أن يمر من مقابل باب الشام (تاركا الرص الشمالي لعداد المسمى «الحربة» إلى الشرق) يحترق منتصف قطعه الريدية ويصب في دجلة هناك في موضع كان يدعى باسم «العرصة» ، ولكي يميز بين هذه العرصة والعرصة التي في مصب نهر عيسى الرئيس مدعو هذه العرصة بعرصة الخندق الطاهري هذا وصف الخطيب العدادي لخندق طاهر ونبه ابن الجوزي كما في مختصر مائت بعداد وقد ذكره مؤلف المراسد قال «وحدى طاهر بعداد وهو الدرب المعروف بالطاهريه كان حول محاذ أرباص مدينة المصور فسمي الخندق لذلك» ثم قال في تظاهرة «أقول ، الظاهرة مبيص فصلاح الماء من بر دجيل ومن نهر عيسى حار برأ على قاطر معقودة بالأجر عدة أبواب ويرمي إلى دجلة»

ولعل الخندق الطاهري فتح لأعراس عسكرية ترمي إلى احاطة الماء بمدينة المصور من كافة أطرافها فتكون على شكل جزيرة تحيط بها الماء من كل جانب ، إذ يحدها دجلة من الشرق والصراة من الجنوب والخندق الطاهري من الغرب والشمال وذلك ريادة على الخندق الذي يدور حولها ، وما يدل على ذلك أنه سمي باسم «خندق» لا نهر وقد سمي الخندق الطاهري نسبة إلى ضاهر قائد جيش المأمون الذي كان يد عسكر حلقه عندما أرسله لمحاربته أخيه الأمين في بعداد ، وقد جاء ذكر هذا الخندق في رسم هذا الحصار الذي وقع سنة ١٩٨ هـ (٨١٤م) ، وكذلك سنة ١١ «الخيرم» القريب من هذا الخندق فحين «الخيرم الطاهري» ، وكان هذا الخيرم من المائي المهمة في بعداد العربية وظل سبيل عديدة مقراً لعامل بعداد وكانت الشوارع الرئيسة التي تتفرع من باب الشام في محلة الحربة تتجه غرباً نحو الخندق الطاهري فتقطعه على فاصل من الحجر ثم تؤدي إلى مختلف أنحاء طسوح فطربل ، وكانت هذه الطرق أربعة ، وكان لكل باب عند الخندق يسمى باسم الصطرة التي يمر الطريق من فوقها وأول القاطر على الخندق من الشمال «قطرة باب فطربل» وكانت تعرف بـ «قطرة أم جعفر» وكان الشارع الذي يمر عليه يؤدي إلى فطربل ، وكان هذا الشارع يؤدي أيضاً إلى عرصة الخندق الطاهري وكذلك إلى الجسر الذي صلب على نهر دجلة في الحد الشمالي من بعداد وكان يعرف بجسر الشماسة ويطلق قطرة «باب فطربل» جنوباً «قطرة باب حرب» وكان الشارع الذي يمر عليه وهو «شارع باب حرب» يؤدي إلى مقبرة باب حرب وفيه كثير من القبور الشهيرة ، منها قبر الامام أحمد بن حنبل وهو صاحب أحد المذاهب الإسلامية المعروفة وقد توفي سنة ٢٤١ هـ (٨٥٥م) ودفن فيه . وفي مقبرة باب حرب هذه دفن بشر الخافي وأبو بكر الخطيب وكثير من العلماء وأعلام المسلمين ، وكان هذا الطريق يؤدي أيضاً إلى مقبرة الشهداء الواقعة في غرب «مقبرة باب حرب» . وكان يلقب قطرة باب حرب «قطرة باب الحديد» وهي القطرة التي كان يمر منها شارع دجيل ثم تليها قطرة باب الأمار ، وهي القطرة التي كان يمر منها «شارع طريق الأمار» كما يسمى العقوي أو «درب باب الأمار» كما سماه آخرون وهو الطريق الذي يؤدي إلى الأمار ، وقبل أن يصل الطريق إلى باب الأمار يقبل كان يسمى بالطريق اسدي يخرج من باب الكوفة لتتجه نحو الأمار أيضاً وكانت تقع قرية الخطاينة القديمة التي مر ذكرها فيما تقدم بين باب الشام وباب الكوفة على درب الأتقاص فوق شارع طريق الأبار .

أما نهر كرخايا فقد ذكرنا أيضاً أنه كان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر عيسى (الفرع) في نقطة تقع على بعد نحو من ميل من فوهته فيجري نحو الشرق بين نهر الصراة ونهر عيسى ، ثم يعود فيصب في نهر عيسى عند طريق باب الصراة الرئيس . وكان هذا النهر يحترق محلة الكرخ وقد فتح المصور منه عدة فروع لتسقي الميالحات والأسواق ومن جعلتها القناة التي جرها إلى مدنته المدورة في عقود بالأجر والصاروخ وقد سبق ذكرها أما القسم الأسفل من هذا النهر وهو القسم الذي كان قد حفره يابك بن بهرام فقد صار يعرف باسم «نهر طابق» وقد أشتت في جواربه المحلة التي سميت بمحلة نهر طابق ، كما أشتت عليه محلة دار القطل التي سب إليها الخياط الامام أبو الحسن علي بن ادرقطي وتقع قرب «برانا» وجامعها التاريخي المشهور في صدر نهر كرخايا هذا وهي قرية قديمة كانت في هذا الموضع قبل إنشاء مدينة بغداد .

وقد عدت من سار هر كرخايا أربعة فروع رئيسة ومن يمينه فرع واحد ، كل مصفا يصب في دجلة والعض الآخر في هر عيسى وهر الصراء ، فكان الفرع الأول من المروع الأربعة اليسرى يسمى هر درين في مجراه الأعلى ، وهر أبي عتاب في مجراه الأسفل ، يحترق هذا الفرع روض الكرخ ماراً بركة تسمى « بركة رزل » ثم يصب في هر الصراء براء باب الصرة تحت القطرة الجديدة تماماً . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر رزين بلزاة باب الكوفة هر يسمى « هر باب الشام » وكان يقطع هر الصراء العظمى في جوار القطر المنيقة على عارة مجري الى جانب شارع باب الكوفة حتى إذا ما وصل الى باب الكوفة انحرف ساراً وسار حول سور المدينة المدورة حتى يصل الى باب الشام ، ثم يستمر في جريته الى الشمال وبعد أن يحترق المحلة المعروفة بمحلة الخريه في المنطقة الشمالية الغربية بالنسبة لمدينة المنصور يعي في أقصى الشمال في القطعة الريديه . ويسمى الفرع الأخير الثاني « هر البرارين » ويمر سوق البرارين وغيره من الأسواق فيجري موارياً لنهر الصراء العظمى جنوباً وبعد احتراقه المحلة المسماة « الشرفة » يصب في هر دجلة جنوب الصراء . ويسمى الفرع الثالث هر الدجاج وكان على صفته ناعة الدجاج ، ويصب في دجلة أيضاً ومجراه موار لنهر البرارين . وكانت على هر الدجاج هذا قطعة النصارى التي كان فيها الدبر المسمى « دير العدارى » أما الفرع الرابع الأخير فيسمى هر الفلانيين وبعد أن يجري قليلاً يصب في الفرع ثالث الذي تقدم ذكره ، وهو « هر الدجاج » ، وتقع عند هذا النهر محلة هر الفلانيين التي كانت في موضعها قرية ورنالا القديمة كما سبق يباه ، وذكر ابن عدالحق أن هناك هرأ بأحد من كرخايا كان يسقي قرية ورنالا ، بما يدل على أن هر الفلانيين هر قدس كان موجوداً قبل أن تنشأ محلة هر الفلانيين . وأما الفرع الخامس وهو الفرع الوحيد الذي كان يتفرع من الجانب الأيسر لنهر كرخايا يسمى هر الكلاب ويعمل نصف مياه هر كرخايا ويصب في هر عيسى بالقرب من ملتقى طريق الكوفة العام بهر عيسى حيث انشقت قطرة على نهر عيسى سميت باسم قطرة الشوك .

وقد شأت بلدة مهمة في هذا المهد يسمى بلدة المحول وذلك في الموقع الذي كان يتفرع منه هر الصراء وهر عيسى ، وكان في هذا الموقع سد على النهر الرئيس (هر عيسى الأعظم) لتنظيم الماء فيه وتقسيمه بين صددى فرعي الصراء وعيسى اللذين يحدها شرقاً الى بغداد ، وقد سميت هذه البلدة « المحول الكبير » لتمييزها عن المواضع الأخرى التي بهذا الاسم لأن النهر التي كانت تأتي من الفرات في النهر الرئيس كانت تقف عند السد وتحويل ما تحمله من صدد الى سفن أخرى في الجانب الآخر من السد لتحتل من هناك الى دجلة في مجرى هر عيسى الأعظم ومن ثم تصعد في هر دجلة حتى تصل الى بغداد ويقول ياقوت « إن اشتقاق المحول واضح من حوت الشيء : إذا نقلته من موضع الى موضع » ، وذكر عن بلدة المحول أنها « حصة طية كثيرة الساتين والفواكه والأسواق والمياه بها وبين بغداد مرسع (حوالي ٦ كيلومترات) » . وقد بنى بعض الخلفاء قصوراً لهم فيها ، منها قصر مشهور هو قصر الكشك الذي شيده المنصور في القسم الأعلى من البلدة ، وأثار بلدة المحول باقية يمكن مشاهدتها عند التول الكبيرة المعروفة اليوم باسم « المصب » الواقعة على الطريق بين بغداد وأبي عروب على بعد هاء من كيلومترات من جسر الحر الحالي .

وكان على هر عيسى (الفرع) بين المحول ودجلة عشر قاطر منها قطرة الشوك . أما القاطر التسع الباقية فأربع منها تقع غرب قطرة الشوك فتبدأ من أقصى الجهة الغربية قطرة الباسرية الواقعة جنوب شرقي برانا وقد سميت بذلك نسبة الى روض الباسرية وباب الباسرية الواقعين هناك ، وتليها قطرة الروميين وقطرة الرمانين ، ثم قطرة الأشنان في موضع ناعة الأشنان ، أما الخمس الأخرى فتبدأ من قرب قطرة الرمان في موضع ناعة الرمان ، ثم تليها قطرة المبيض حيث الارحاء بالقرب من موضع يدعى المبيض ، ثم قطرة السنان وتليها « قطرة المدي » ودعيت بذلك نسبة الى عدالله بن محمد المدي الذي كانت له قطائع في هذا الموضع ، وقد بنى لعمه داراً ورحى وبني هذه القطر على هر عيسى ودعيت كلها « سعة » أما القطر الأخيرة فكانت تسمى قطرة بني رريق وهي أسرة فارسية من السانيين ، وكان طريق الصرة العام يعبر فوق هذه القطر . وكانت هذه القاطر التي تقدم تعدادها تنضم المواصلات بين قسبي الكرخ ،

الداحلي في الشمال والخارجي الى الجنوب من نهر عيسى ، وكان في الأصل سوق لكل قطرة من هذه القنابر وكان بين باب الكوفة وباب البصرة عدد من القطائع تمتد على طول نهر الصراء بين سور المدينة المدورة وما يجدر ذكره في هذا الصدد أن نهر الرميل كان قبل إنشاء مدينة المصور يقتصر على إرواء المزارع التي يمر بها ، أما بعد إنشاء المدينة وقيام الأمير عيسى بإعادة بنائها فقد أصبح العمود الفقري الذي يدور حوله العمران الكثيف من كل صوب ، فانتظمت شبكة من الأنهار بين نهر البصرة ونهر عيسى احتوت الشوارع والدروب والأسواق حتى أصبحت أشبه سدقة ابغاليا ، وأصبحت هناك محلة كبيرة تعرف باسم محلة الكرخ سميت الى قرية الكرخ القديمة مدمجة بالدروب والقطائع والأسواق حتى امتد هذا الرص الى جنوب نهر عيسى كثيراً وأشعل الأراضي الواقعة على حدى طريق الكوفة مسافة بعيدة خارج بغداد وقد ذكر اليعقوبي أنها كانت من السنة بحث تمتد مقدار فرسخين (١٢ كيلومتراً) طولاً ومقدار عرسع (٦ كيلومترات) عرضاً هذا ما يحسن توسيع شبكة حداول الري في المنطقة الواقعة جنوب مدينة المصور المدورة ، أما في المنطقة الشمالية فقد كان نهر بظاظا الذي يتفرع من نهر دجيل الأحمد من نهر دجلة وقد سبقنا الإشارة اليه ، تنبع من أن سحل الى المدينة الى ثلاثة فروع سحر كلها باتجاه مدينة المصور والأراضي المجاورة لها من جهة الشمال والشمال الغربي وأهمها محلة الخيرية وكان كل من هذه الفروع الثلاثة يمر فوق عماره (عمارة قورج) على الخندق بدهري فكان الأول من جهة الشمال يمر فوق عماره على الخندق عند قطرة باب حرب وبعد أن يخترق محلة الخيرية يصب في أسفل نهر باب الشام الذي يتفرع من نهر ر. ب. ويعد الثاني بين قطرة باب حرب وقطرة باب الخندق فوق عماره كانت تعرف باسم «عمارة الكرخ» ويصب كسابقه في نهر باب الشام أيضاً بعد أن يمر بمرح منه فرعان صغيران من صفته اليسى والبرى ، وكان هذا الفرع يمر بموازة شارع دجل شمالاً وبعد أن يمر الخندق على عماره الكرخ يقطع شارع دجيل قرب باب الشام على مقربة من نهر «مطرة أبي الجوز» سميت الى دهقان فارسي كانت له مزرعة تسمى الشرافة في هذا الموضع قبل تأسيس بغداد وصارت مزارع سعد الخطيب في العهد العباسي . أما الفرع الثالث فكان يمر الخندق على (عمارة قورج) عند قصر باب الأسوار ثم يدخل بغداد من هناك يمر في شارع باب الأسوار وشارع الكرخ ويمر هناك وكانت هذه الفروع على هيئة قنوات تحت الأرض داخل المدينة وأوائلها مكشوفة

١٢ - الجانب الشرقي من منطقة بغداد بعد انتقال العمران اليه

عندما بدأ تقدم في أنهار الجانب الغربي من بغداد من إنشاء مدينة المصور وما بعده وسبقنا الآن الى أنهار الجانب الشرقي من المدينة ، فكان الجانب الشرقي من بغداد يقسم ادارياً الى قسمين ، القسم الشمالي ويعرف باسم طسوح نهر بوق والقسم الجنوبي وكان يعرف باسم طسوح كلوادا ونهر بين وقد أشرنا الى ذلك مما تقدم وكانت منطقة الرصافة وما جاورها من قطائع تنبع من طسوح نهر بوق وكانت تروى من الأنهار التي كانت تنحدر من جدول النهر وان تتألف شبكة من الجداول تنتشر هروعا في تلك المنطقة ، وكان نهر الخالص الفرع الرئيس الذي يمد هذه الجداول بالماء ، فكان يتفرع من الجانب الأيمن للنهر وان على مقربة من معقوداً غرباً يمر بين النهر وان ودجلة حكماً ذكرنا سابقاً ثم يصب في دجلة شمالي بغداد فوق قرية البردان قليل وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الخالص فرع يسمى «نهر الفصل» ، وكان يعرف نهر الشماسية أيضاً يمر نحو الجنوب الغربي حتى ينتهي الى دجلة يصب فيها في القسم الأعلى من بغداد الشرقية ولا تزال آثار هذا الفرع كما أنه لا تزال آثار نهر الخالص الرئيس القديم قائمة يمكن تتبعها في متجه النهر العتيق المعروف اليوم بنهر الزوريرة الذي يسير في جهة الغرب نحو «تل باب الشام» ومن ثم نحو نهر دجلة فينتهي هناك في أسفل الراشدية وكانت المنطقة الواقعة عند مصب نهر الفصل بدجلة في شمال الشماسية تكون بقعة محفظة يطلق عليها اسم «سهل الشماسية» وبقعة الشماسية أي الأرض المنخفضة التي يعطيها الماء العائض وقد أشرنا الى

ذلك سابقاً . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفصلى في الجهة الشمالية نهر يقال له الجعفرية ولعله أمث تقديراً «الثرعة» أو «الساقية» ، وبعد أن يمر بقرى وصياح يدور حول الشماكية ، معروف هناك باسم «نهر السور» ويعود فصب في نهر الفصلى في شمالي الشماكية . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفصلى أيضاً نهر آخر يسمى «نهر المهدي» فيسير إلى شرق الرصافة ثم يقسم إلى قسمين القسم الشرقي يصب في الجعفرية والقسم الغربي يحدر نحو قصر المهدي وجامعه فيجري هناك في ركة داخل القصر ومنها ينتهي إلى دجلة

وكان في سهل الشماكية على ضفة دجلة معان «دير درنا» و«دير القاب» اللذين في الجانب الغربي من مهابان أحدهما «دير درمائل» القديم الذي سبق ذكره والثاني «دير سمالو» وكان «دير سمالو» يشتمل بضعة واسعة من الأرض بالقرب من النهر وكان مائة محماً ويقع فيه رهن ودعي باسم سمالو سنة ١١٠٠ هـ إحدى مدن الحدود الأرمينية التي فتحها هرون الرشيد في حملة سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠م) وكان في جملة شروط استلامهم أن لا يفرق بينهم ، فأزلوا يفتاد في حوار باب الشماكية وسموا موضعهم وديرهم باسم «سمالو» وهو اسم موضعهم الأصلي

وكان قد وقع اختلاف بين الخليفة المعتصم وبين وزيره أس أبي دؤاد فيما يختص بمستوى أراضي الرصافة بالنسبة إلى أراضي مدينة المنصور في الجانب الغربي فحري ورهباناً وجدت مدينة المنصور أعلى من الرصافة فدراعين وجو من ثلثي دراع . وبثت المسح الحديث صحة ذلك وهو مما يدل على أنه كان للعرب خبرة في هذه الأعمال الفنية .

ولا يخفى أن الأراضي التي شيدت عليها مدينة بغداد بجانبها الغربي والشرقي مرتفعة عن مستوى ماء نهر دجلة في موسم فلة المياه بحيث يتعدى سطحها من النهر سيجاً . ولم تكن الآلات الرافعة المتوفرة بمقدور لدولت التي لا يمكن أن تصمم ببناء أرض واسعة كمسافة بغداد ذلك مما جعل المسؤولين إلى استعمال الجدول السحبة التي تحدر من أعالي النهر لارواء الأراضي والثاني سحاً طوال السنة . وهذا ذكره الأصطخري بأيداً لما قلنا قال «وأما لأشجار والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فأنها من ماء النهر وان واما (١) وليس يرتفع اليها من ماء دجلة إلا شيء يسير يقتصر عن العمارة وينصح بالدواليب» .

وكان المنصور قد عقد جسراً فوق دجلة ليصل به مدينته الغربية بمنطقة الرصافة الشرقية ، وكان يعرف هذا الجسر

(١) تاملوا هو الاسم القديم لبحر دجلة الحالي وقد بقي يعرف بهذه التسمية عبر التاريخ حتى حرب حدود العراق وإتلاف السد على النهر في مصب حبل حميرين صار يعرف بعد ذلك نهر دجلة إلى جدول بهذا الاسم كان يتفرع من الضفة اليمنى لجدول النهر وان يصب في نهر دجلة جنوبي بغداد مباشرة . وبما يعتمد توصيفه في هذا الصدد أن يجري نهر دجلة (نهر تاملوا القديم) كان قد سد عند مصب جبل حميرين سد حجري صمم عندما أنشئ جدول النهر وان وديت فيه تحويل مياه الفيضان عن المجرى الأصلي للنهر في ذلك الموضع لكي يسمح المجال لمرور هذا الجدول في امتداد بين سامراء والكوت عبر نهر دجلة والعظيم وقد أشرف على ذلك في تقدم . أما جاء النهر الضيقة فكانت يحول من أمام السد علق عند الفيضان إلى جدول يتفرع من حالي السد لارواء الأراضي المنخفضة ما بين السد وجدول النهر وان ، وكانت بعض هذه المياه تحول إلى جدول النهر وان في موسم شح المياه لتضاف إلى مياهه المستقاة من نهر دجلة ، وعلى هذا يرى الأصطخري يشير إلى أن الجانب الشرقي من بغداد كان يروى من مياه النهر وان وتاملوا ، ويقصد بذلك أن هذا الجانب كان يروى من مياه دجلة ودجلة ودجلة في مجتمعة في جدول النهر وان . ثم سد أن إمبر السد في جبل حميرين وحررت نظمات جدول النهر وان في العهد العباسي الأخير عاد نهر تاملوا إلى مجرىه الأصلي عتقاً جدول النهر وان اندرس ليصب في مصه القديم جنوبي بغداد حيث صار يعرف بعد ذلك نهر دجلة إلى جدول دجلة المتفرع من النهر وان كما تقدم . وسأني الكلام على ذلك في البحث عن إسيار سد دجلة القديم ونتائج

باسم «الجر الكبير» وه «جر الرصافة» وقد سمي العقوبي هذا الجسر «الجر الأول»، وكان هذا الجسر أول جسر عقد بعد إنشاء مدنه بعداد، وكان طريق حراسان العام الذي يبدأ من باب حراسان يمر به فيجتاز عدد رأس الجسر الشرقي مشرعة الجسر ومنها يمر تحت الباب المعقود المعروف باب الطاق فيمر إلى الشرق ويتجه إلى حراسان

قلنا فيما تقدم إن القسم الشمالي من بعداد الشريعة الذي كان يقع ضمن «طسوح بئر بوي» كان يروى من فرع بئر الخالص الذي يأخذ من الجانب الأيمن من النهر وان، أما القسم الجنوبي الذي كان يقع ضمن طسوح كلوادة وبئر بين فكان يروى من بئر بين وفروعه التي كانت تحرق هذا القسم قبل تأسيس مدينة بعداد وبئر بين هذا كان يتفرع من الجانب الأيمن للنهر وان أيضاً وذلك في نقطة تقع جنوب صدر الخالص وبعد أن تتفرع منه عدة فروع تسقي القرى والصياح الواقعة على تلك المروغ بصب ماءه في دجلة عند قرية «كلوادة» حوبي مدنه بمسدد الشرقية وقد سعت الإشارة إلى هذه القرية وأهم تلك المروغ «قاطول كلوادة» وقد ورد وصفه في مرصع الاحتلاع أنه باب بعداد «النهر بأحد من نامرا (بئر ديبال الأعلى الذي يصب بعض مياهه في النهر وان) تحت بئر الخالص ويصل ماؤه إلى باب بعداد وهو بئر كلوادة» وكان يتفرع من الصفة اليمنى لنهر بين فرع رئيس سمي «بئر موسى» فيجري غرباً حتى يصل إلى قصر المعتصم المعروف بـ «الثرثا»، وقد جعل المعتصم حوله جدراناً واسعة وأشأ به حيراً للوحوش وهو ما يعرف اليوم بمدينة حيوانات. ومن ثم سیر النهر إلى موضع يقال له «مقسم الماء» فيقسم هناك إلى ثلاثة أنهار، المرقع الشمالي، وهو الفرع الرئيس، يبقى محتفظاً باسم بئر موسى ثم يدخل بحلة المحرم فيمر بقصر المعتصم وبعد أن يدور حول هذه المنطقة يصب في دجلة أسفل «ستان الزاهر» وستان الزاهر هذا كان يقع على صفة دجلة عند مصب بئر موسى بدجلة أشأ معر الدولة البويهية إلى جانب قصره المشهور المعروف باسم «دار المعرعة» سة إلى لفة «معر الدولة»، وكان إلى جانب السان ميدان واسع متصل بين القصر والستان وقد عقد معر الدولة حراساً باب الشمالية ليربط به داره هذه بالجانب العربي من بعداد ومن أهم الأعمال التي قام بها معر الدولة في هذه المنطقة المسماة التي شيدها على حد الدار المعرعة من جهة دجلة البالغ طولها ١٥٠٠ ذراع وعرضها مائة آخرة أو يماً وكذلك النور الذي أقامه حول القصر والستان والمندان وكان موضع الدار المعرعة باب الشمالية شمالي الأعظمة (الصليح حالياً). أما موضع ستان الزاهر فكان في أرض اللات الحالي وما يليه ولأرواء الستان استخرج معر الدولة جدولاً خاصاً من بئر الخالص، ولكي يمر هذا الجدول القعة المحفصة في سبيله عاصطاً على مستوى قام بملئة الأرض لتسير الجدول فوقها، ويذكر الخطيب أن معر الدولة استخدم القبة في دوس الأرض المعلاة والدور المقوصة التي أصبحت ضمن الستان وبعد أن تم فتح الجدول بين معر الدولة جواره بالأجر والكس والنور وأخرى الماء به حتى وصل إلى ستان القصر الجديد، وكانت مساحة الستان وحدها تبلغ نحواً من مائتي حريب (١)

وكان على معر بئر موسى في جنوب قصر المعتصم قطره تدعى «قطرة الأنصار» والأنصار هم أهل المدينة الذين هربوا الرسول (ص) عند هجرته من مكة وظل أولادهم يحملون هذا اللقب الشريف

وكان سمي المرقع الثاني الذي تشعب من مقسم الماء باسم «بئر المعلى» فيسير باتجاه الجنوب العربي حتى يدخل المدينة وينتهي عند قصر المعتصم المعروف بـ «المردوس» ويدور حوله حتى يصب في دجلة عند القصر وكان قد أشأ المعتصم بحيرة في هذا القصر.

وبئر المرقع الثالث من المقسم فيسير إلى الجنوب العربي أيضاً ثم يدخل القصر الحسيني ويدور فيه وينتهي إلى دجلة تحت قصر المكهي بالله المعروف بـ «قصر التاج». وكان أول من أشأ القصر الحسيني جعفر البرمكي وكان يعرف في

(١) الحرب العربي القديم قطعة من الأرض صاحبها ستون ذراعاً في ستين أي ٣٦٠٠ ذراعاً مربعة.

ذلك الوقت بالعصر الجعفري ثم تبدل اسمه بعد أن أقام فيه المأمون فسمي المأموني كما سميت المحلة الواقعة في حواره بالمأمونية نسبة إلى هذا القصر . وما ذكره ياقوت أن المأمون اقتطع جملة من البرية المجاورة اتحدتها ميداناً لرصص الخيل واللعب بالصوالمجة وحيراً للوحوش فتح له بانياً شرقاً إلى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساهمه من نهر المعلى وبنى غرباً مع مارل يرسم حاضنه وأصحابه سميت بالمأمونية . ثم أقام بعد ذلك الوزير الحسن بن سهل في هذا القصر فسمي الحسني ، وكان المركز الذي أُنشئت حوله قصبة الخلفاء العباسية في هذه المنطقة التي تمتد على ضفة نهر دجلة . ويقال إن المعتمد وسع العصر الحسني وأضاف إليه دوراً عديدة واقطع أرضاً واسعة لجعلها ميداناً وأحاط سوراً بالجمع ثم أنشئ أراحاً بين القصر الحسني وقصره « ثوبا » لثمنى جواريه فيها وحرمة وسرايره . وكان قصر الثريا على مسافة ميلين عريين من القصر الحسني ، وكان طول الأرح مابين وقد عقد تحت الدور والشوارع التي أقيمت خارج قصور الخلفاء . وكان الأرح لا يزال قائماً إلى المرق الذي وقع في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٤م) معاً أثره .

١٧ — القيصان وكون مدينة بغداد عرضة لخطر الفرق :

ستدل بما تقدم أن تخطيط الري التي اصطلاح بها الأندلس على نهري دجلة والفرات كان لها دور مهم في درء أخطار فيضان الرافدين عن مدينة بغداد وحمايتها من الفرق في الأدوار الأولى من تاريخها ، مما جعل سلامة المدينة وصيانة حمايتها من الفرق مرتبطين ارتباطاً كلياً بمدى فعالية هذه التظيمات وسلامتها . فقد كانت تخطيطات الري في أوائل عهد إنشاء مدينة بغداد على جانب كبير من الاحكام والصفاء ، حيث كانت مياه فيضان نهر دجلة تجري من أمام السد عند جبل حمرين لتصب في دجلة قرب مدينة الكوت على بعد أكثر من ٣٠٠ كيلومتر عن بغداد جنوباً متبعة بحريق محفصات الهريجة الحامية وهور الشريعة الحالي . كما أن مياه نهر العظيم كانت تجري من أمام سد العظيم عند جبل حمرين إلى بحيرة الشارح حيث كانت تحرن بها مياه فيضان نهر العظيم ومما مياه نهر الراب الصغير إلى بحيرة الشارح حيث كانت تحرن مياه فيضان النهرين المذكورين لثمون جدول البهروان بها في موسم شح المياه . وبغداد عن ذلك كان مدد مرود على نهر دجلة ساعد على تحويل كميات غير قليلة من مياه فيضان دجلة إلى البهروان الواسع في الجانب الشرقي وإلى جدول الاسحاني ووجد في الجانب الغربي من نهر . ووفق كل ذلك كانت مياه فيضان دجلة التي تصل إلى بغداد بحول من شمال المدينة في الجانب الشرقي فتجري في الوادي الطامي من خلف صفاة ذلك الجانب وتصب في النهر جنوب المدينة عن طريق المنطقة التي تكون اليوم محلات النواوين والمطوية والرونة ومعسكر الرشيد ، هذا زيادة على ما كان يحمي الجانب الشرقي المؤلف من معسكر المهدي وما حوله من العمران في رصافة المنصور من خطر الفيضان . يحيط به من كل الأطراف . كما أن مدينة المنصور وما حولها من محلات كانت تحميها أسوار المدينة المدورة ثم الخندق الظاهري الذي يحيط بالمحلات المجاورة كما تقدم ذكره . أما مياه فيضان الفرات فكانت تصب في نهر دجلة عن طريق نهر عيسى الأعظم جنوب بغداد هذا زيادة على استخدام بحيرة الحمية كمخزن لتجميع مياه فيضان الفرات . وفي هذا كله ما يجيب على السؤال الذي نشأ عن مدى المتسع لحوادث عرق بغداد الخطيرة التي وقعت في أواخر العهد العباسي . الحوادث المؤلمة المطوية على مشاهد مروعة من مشاهد التحريب التي لا تبقى ولا تفسد . وهو لماذا اختار المنصور الموقع الذي أنشأ فيه مدينته وهو ممر من خطر الفرق ؟ ألم يكن في بسطه اختيار موقع آخر يضمن حماية المدينة من الفرق ؟ وفيما شرحناه لدليل واضح على ما لدراسة تاريخ الري العراقي وتطوره منذ أقدم العصور من صلة وثقى بتطور المراحل التي مرت بها مدينة بغداد في مختلف أدوارها التاريخية حدث يصحح كل دراسة لتاريخ بغداد القديم غير معروفة بدراسة تاريخ الري العراقية القديم قصره من التوصل إلى نتائج كعلة تصوير واقع الحال على أساس علمي دقيق . أما ما يتعلق بالوقاية من أخطار الفيضان ، فالطريقة التي كان تتبعها القدماء في أكثر الحالات هي أنهم كانوا يقومون دورهم ويؤسسون مزارعهم على أحد شطي النهر فيحيطونها بسداد محكمة ، ويصعدون أمامها تاركين مياه الفيضان بشر

في الأراضي الواقعة خلف الشط المقابل وهكذا كانت الحال حين أقام المصور مدنته ، فقد أنشأها على الجانب الغربي لنهر دجلة حيث تقع أراضي هذا الجانب في موى عال بالعاس إلى موى أراضي الجانب الشرقي ، وقد استمد من الأسوار المحيطة بالمدينة توافقه من خطر فيضان دجلة من الشرق وفيضان الفرات من الغرب ، تاركاً ماء فيضان دجلة تنتشر في الأراضي الواقعة على الجانب الشرقي من دجلة ثم ساب إلى مجرى النهر جوبي المدينة وكانت بحيرة الجاه الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الفرات في حوض الرماذي تستعمل كحوض طبيعي تحول إليه ماء فيضان الفرات بصورة تلقائية ، يجمع من وطأة طين النهر جوباً ، كما كانت أنهر واسعة تنزع من الجانب الأيسر نهر الفرات كبر عيسى الكبير وأنهر الملك وصرصر وكوش فتسحب كمية كبيرة من المياه الفائضة ، وفي الوقت نفسه كانت مشاريع الري على نهر دجلة تصب في حد كبير من وطأة الفيضان من جهة نهر دجلة .

ولما توسع عمران المدينة وامتد إلى الجانب الشرقي من دجلة أصبح لوضع يتطوّر وقاعة هذا الجانب أيضاً من أخطار الفيضان مما أوجب إنشاء سدود حول العمران الذي على الجانب المذكور لافساح المجال لهذه الفيضان أن تجري من خلف السداد شرقاً لتصب في دجلة جوبي المدينة .

وستخلص من تفحص الحوادث عرق بغداد في مختلف أدوارها في ضوء تطور مشاريع الري في العهد العباسي من المدينة مرت ثلاثة أدوار ، فمر الدور الأول الذي يمكن بعدده بالمائة وخمسين سنة الأولى من تاريخها ، أي بين سنة ١٥٠ وسنة ٣٠٠ هـ على وجه التقريب . سلام دون أن تعرض المدينة إلى خطر كبير من جراء فيضان يمتد على الفلق ويرجع سبب ذلك بالدرجة الأولى إلى مستنقعات الري التي ألب لها وما تقدم والتي كان لها أثر كبير في سيطرة على مياه الفيضان . ومع ذلك فقد ورد ذكر حصة فيضانات حدثت في دجلة وواحد في الفرات في هذه الأونة ولكن لم يكن أي منها سبباً لحدوث أضرار جسيمة كالتي أحدثتها الفيضانات التي بنها في الدورين الثاني والثالث ، ونلاحظ أن أول ذكر حصة فيضان نهر دجلة بعد بناء مدينة بغداد كان في سنة ست وثلاثمائة ومائة للهجرة (٢٨٠ م) في أيام الرشيد . إدرات دجلة زباده كبيرة ، « من الرشيد بأهله وحرمه وأمّه إلى العباس ، ومع انس من السوا اشفاقاً عليهم » وذلك يدل على أن الخطر كان عميقاً بالجانب الشرقي للمدينة ومصدره نهر دجلة .

٩٤ — المقياس العباسي على نهر دجلة في بغداد

وفي حوالي أواخر الدور الأول أخذت تتأزم الحالة بالنسبة إلى خطر فيضان نهر دجلة من الجانب الشرقي من المدينة من جهة وأعمال مستنقعات الري من جهة أخرى . صار موضوع فيضان نهر دجلة والفرات موضع عناية خاصة من المسؤولين ، حيث أصبحت الحاجة شديدة لمراقبة حركات الأنهر وتسجيل ما سبب المياه خاصة في موسم الفيضان حين يفيض النهر ويهدد المدينة بالعرق . وستدل عارواء المؤرخون على أن هناك مقاساً نصبت على كل من صفتي نهر دجلة في بغداد وقد وصل إليها من المصادر القديمة عدة تسجيلات لموى مياه أنهر على هذا المقياس ، وقد قصرت على تسجيل حوادث بعض الفيضانات الخطيرة فقط وعلى ذكر الحد الأعظم الذي بلغه موى الماء في كل من هذه الفيضانات مع بيان سبب حدوثه وفي أكثر الحالات ذكر اليوم والشهر ، فقد ورد ذكر لنصب هذا المقياس مما حكه ابن الجوري في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حواشي سنة ٢٩٣ هـ — ٩٠٥ — ٩٠٦ م) (١) قال « ونصب آدميس على دجلة من حسابها طول حصة وعشرون ذراعاً وعلى كل ذراع علامة مدوره ، وعلى كل حصة أذرع علامة مرميه مكتوب عليها

والنسخة تاريخنا تاريخنا من سنة ٢٩٣ هـ بدلاً من سنة ٢٩٣ هـ التي وردت في كتاب المنتظم لتقديم ذكره وذلك ما على وجوده من يشير إلى عرق سجلت لموى فيضان سنة ٢٩٣ هـ على المقياس وهذا يدل على أن المقياس كان موجوداً في تلك السنة .

معدودة علامه الأذرع تعرف بها مبالغ الربادات . ويلاحظ انه لم تذكر ها الموقع الذي أُنشئ به المقياس ، ولكن الإشارة اليه فيما بعد بمناسبة ذكر حوادث الفيضان وعرق بغداد يدل على وجه التأكيد على أنه كان في مدينة بغداد وقد نصب مقياسان ، أحدهما في الجانب الغربي ، والثاني في الجانب الشرقي ، لمراقبة مستويات مياه الفيضان في أحد الحاسين عند تقدر الانتمال بينهما في حالات الفيضانات العله . ولا يوجد ثدي معلوم عن الجدول الذي استند اليه في نصب هذا المقياس بالنسبة الى مستوى سطح البحر ، إلا انه يرجح ان أسفل المقاس كان قد ثبت في قعر النهر أو في أوطأ مستوى للمياه في زمن شح المياه . وكان ارتفاعه بين أسطه وأعلاه حمصاً وعشرين ذراعاً كما تقدم ، أي ما ساوي نحواً من ثلاثة عشر متراً .

وقد وقف على ذكر فيضان واحد سجل مستوى زيادته على المقاس المذكور في الدور الأول وذلك في نفس السنة التي أسس بها المقياس وهي سنة ٣٩٢ هـ (٩٠٦ م) وذكر ابن الجوزي ان دجلة زادت زيادة معرطة قهتت المدارس على شاطئها من الحاسين وقد منع انطمان أشده في حمدي الأولى من تلك السنة فطعت الريادة إحدى وعشرين ذراعاً

١٥ — سور دار الخلافة :

وفي نفس الوقت أنشئت المني في قسم الحوي من الجانب الشرقي للمدينة حيث أُنشئت هناك أهم مقصور الخلفاء وصارت تعرف هذه المقصور وتلقبها باسم « دار الخلافة » وقد سورت هذه الدار سور على هيئة نصف دائرة وقد استخدم هذه السور بني بني آخر العهد العباسي للوقاية من خطر الفيضان من جهة الشرق خلف المدينة

١٦ — المقياس العباسي على نهر الفرات :

وبالطريق كان لمقياس نهر الفرات من تأثير في الجانب الغربي من بغداد عند نصب مقياس على هذا النهر أيضاً وقد وقعنا على ثلاثة سجلات لقراء هذا المقياس فيما بين سني ٣١٦ و ٣٢٩ هـ . ولما كان ذلك قد ورد دون ذكر للموقع الذي نصب به المقياس فليس لدينا أية معلومات عن موقعه من نهر الفرات ، إلا انما يرجح انه أنشئ في مدينة الأسار بالقرب الى أهميتها في العهد العباسي . يدل ان أول خليفة عباسي بعدها عاصمه له قبل إنشاء مدينة بغداد ، وساء على ورود ذكر الأبار في عدة حوادث من أحبار فيضان نهر الفرات .

١٧ — انبهار سد دبال القديم ونتائجه :

ومن أهم الحوادث التي وقعت في سهل الدور الثاني الذي حددناه فيما بين سنة ٣٠٠ و ٤٥٠ هـ على وجه التقريب ، أي في أوائل القرن الرابع الهجري (حوالي سنة ٣٠٠ هـ) ، حادث خطير كان له أثر بارز في تطور فيضان دجلة وازدياد خطورته بالنسبة الى مدينة بغداد . وهذا الحادث هو انهيار السد الذي كان قد أقامه الأندلسيون على نهر دبال عند مصقجن حميرين بجهة فاسح انجن خرو . حدود البروان في امتداد بين سامراء والكوت . وكان من نتائج هذا الانهيار أن عاد نهر دبال الى مجرى الأصلي الذي كان يسير فيه قبل إنشاء السد وهو مجرى الخالي الذي يصب في جنوب بغداد ، فصارت مياه فيضان نهر دبال تتجمع في حوض نهر دجلة جنوب بغداد فتزيد في ارتفاع مسبب ماهاه أمام مدينة بغداد شمالاً وتبقى حرمانه . وهكذا فقد أصبحت بغداد مقادة بحكم الضرورة عرافة حركة فيضان نهر دبال بالاضافة الى حركات فيضان نهر دجلة ، ويستدل من سجل الحوادث التاريخية التي وصلت اليها من ذلك العهد على ان حكم هذا الدور الجديد بصوماً مقاساً على نهر دبال وكان ذلك في معقوف على الأرجح وأخذوا يسجلون ارتفاعات مسبب مياه هذا النهر علاوة على نهر دجلة في مواسم الفيضان .

فلما فيما تقدم ان نهر دبال كان يعرف في زمن العرب باسم « نهر نامراء » أما تسمية نهر دبال فكانت تطلق على جدول بهذا الاسم يتفرع من الجانب الغربي من البروان وينتهي الى جوار نهر دجلة جنوب بغداد ، إلا أنه بعد انهيار

سد ديبالى في جبل حمرين عاد النهر يسيل في مجراه القدام الذي كان يسلكه قبل انشاء مشروع النهر وان وصل الى يعرف باسم نهر ديبالى سنة الى جدول ديبالى الذي كان يأخذ من النهر وان انتهى الى نهر دجلة جنوب بغداد ، وانجرى مجرى نهر ديبالى لنهر وان قرب بقرباً انقطعت مياه دجلة عن النهر وان في القسم الذي يمتد جنوب بقرباً وهو القسم الذي كانت مروعته تنتهي الى الجانب الشرقي من مدينة بغداد وإلى المزارع الواقعة بين بغداد والكوت ، ويحتاجه لوضع أشي - سد مائي على نهر ديبالى في حوض مطلقه بغداد قرب محطة سكة الحديد المعروفة بمحطة (كاسلر بوس) لتحويل مياه نهر ديبالى الى النهر وان في قسمه الأسفل بدلاً من مياه دجلة التي كان يسحبها مجرى نهر وان من قرب سامراء ، وكان يعرف هذا السد باسم «مصعة السهل» إلا أنه كان مهدداً بمضات النهر سوباً فكان يرمم بين الحين والآخر كلما حدثت تحركات فيه ولكن دون جدوى ، وهكذا فقد أصبح النهر وان الذي يمتد بين ديبالى والكوت يعتمد في ابراده المائي على نهر ديبالى (نامراء) بعد أن كان يمتد بمياهه من دجلة بطريق صدوره في حوض سامراء ، كما أنه أصبح دخول مياه ديبالى اليه معتمداً على صمود مصعة السهل أمام تيار مياه نهر ديبالى (نامراء) ، وقد ورد ذكر مصعة السهل لأول مرة في عهد خلافة الراصي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) في حوادث بحكم التركي وعبد بن رائق في سنة ٢٢٦ هـ ، فقد جاء في ذكر هذه الحوادث أنه لما قدم بحكم من واسط وهو متوجه نحو بغداد كان محمد بن رائق يستعد للقاءه ، فعث من يثق بنهر النهر وان الى نهر ديبالى أي أنه أرسل من بكر «مصعة السهل» إلا أن ذلك لم يمنع بحكم من الاستمرار في رحته على بغداد حيث نصب على نهر ديبالى جراً عبر عنه بعض أصحابه سباحة فاهرم ابن رائق وصل الى عكبرا .

وسمى رواء المؤرخون ان «سد السهل» كان مصدر قلق شديد لدى رجال الحكم فكانوا يمشون من يعتمد عليهم الى موقع السد ليعتبه والاشراف على تحكيمه ، وكان هؤلاء ملزمين بالمقام هناك حتى ينتهي موسم الفيضان ، وكان يخصص مدهون أحياناً الى موقع «سد السهل» للاشراف على بحكم الدافعهم ، وقد اشتهر في العهد السلجوقي مهندس عراقي كان له شأن عظيم في أمور الاسقاء وهذه الدود والانه هو ابو الحسن بن ولف بن مجاهد الدين البصري ولي مرة العراق سنة وتلاثين هـ ، وكان في مقدمه اعماله العمرانية بولية شؤون الري العراقي ، وكان امر سد وصيانة سد السهل شغله الشاغل فرب الآلات واحكم العمل وفاق من سعة من الدولة والسلاطين واصلاحه وسد ثوفه وقد قيل ان بن ولف كان لا يزال يعمل على سد نهر النهر وان الى ان مات في سنة اربعين وخمسة مئة ، ثم هبت حياطة «المصعة السهل» بعد وفاء بن ولف عما ادى الى خراب النهر وان وبقي على هذا الحال منذ ذلك الوقت الى يوم هذا

وقد حثرت محاولة لاعادة انشاء هذا السد على عهد مدحت باشا (١٢٨٥ هـ - ١٢٦٨ م) بمه ابناء القسم الاسفل من النهر وان ، الا ان محاولته هذه فشلت لأن السد لم يقو على الصمود أمام فيضان ديبالى الشديد ، وقد اقترح سبر ويلام وملكوكس في حملة مشاريعه التي قدمها بعد ذلك اعادة انشاء هذا السد لاجاء القسم الاسفل من النهر وان على ان تحوّل مياه فيضان ديبالى الى المجرى القديم الذي يسيل الى دجلة قرب الكوت والذي كانت تجري فيه بعد وجود السد في جبل حمرين إلا أنه لم يؤخذ بهذا الاقتراح ، وكان أول ذكر ورد بمضات نهر ديبالى في حوادث فيضان سنة ١٢٦٧ هـ حيث ردت ديبالى ريابة كبيرة فغلت سكر السهل لدى مر ذكره وأحدث طريقاً لنصب في نهر دجلة جنوب بغداد الأمر الذي أدى الى تجمع المياه في حوض نهر دجلة وهو في حالة فيضان ايضا فرفع مستوى المياه أمام بغداد حتى بلغ ٢١ درعاً فغرقته المدينة في جانيها .

وفي هذا الدور الثاني الذي حددناه بالفترة الواقعة بين ٣٠٠ و ٤٥٠ هـ بدأ الاصطلاح والوهن يدان في جسم الدولة العباسية سجد لفضل بغداد الخلاء وسيطرتهم على شؤونها الأمر الذي أدى احيراً الى انهيار مشاريع الري في لفظر كله وهذا يدخل الدور الثالث الذي بدأ في حوالى منتصف القرن الخامس ومنتهاى بالبحكم العباسي سنة ٦٥٦ هـ

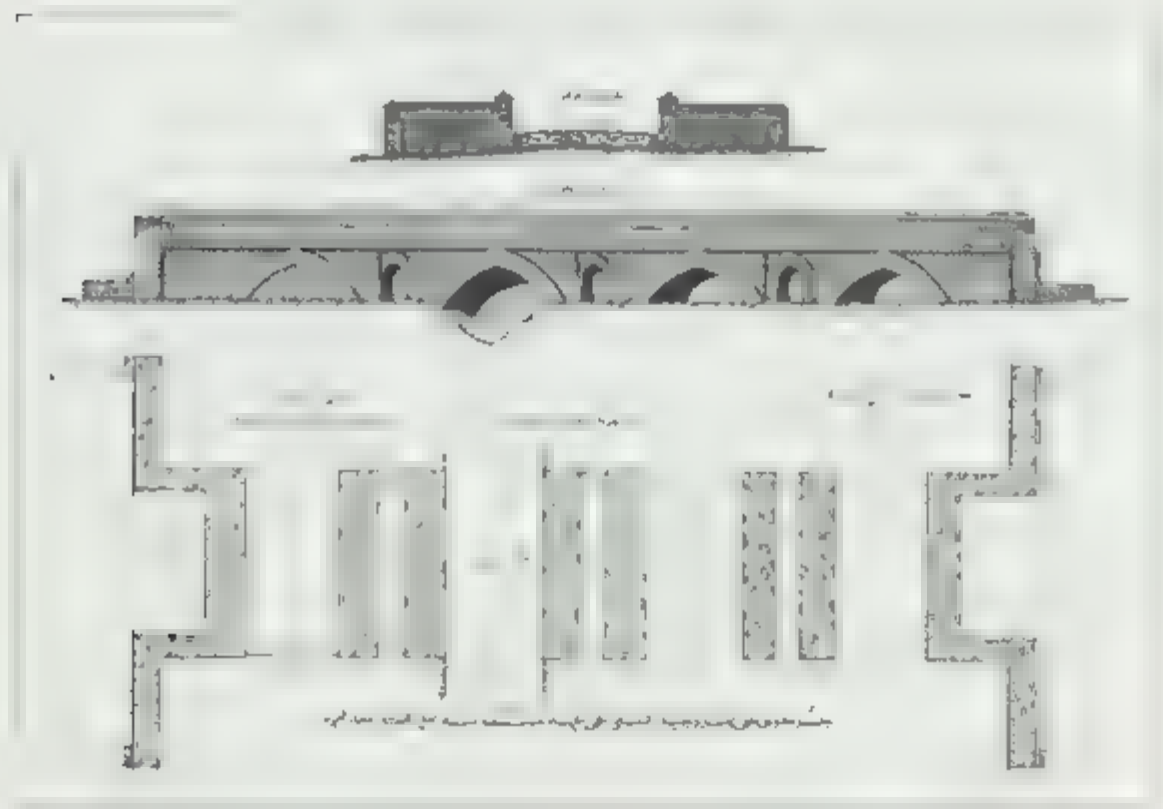
وفي هذه المرحلة من تطور مدينة بغداد أصبح أهم العمران في الجانب الشرقي منشراً حول دار الخلافة متصلاً بها من البر ، فشيئت حولها أهم المخطات والاسواق والدور ، فكانت أصلاً لمدينة بغداد الرئيسة التي ظهرت في العهد الأخير فهي أواخر القرن الخامس الهجري شرع في إنشاء سور عظيم وحندق عميق يحيط بهذه المدينة الجديدة ، ويصان داخلها دار الخلافة وسورها وجمع العمران الذي نشأ حولها . وكان هذا السور هو وحده الخارجي يدهان من دجلة شمالاً ويتهان إلى دجلة جنوباً ، وكان الشروع في إنشاء هذا السور في سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) واكمل انشاؤه سنة ٥١٧ هـ ، وقد ظل هذا السور قائماً حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة أي ما يقارب ثمانمائة عام . وإن هذا السور وإن كان قد انتهى في الأصل لأغراض دفاعية إلا أنه استخدم في الوقت نفسه لدرء اضطار القصاص بمدينة من العرق من جهة بر فكانت مياه القصاص التي تنحدر من شمال المدينة عند اثنان السداد التي على ساحل دجلة الأسر تتجمع خلف السور بعد أن تملأ بحندق مايباء وبذلك تصبح المدينة شبه جزيرة محاطة من كل أطرافها ثم بعد هبوط مستوى النهر تضاد المياه إلى نهر دجلة جنوبي المدينة عن طريق الوادي الضيق الذي يمر في المنطقة التي على « باب كلوادا » (الباب الشرقي الخالي) جنوباً وهي منطقة التوابين والعلوة الحالية ، كما كانت تزل مياه الحندق إلى النهر بعد هبوط مستواه ثم يعلق هم الحندق عند مصبه في النهر فيقوم عندئذ سحب المياه الجوفية من المدينة فتتجمع فيه مياه آسنة خلف السور وقد استخدم هذا السور بعد بنوويه وبحكمه في العهد الأخير لحماية المدينة من العرق من الجهة الشرقية أي من جهة نهر وهو يعرف اليوم باسم « السدة الشرقية » .

١٩ — الوضع في العهد العباسي الأخير :

وبما يستدعي النظر أن أخطر الفيضانات التي أدت إلى غرق بغداد كانت قد وقعت في الدور الأخير حتى أن بعض المؤرخين قد عد حدث عرق بغداد سنة ٤٦٦ هـ أول عرق حدث في المدينة . وكان العرق الثاني على حد سيرهم سنة ٥٥٤ هـ . واقتضود بذلك على وجه التأكيد أن فيضان سنة ٤٦٦ هـ كان أول فيضان خطير في هذا الدور الأخير ، إذ يعلم أن هناك أحداثاً عراقية أخرى وقعت من ذلك . أما الرواية بأن عرق سنة ٥٥٤ هـ هو « العرق الثاني » فلا يرجح أن المقصود بذلك هو أنه على « العرق الأول » في أهدته وخطورته ، وهذا يطبق على الواقع فعلاً . فقد ورد في رواية ابن الجوزي أن « الجانب الشرقي من بغداد عرق مراراً أولها سنة ست وستين وأربع مائة ولم يكن لبغداد سور مدخل الماء إلى دار الخلافة ومر باب النوبي وعرق كثير من المدن ، ثم عمل السور وجاء العرق في سنة أربع وخمسين وخمسمائة وأحاط بالدير وعث به وأعرق كثيراً من المجال » . وقد عد العمراني حادث سنة ٤٦٦ هـ أول عرق حدث ببغداد وكان العرق الثاني سنة ٥٥٤ هـ . ويستنتج من ذلك أن أهل بغداد وحكومتهم أجدوا يشعرون بحدة خطر الفيضان منذ النصف الأخير من القرن الخامس الهجري وذلك بعد أن أحدثت مشاريع الري تصحاح الواحد بعد الآخر فشعروا بالخطر الحقيقي في فيضان سنة ٤٦٦ هـ . فعده أول حادث مهم في تاريخ المدينة لما احتوى عليه من الأهوال .

ومن أشد المصائب التي حاقبت بمدينة بغداد في هذا الدور الأخير حوادث الفيضانات خلال سني ٥٦٩ و ٦١٤ و ٦٤٦ و ٦٥٣ و ٦٥٤ للهجرة وكلها أدت إلى عرق المدينة ، ويرجع سبب حدوث هذه الأعراق في هذه المرحلة الأخيرة إلى الإهمال في مرافقة شؤون الري ومشائخ والاحتلال الذي ساد جوار الدولة في هذه الفترة ، وكانت أهم التحريات التي حدثت في هذا العهد إبعاد السد على نهر العظيم وسد سرود على نهر دجلة حوالي أواخر القرن السادس الهجري (أواخر القرن الثاني عشر للميلاد) ، وبذلك صارت كل مياه فيضان دجلة ورواده تنحدر إلى جهة مدينة بغداد فتهددها بخطر العرق ، وفي ذلك تفسير لسبب حدوث أخطر حوادث العرق في هذه المرحلة الأخيرة التي اجتازتها

مدينة بغداد في العهد العباسي ومن نتائج انهيار سد سرود تحول مجرى دجلة من اتجاهه العربي الى مجراه الشرقي الحالي وانقطاع الماء عن طسوج مسكن الأمر الذي أدى الى هلاك المزارع والساتين التي كانت تروى من أمام السد بطريق نهر دجيل والاسطافى ، وعلى أثر ذلك قام المستنصر بفتح نهر جديد لامتداد بعض مزارع هذه المنطقة من الهلاك نهائياً وهو نهر دجيل الحالي الذي جعل فيه ماء نهر دجلة بطريقة أصبح الى مدة دجيل الحالي المعروفة بـ «سكة» . ولا يزال يشاهد على النهر الذي حفره المستنصر حوض للعبور هو من آثار أعمال العهد العباسي الأخير وعلى جنبه كتابة تشير الى ان الجسر أنشئ في عهد المستنصر سنة ٦٢٩ هـ . وبعد هذا الجسر من أهم آثار العهد العباسي وهو يشتمل على أربع فتحات كبيرة مقوسة عرص كل منها حوالي ستة أمتار وثلاث فتحات صغيرة عرص كل منها متر ونصف المتر . وقد أنشئ هذا الجسر للوصول الى بلدة حرى الواقعة في حوض الجسر من جهة الشرق لأهمية موقع هذه المدينة في ذلك الوقت لذلك يعرف هذا الجسر اليوم باسم «جسر حرى» (أنظر مخطط الجسر) وفتح المستنصر فرعاً



خاصاً من نهر دجيل الجديد مده الى قرية بلد التي انقطع الماء عن سدسها على أثر تحول مجرى دجلة عنها فأصبحت على جانبها الأمن بعد أن كانت على الجانب الأيسر ولا يزال يعرف هذا الفرع الى اليوم باسم «نهر المستنصر» وفي الوقت نفسه لاقى السروان الذي كان يروي منطقة بغداد في الجانب الشرقي من دجلة حتمه فانقطعت المياه عن صدره الواقع في جوار سامراء على أثر هبوط مستوى نهر دجلة بعد انهيار السد ثم احضره مجرى نهر العظيم من الشمال واحترقه نهر ديبالى من الجنوب ، فصر بذلك مشروع السروان نهائياً وبقي مقبوراً منذ ذلك العهد حتى يومنا هذا ، كما قرر مشروع نهر دجيل الذي كان يمتد من بغداد الى الجانب الغربي من دجلة . هذا ما حدث على نهر دجلة أما نهر الفرات فقد أخذ يهدد طغيانه الجانب الغربي من بغداد بالأصافه الى طغيان نهر دجلة وذلك بعد انهيار مشات الفرات أيضاً فتراكمت المصائب وانحصر على مدينة بغداد حتى حلت الكارثة الكبرى بـ «سلا» هو لا حصر على المدينة سنة ٦٥٦ هـ فزاد

الخراب من جراء بها وقد الكثير من أهلها . وظلت منذ ذلك التاريخ تنقادها أمواج الحروب ، فتساوفا أيدي الحكم من احتلال الى آخر رها ، أربعة قرون ماله الى أن احتلها السلطان مراد الرابع في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) ، وفي المراق مد ذلك الزمن تحت حكم العثمانيين حتى الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ م

٢٠ — الوضع بعد احتلال المغول لبغداد :

وبعد الدور الذي مر على بغداد في الفترة الواقعة بين احتلال هولاكو للمدينة في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وبين الاحتلال البريطاني لها سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) والذي استغرق ٦٦٠ سنة ميلادية من أحط الأدوار في تاريخ ري العراق من حث الثيب والاهمال ، ففي هذه الفترة المظلمة أحدثت العصابات تعمل عملها متتاسة في الهمم والتخريب والتدمير حتى قصت على ما تبقى من مشآت الري . فهي المرحلة الأولى من هذا الدور وهي الفترة بين سنة ٦٥٦ و ٧٧٥ هـ (١٢٥٨ - ١٣٧٤ م) التي استغرقت (١١٦) سنة ميلادية وحصل اليها من أحوارها حدوث ثلاثة فيصبات خطيرة سست عرو مدينة بغداد هي فيصابت سي ٧٢٥ و ٧٥٧ و ٧٧٥ هـ كان أشدها خطراً الفيضان الأخير فقد وقع في آخر عهد السلطان أويس الجلائري ووصف بما هذا به . « رادت ريادة عطيفة وتهدمت دور كثيرة حتى قبل أن جملة ما تهدم من الدور ستون الف دار وتلف لناس شيء كثير سب ذلك ويقال أنه لم يبق في بغداد عامر إلا قدر الثلث ودخل الماء في الجامع الكبير والمدارس وحارات لنس في الأرقعة نقل الناس من مكان الى مكان ثم من تن الى تن ثم يصل الماء اليهم يعرفهم وحررت نس في بغداد حظوت كبيرة وجلا أكثر أهلها . وقد أحلقت به دجلة بالفرات فأرسلت اليها الأنهار والعيون والحب من كل جهة وبقيت بغداد في وسط الماء كأنها فصعة في فلاء وحسارت الرصافة ومشهد أحمد

مظفر بعرو الجانب الذي من بغداد من نهر الفرات سنة ١٩١٧ م بغداد فيه من السد رمدا ، ولقد أحاطها المياه من كل جانب فكانت يصعد فيه (الزمرد) الكافية وله أطلقه اليه أيضاً



ومشهد أبي حيفة وغيرها من المشاهد والمرارات لا يوصل إليها إلا في المراكب .

وما انتهى حكم الجلائريين في سنة ٨١٤هـ حتى دخلت فترة مظلمة ، فقد حكمت خلال هذه الفترة أمرنا (قره قويولي) و(اق قويولي) التركمان بين سنتي ٨١٤ و٩١٤هـ ثم أسولى الصفويون بين سنتي ٩١٤ و٩٣٠هـ ثم هيلة موصلو الكردية بين سنتي ٩٣٠ و٩٣٦هـ ، ثم الصفويون ثانية بين سنتي ٩٣٦ و٩٤١هـ ، ثم الأتراك الشمايون بين سنتي ٩٤١ و١٠٣٢هـ ، ثم الصفويون ثالثة بين سنتي ١٠٣٢ و١٠٤٨هـ ، وأخيراً الشمايون ثالثة وهم الذين استمروا في حكم العراق حتى احتلال الجيش البريطاني له في سنة ١٩١٧م . وفي الفترة التي امتدت رهاه ثلاثمائة عام بين سنة ٧٧٥ و١٠٦٧هـ لم يصل إليها من أحارها إلا الشيء اليسير ، والطاهر ان الحروب المستمرة خلال هذه الفترة ونابوب العراة على الحكم كان السبب الرئيس في اهمال تدوس أحبار الأعراف والعصانات . وبما لا شك فيه ان حوادث ومصائب خطيرة وقعت خلال تلك الفترة الطويلة فطمست أخبارها .

أما المرحلة الثالثة التي تمتد من سنة ١٠٦٧ الى سنة ١٣٣٥هـ (١٦٥٦-١٩١٧م) والتي استغرقت ٢٦٢ سنة ميلادية فتقع في العهد العثماني الأخير . وقد وصل إليها من أحارها حدوث فصيل كبير سنة ١٠٦٧هـ (١٦٥٦م) راد فيه بيرا دجلة والفرات ريادة هائلة ، وهو الفصيل الذي هدم برج باب الطلم في سور بغداد ثم تعرضت المدينة الى كارثتين في سنتي ١٢٣٧هـ (١٨٢٢م) و١٣٤٧هـ (١٨٣١م) حيث اجتمع الفصيل والطاعون في رحمهما على المدسة فألحقا بها أضراراً جسيمة في المال والأمر ، ثم تلك فصاصات حطيفة في سني ١٢٦٥ و١٣٠١ و١٣١١ و١٣١٣ و١٣٢٥ و١٣٣٣هـ (١٨٤٩ و١٨٨٤ و١٨٩٤ و١٨٩٦ و١٩٠٧ و١٩١٥م) . وبها ينتهي هذا الدور الذي كان من اكثر أدوار بغداد اضطراباً بسبب توالي النكبات واضطراب حمل الأمن وانعدام الاستقرار نتيجة لتعدد الولاء ورجل الحكم كما أن عهد العثمانيين الطويل الموسوم بصحف الإدارة وقلة الكفاءة ، كل ذلك جعل أي تنظيم أو تسيق في أعمال الري واليطرة على مياه الفصيل على جانب كبير من الصعوبة . وبما يجدر ذكره في هذا الصدد ان السور الذي كان قد أشي في العهد الماسي حول الجانب الشرقي للمدينة للدفاع عنها فقد أهميته الحربية نتيجة لتطور أسلحة القتال وصار يستخدم في العهد العثماني الأخير لوقاية هذا الجانب من العرق من جهة البر ، فأزيلت المساة أولاً لاستبعاد حجارنها في الأبنية ثم دوس الخندق وبقي السور الترابي فاستخدم كسدة وقائية لحماية ما يقع داخلها من عمران من خطر الفصيل . وصار يعرف هذا السور بعد الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٧م بـ «سدة المدينة» ، ولا يزال هذا القسم من سداد بغداد الشرقية يعرف بهذا الاسم حتى اليوم . ولما كان هذا السور قد اقتصر على القسم الوسط من المدينة فقد بقيت المحلات الممتدة شمال وحسب السور كالأعظمة شمالاً والمطقة التي يلي الباب الشرقي جنوباً معرضة لخطر العرق من جهة البر ، ولحماية هذه المحلات أقام الوالي ناظم باشا سنة ١٣٢٨-١٣٢٩هـ (١٩١٠-١٩١١م) سدة تראה تبدأ من الصليح شمالاً وتدور خلف سور المدينة الشرقية القديم على بعد ثلاثة الى أربعة كيلومترات حتى تنتهي الى ساحل دجلة في جوار معمل الريوت النابتة الحالي جنوباً . وبذلك تكون هذه السدة قد صمت داخلها كل عمران الجانب الشرقي من المدينة . ويلاحظ ان هذه السدة أشتت على مسافة غير قليلة من حدود المدينة الخارجة بحيث تركت داخلها مسافة واسعة خلف سور المدينة القديم من الشرق ، ولعل القصد من ذلك اصباح المجال لتوسع المتوقع في المستقبل في امتداد حدود العمران شرقاً ، إلا ان السدة لم تصمد أمام أول فصيل تعرضت له بعد انشائها فقد انهارت تحت ضغط فصيل سنة ١٩١١م في معظم أقسامها وسرت المياه خلف «سدة المدينة» (السور القديم)

٢١ - الوضع بعد الاحتلال البريطاني للعراق

ثم جاء عهد الاحتلال البريطاني فكان من المنتظر أن تادر سلطات الاحتلال الى معالجة شؤون الري معالجة أساسية على النحو الذي عاجلها الأقدمون باقائه السدود والخزانات وانشاء الجداول والمصارف واستخدام النهر الحديث في تحفيق

ذلك لكن مصالح بريطانيا اقتضت أن يسير الأمور على غير هذا السيل ، فكان حكم القدر أن تستمر بعداد على حماية مصها بالطرق العلاجية الوقية باعتمادها على السداد النارية واحطاب الطرفاء في درء أخطار الفيضان عنها وعن مزارعها ، الطرق التي تستعد المال والجهود دون ضمان الحماية الأكيدة الدائمة ، حتى أثر اختلال الانكليز لمدية بعداد في شهر آذار ١٩١٧ قامت السلطات العسكرية المحتلة بتحكيم السور القديم الذي صار يعرف باسم « السدة الشرقية » ثم أشادت في الوقت ذاته بعداداً جديدة امتداداً لسدة المدينة شرقاً لحماية القسم الحديث الذي ألحق بالمدينة جوباً قنّداً من الراوية الجنوبية الشرقية للسور القديم وتمتد في الاتجاه الجنوبي الشرقي حتى تتصل بالساحل الأيمن لنهر ديبالي . وتضم السداد الجديدة هذه المنطقة الجنوبية الواقعة بين الساحل الأيسر لنهر دجلة وبين الساحل الأيمن لنهر ديبالي . ومن ضمنها محلات التاويين والملاوية والكرادة الشرقية والزوية ومعسكر الرشيد والرستمية والرعراية . وقد أشنت سداد فاصلة داخل هذه المنطقة ، هذا أحيط قسم الروية بعداد من كل أطرافه ، كما أن معسكر الرشيد أحيط بعداد من كل أطرافه أيضاً ، وكذا ما يتعلق بالرستمية والرعراية . وقد أشنت في سنة ١٩٢٧ سداد جديدة أخرى وهي امتداد لسدة المدينة شمالاً لتحيط بمطقتي الأعظمية والصليح ، وهذه تمتد من الراوية الشمالية الغربية لسور المدينة (السدة الشرقية) وتدور حول المظنتين من جهة الشرق حتى تتصل بساحل دجلة . وبذلك فقد أصيب هذا القسم الجديد لأقسام المدينة الأخرى وهو مستقل بذاته أيضاً من حيث السداد التي تحيط به .

ويتضح مما تقدم أن الجانب الشرقي من مدينة بعداد أصبح مقسماً إلى عدة أقسام كل قسم يحاط بعداد من كل أطرافه مستقل بذاته ومعصل عن القسم المجاور له ، فإذا حدث ثقب في سداد أحد هذه الأقسام ودخله الماء سواء أكل ذلك من جهة النهر أو من جهة البر يحصر العرق في ذلك القسم دون أن يتسرب إلى الأقسام الأخرى من المدينة وهكذا فقد أصبح الجانب الشرقي من المدينة مقسماً إلى سبعة قطاعات كل قطاع منها يحاط بعداد من جهة البر ومن جهة النهر وهذه الأقسام هي : ١ - قطاع الصليح والأعظمية . ٢ - قطاع المدينة القديمة المحاط بالسور القديم ٣ - قطاع التاويين والملاوية ٤ - قطاع معسكر الرشيد ٥ - قطاع الروية وهو يشكل شبه جزيرة مفصلة عن القسم المجاور لها . ٦ - قطاع الرستمية . ٧ - قطاع الرعراية .

هذا فيما يخص بعداد الجانب الشرقي من المدينة أما الجانب الغربي فلا توجد فيه سداد منتظمة على النحو الذي في الجانب الشرقي ، وقد انحدرت السدة التي تسير عليها سكة حديد بعداد - سامراء بمثابة سداد تحمي جانب الكرخ والكاظمية من العرق الذي يهدده من جهة العرات ، أما القسم الواقع غربي السكة أي بين السكة ونهر الخمر فتحميه صعايف نهر الخمر من جهة الغرب ، وقد أشنت سداد لحماية القسم الجنوبي من هذا الجانب (أنظر خارطة بعداد وسداد المدينة الواقعة) وهناك سداد كانت قد أشنت في العهد العثماني لحماية الجانب الغربي من مدينة بعداد رالت أكثر معالمها في الوقت الحاضر وكانت تعرف بـ «سدة الترك» قنّداً هذه السدة من غربي نهر الخمر وتمتد غرباً حتى تنتهي عند الأرض المرتفعة غرباً وذلك للحلولة دون تسرب مياه فيضان نهر العرات إلى الجانب الغربي من المدينة

وتختلف منويات الأراضي التي شيدت عليها مدسة بعداد اختلافاً كبيراً بين قسم وآخر فهي تتراوح بين (٣١٥) متراً في القسم المنخفض و(٣٧٥) متراً فوق سطح البحر في القسم المرتفع . وتدل قراءات ماسست المياه التي سجلت في الفترة التي تمتد بين سنة ١٩٠٧ و ١٩٦٦ على أن أعلى مستوى سجل لنهر دجلة في بعداد هو (٣٦) متراً فوق سطح البحر وكان ذلك في فيضان سنة ١٩٥٤ فيما بلغ أعلى مستوى للعلماء المتجمع خلف سداد المدينة من جهة البر في نفس الموسم (٣٥٩٧) متراً ، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن هناك قسماً من أراضي المدينة يقع تحت منسوب الفيضان العالي بما يقارب الخمسة أمتار في حين أن هناك قسماً آخر يقع فوق هذا المنسوب برهائ (١٧٠) متراً . وتشاهد ارتفاعات الأراضي في مختلف أنحاء المدينة على خارطة بعداد والسداد الواقعة التي مرت الإشارة إليها

وقد سبق أن أشرنا إلى أنه كان قد وقع اختلاف بين الخليفة المنتصم وبين وزيره بن أبي دؤاد مما يخص مستوى

أراضي الرصافة في الجانب الشرقي نالته الى أراضي مدينة المنصور في الجانب الغربي ، فجزى وردهما فوحدت أرض مدينة المنصور في الجانب الغربي أعلى من أرض الرصافة بنواحين وثلاثي ذراع أي (١٣٣) متراً وطراً لتراكم أنقاض الأبنية القديمة على سطح الأرض في كلا الجانبين وغرق الجانبين عدة مرات وتراكم العرين فيهما فيتعدر مقارنة النتائج مع المستويات الحالية بصورة مصبوبة ، إلا ان واقع الحال يؤكد كون الجانب الغربي من المدينة أعلى من جاسها الشرقي كما يتضح من الأرقام المدونة على خارطة بغداد والسداد الواقعة من العصار

وينصح بما تقدم ان سياسة اللجوء الى الحماية الوقية التي تعتمد على السداد الترابية في دره أحطار العيصان بقيت متعة مدة تربي على ثلاثين عاماً والعراق يعاني أشد الكات س غزو العيصان سنة بعد أخرى ، دون أن يقم أي مشروع رئيس تعالج فيه مشكلة العيصان وحطره على بغداد وعلى المدن والقرى والمزارع الواقعة جنوبها معالجة أساسية ، تاركين كيان البلاد الاقتصادي مهدداً كل عام حتى تأسيس مجلس الاعمار في أواخر سنة ١٩٥٠ الذي يمسد نقطة تحول في تاريخ ري العراق الحديث فشرع في انشاء المشاريع الكبرى وفي مقدمتها مشاريع الري التي ترمي الى معالجة أحطار العيصان وادجار المباء لاستغلالها في الأعراض الزراعية وما بيسان سنة ١٩٥٤ المشهور جيد عليها فقد قدرت الخسائر التي مي العراق بها في هذا العيصان وحده بما يربى على خمسة وعشرين مليون دينار فقد شهدت بغداد خلال المدة التي تمتد من سنة ١٩١٧ لئيلاد حتى سنة ١٩٥٤ تسعة بيسان حطرة ست أضراراً فادحة وهي بيسان سن ١٩١٩ و ١٩٢٣ و ١٩٢٦ و ١٩٣٧ و ١٩٤٠ و ١٩٤١ و ١٩٤٦ و ١٩٥٠ و ١٩٥٤ ومن مجموع البيسان التسعة المذكورة سنة منها ست عرق جزء من بغداد الشرقية، هي بيسان سن ١٩٤١ و ١٩٤٢ و ١٩٤٦ و ١٩٥٤ عرق مسكر

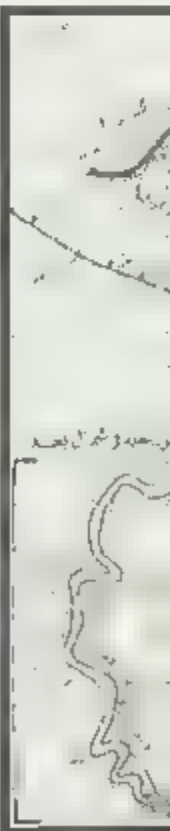


الرشيد في جنوبي المدينة من ثمرات في السداد الشرقية وفي سنة ١٩٢٦ عرق القسم الواقع شمال المدينة من ثمرة في سدادهر دجلة الأمامية في الموقع الذي ما زال يعرف حتى اليوم بالكسرة. وفي نيسان سنة ١٩٥٠ عرقت منطقة الرويه في جنوبي المدينة من ثمرة اشعت في سدادهر دجلة الأمامية أيضاً. والسبب في ذلك يرجع بالدرجة الأولى الى أن مستوى أرض هذه المنطقة منخفض وان المنطقة صها تقع في المجرى الطبيعي لمياه الفيضان التي كانت تتحدر من حلف المدينة وتصب في دجلة جنوبي الباب الشرقي الحالي. ففي نيسان سنة ١٩٥٤ اصطر المسؤولون بعد أن تجمعت المياه حلف السدة الشرقية وارتفع متواها الى حد الخطر الى فتح ثمة عندا في سدة المعسكر الشرقية لافساح المجال للمياه المتجمعة أن تتسري أرض المعسكر المحفظة والتخفيف من ضغط المياه على سداده المدينة الشرقية باعتراضها المعسكر أوطاً منطقة يمكن تحويل المياه إليها.

٢٢ — مشاريع مجلس الاعمار والمشاريع الجديدة المقترحة لمعالجة الفيضان:

ومع انتهاء هذا الدور انتهى مأمي الفيضانات نالسة لمدينة بغداد وذلك على أثر ايجار مشروعات الري الكبرى التي أولاهها مجلس الاعمار بعد تأسيسه سنة ١٩٥٠ اهتماماً فائقاً فأعطاهم الأسفة على جميع المشاريع الأخرى حيث أفردها أكبر حصة من ميزانيته. ففي ميزانيته الأولى لمهاجته الخمس سنوات تبدأ من سنة ١٩٥١ وتنتهي في سنة ١٩٥٦ البالغة (١٦٨) مليون دينار صدف كنف خاصة بمشاريع الري مبلغ (٣٦٥٤٥٠١٦٢) دينار أي سنة ٢١٪ من ميزانيته. أما الميزانية التي حصلت للسنوات الخمس المتتالية من سنة ١٩٥٥ المالية والمنتية نالسة ١٩٥٩ والبالغة

منظر لفيضان دجلة لسنة ١٩٤١ في بغداد

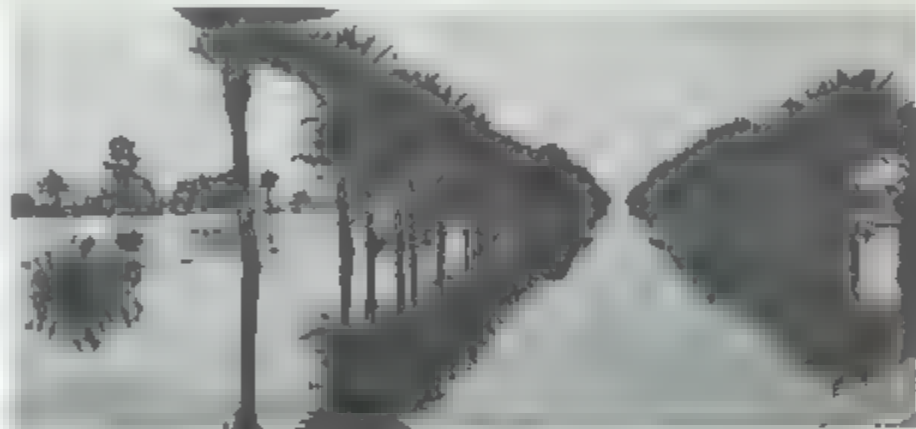
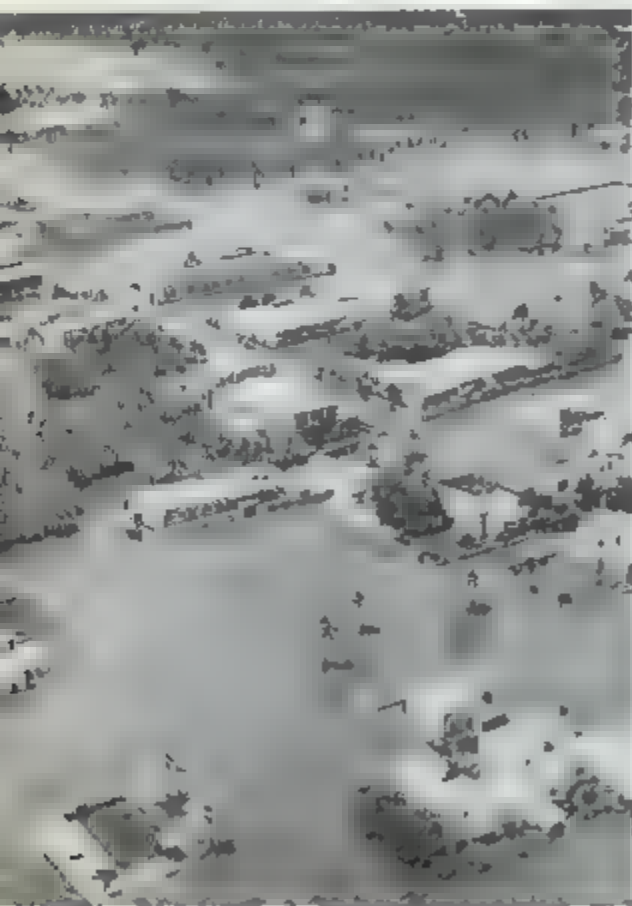


المرات ويشتمل على إقامة سد بارتفاع ٥٨ متراً على نهر العرات عند مدينة الحديثة الواقعة على بعد ٢٤٦ كيلومتراً من شمال بغداد لتخزن ما يقدر بـ ١١ مليار متر مكعب أمامه ، وسوف يحمي هذا المشروع منطقة عربي بغداد ومرارح العرات من خطر الفيضان بالإضافة الى استغلال مياه التخزين في أغراض الري وتوليد الطاقة الكهرومائية وقد ارتوي إقامة سد ثان على نهر دبال لتحقيق الحماية التامة من خطر فيضان هذا الراهب على بغداد ، وتجري الآن دراسة هذا المشروع الذي يشتمل على إقامة سد عند جبل حمرين لحجز بعض مياه الفيضان التي تتدفق الى النهر جنوب سد درندجان والتي تقع خارج سطرة ذلك السد (أخطر حارطة مشاريع الري الرئيسة على نهر دجلة والفرات لنهره أخطار الفيضان عن مدينة بغداد) .



٢٣ — مشروع السدة الشمالية الجديدة لحماية الجانب الشرقي من المدينة من جهة البر :

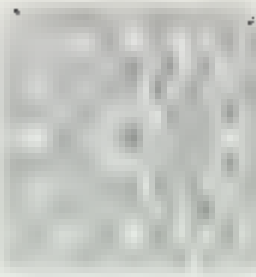
وقد دلت الدراسات المبة على ان مشروع التراث ومشروع حران ودرندجان لا تؤمن الحماية التامة لمدينة بغداد من خطر فيضان نهر دجلة خاصة بعد حدوث فيضان سنة ١٩٦٣ الخطير لذلك قررت الدوائر الرسمية القبية



سكن منازل القضاة التي حدثت في بغداد خلال أعوام ١٩٢٦ - ١٩٥٠ - ١٩٥٤

الحياة الثقافية في بغداد

الأستاذ ناجي معروف



ثقافة البغداديين

ان نظرة حافظة على تلك الأعداد الزاحمة من الكتب العربية المطبوعة وألوف الكتب المخطوطة التي تمتلكها سكنت البلاد العربية والإسلامية والأجبية العامة أو الخاصة وما ضاع بالانحلال والتفريق أو التحريق نجد ان أهل بغداد هم الذين بدأوا قبل غيرهم من العرب والمسلمين بوضع هذه المؤلفات باللغة العربية وبالمخطوط العربي ، في مختلف الحوث المدنية والأدبية والفنية وهي تنماز بالتنوع ، وعمق والأصالة . كتب بعد أعداداً كبيرة من العلماء الذين تخصصوا بعلم أو أكثر وتركوا لنا تراثاً صعباً وثروء علمية عظيمة . كن ذلك من دلالة وصحة على رصوح أهل بغداد في الحضارة والتمدن . ويرى لها ي صبح ان التأليف العلمي ، والصح العلمي قد بدأ بعداد بعد أن فرغ أبو جعفر المنصور من مائته . أما العواصم بعربية الأخرى التي سبقتها وهي المدسة والقصر والكوفة ودمشق فلم يكن العلم قد نصح فيها قبل بغداد إلا قليلاً ذلك لأن العرب انحدروا إلى الأوراس ، بعض يوحه عام في الفتوح بعربية في أسه ، وأخرى في وأوربة ونشر الإسلام فيها .

وظلت بغداد مركز العلم والثقافة والحضارة وادسية ، مثلاً الدنيا وشعر الناس فرواً ، .ده، وتعد بلاد العرب وبلاد الإسلام بالعلم والتمدن . وظلت حققت المبادئ جامعة وبها كانت مدارسها وجامعاتها ورو العلم ، والزبط ، والمؤسسات الثقافية الأخرى ثم اهدت للعصر في حضارة بغداد براهره مثل كتابها اخصاري والأدبي والعموي ، والديني والتأريخي . وهو كيان حي يصبو ويردهر وليس على كل حال أصلاً لا راسه ولا أناراً مهجوره كالحضارات التي درست في طنة ومصر أو في بل وسوى والمدائن في العراق .

وقد ناعت الثقافة بعداد درجة كنهه من التقدم ، الانتشار بين مختلف الطبقات لس من الحضارة وعلمه يقوم من الرجال والنساء الحرائر محب ، بل بعدد أولئك كلهم فانتشرت ودعت حتى من الاماء من النساء ومن سواهم والمرائش في المدارس وماولي الكتب في دور العلم وغيرهم ممن يحبون على ثقافة من أهل بغداد .

وقد ساعد على انتشار العلم بعداد وبلوغه مستوى عالياً غاية الدس لاسلامي لعمدة ، وسبب انه قد دهم بدماء الشهداء . وترجح مداد العلماء على دم الشهداء ، واعتباره الدس موتى الأئمة بعدد جميع أحياء . كما ساعد على ذلك رعدة الخلفاء والملوك والولاطين وأهل الثراء للعلماء والأدباء والمتفقيين من خلال العلم ، وادس من ورو العلم فكثرت الخفقات في الجوامع تنطلق فيها الطلاب على احتلالهم حول أكابر الأسانيد ومفسري العلماء كجامع المنصور في وسط المدسة المدورة بعداد العربية ، وجامع المهدي بالرصافة من الجانب الشرقي من بعداد ، وجامع القصر بالجانب الشرقي من بعداد أيضاً . وفي الجوامع الأخرى التي ست بعداد خلال خمسة فروع مد انتتها في سنة ١٤٥ هـ إلى سقوطها بيد المغول سنة ٦٥٦ هـ حتى اصبح أهل بعداد فيما ذكره الخطيب البغدادي « أربع اندس في طلب الحديث وأشدهم حرصاً عليه وأكثرهم كماله » . كما روى الخطيب بده ان الحسن بن عرفة قال « من م يؤتمه أهل بعداد فقد سقط هم جهانده العلم » . وقال : « وأهل بعداد موصوفون بحسن المعرفة وانتشت في أحد الحديث

وأداه . وشدة الورع في روايته . اشتهر ذلك عنهم وعرفوا به « وجاء في تاريخ ابن التجار البغدادي أن علياً أما الحسن الصبي أحد شيوخ الصوفية سأله أبو بكر المصري دخلت بغداد ؟ قال نعم قال كيف رأيت البغداديين ؟ فقال : رأيت النساء تعلقن بترائب العلوم .

وبد صلت حلقات العلماء في المساجد تقوم بعملها العلمي ببغداد إلى أن أنشئت المدارس في أطراف المساجد أو مستقلة عنها . وقد سارت المدارس وحلقات المساجد جياً إلى حب ساعدان على نشر الثقافة والمعرفة وكانت هذه الحلقات كثيرة بحيث كان لكل عالم حلقة يتحلق فيها الطلبة حوله . وكان طلاب العلم يصحون أساتذتهم ويحطرون بالقرب منهم ، ويمشون في ركابهم ، وستمعون بمصنفاتهم ، ويحضرون مجالس دروسهم ونظرهم .

مدارس بغداد

انشاء المدارس المستقلة ببغداد

أمد حدثت بغداد منذ أواسط القرن الخامس الهجري بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها ، المنفصلة عن الجوامع ، فقد ذكر ابن خلدون مدارس بغداد عند زيارته لها في سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) فقال « والمدارس بحدود الثلاثين وهي كلها بالشرقية . وما بها مدرسة إلا وهي بقصر القصر الدمع عنها . ولهذه المدارس أوقف عظيمة وعقارات غنية ، تنصير إلى العقاب والمدرسين بها . ويحرون بها على الطلبة ما يقوم بهم . ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والممارسات شرف عظيم وفخر عظيم . »

وقد فطنت الدين الحمصي المتوفى في حدود سنة ٩٨٨ هـ يصف مدارس بغداد أيضاً « وكانت مدارس بغداد يهرب في المثل في أرباع العماد ، واتقان المهاد وطيب الماء ، ولطف الهواء ، ورعاية الطلاب ، وسعة الطعام والشراب ، وغير ذلك من الأسباب . »

وكانت هذه المدارس في ازدياد مستمر منذ ذلك الحين حتى سقوط بغداد بيد المغول في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) فقد كانت مدارسها يومئذ ثمانين وثلاثين مدرسة بين مدرسة اشئت لمذهب واحد أو مشتركة بين مذهبين أو لأربعة مذهب (١٨) داراً للحديث

وكان في البلاد الإسلامية علاوة على المدارس المسجلة عدد لا يحصى من دور القراءة ودور الحديث وحلقات المساجد ، وأماكن الدراسة الأخرى كالمكتبات وهي الكتب ، والدور والقصور ، والرحل والروايا ، والبيمارستانات ، ومجالس المداظر ، ومجالس الوعظ ، ومجالس الاملاء ، والتحديث في الدكاكين والأسواق والدورات الأدبية ودور العلم وهي حرائر الكتب التي تطلق عليها اليوم اسم (المكتبات) الخ

وبصر ابن شمس الدين بن حنكلا المتوفى في سنة ٦٨١ هـ ومن بعده شمس الدين الذهبي المتوفى في سنة ٧٤٨ هـ كانا يريان أن الوزير السلجوقي نظام الملك أول من أحدث المدارس في الاسلام ، وشاعها على ذلك كثير من المؤرخين قال ابن حنكلا « وهو أول من أنشأ المدارس فافتدى به الناس وشرع في عمارة مدرسة ببغداد سنة سبع وخمسين

وأرسمته « وقال الذهبي مثل ذلك ، ولكن السكي الشافعي رد على الشح الذهبي بقوله في ترجمة نظام الملك « وشيخنا الذهبي رغم أنه أول من بنى المدارس ، وليس كذلك فقد كانت المدرسة (البيهقية) بسببور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعيدية بسببور أيضاً بناها الأمير هار بن سكين أخو السلطان محمود لما كان والياً بسببور ، ومدرسته ثالثه بسببور بناها أبو سعد اسماعيل بن علي بن المثنى الاميراني الواعظ الصوفي شح الخطيب ، ومدرسته رابعة بسببور أيضاً بيت للأستاذ أبي اسحق الاسعراييني »

أما انقريزي فيقول « وإنما حدث عملها بعد الأرسمته من سبي الهجرة - وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل بسببور فسيت بن المدرسة (البيهقية) وبنى بها أيضاً الأمير هار بن سكين مدرسة ، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سكين ، وبنى بها أيضاً المدرسة السعيدية وبنى بها أيضاً مدرسة رابعة (١) »

وأشهر ما بنى في القديم المدرسة الطائفة بعداد لأب أول مدرسته قرر بن للعقبه معاليم وشرع في بنائها سنة سبع وخمسين وأرسمته . .

ومرعت في دي الفعده سنة تسع وخمسين وأرسمته فافتدى الناس به حشد في بلاد العراق وخراسان وما وراء انهر وفي بلاد الجزيرة وديار بكر «

ان فكره الدراسة للمعوم المحلعه في خارج المحدث كانت من الأمور التي تراود اذهال بعضه العسنيين بعداد في زمن مكر من تاريخ دولتهم فأوجدوا من أجل ذلك دور العلم ، ويوب الحكمة لترجمة علوم الاقدمين مدد على ذلك ما ذكره المقريري في حطه عن المعتصم بالله الذي ولي الخلافة في أواخر القرن الثالث الهجري من سنة ٢٧٩ هـ الى سنة ٢٨٩ هـ ما اراد به قصره في الشامية بعداد فقد ذكر انه « استراد في السرع بعد ان خرج من تقدير ما اراد فمثل عن ذلك فذكر أنه يريد له ديراً ، ومساكن ومقاصير ، يرتب في موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم والطرفه والعمليه وبحري عليهم الاوراق السيه ليقصد كل من احضر علماً او صناعة رئيس ما يحاجه فيأخذ عنه « ما يدل على ان الخدمه المعصود قرر اخراء الاوراق السيه لم يذكرهم من أهل العلوم الصغرى والعلمه وهودايشم بوضوح الى ماكان يقدر لطلاب العلم من اوراق وهفات .

وتؤيد الصوص اندرجية الأخرى ان المدارس في الاسلام أشتت وحصصت الخرديات لارهابها في من مذكر سبق تأسيس المدرسة الطائفة بعداد بأكثر من قرن من الزمن من ذلك ما قاله باهوت الحموي عن مدرسة ابن رجان النسي (٢) التميمي وهو ابو حاتم الفقه المتوفى في سنة ٣٥٤ هـ حيث قال عنه « وقد كان ابو حاتم مثل كنه واهب وجمعب في دار رسمها « وقال الحافظ ابو عبد الله الحاكم « ابو حاتم من رجائ داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للعلماء الذين يقومون بها من أهل الحديث والمتفقه ، وبها جرائات ششعقوب داره ، وبها حراثة كنه في يدي وصي سلمها اليه ليدلها لمن يريد نسخ شيء منها في القصة من غير ان يخرجها منها . «

وجاء في وفيات الأعيان ان ابا بكر محمد بن حسن بن فورك الاصعهابي المتوفى سنة ٤١٦ هـ اقام بالعراق مذه مدرس العلم ، ثم توجه الى الري فسمعت به المتدعة فراسله أهل بسببور فبنى له بها مدرسة ودار واحد بها الله انواعاً من العلوم كما يستدل به ذكره ابن حلكان في ترجمة امام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ان المدرسة البيهقيه والطائفة بسببور كانت فيهما مساكن للطله وان تلامذة امام الحرمين كانوا قريباً من أرسمته

(١) يقتضي النص أن تكون مدرسة خامسة . ويظهر ان النص القوي ذكره السكي في ترتيب هذه المدارس أصح من النص المذكور في حط انقريزي

(٢) سبة الى بيت بن سجنان وعمره وهرارة

وفي دمشق اشتمت المدرسة الصادرة في سنة ٣٩١ هـ اسمها الامير شجاع الدولة صادر بن عبدالله للحفصية . كما
اسم رشاً بن طلف مقرر . دمشق (دار القرآن الرشائية) في حدود الاربعمئة من سني الهجرة
وقد انتشرت مدارس الفقه في العالم الاسلامي انتشاراً كبيراً يدل على ذلك ما يأتي :

- ١ - المدارس التي ذكرها المؤرخون العراقيون في مؤلفاتهم عن مدارس بغداد والبصرة وواسط والموصل وغيرها . كابن
الاثير ، وابن الساعي ، وابن النجار ، وابن الفوطي .
 - ٢ - ما ذكره المقرري عنها في كتابه المخطط
 - ٣ - ما جاء في ذلك التت الطويل الذي دونه عبد القادر اليميني في كتابه (المدارس في احوال المدارس) عن المدارس
الحفصية والشافعية والحنبلية والمالكية
 - ٤ - ما جاء في المصادر المختلفة عن مدارس بلاد المغرب وشمال افريقية ، ومدارس اليمن والحجاز ، ومدارس بلاد
الاسلام في اسية واورة
- وتختلف المدارس من حيث مساحتها التي شئت فوقها غير ان نخطيطها يكاد يكون متشابهاً إذ أن المدرسة كانت
بوجه عام تحتوي على

- ١ - ساحة أو رحبة أو ماء واسع يعرف بالصحن ، يحيط به حجرات في الطابق الأسفل ، وعرفات في الطابق الأعلى .
وربما كانت بعض المدارس معلقة أي في الطابق الأعلى فقط
 - ٢ - وكان لأغلب المدارس أروقة أمام الحجرات والعرفات . وقد تكون هذه الأروقة مرصوفة ومقرصة بمختلف المقرصات .
 - ٣ - ان مخططات المداخل والأواوين في المدارس تشبه الى حد كبير كما يلاحظ ذلك في أبواب المستصرية والمرجانية
والشرابية بمعداد ومدرسة السطال حسب القاهرة الح - وهي تشبه ايضا في الحجم والرحبة وفي الأرواح أي
الدهابر وفي الأروقة والقاعات ، ويوت الطلبة المع
 - ٤ - وفي أغلب المدارس ايوان واحد ، أو ايوان متعادلان ، أو أربعة أو اوسن . على ان عدد الأواوين في المدرسة
الواحدة لا علاقة له بوجه عام بعدد المذاهب التي يدرس فيها . كما ان المدرسة ذات المذاهب الأربعة قد تكون
ذات ايوانين كالمدرسة المستصرية بمعداد ، ومدرسة الملك المنصور بمكة . وقد لا يكون فيها الا ايوان واحد كالمدرسة
المصورية بمصر . وقد تكون الأواوين الأربعة في راقعة من الرواق كراوية ربن الدين يوسف بن عدي التي اقيمت
في عهد الملك المنصور (لاحق) في سنة ٦٩٧ هـ وهي موجودة بالقاهرة حتى اليوم ولذلك فال وجود الايوان الواحد
أو الايوانين أو الأواوين المتعددة في المدرسة الواحدة اما يدل على طراز معماري أو اسلوب هي في العمارة العربية
والاسلامية تتجلى فيه الابتكار والتنوع ومن المهندس المسلم في تحمل المدارس والقصور وتزيينها .
- اما زخرفة المدارس العددية فيمكن ان يذكر انها كانت متنوعة وكثيرة جدا فقد حامت على شكل كتابات كوفية
أو سحنة وعلى شكل زخارف نباتية وهندسية وعلى صورة القصص . وربع العددية في حجر الزخارف على الأجر .
ومن الزخارف العددية الباهرة المحفورة على الأجر نباتية وهندسية وربع العددية الثلاث التي لا تزال
ماثلة وهي المدرسة الشراية والمدرسة المستصرية والمدرسة المرجانية . والكتابات البازلية في المدرستين الأخيرتين .
وكذلك المقرصات التي يكثر بوجه خاص بالمدرسة الشراية وتحت أحواض المآذن القديمة بمعداد ولا تزال المقرصات
أو الرحبة الأجرية والكتابة على الأجر مستعملة بمعداد في المساجد والمآذن والمدارس والمباني الخاصة .

مدرستين زاد في العصور العباسية

نلاحظ الباحث في مدارس بغداد ١ أن كثيراً منها كان على صفة دجلة أو على مقربة منها . ٢ — أنها كانت — إلى منشأ وهو الطالب أو إلى مدرستها إذا كان مشهوراً جداً أو إلى العالم الذي تشأ له ، أو إلى الموضوع الذي أقيمت فيه . ٣ — أنها تطورت خلال العصور فأنتجت إما أحادية المذهب وإما ثنائية أو رباعية . واليك هذه المدارس باجدار تام مع الإشارة إلى أحوالها وأطمئنها وما بقي منها وما حل محل للوقوف على الحالة الثقافية ببغداد يومئذ مدرسة أبي حنيفة : أو (المدرسة الشريفة) باب الطابق ، وقد يطلق عليها (مدرسة الحنفيين باب بشار) أسسها للحملة شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمي متوفي المملكة لسلطان ألب أرسلان السجوقي سنة ٤٥٩هـ (١٠٦٦م) عند مشهد أبي حنيفة .

قال الصعدي في ترجمة أبي طالب الريسي الملف بوز الهدي المتوفى سنة ٥١٢هـ « ودرس بالشرعية التي أسسها شرف الملك باب الطابق وانتهت إليه رياسة أصحاب الرأي ببغداد » وقد اشتهر عدد كبير من مدرستها

المدرسة النظامية : أسسها بتمام الملك للشافعية أصلاً وبعراً سنة ٤٥٧هـ وتم افتتاحها سنة ٤٥٩هـ وبكاد لا يحصى كتاب من كتب التاريخ أو الأدب أو الفقه أو التراجم أو الخطوط من أحرار الطائفة ببغداد ومن ذكر مدرستها ومدرستها وقبائلها وحرارة كتبها وأوقافها . وكانت عربية من المدرسة المنتصرة بينها وبين دار الخلافة . وقد عبرت على حررها من دار مؤسس المقتدر الذي كانت على دجلة . ولا يتسع المجال لذكر شيوخها ومدرستها لكثرتهم

٦ مدرسة تركان خاتون : روعة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السجوقي سنها للحملة بالجانب الشرقي

٧ المدرسة التاجية : سبغت إلى جامع الملك أبي التائم المرزبان ابن حمزة متوفي السلطان ملكشاه السجوقي سنها للشافعية باب أرباب ببغداد الشرقية سنة ٤٨٢هـ (١٠٨٩م) ومن أشهر مدرستها حمزة الإسلام أبي بكر (الشاشي) صاحب المدرسة المعروفة باسمه وأحد كبار مدرسي الطائفة ببغداد . وسراج الدين الهرقي أنصى القصيدة

٨ المدرسة الفخرية : أو (دار الذهب) أو (مدرسة مصر الدولة) بفتح المصطفي في الأمانة بالخانات الشرقية من بغداد وهي للشافعية . سنها الوزير حمزة الدولة أبو المطهر الحسن بن هبة الله بن علي بن المطلب الكرمازي البغدادي المتوفى سنة ٥٧٨هـ (١١٨٢م) وقد سنها لأبي القاسم يحيى بن هلال الشافعي الذي درس فيها هو وأبيه من بعده أبو عبدالله محمد بن يحيى أو من مدرس للمذهب الشافعي بالمدرسة المنتصرة . وذكر ابن أبي أصفها أنها كانت مدرسة مغلقة

ومن مدرستها أيضاً محمد الدين أبو طاهر علي بن محمد الواسطي البغدادي الفقيه . ومن سكن (دار الذهب) أو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني وقد تولى الإعادة بها وكان قياً من العربية والفقه والجدل والأصول والخلاف والحكمة والطب .

مدرسة درب القيار : أو (مدرسة الحرّامي) مدرس الفيا شرقي بغداد . ويعرف (مدرسة ابن بكروس) وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروس الحماسي الحلي . ساهم للحنابلة وكانت يجاور مدرسته وكانت ولادته سنة اثنتي عشرة وستمائة ووفاته في سنة ٥٧٣هـ . ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل . وكان قد تروى عنه من الناس . وتردد الناس إليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

مدرسة زمرّد حاتون : روضة الخليفة المنصور بالله وأمه الخديعة النصر لدين الله . ويعرف (مدرسة الأصحاب) أي أصحاب الشافعي . وسمى (مدرسة أم الخليفة) وسيت (بالمدرسة العربية) أيضاً لوقوعها في الجانب الغربي من بغداد . ويوصف به (المذهب) . متبايناً بمرد حاتون للشيعة بالجانب الغربي عند مشهد معروف الكرخي بجوار برسه . وكان افتتح المدرسة في سنة ٥٨٩هـ . وعمرها بلغت إلى عهد سليمان باشا الكبير وإلى بغداد .

المدرسة الثقتية : أو (مدرسة ثقة الدولة) بها لأصحاب الشافعي وكل خليفة اعتنى لأمر الله . ابن الحسن علي بن محمد المنقب ثقة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩هـ . وعلى دجلة تحت دار الخلافة باب الأرح بالجانب الشرقي .

مدرسة بنقشة : وتسمى (المدرسة الشافعية) متباينة مع روضة الخليفة المنصور بالله لمجعله باب الأرح بالجانب الشرقي من بغداد سنة ٥٧٠هـ . ويذكر ابن الجوزي أنها كانت داراً لنظام الدين أبي نصر بن جهير . وكانت وصلت ملكها إلى الجبة بنت محمد بن مدرسة وسميها إلى أبي جعفر بن الصباغ . بعد أم سميتها لاس بخوري وذكر فيها الدروس وجمع قاصي القصاة وحاجب الباب وقها بغداد .

المدرسة الموقفية : وهي مدرسة تخدم بها بيت الملك . مكتبة السلجوقي . روضة الخديعة المسطهر بالله بغداد الشرفية . باب (واحد) على نهر دجلة . قال ابن خلدون في تذكره قال آخرى سنة ٥٤٣هـ بغداد في نهر دجلة بين الأتراك وحسن الخديعة . « وكان القائل يحب مدسه موقف » . ولعلها هي مدرسة الخديعة المسطهرية التي ذكرتها بعض المصادر التاريخية . وقد است إلى بنوكها الموقف بن عبد الله الخديعة الذي . من المدرسة . وذكر ابن الساعي أن موقفاً هو واقعها .

مدرسة زيرك : أو (مدرسة سوق العمدة) وهي مدسه للحنابلة . باب الشرقي . وكانت تقع في مسجد القلعة الحالي (١) .

ويرجح أن سوق العمدة كانت عمالي « جامع المراد » حيث كانت تقع (مدرسة وثرا) . ومن بولي التدريس فيها محمد بن أحمد بن عبد الحار أبي المنظر الحمصي من أهل سمنان . ويعرف بمشعب المتوفى سنة ٥٧٣هـ .

مدرسة ابن دينار : له وامي الحلي الحسيني الفقيه أو (مدرسة أبي حكيم) باب الأرح باب الشرقي وهي مدرسة سحابة أنشأها أبو حكيم إبراهيم بن دينار السمرقاني العدائي المنقب بأمه دوه وكان يقم بها . ودفن سنة ٤٨٠هـ وتوفي سنة ٥٥٦هـ . ودفن قريباً من شر الحاق .

مدرسة أبي سعد المخرمي : باب الأرح في الجانب الشرقي ساه أم سعد الماردي بن علي بن الحسين وهي مدرسة الشيخ عبد القادر الحلي . ويعرف (بالمدرسة) أو (مدرسة الحلي) أو (مدرسة ابن المخرمي) وكانت للحنابلة . فقال ابن القيم في حبه ث سنة ٥٦١هـ . « وكان أم سعد قد بنى مدرسة لطيفة باب الأرح فوصلت إلى عبد القادر (الحلي) فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد .

المدرسة التنشية : أو (مدرسة حماد بنك التنشي) المتوفى سنة ٥٠٨هـ ساه نجم الدين حماد بنك بن مشرعة درب دينار بالجانب الشرقي من بغداد وكانت للحنابلة .

(١) ساه ناصر لدين الله . وعمره انه انطهر . ونقل إليه الكتب القيمة بالخطوط المشوهة وأصحاب الشريعة

مدرسة ابن البرادي : وهي من سنة لأصحاب أحمد بن حنبل بالجانب الشرقي كانت في الأصل داراً بالمدرسة لمحمد بن أحمد بن علي ابن البرادي الفقيه الزاهد المعروف بابن البرادي الذي توفي في ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٣١ هـ ودرس باب أبرد

مدرسة معادة : وهي من المدارس المشتركة بين أئمة الشافعية وأتباعها بالجانب الشرقي الأمير عز الدين أبو الحسن معاده الرضا الذي وصف بأنه كان يعصم بأكله الغلات أرسله الخليفة المستظهر بالله إلى السلطان محمد بن ملكشاه في سنة ٤٩٥ هـ حصل من عنده بمائة عظمى وكانت مودته في سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) ودرس في جوار الإمام أبي حنيفة . ويظهر مما ذكره ابن الجوزي أن هذه المدرسة كانت تشتمل على مائة .

المدرسة الكمالية : أو مدرسة ابن ضجة (سنة ١١٠٠ م) كان ابن أبي الفتوح حمزة بن علي من طلبة الشافعي المتوفى سنة ٥٥٦ هـ (١١٦٠ م) ساهم بخاوية لداره باب القعدة ووقف عليها ثلث أملاكه . وتعرف بمدرسة ابن طلحة . وتسمى أحياناً مدرسة « ابن الخيل » وهو أحمد مدرسيها .

المدرسة العيانية : سنة ١١٦٠ م كان ابن محمد بن محمد بن مكتبة السجوقي وقد تسمى (المعشقة) التي نسبت إلى أحد معلميها محمد بن محمد بن مكتبة السجوقي . والد له مدته بالحقبة بالجانب الشرقي من بغداد

المدرسة الخفائية : نسبت إلى أبي محمد محمود بن عثمان بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السجوقي السلطان الذي تولى الملك بعد والده في سنة ٥١١ هـ أيام الخليفة المسترشد بالله .

المدرسة الأسابية : أو (الأسدية) بالجانب الشرقي بين مدته وذكره بن أبي ر (الأصمهدية) وذكرها ابن السدي وقال عنها أنها سلمت في سنة ٦٠٤ هـ إلى عمه الدار أبي بكر الإسلامي المدعي بن حنبل . مد أن انتقل من مذهب أحمد بن حنبل إلى مذهب الشافعي .

المدرسة البهائية : وهي من المدارس الشافعية ست في الجانب الشرقي من بغداد وكانت على دجلة قريبة من الطائفة ورباط الشيوخ . وكان قد استولى عليها بعض الخوفاة ثم استعادها الشافعية منهم سنة ٥٦٦ هـ .

المدرسة النجبية : أو (مدرسة أبي سبغ) بالجانب الشرقي وهو عبد القاهر بن عبد الله الكري الصديقي الشافعي من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠ هـ بسمرقند . وتوفي بغداد في جمادى الآخرة سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) ودفن بمدرسته ولا يزال قبره ظاهرة هناك .

مدرسة الشاشي : من أعلام طفر من بغداد الشرقية ساهم للشافعية بحر الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارسي المولد البغدادي . ولد بمطابق في المحرم سنة ٤٢٧ هـ . ودرس بمطابق ولزم الشيخ أبا إسحق الشيرازي وتبعه على أبي نصر ابن الصاع وكان بمدرسته . وانتهت إليه رئاسة الدعوة وتولى التدريس بالنظامية ببغداد من سنة ٥٠٤ هـ حتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ (١١١٣ م) .

مدرسة أبي شعجاع : الشيخ (بهرام بن بهرام) وكانت مدرسة للحنابلة بها باب الأرح عند باب كواكبا ودرس فيها . ووقف خمسة من أملاكه على الفقهاء وسبل الخير . وكانت مودته يوم الجمعة سادس عشر محرم من سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م)

المدرسة القيصرية : وكانت على مقربة من باب الشيخ أبي إسبغ السمرقندي وقد ذكرها ابن أبي عمير . رجم لعمر ابن أبي عمير محمد بن علي بن أبي نصر في إحدى مدارس الجانب الشرقي . أقام بها بحر الدين البوقاي عندما قدم إلى بغداد ودرس فيها من سنة ٥٨٩ هـ حتى وفاته سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م)

مدرسة ابن الجوزي : أبي العرج عبدالرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) وهو مؤلف عدد كبير من الكتب منها المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . وكانت هذه المدرسة بالجانب الشرقي بسرب ديار . وجاء في حوادث سنة ٥٧٠هـ أن ابن الجوزي ابتدأ يوم الأحد ثالث المحرم من تلك السنة بالقراءة الدرس في مدرسته بسرب ديار . وذكر يومئذ أربعة عشر درساً في فنون العلوم .

مدرسة السلطان ملكشاه : وكانت لتدعم بها في الجانب الشرقي طاهر مدينة السلام وذكر ابن الجوزي أن اليزدي فرض إليه تدريس جامع السلطان مكل الشمس بغداد .

★ مدرسة ابن الصقال : بالجانب الشرقي ولعلها الموقية التي مر ذكرها

★ مدرسة السلطان محمود : ولعلها المصينة التي نسب إلى معبد الدين محمود السلجوقي . ولمدرسة محمود هذه أخبار كثيرة في المنتظم في حوادث سنة ٥٦٦هـ وسنة ٥٦٧هـ .

وكان بغداد بالإضافة إلى المدارس التي ذكرها مدرستان أحريان يظهر أن التدريس قد يعطل بهما في أواخر القرن السادس الهجري قبل مجيء ابن جبير إلى بغداد سنة ٥٨٠هـ وهما :

١ — مدرسة الوزير : عوف الدين يحيى بن هبيرة . كانت مدرسة للحجابة بها بالجانب الغربي من بغداد محطة باب بصره . وذكر ابن الجوزي أنها تكملت في سنة ٥٥٧هـ (١١٦١م) وأقام فيها الوزير العقبة . وربما لهم الجراية

٢ — مدرسة ابن الشمحل : وهي مدرسة للحجابة بها عمر بن الشمحل بالمأمونية من باب الأرج في الجانب الشرقي من بغداد . فتحت في يوم الاثنين حادي عشر ربيع الآخر سنة ٥٥٦هـ وأعطت إلى أراهم بن ديار . وهو الشيخ أبو حنيفة النهرواني فحسب فيها وأعاد له فيها ابن الجوزي . وقد سلمت هذه المدرسة لابن الجوزي بعدما درس فيها أبو حنيفة النهرواني مدة شهرين وبذلك حصل ابن الجوزي مدرستها .

وقد استجذبت في العصر العباسي مدارس أخرى غير التي ذكرناها ومن أشهرها :

١ — المدرسة الشرايية : وهي التي أنشأها أبو الفضائل مقدم الخيوش شرف الدين إقبال الشرايي ببغداد في الجانب الشرقي في سوق السلطان . وكان المتولي لسانها شمس الدين أبو الأبرار أحمد بن النافذ وكيل الخففة لمختصر وشرعوا فيه له العذر بها وفي أوقافها ثم بعده إلى من يلي وكالة الخلافة . وفتحت في آخر شوال من سنة ٦٢٨هـ وحضر إقبال الشرايي حملة افتتاحها وكان يوماً مشهوداً

٢ — المدرسة المجاهدية : سنة إلى مجاهد الدين أيك بن عداقة المستعري الدواني أمير الأمراء المعروف بالدويدار ، زوج ابنة بدر الدين لؤلؤ .

وقد قتل هولاكو سنة ٦٥٦هـ في واقعة بغداد وأبعد رأسه إلى الموصل . وقد بنى مدرسة للحجابة سنة ٦٣٧هـ تجاه دار الدويدار الكبيرة . وكانت موجودة سنة ٦٩٢هـ ومن مدرستها الشيخ كمال الدين علي بن وصاح الشهرستاني المتوفى سنة ٦٧٢هـ ، وصفي الدين بن عداق المتوفى سنة ٧٣٩هـ وشامع بن عمر الجيلي المتوفى سنة ٧٤١هـ

٣ و ٤ — المنتصيرية والبشيرية . وستذكرهما في جامعات بغداد .

مدارس بغداد في عصر المغول

وأما المدارس التي أسست بعد سقوط بغداد من أشهرها :

- ١ — مدرسة ابن الأثير : وهي مصابة الى مجد الدين محمد بن الأثير المصولي سنة ٦٨٥ هـ ساهبا ببغداد ودرس في تربة أعدها لنفسه .
 - ٢ — مدرسة ابن قاضي دقوقا : على دجلة بالجانب الشرقي من محلة باب الأرح وهي مدرسة للحنابلة ساهبا بهاء الدين عبدالوهاب المعروف بابن قاضي دقوقا الحلبي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ . وكان قد بدأ بإنشائها باب الأرح على شاطئ دجلة أخوه صحر الدين أبو علي ابن النجيب الدعوقي التتلي المتوفى سنة ٦٦٤ هـ أحد أكابر بغداد وأعيانها ، فأنشأها أخوه بهاء الدين .
 - ٣ — المدرسة العادنية الشافعية : أنشأها علاء الدين علي بن عبدالوهاب بن كردمير التركستاني سنة ٦٩٣ هـ على دجلة مقابل مدرسة أبي النجيب السمروردي . محصورة الجسر القتيق من مئذنة السلام وقد وضعها ابن العوطني بأنها كانت حيلة الباء شاهة الأرحاء . وهي من مدارس الجانب الشرقي ولعلها كانت في محل « دار المضاط » اليوم .
 - ٤ — المدرسة الغزانية أو الفارابية : سنة الى السلطان محمود غرايا بالجانب الشرقي من بغداد أنشأها باب الظفرية حواحه رشد الدين أبو الفضائل هلال الله بن أبي الخير بن علي الهندابي الطبيب الحكيم الورور .
 - ٥ — المدرسة الامامية البكرية : بدير (فراشه) ساهبا الملك أئمة الدين يحيى الكري الفرويي صاحب ديوان بغداد .
 - ٦ — المدرسة المرجانية : أنشأها أمين الدين مرخان في عهد الشرح أويس الخلائري سنة ٧٥٨ هـ لتدرس الفقه الشافعي والفقهاء الحنفي . ولا تزال المدرسة قائمة حتى اليوم باسم (جامع مرخان) ببغداد الشرقية .
 - ٧ — الأيكجية : ونسب الى محمود شاه دانه السلطان الخليفة النكهي وكانت لها مدرسة عظيمة عمرتها في سنة ٧٦٣ هـ .
 - ٨ — المدرسة الاسماعيلية : ساهبا اسماعيل وزير بغداد لعلاء الدين محمد ابن العقولي المتوفى سنة ٧٩٧ هـ .
 - ٩ — المدرسة الوفاية : سنة الى وفاء خانوق وقد ساهبا في العهد الخلائري في حدود سنة ٨٠٠ هـ .
- ١١٩١٠ العنصتية والمعنودية : وسذكرها في جامعات بغداد

دور القرآن ببغداد

كان المفسرون الأولون يدرسون القرآن في المساجد وفي دور خاصة مد عهد ارسب (ص) فقد ذكر الباقدي « ان عندنا من أمم مكثوم قدم بها جراً الى المذمة مع مصعب بن عمير رضي الله عنهما . وفي قدم بعدد سيرة فريد ر القاء » . ويظهر ان هذه الدراسة استمرت في المساجد التي أسست في البلاد لتي فتحها العرب ومصر واهلها الأمصار حتى أسست دور خاصة بالقرآن في حدود سنة أربع مئة للهجرة فيما ذكر الصمدي والذهبي كدر القرآن الرشنة لتي أنشأها دمشق المقرئ رشاً بن تظيف الدمشقي وكان قد قرأ بالروايات بمصر والمراق .

وظلت دور القرآن تخط مستقلة لوحدها ، منعصلة عن الجوامع أو في داخلها حتى الى أن أسست المدرسة المنصورية فصارت بالإضافة الى ذلك تلتحق بالمدارس بوجه علم .

وفي الوقت نفسه نلاحظ أن كثيراً من دور القرآن ظلت مستقلة قائمة بذاتها حتى بعد هذا التوزيع كدور القرآن التي كانت لأجـ الجانب الشرقي من بغداد . ودور القرآن الخيرية بالخيرية الجانب الغربي من بغداد . ودور القرآن الشريعة على شاطئ دجلة بجانب الغربي من بغداد . ودور القرآن النجاة التي أنشأها صدر الدين البزاز . ودور القرآن النورية التي أنشأها بهاء الدين الدبلي . ودور الخلافة ببغداد . ودور القرآن بدير القريشيين . ودور القرآن بحمالة التي أنشأها حمالة بسين ابن العاقولي . ودور القرآن التي أنشأت بالمدن العراقية والبلاد الإسلامية الأخرى .

دور الحديث ببغداد

ويطلق عليها أيضاً دور السنة النبوية أم المصحفة لأن سنة الرسول وهي الحديث النبوي وأعمال الرسول (ص) وتقريراته كانت تدرس فيها .

ونظراً أن دور الحديث كانت مستقلة كدور القرآن أو مستقلة عن غيرها وأحدث أو ملحقة بأحد من دور الحديث من مكررات الشهداء دور الدين محمود بن ركني فقد ذكر ابن الأثير أنه « أول من بي داراً للحديث » وذكر المقرري أن أول من بي داراً للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود بن ركني بدمشق . وذكر ابن واصل أن نور الدين « بي بدمشق داراً للحديث وأوقف عليها ووقفاً كثيراً ، وهو أول من بي داراً للحديث فيما سمعناه » . وأنشأ الملك الكامل ناصر الدين محمد بن عبد الملك لعدول أبي بكر بن شادي من مروان بالقاهرة في سنة ٦٢٢ هـ (المدرسة الكاملة) وهي دار عملت للحديث أيضاً . »

ونظراً أن دور الحديث كانت مستقلة ، أحداً مع دور القرآن في دور الحديث معاً ، يكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل في المساجد كما في مسجد قمرة بجانب الغربي من بغداد . وعملت دور الحديث على هذه الناحية إلى أن أنشئت المدرسة حيث كانت دور الحديث على الأعلى بحق ومدارس الفقه إلى جانب مدارس الطب ودور القرآن أسوة بالمختصرة .

وسمي أن نلاحظ في الوقت ذاته أن كثيراً من دور الحديث كانت مستقلة حتى بعد هذا التوزيع ، كدور الحديث بجامع . ودور السنة النبوية بالموصل ، ودور الحديث بالبحرانية بسكة ابن سحج بالموصل أيضاً . واستمر دور القرآن ودور الحديث مشتركين معاً بمهمتهم العلمية كما كان الحال في مسجد قمرة على أنما بعد من المؤسسات الدراسية التي أنشئت لجمع بين السنة القرآن والحديث والفقه كدار الحديث بسبله بجامع بغداد كانت مسجداً ، وداراً للقرآن ، والحديث النبوي ومدرسة للعلم على مذهب أبي حنيفة . . . الخ

مدارس الطب ببغداد

نلاحظ أن مدارس الطب في المباحة والمستشفيات والمدارس الطبية المستقلة إلى أن أنشئت المستشفيات والمدارس الطبية فجزء من اندماجه الطب صفة خاصة للطبيب وطلابه وضع ذلك في المدرسة عرفت بمدرستان المستقلة عالم بعد لذلك مثلاً في المدارس الأخرى التي عاصرها أو التي ستقبلها . وسذكر بعض التفاصيل عن مدرسة الطب المستقلة في البحث الذي خصصناه لمستشفيات بغداد .

جامعات بغداد

يمكن ان نطلق نقطة « اخامة » على آخر مرحلة وصلت اليها ادارة عبد المليم في الفروع « مستوى » اداري .
الجامعة المؤسسة العلمية التي تحتوي على عدد من الكليات والمعاهد والأقسام العلمية يهتم الخاصة بها . ووسائل انصاحها
« أموالها المرصدة لها » . وما تقوم به من بحوث ودراسات في مختلف ماضي الحضارة البشرية والعلمية ، الى جانب الفروع
الجامعي والتقاليد التي كانت تأخذ بها .

وقد ثبت لنا بعد البحث والاستقصاء أن اندماج الاسلام في بغداد قد مر بعدة مراحل فقد ابتدأ ولا يخفى في
الحدائق في روابها وعند اساطينها دون أن يكون لها مكان معين فيها .

وبعد عدة فروع أحدثت الدراسة تنتشر في خارج المداخيل وفي أماكن اصحابها . لهذا من اسماها لأنها
انتمت عن المداخيل وأصبح في كل منها مسجد تابع لها بعد أن كانت « مرفوعة للمسجد » وكانت هذه المدارس تدرس
« بها » أو « حياً » وهي المدارس الأخرى « وأصبح ينصب مدرس علمي أو مذهبي وهي المدارس شائعة أما
التي كانت تدرس ثلاثة مبادئ فيها فكانت تدرسه حياً وقد أضفت عليها المدارس الثلاثة

وقد طلت المدارس الاسلامية بأسرها في هذا المجال بعد ثلاثة فروع من منتصف القرن الرابع الهجري حتى
القرن الخامس من القرن السابع الهجري عندما شرع ساء المصرية بعدد سنة ٦٢٥ هـ على المذاهب الأربعة لأول
مرة في التاريخ . وقد جعلت فيها أقسام علمية تختص في منها « الكليات » المعهدة وقد من التي تكون من الجامعات
وكان لأكثر هذه المدارس والأقسام العلمية شأن خاص بها كما كان ينصب أئمة أو « أئمة » تذكر فيها الدروس
وكان يكتب الطلبة وحرر من كتبهم . وختار واسعة للمواد المختلفة من الفقه والعين والأدوية والمقايير

وقد ثبت لنا أيضاً بعد تحريقاتنا في إنشاء المسلمين في بلادهم الواسعة من معاهد للعلم ومن مدارس أحاديث
وثنية وثلاثة رباعية ومن دور القرآن ودور الحديث ودور الفقه ومدارس لطب « الحج » ، ان « المستصرية
بغداد » كانت أول جامعة عراقية من أمم جامعة اسلامية في العالم الاسلامي . كما تنبأ من دراسه الجامعات الأولى
في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي وما بعدها أنها قد سعت كل تلك الجامعات الأوربية أيضاً .

ونظير ان المستصرية بغداد أصبحت قدوة لمؤسسي المدارس من الرجال والنساء ليس في العراق فقط ، بل في
مصر والشام والحجاز حيث شرعوا ببناء مدارسهم على صفتها من حيث الدراسة على المذهب الأربعة أو احيواؤها على
دروس لطب والتفسير والحديث والفقه وعلى مجال ودور الكتب ، وعلى عدة المراحل الأخرى وربما ناقسوها في
الزيادة فهو على عرارها من حيث هذه البناء والرحلة واحتوائها على الأولاد من حكامها أصبح ذلك في شروحاتها
للمدارس الرباعية التي بنيت على صفتها .

ولما كانت بغداد قد سبق جميع بلاد العرب والاسلام وست لها « المدارس رباعية على المذاهب الأربعة
وقد تميزت أحرار المدارس في بلاد الاسلام التي انتشرت فيها المذاهب الفقهية فوجدنا أن بغداد اهتمت على أربع
جامعات كما وجدنا ان مصر أول بلد عربي حدا حدود بغداد حيث أسست فيه أول مدرسة على المذهب الأربعة
بعد عشر سنوات من افتتاح المستصرية . وتكاثر هذه المدارس بالدمية حتى اننا عثرنا على أحداً سبع جامعات فيها

وكانت حلب البلد العربي الثالث الذي أنشئ فيه مدرسة واحدة على المذاهب الأربعة بعد مضي أكثر من قرن من الزمن على افتتاح المستنصرية

تقد أُنشئت المصرية بعدادي أواخر الدولة العباسية . وأُكملت قبل سقوط بغداد بيد المغول بربع قرن وظلت الدراسة مزدهرة فيها أيام حكم المغول نحو قرن ونصف القرن . وهي أول جامعة في العالم الإسلامي عيّنت دراسة علوم القرآن ، و سنة النبوة ، ولغاهات لفقهاء وعلوم العربية ، ونزاهات وقصة الفرائض والبركات ، وسامع الحنوف و علم الطب وحفظ فوام الصحة ، ويعوم لأندان في أن كماها أول جامعة إسلامية جمعت فيها الدراسة الفقهية على المذهب الإسلامي الأربعة الحنفي والشافعي ، والحنلي ، والمالكي في بابه واحد من مدرسه الصحة

- (١) كانت مديرية الآثار العامة قد نقلت هذه الكاتبة الأجرية إلى منحبه « النصارى » - قلعة وزارة الدفاع - وقد أعادتها سنة ١٩٦١م إلى مكانها الأول من باب المستعرة الرئيس المثل على سوق الهرج
- (٢) لقد درس الطب في الإسكندرية بعد ذلك عند انضمامه إلى « كبرى » بقرية أسس الطب وعنه في الأزهر - كما درس الطب في مدارس الطب المستقلة.

٩ - ومنهم شعراء ، وخصيصيون اشتهروا بأدبهم وشعرهم . ومنهم كعباد الدين العددي وابن انصاف وجمال الدين ابن الجوري ، ووحيد الدين القبروايي ، وابن الصيقل الحريري ، وعياث الدين العنقولي ، وهوام الدين ابن الجوري ، وجمال الدين الدهري ، وصفي الدين الأرموي العدادي ، وشمس الدين الكوي ، وابن مروع المصري ، وحجم الدين الواسطي ، وتقي الدين الدقوقي . وابن السك الذي تفرّد بالعلوم الأدبية ، ويطم شعراً تحوّر حد الشّغرى .
١٠ - ومنهم نحويون أسهت إليهم مشبحة الأدب العربي كاس الانصاري الخرجي ، وابن العواس الموصل ، والدلمي الشهير ابني الأديب ، وابن الصيقل الجوزي وابن الفصح الكوي شح حياة بغداد ، وابن ابار ودي العقابر القرشي . الخ .

١١ - ومنهم مفسرون أصدروا الفتاوى والأقصة والأحكام كهر الدين العدلي الذي كان ينفذ (ملك الموت) وابن مقل الواسطي ، والمحب بن نصر الله العدادي ، وجمال الدين العنقولي الذي درس بالمستنصرية حوفاً من حمسين سه وأفتى سبعين سنة أو أكثر ، وكان قد أعطي خطأ في الفتوى لو كتب على الفتوى جميع من في العراق لم ينفذ إلا الى خطه

١٢ - ومنهم خطاطون كتبوا بالخط المنسوب الى ابن التوات وابن مقلة وغيرهما ، وحنفو كثيراً من الكتب بحظهم الجميل كمحمود الرضائي ، وياقوت المتعصمي ، وصفي الدين بن فاجر الأرموي العدادي ، وصفي الدين بن عبدالحق ، وابن وصاح الشهير ابني ، وابن المحشر . وهاج ابن السك الذي كان حصه رباحاً موفقة ما يرضى أن يكون ياقوت فصلاً في خاتمه .

١٣ - ومنهم من ليس له من انقوة كمد الله الشارصاحي (١) مدرّس المالكية فيها ، وعبد الرحمن النكريقي الناطر الأول في مصالح المستنصرية

١٤ - ومن مدرّسينها يحسبون تولوا الحصة بخاني بغداد كان فصلان وبني الدين ابن الجوري وابنه جمال الدين ، وحفيده قوام الدين ابن الجوزي ، وجمال الدين ابن العنقولي .

١٥ - ومنهم قصّة بولوا القصص فيها أو في بعض الأنظار الاسلاميّة كشرف الدين بن عكر حكما تولى عدد منهم قصص القصة أيضاً أمثال : محمود الرضائي وكان أعلم الناس بمرثية المصطفى ، وابن مقل الواسطي ، وابن اللساني وعز الدين البلي .

١٦ - ومن رجال المستنصرية حرّان عظام ، أعوا بحرس الكتب ، ونظيمهم وفهرستها في دار الكتب المستنصرية وكان لهم فضل كبير في نشر العلم ، والتأليف ، والاستساح والتوريق بحضوتهم الحجة المصنوعة ، أمثال شمس الدين علي ابن الكبي ، وعبد الرحمن بن دلف الناصح ، وابنه صاه الدين أحمد . وابن الخطيري ، وابن الساعي الخارب ، وبني الدين المخزومي ، وياقوت المتعصمي وابن القوطي وغيرهم .

١٧ - وكان منهم شعراء بين المستنصر بالله وبين الملائكة والأمراء . فقد أرسل المستنصر يحيى الدين بن فصلان رسالة الى ملك الروم . وأرسل يحيى الدين يوسف ابن الجوري الى ملك الروم أيضاً وكان حاصر مدينة آمد ، فأخرج له ابن الجوري خط الخليفة يعلمه ونلا قوله تعالى « كتاب أرسلناه اليك ماركاً لدمروا آياته ولتذكر أولو الألباب » وفيه وسلمه اليه . فقام ملك الروم ووجهه على عيبه ورأسه وقراءه . وأمر في الحن بالكف عن القتال ، والرحيل عن البلد .
١٨ - وقد ترك هؤلاء العلماء كافة عدداً كبيراً من المباحث المهمة ، منها الخطوط ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً في أمهات المكتبات العالمية ، ومنها ما لم يبق إلا اسمهاؤها ، أو ما قتل منها .

(١) شارصاح بلدة من وادي دماط بمصر

١٩ — وقد رحل بعض علماء المستنصرية رحلات طويلة للتحري والبحث عن الحقائق العلمية ، في الأقطار العربية والإسلامية كرحلته ابن فضلان ، وابن الجوزي وغيرهما . كما قصد هذه الجامعة عدد كبير من العلماء والأدباء والكتاب والمؤلفين من بلاد الإسلام النائية للدرس والتدريس فيها . وقد حدث كثير من رجالها في أعلى البلاد الإسلامية ودرسوا في مدارسها .

٢٠ — وكان لكثير من السادة العلماء فضل كبير على رجال المستنصرية فقد درسوا عليهم وحصلوا على الإجازات العلمية منهم ، كما كان لموسى بن سهل عليهم إذ توسق عليهم ، وتأن الاجازات منهم .

٢١ — وسنطلع أن يذكر ، أن من بين المدرسين علماء أحرار آتت لهم آؤهم الخاصة بهم فلم يقلدوا غيرهم من العلماء وكانوا يعملون إن امتنع قلنا كانوا حالاً ، ومن رجال أمثال محمود الرضائي الشافعي ، وفاضي القضاة ابن اللعاعي الحنفي ، وسراج الدين الشارمياحي المالكي . وكان كثير من علماء المستنصرية من ذوي المكانة العالية لا يمشون الأكابر ، ولا يحالطونهم . وكان من علمائها من تأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ويواجه الكبراء بما يكرهون .

٢٢ — ويمكننا أن يذكر من بين علماء المستنصرية من أودى ومن أسرى وضعه بغداد ، ودهست مؤلفاتهم ، وتنبهم ، واجارهم ، ومن بقي أو اغتقل وسجن ، أو هرب من بغداد في أثناء نفس والاضطرابات أمثال ابن الحب العباسي ، وابن وصاح الشيرازي وابن عكة المكي ، وابن أبي الأئمة ، وحدث الدين ابن العلقمي . وهو من الذين ابن اخوري ، ويحم الدين حواجه امام ، والمحب بن نصر الله البغدادي ، وأبيه نصر الله وابن القوي

٢٣ — كما يمكننا أن يذكر من بين علمائها وههنا الذين استشهدوا في واقعة بغداد سنة ٦٥٦ هـ صدر أسف التتر وهم يدودون عن دسهم ولادهم كلاً من كمال الدين الحموي ، وعلي ابن اسار ومحبي الدين بن الجوزي ، وانه جمع الدين ابن الجوزي ومحمود الرضائي ، وابن القضاة البغدادي وابن الدبع التكريتي وصهر الدين الأمدي

٢ — البشيرية

٦٤٩ — ٦٥٢/٦/١٢ هـ

كانت قطع قرب مشهد الشح معروف «عقاب العربي من بغداد» وقد شرعت سبها وجه المتعصم المعروفة «باب شير» (١) في سنة ٦٤٩ هـ وحلتها على المذاهب الأربعة على قاعدة المستنصرية ونفت يوم الخميس الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٦٥٣ هـ وحضر الخليفة المتعصم وأولاده فجلسوا في وسطها .

٢ — العصبية

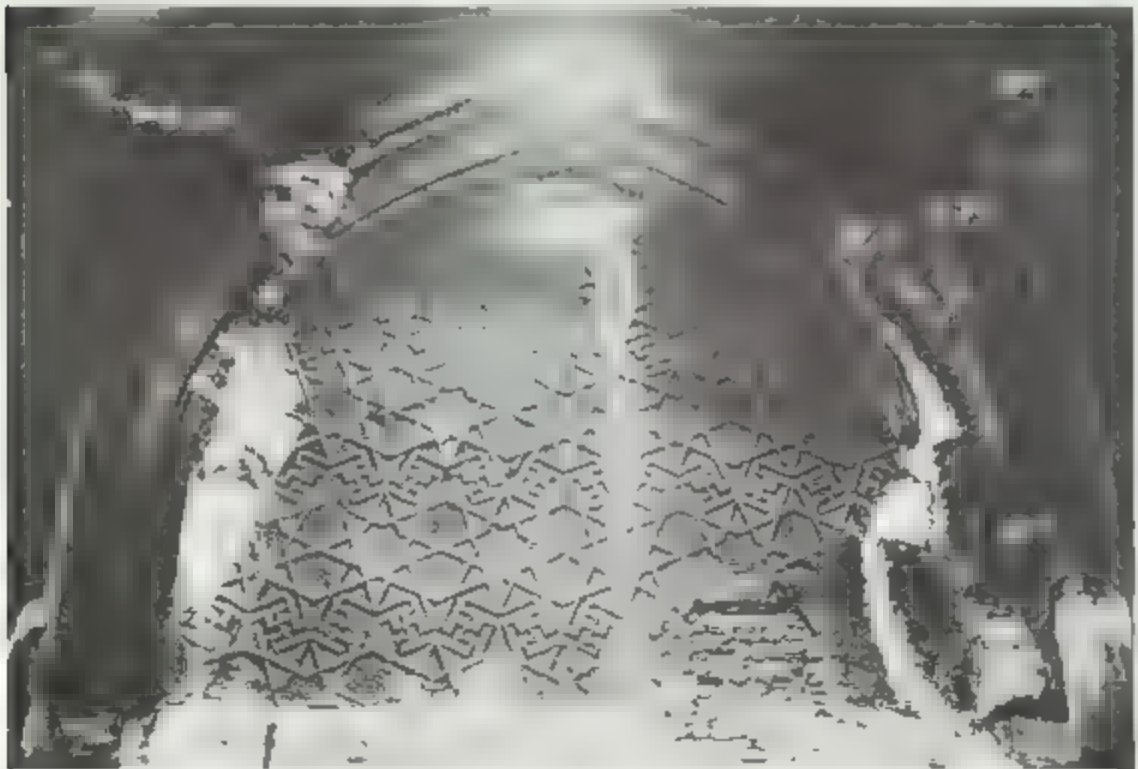
وفي سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢م) تم بغداد بناء المدرسة العصبية بالمحلة المعروفة بـ «مشهد عيد الله» أي بعد الغزو المغولي لبغداد بخمس عشرة سنة أمرت بإنشائها في ظاهر بغداد بجوار مشهد عيد الله بن عمر العلوي السيدة

(١) «باب شير» هي أم ولد المتعصم الأمير أبي نصر محمد . وقد دعت «باب شير» بعت لفة لني أعدها بخدم المدرسة كما دس بها محمد عدداً . وقد و - في تلخيص مجمع الآداب . وفي الحوادث الجامعة ، وفي كتاب السلوك مصطلحات خاصة تسمى بها أسماء الخلفاء أو سائهم كقولهم «باب جهر» وهي الست النوية حديده ست المتعصم و«باب عمر» ست المستنصرية والجهة أو الجهة الصالحة والسر الرفيع والحجاب المنع والست الأشراف والحجاب الأراي

« شمس الصبحى » شاه لى بنت عبد الخالق بن ملكشاه ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي وهي أم رابعة العاسية حميدة المستعصم وقد وهبتها على الطوائف الأربع ، ووضع المدرسة بجوار الدكة التي دفنت فيها شمس الصبحى سنة ٦٨٨ هـ أي في المقبرة المعروفة اليوم بـ « أم رابعة » أو « أم رابعة » في الجيوب الشرقي من صرح الامام أبي حنيفة في الأعظمية . وكانت المحلة التي تحيط بالمعبر طويلاً وسائياً تمتد من شارع الامام الأعظم غرباً حتى شارع عمر بن عبد العزيز شرقاً وطلعت كذلك حتى سنة ١٩٣٠ حيث أزيلت التلويح وقسمت السائين الى دور وقصور ولم يبق في تلك المنطقة إلا الصرح المعروف بقبر أم رابعة . ولما توفيت انتها رابعة المعروفة بست الكرام حفييدة المستعصم سنة ٦٨٥ هـ دفنت في قرية والدتها

٤ - المسعودية

و نسب لى خواجة مسعود بن سعد الدولة وهو من أكابر بغداد وكان أبوه يلقب سعد الدولة وكان يهودياً ثم أسلم وعمل روي في إسلامه ما ذكره العمري وهو ابن من بني نصر الفراء سمعه وحشع عنه فأسلم وقد عمر له مسعود الشامي مدرسة في غاية الحسن وحمل وفقاً على المذهب الأيسنة على مذهب المستنصرية وأوقف عليها أوقافاً كثيرة وأثنى عليها كتب أكثر كتب بحضرة وكان حظه حسناً وكتب على حدائقه بخطه وحكيت اسمه بما به « وكتب مسعود بن منصور بن أبي هارون الهاروني نبياً ، الشامي مذهباً »



بوان دار القرآن بالمدرسة المستنصرية يظهر فيه الزخارف الأجرية وفي علامه الصلب مكتوف وهي من مرابا الزخرفة الإسلامية التي ما زالت في أكثر جوامع بغداد ودورها . وقد رمته مديرية الآثار العامة وأعادت زخرفة الأقسام التي ساقطت خارجي والصورة من صدر الأيوان ويلاحظ فيها نجوم وأشكال هندسية في غاية الدقة والاختلاف وهذا الأيوان هو الجزء الوحيد الباقي من دكر القصر التي وصلت بأنها لم ير مثلاً في المبنى الإسلامية ولا يتطابق أحد أن يدرك وصفها

خزائن الكتب البغدادية

تقد جعلت بغداد في العصر العباسي عدد كبير من خزائن الكتب ودور العلم التي كانت نشأة مفيدة ، أو في المساجد أو المدارس أو الرط أو المنازل أو في قصور الخلفاء ، والملوك والأمراء والوزراء وبيوت العلماء والأدباء والكتّاب والمدرسين . وقد ذكر ابن سعيد أبي الحس علي الغرناطي (٣٦٦) مكتبة بغداد وكان قد التقى بأكابر العلماء وأطلع على أفضل الكتب وجمع سنة ٦٣٨هـ ورجل إلى الشام وأقام بالموصل وبغداد والصرى (١) وكان لهذه الخزائن أنظمة خاصة بالخزان والمكتبة والمداوين وإدارة الأوقاف والمطالعة والإعارة والاستئجار واتساع الكتب وتجديدها وترتيبها ونقشها ونحيتها والاعتماد على النسخ الخدائق في صناعة النسخ ، والمهرة في الصط والاحادة في التجديد

ولعل بغداد لم تنافسها مدينة إسلامية أخرى في كثرة كتبها ومكتباتها لأنها أولى المدن التي أنشئت فيها الخزائن ودور العلم ولأن رشاها كان في إبان ازدهار الحصار العربي في البلاد الإسلامية ، ولم ياصفها فيما بعد إلا قرطبة في الأندلس في خلافة الأمويين والقاهرة في خلافة الفاطميين . فقد ذكر الفقهدي خزائن الكتب المشهورة فقال « قد كان للعلماء والملوك في القديم بما يريد اهتمام ، وكمال اعتناء حتى حصلوا منها على العدد الجهم وحصلوا على الخزائن الخدلة ويقال : إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن :

إحداها : خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يعوم عليه بعدة ، ولم يرل على ذلك إلى أن دهمت النار ببغداد ، وقتل ملكهم هولاءكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد فدمرت خزانة الكتب وذهب وذهبت معالمها وغبت آثارها .

الثانية : خزانة الفاطميين بمصر . وكانت من أعظم الخزائن ، وأكثرها جملاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ولم يرل على ذلك إلى أن أضرمت دولتهم بموت العاصم آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم ، فاشترى القاضي الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسته الفاضلية بدار ملوحيا بأنقهره فمقت فيها إلى أن أسولت عليها الأيدي فلم بق منها إلا القليل

الثالثة : خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس ، وكانت من أجل خزائن الكتب ، ودمرت بمصر ودمر دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس فدمرت كتبها كل مذهب . »

ويمكن أن يذكر أن صاحب بغداد رحرت بالكتب وخلفاء التدريس كما يمكن أن يقول أن أكثر الخلفاء

(١) ولد ابن سعيد بمرطبة سنة ٦١٠هـ كما ذكر المغربي ونقل من المغرب الأقصى إلى المحيط الأطلسي إلى الخليل العربي وجمع سنة ٦٣٨هـ وبقي بالقاهرة (بعد وفاة أبيه بالاسكندرية سنة ٦١٠هـ) حتى سنة ٦٤٨هـ ورجل إلى الشام وأقام بالموصل وبغداد والصرى ثم رجل إلى حلب فصحة ابن التديم وجمع مرة أخرى . وكان يتوس سنة ٦٥٢هـ وفي سنة ٦٦٦هـ بالاسكندرية ، وحلب فأرسله وبقي سنة ٦٧٣هـ بدمشق على رواية . وفي رواية أخرى أن وفاته كانت بتونس في سنة ٦٨٥هـ

العاسيين كلهموا جميع الكتب وبناء الخرائن الخاصة وفي الوقت نفسه يمكن أن يذكر كثير من حرائن المدارس
ومكتبات الاشخاص التي رحرت عشرات الآلاف من الكتب وبخاصة حرائن المدارس حيث صار مؤسوها مقلون لها
الكتب من حرائنهم الخاصة لأن المدارس التي ابتوها كانت أمس اليها
ومن أشهر هذه الخرائن

١ - حراة الحكمة أو (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة) وهي حراة الرشيد والمأمون وكان فيها حرائن
وكتب ومترجمون مشهورون أمثال يحيى بن موسى بن شاكر المنجم وهم ثلاثة أخوة محمد وأحمد والحسن ثم يحيى بن
أبي منصور المنجم المأموني ، ومحمد بن موسى الخوارزمي ، وسعيد بن هارون الكاتب ، وحسين بن اسحاق العادي ، وإسماعيل
بن يحيى ، وإسحق بن حنبل بن الحسن الأعظم ، وثابت بن قرة ، وعمر بن الفرياح الطبري

٢ - حراة عهد الدولة البويهية المنهية سنة ٣٧٧هـ وبصاحبها المقدسي بأنها أرح طوبى في حصة كبيرة فيه
حرائن من كل وجه وقد ألصق الى جميع حيطان الأرح والخرائن بيوتاً طوله فامه في عرص ثلاثة أدرع من الخشب
المروقي عليها أبواب تحدر من فوق والدفاتر مصددة على الرفوف لكل نوع بيوت ومهرستت فيها أسامي الكتب
لا يدخلها إلا وجهه .

٣ - حراة الوزير أبي نصر سابور بن أردشع ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٧٣هـ وفي سنة ٤١٦هـ أن أبا
نصر اساع في سنة ٣٨١هـ داراً بالكرك بين الدورين وعمرها وبصاحبها « دار العلم » وحمل اليها كتب العلم
من كل من حتى بلغت أكثر من عشرة آلاف علة وعمل لها مهرستا ووقف عليها الوقوف ورد النظر في أمورها
ومراعاتها والاحتياط عليها الى أرسنة من كبار علماء بغداد .

٤ - حراة الوزير أبي منصور بن مه وقصها على طلاب العلم وكان قد جمع فيها تسعة عشر ألف مجلد ما فيها
إلا أصل منسوب . وفيها أربعة آلاف ورقة شرط ابن مقلة .

٥ - حراة أبي الحسن محمد بن هلال الصائبي وقصها في شهر رجب من سنة ٤٥٢هـ شارع ابن أبي عوف من
قربي مدينة السلام ونقل اليها نحو ألف كتاب .

٦ - حراة الناصر لدين الله العباسي وبطهر أنها كانت حراة عظيمة نقل عدداً كبيراً من كتبها الى حراة
دار المسناة ، والى الرباط الخاتوني السلجوقي ، والى المدرسة النطابية

٧ - حراة المستنصر بالله وهي الخراة التي نقل منها فيما ذكره المؤرخون نحو ثمانين ألف كتاب الى حراة
المستنصرة ومن أشهر حرائن مدرس النظامية القاضي أبو محمد عداة البادراني ، وصباة الدين أحمد بن عبد العزيز
بن دلف الساسخ

٨ - حراة المستنصر وكانت تكون من حرائن متقاتلتين أحترق لهما كائنات هما الشيخ ركن الدين عداة
بن حبيب ، وصفي الدين الأموي أحد فقهاء الشافعية بالمستنصرة . وقد سلمت الخراة الأولى الى شيخ المستنصر
العدس شمس الدين علي بن البار ناصر المستنصرة وسلمت الخراة الثانية الى صفي الدين الأرموي
ومن أشهر حرائن الأشخاص :

- | | |
|--|--|
| ١ - خراة ابن التميم صاحب القهرست | ٦ - حراة ابن الجوزي الكري |
| ٢ - حراة الشريف الرضي صاحب (دار العلم) | ٧ - حراة ابن المارستانه الكري البجي |
| ٣ - حراة الشريف المرتضى | ٨ - حراة ابن البرهطي الأصباري |
| ٤ - حراة أبي بكر الخطيب العدادي | ٩ - حراة ابن الجار المؤرخ شيخ الحديث بالمستنصرة |
| ٥ - خراة ابن التلميد | ١٠ - خراة صفي الدين عبد المؤمن ابن عبدالحق الحنبلي مدرس المستنصرة ألع |

أما حرائق المدارس المشهورة فممكن أن يذكر منها على سبيل المثال ما يأتي

١ - حرائق مدرسة أبي حنيفة التي أشتب سنة ٤٥٩ هـ ووهبت فيها كتب كثيرة فحرقها وكان فيها أكثر مؤلفات الجاحظ بهرته ، مطلقاً ما عداه وحشد منها ، وإن بأمر حارث بن عبد استصلاحه ، ثم أعادها ونقصها في كل وقت وهرمه شتمها وإن لا يخرج شيئاً منها إلا إلى ذي أمانة ، مستظراً بالرهى عن ذلك

٢ - حرائق المدرسة النظمية وقد افتتحت سنة ٤٥٩ هـ وكان لها حرائق ومشروعات حملت بأحبارهم كتب التراجم وقد جمع فيها نظام الملك مخلف الكتب ، كما أن الخليفة الناصر لدين الله أمر بتماره الحرائق ونقل إليها من الكتب النفيسة الوفاً لا يوجد مثلها .

٣ - حرائق المدرسة الشيعية أنشأتها روجة المستعصم وأم ولده محمد أبي نصر على المذاهب الأربعة وافتتحت سنة ٦٥٢ هـ وكانت كتبها لا تنال إلا برهن حافظ لقيتها .

وقد اشتعلت حرائق الأشعاص وحرائق المدارس ودور العلم على الوف كثيرة من الكتب العيسة في اصاف العلوم

خزانة المستنصرية

١ - أهمية خزانة المستنصرية :

إن من أهم الأقسام العلمية في المستنصرية (دار الكتب) وكانت تسمى (خزانة الكتب) وكانت مرجعاً عاماً لطلاب المستنصرية ومدرستها وشيوخها كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء في خارج المستنصرية . ولطالما قصدها الكثير منهم ، وترددوا عليها ، وأعادوا من كورها العلمية والأدبية نحو قرين من الزمن وتعد دور الكتب قديماً وحديثاً من أهم مستلزمات الدراسة الجامعية .

وإن المكان الذي كانت فيه مكتبة المستنصرية تكون من العاعات الكبيرة الواقعة في الحد الأسفل من عمارة هذه المدرسة ، بقصر يربو من مدرسة الفقهاء أرح طول عال وهذه العاعات ترتفع « رفعا الطابقين . ولم تكن فيها نوافذ بل كان فيها كوى سقفة لا تزال عامرة تكفي للاضاءة والتهوية .

قد ابن كثير أن المنصر « وقف كنأ عيسى ابن في الدنيا لها بطر » وكانت بخطوط المسونة الى أشهر الكتاب العرب أو الخطوط العيسة الرائقة غير المسونة . ولعل مكة المستنصرية كانت في القرنين السابع والثامن الهجريين أعظم دور العلم العامة ، وأشهرها في العالم ، ولا سيما في العهد الذي كان ابن العوطي حارياً فيها ، على الرغم من كثرة الكتب التي انتهبها المغول منها ، بعد جاء في مختصر أخبار الخلفاء المسوب لاس الساعي أن المغول « سوا اصطولات الخيول وطولات المعالف مكتب العلماء عوضاً عن اللس » وجاء في كتاب الحوادث أن نصير الدين الطوسي وصل الى بغداد سنة ٦٦٢ هـ لتصفح الأحوال والظر في أمر الوقوف والحث عن الأجناد والممالك ثم احضر الى واسط والصرة ، وجمع من المراق كنأ كثيرة لأجل الرصد . وجاء في الدابة والنهاية لابن كثير أن نصير الدين الطوسي عندما بنى دار الرصد يبراعة « نقل اليه شيئاً كثيراً من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد » وذكر الصعدي وابن شاكر أن نصير الدين « انتى بمراقبة ورصداً عظيماً واتحد في ذلك خزانة عظيمة مسيحة الأرجاء ، وملأها من الكتب التي هبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمع فيها زيادة على أربعة ألف مجلد » .

ودكر الذهبي خزانة الرصد ، وخزانة المستنصرية فقال « وليس في البلاد أكثر من هاتين الخزانتين »

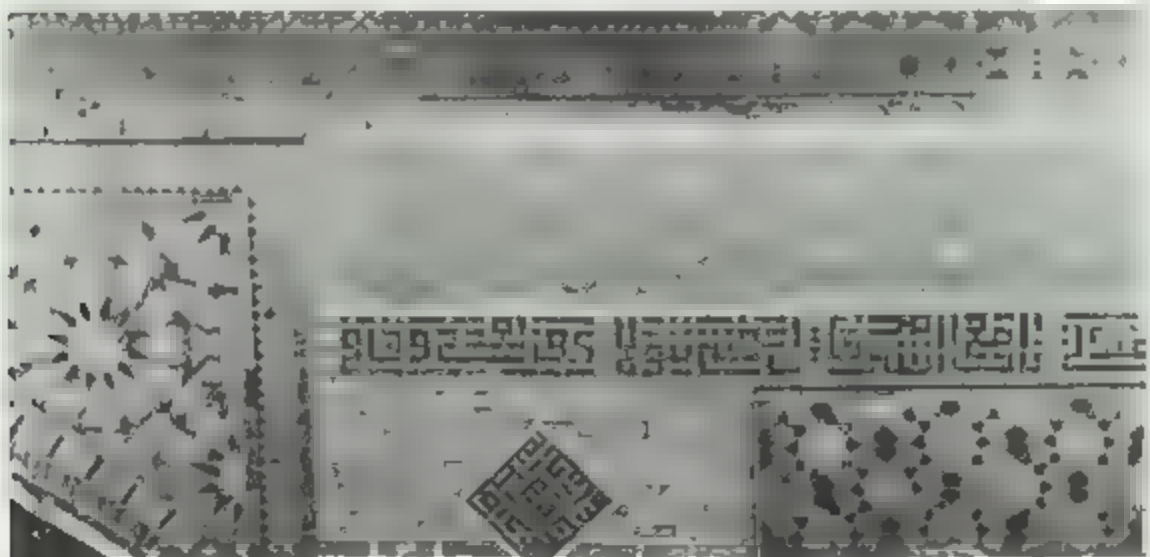
فإذا كانت خزانة الرصد وهي التي تأسست بعد تأسيس المصرية ترع قرن محتوي كما نقل ابن العوطي على

(٤٠٠) ألف مجدد ، أو مصعب استطاع أن يدرك مقدار الكتب التي كانت في حراة المصرية وأهميتها وحلالت قدرها بالنسبة الى حراة الرصد بمراعاة ، حيث يعبر قول ابن الفوطي السابق شهادة مهمة تثبت انها كانت أعظم وأجل من حراة دور الرصد ، على الرغم من عدم اطمئناننا الى هذه الأعداد الضخمة فيها أو في غيرها بوجه عام

ب — شروط حراة المستنصرية :

لقد كانت شروط هذه المكتبة التي اشترطها المستنصر كما نأس

- ١ — أن يكون فيها خازن للخزانة ، له في كل شهر عشرة دماير ، وفي كل يوم عشرة أرتال حراً وأربعة لحماً بحوائجها وحضرها وحطبها
 - ٢ — أن يكون فيها مشرف على الخازن ، له في كل شهر ثلاثة دماير ، وفي كل يوم حمة أرتال حراً ودرطان لحماً .
 - ٣ — أن يكون فيها مناول للكتب ، له في كل شهر ديناران وفي كل يوم أربعة أرتال حراً وعرف صبيحاً ويظهر أن بعض العلماء كانوا يوقعون عليها كتبهم ، وشروطون بها الشروط التي اشترطها المستنصر بالله . كما فعل صحر الدين الطوسي المقيم في المستنصرية .
- وقد أجمع المؤرخون على أنه رتب في المستنصرية حراة كتب فيها من الكتب النفيسة في أنواع العلوم المختلفة شيء كثير جداً . وحملت رسم من يطالع ويستخرج من العقباء . ورب لهم بها الورق . والأفلام لمن يريد النسخ . وما من على عمده المستنصر بالعلم ، والكتب العلمية ، وماله الى اقتنائها وحربها في دور الكتب التي في المدارس ما ذكره الصمدي فقد قال " وسعت كتب العلم في أيامه ما على الأنمان لمسه الى اقتنائها ، ورعته في تحصيلها وإكثانه على مطالعها . وحسن حفظها . ووقعها على أهل الفصل وحربها في المدارس . وصف الفصلاء في دولته بتدريج المصنفات في فنون العلم ، وتقرروا بإهدائها اليه " .
- وبعد سقوط بغداد بأيدي المغول هرب صحر الدين الطوسي أمير حرش الكتب بغداد الى موطنه الدين بـ أبي الجديد وأخيه عر الدين



مخاريف جديدة وكنائس كوفية في جامع النعمان الملاصق للاعدادية المركزية وللمدرسة السليمانية وهي مشيد المخراف الأجرية والخشبية وقد عملت سنة ١٣٣٨هـ

التوقعات التدريسية

كان التدريس في أول أمره حصة نه تعالى لأن العلم عند المسلمين ما كان يقوّم شئ أو يشئ نال أي لا يعادل مادته من معلوم أو مرتب أو حراية . ولذلك لم يكن مصدر توقعات تعيين المدرسين إلا بعد ظهور المدارس المتفلة عن المساجد حيث كان التدريس فيها بحري حسب أنظمة معروفة وشروط معينة .

ويمكن أن يذكر أن التوقعات القديمة كانت تحتوي على أمور تتعلق بمصعب التدريس وأهمية المدرس حيث لم يكن معنى للتدريس إلا من عرف بعلمه وعفته وسداد آرائه . وبعبارة أخرى طاعته مشعراً ذلك في عله وسريته وكانت التوقعات التدريسية بين القدماء من طريقة التدريس التي سعي عله اتباعها كأل يذكر التدريس على « أكمل شرائط وأجمل ضوابط ، مواضياً على ذلك ما لكأ فيه أوضح المالك » .

وكان يذكر فيها ما يخص التدريس شرباً من جريات عله ، وممرات نقدية وذلك بموجب ما استؤمر فيه من الحكومة

وكان يشاء في التوقع أن يأمور إلى كلف العر فيها من غير الشؤون التدرسية كالنظر في الوفود المحتسة على اندرسه التي عين مد بها واسمها واستمر حاصلها وسمه وادائها ومراقبة المنحدرين في هذه الأوقات كما أن عله أن ينظر في عماء المدرسة وحراية الكتب وأن يتمدها ويلزم تقوم بالمواصه على الخدمة منها والمتفقه بملارمة الدروس وإناب الكتب ومعا صلبا . وله أن يأمر حارن المكه بمراعه الكتب وتصحيحها وأن لا يخرج منها إلا إلى ذي أمانة مستطراً بالرمز عن ذلك .

وبما تجدر ملاحظته أن أول موقع تدريسي عثر عله بعداد يتعلق بمدرسة بعدادة هي مدرسة أبي حنيفة يرجع بأرجعه إلى سنة ٦٠٤هـ . ويظهر أن اللاد الاسلامة أحدث حدود بعداد في هذا الأمر مد أن أسست المدارس بعداد وقد استطاعت بعداد أن تنس للبلاد الاسلامة ليس فقط طريقة التوقعات وإنما شرعت لها بعداد اندرس المستقلة والجامعات الكبرى وجمع المذاهب الفقهية الأربعة في بائة واحدة وجدت حدودها مصر وغيرها كالبحار وشم إن التوقيع لسي يتعلق بمدرسة أبي حنيفة بعداد افتتح بالسملة ثم بحمد الله والثناء عليه ثم بذكر دا الخلافة وعتها بالدار العريزة ثم بالخلاص من ذلك إلى ذكر الخسفة والدعاء بدوام الدولة ثم بالشهادتين والصلاة على سول الله (ص) وعلى أدبى ولده ، وأعد جده . ثم يعرض التوقيع بعد ذلك كله بصمات المدرس لسي حرح (التوقيع) بعبسه وهو العرض المقصود من التوقيع .

ويحتتم التوقيع بتقدير التدريس وضرورة المادرة بالعمل لما جاء موصحاً به من غير توقف أو تردد ، ثم بهي تدور اليوم والشهر والسنة الحريه التي تم فيها هذا التوقيع وأحبراً يديل بالعلامة الخاصة للحلقة أو السلطان أو الملك

المجالس الادبيّة برواق المستنصرية

من فضل المستنصرية على الثقافة الاسلامية انها كانت تعتمد على المجالس العمدية لبحال لشعه والفكر . ويمنع فيها الاجازات العلمية لأكابر العلماء . من ذلك مجالس عشرة عقدت لاس القصل الحري العمداني " ب الممد اللعوي المتوفى سنة ٧٠١هـ .

وقد عقدت هذه المجالس العشرة برواق المستنصرية سنة ٦٦٦هـ لسماع (انعامات الربيه) التي أشأها من

التقبل والتي استمرت شهرين ويومين كان آخرها يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٧٧٦ هـ .
وكان عدد من حضر هذه المجالس الأدبية من علماء بغداد (١٦٠) رجلاً من « الأئمة الكبار العلماء والسادة
الفصلاء العظام » .

المستوى العلمي في المدارس البغدادية

لقد ثبت لنا بعد التحري والاستقصاء عن طلبة المدارس المذكورة وعن العلماء والمتدربين وما أُنجز من مؤلفات ،
وما أسدوا للمفكر والثقافة العربية من خدمات ، أن المستوى العلمي وصل حداً عالياً يصحّ في اليوم الميوّبات العلمية في
الجامعات العالمية المحتفظة . ولبرهنة على ذلك يكفي بالإشارة إلى المستوى العلمي في الجامعة المستنصرية . ويتبين لنا
مستواها العلمي من أربعة أمور هي :

١ - صحة الطلاب الذين كانوا يصلون في هذه الجامعة
فقد عثرنا على طائفة كبيرة من المتفهمة بلغ عددهم ٤٢ ضحاً وقد ساعدتنا دراسته هذا العدد منهم إلى حد بعيد على
معرفة المستوى العلمي الذي كان عليه طلاب المستنصرية . ويمكننا أن نذكر في هذا العدد أن هؤلاء الطلاب كانوا
يُتَحَرِّون من بين الفقهاء السابقين ليكونوا صلاًماً فيما أي بعد أن تكون لهم شهره علمية في التأليف أو التدريس
٢ - المستوى العلمي للشيخ والمدرسين والمُعَيدِينَ :

وقد عثرنا في هذه الجامعة على (٣٠) شحاً للمدرّس وعن (٨٥) مدرساً ومعيداً لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة ،
هذا عدا شيوخ العربية ومُعَيدِيهَا ، وشيوخ دار القرآن ومُعَيدِيهَا وطلابها . وعدداً مدرسة الطب والأقسام العلمية الأخرى
وقد تبين لنا أن هؤلاء كانوا يتحرون من بين كبار العلماء والشيوخ في العراق والشام ومصر ، وغيرهم من البلاد
الإسلامية ممن حصلوا على إسماعيل ، وانتهت بهم رئاسة العلم ، أو عرفوا بالبحث العلمي والتحري عن الحقائق
العلمية في البلاد التي سافروا إليها ، وما ألفوا من الكتب الفقهية التي دخلت تعد من المصادر المهمة للثقافة العربية
والفكر الإسلامي ، عندما ألف منها أو صاغ في أثناء الكوارث التي حلت ببغداد عند سقوط الخلافة العباسية ، وهذا
تدعيم يمولد لك لعدد كبير ، وعندما هاجر من بغداد عدد كبير من علمائها إلى خارج العراق . حيث استطاعوا أن
يحدثوا بعض الحركات العلمية على نطاق واسع في الشام ، ومصر وخراسان ، وقد كانت هجرتهم فراراً من الأحكام العاصي
وحسباً أن يذكر للدلالة على الجوهر العلمي الذي امتازت به المستنصرية أن المعدين فيها كانوا يقولون من أحبباء
(مدرسين) إلى المدارس الأخرى كما أن المدرسين في غيرها كانوا لا يقولون إلا إلى الإعادة فيها .

ويلاحظ أن كثيراً من المعدين فيها كانوا ممن اشتهروا بالتأليف وبرزوا في العلوم والآداب وكانوا في الفضاء وطلدوا
المناصب المحتفظة

يضاف إلى ما تقدم أن حراً الكتب في مكتبها كانوا من العلماء الأقطاب ، والمؤرخين المشهورين ، كاسماعيل الساعي
واسماعيل القوطي وبنات المستعصي . بل (كذلك تجد بين المناولين للكتب وهم بمرحلة الفراشين من له سماع على الشيوخ
والعلماء ، وإحاديث في الرواية عنهم . وأكثر من ذلك تجد بين الفراشين والناولين في المدارس البغدادية من اشتهر
بالعلم والرواية ونسج الكتب .

٣ - وسائل الإيضاح في المستنصرية :

واتقد كل في هذه الجامعة من الأمور التي تساعد على رفع المستوى العلمي لطلابها ومدرسيها مؤسستان مهمتان

الأولى مسمى يدرس فيها الطب وقد اعتبرت المستصرية ، مجالاً حيوياً جداً له لاجراء التجارب الطبية ومعالجة المرضى .

الثانية دار كتب علمه بأبواب المؤلفات وقد ذكر المؤرخون أن ما حمل اليها عند افتتاحها في سنة ٦٣١ هـ بلغ ثمانين ألف كتاب عدا ما حمل اليها بعد ذلك - وكانت هذه الدار تساعد طلاب العلم على السح . والمطالعة ، والتأليف مما أدى الى تقدم العلوم ورفع المستوى العلمي للطلاب والمدرسين .
٤ - سنة المدرسين الى الطلاب :

ويمكننا أن نقيم علو المستوى العلمي الجامعي في مدارس بغداد عامة وفي المستصرية بوجه خاص ، من سنة عدد المدرسين الى عدد الطلاب الذين كانوا يتلقون العلم عليهم فيها لأن ذلك يقاس في الجامعات والمعاهد العلمية وتقدمها فإذا علمنا أن طلاب مدرسة العفة في المستصرية كانوا (٢٤٨) طالباً وعدد المدرسين والمعيدس فيها (٢٠) شخصاً ، فإن نسبة المدرسين للطلاب هي : ٢٠ الى ٢٤٨ .

أي مدرس واحد لكل ١٢.٤ طالباً
وأن في دار القرآن ثلاثين طالباً ولهم شح واحد ومعيد واحد ولذا كان نسبة المدرسين للطلاب تكون ٢ الى ٣٠ أي : مدرس واحد لكل ١٥ طالباً .

وأن لحدث شحاً وفارئين أي مدرس واحد لكل ثلاثة طلاب من الطلاب العشرة الذين كانوا فيها وكان فيها طبيب واحد للطلاب العشرة المتتبعين فيها لدراسة الطب .

ما بقي من مدارس بغداد

إن انقراض أمية والأحزاب السنة التي أصبحت بغداد قبل سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ بد التروقي عهد المأمون والعهود الكمان والشمانيين والعمرس الصفويين فصب على مدينتها التي يرهاها ولم يبق منها اليوم إلا عدد يسير الأول مدرسة أبي حنيفة التي لا يزال يودي الكثير من الخدمات للثقافة الإسلامية بواسطة أولئك الأدباء والعلماء والفقهاء الذين بحر حواشيها فتولوا مختلف المناصب المهمة في البلاد وقد حوت اي كنهها للاوقاف جامعة بغداد باسم كلية الشريعة ولثلاثة المدارس المرحومة التي نقل عمرها نحو ثلاثة قرون من أرض من عن مدرسة أبي حنيفة إذ أنها أنشئت عام ٧٥٨ هـ فإن مدرسة أبي حنيفة استمرت مد تأسيسها في سنة ٤٥٩ هـ حتى اليوم ولا يزال التدريس جارياً في المدرسة المرجانية ولكن على طريقة التدريس في المساجد .

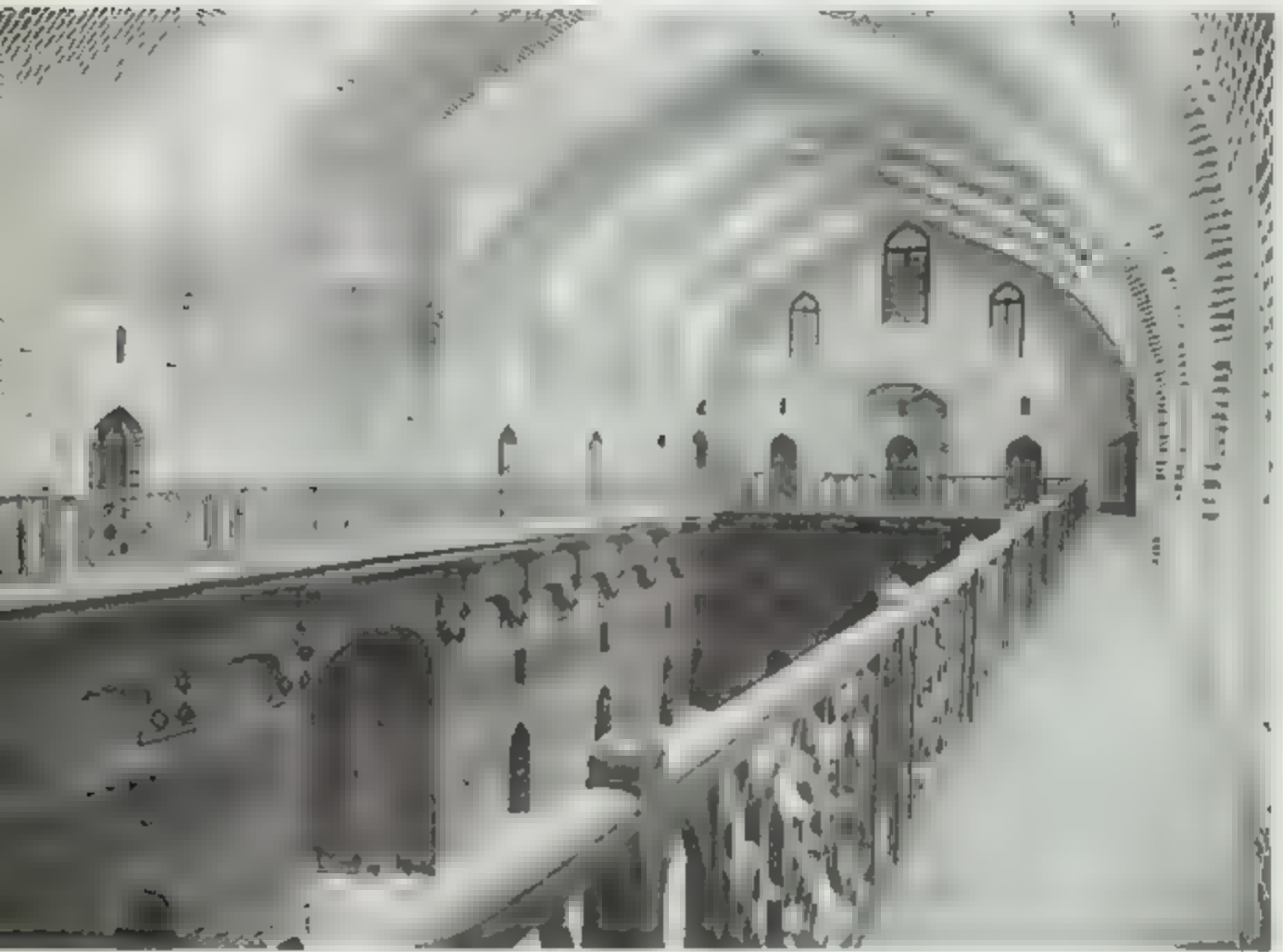
أما المدرسة النظامية التي طاب شهرتها في العالم الإسلامي ، والتي وصفها ابن خلدون بأنها أعظم مدارس بغداد وأشهرها فلم يرد عمرها على أربعة قرون ولم يبق من آثارها شيء إلا ما حوته مطون الأسفار

وأما المستصرية التي بعد أن كانت جامعة إسلامية في العالم الإسلامي فهي الآن لم يبق منها إلا عدد يسير من أبنيتها قرون وهي تختلف عن النظامية من حيث أن حاضراً كبيراً من مدينتها أصبحت لا يزال مائلاً وقد وقعت مدمتها على مدرسة صغيرة يقال لها « المدرسة السلامية » أما المدارس الأخرى كاللجنة والشراعية فقد أصبحت الأولى مسجداً صغيراً يحتوي على صريح الشيخ أبي النجب السهروردي وأما الشراعية فهي في رأينا بقايا ما يعرف اليوم بـ « القصر العباسي » الذي في قلعة وزارة الدفاع . وقد أصبحت متحفاً من متاحف بغداد .

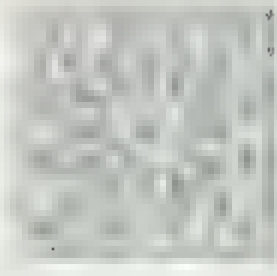
وأما سائر المدارس التي ست لذهب واحد أو المدارس الثانوية المشرككة بين مذهبين أو الرابعة التي أنشئت

للمعابد الأربعة ، فلم يبق منها شيء اليوم بل رالت معالمها ، وصاعت أوقافها ، ولم يبق شيء من كتبها كما لم يبق من دور القرآن العبادية إلا إيوان فخم في دار القرآن المستنصرية .

وأما دور الحديث ففسد رالت أيضاً وبقي منها في المستنصرية أرح طویل في حرمه قاعات ضخمة يحتمل أنها كانت للحديث والحجرات الكتب المستنصرية . وأما دور القرآن المشتركة مع دور الحديث فلا يعرف منها أثرٌ باق إلا مسجد (قمرية) الذي كان يدرس فيه القرآن والحديث منذ عهد المنصر بالله



جان أمين الدين مرجان يعبداد النور رب للفوسفة للرجانية المروقة اليوم جامع مرجان على شارع الرشيد وقد اتخذ دليلاً للأثار الثرية قبل بناء المتحف الجديد بجانب الكرخ ويتكون الحقل من قاعة كبيرة مسطحة مع أطرافها شبائك للآثار والقبو . وعلى جانبي القاعة حصرات عديدة في جوانبه الأربعة وغرفات مثلها في الطابق الأعلى . وللتأنيق مجموعها تشمل أسلوباً عربياً في الفن المعماري يعبداد ولا سيما في طراز الشيف



مستشفيات بغداد

لقد عي العباسيون بعدد مائة دور للمرضى والمجانين أو الممرورين ، وقد تطورت هذه الدور حتى أصبحت مستشفيات كبيرة تضم الى جانب ردهات المرضى ومحارن الأدوية والأشربة ، مكاتب وقاعات لتدريس الطب عدت فيما بعد مدارس للطب كان لها فضل كبير على العالم .

وكانت المستشفيات تقسم الى قسمين : قسم للرجال وقسم للنساء . وكانت الأجنحة والقاعات والعرف تقسم بحسب الأمراض البدنية والأمراض العقلية .

وكان يدير المستشفى أحد الأمراء أو الأشراف أو عظماء الدولة ممن عرّفوا بالثقافة والكمالة . ويطلق على عميد المستشفى أسم « الساعور » ويكون فيه الأطباء والممرضون والمجانين والمجرمون والمرصون والمرصات . ألح وعندما أُنشئت المدارس المتفلة عن الماحد أصبح لبعضها ممارسات ملحقة بها . وكثر عدد الأطباء بعدد جعل الدل الذي بدله الخلفاء والملوك والوزراء لهم بحث بلغ عددهم بعدد أكثر من أي بلد إسلامي آخر . وقد اشتهر بعدد عدد من المستشفيات كان يسابق في إيمانها الخلفاء وسائهم ووزراء الدولة . كما اشتهرت بحدة متارة من الأعيان الذين تركوا لنا رصداً صحياً من التراث الطبي الذي أسدت به بعدد خدمات جليلة للناس . وإليك مدة يسيرة عن هذه المستشفيات وأطباطها وتراثها الحضري في الطب .

١ — بيمارستان الرشيد : وهو فيما يظهر أول مستشفى أنشئ بعدد في الجانب الغربي من باب الصف الثاني من القرن الثاني الهجري (أي القرن التاسع الميلادي) على يد الطب جبرائيل بن يحيى شوع الذي أشار على الرشيد أن يكون ماسوم الخوري أحد أطباء حدسابور رئيساً له . ثم تولاه ابنه بوحياس ماسوم . وما يذكر أن جبرائيل ظل رئيساً للأطباء من عهد الرشيد الى أن توفي في خلافة المتوكل سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م) .

٢ — بيمارستان البرامكة : ويظهر أنهم أنشأوا بعدد مارساناً باسمهم وقدوا نسبه الى طبيب همداني لرعتهم في طب الهد .

ويظهر أن البمارستانات أحدث ترداد ليس بعدد محب من في البلاد الإسلامية المحتفزة . فقد كتب طاهر بن الحسين إلى ابنه عدائه يقول له : « وأصب لمرضى المسلمين دوراً بنهم ، وقواماً يرقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم » .

٣ — بيمارستان بدر أو البمارستان الصاعدي : وهو مصاب الى بدر المتصدي علام المتصد . وكان يقع بحلة المحرم جوبي الرصافة بجانب الشرقي من بعدد . ويذكر ثابت بن سنان بن ثابت من قره أن العفة على هذا البمارستان ، كاتب من وازدادت الوهب الذي كان للسيدة شجاع أم المتوكل .

٤ — بيمارستان الخيرية : وهو البمارسان الذي أنشأ الوزير أبو الحسن عيسى بن الجراح في سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) بالخيرية في الجانب الغربي من بغداد . وأفق عليه من ماله وعنده أبا عثمان سعد بن يعقوب الدمشقي ، وهو أحد الثقة المجيدين ، وكان متقطاً إليه .

- ٥ — بيمارستان السيدة : وكان الجانب الشرقي بمحلة سوى يحيى ، وهي محلة السبعة بالأعظمية اليوم . وهو مضاف إلى السدة شعب أم المقتدر أشاته سوق يحيى على نهر دجلة وافتتحه أبو سعد سان بن ثالث في أول المحرم من سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) وقد جلس فيه الطبيب سان ورتب المتطببين وقل فيه المرضى .
- ٦ — البيمارستان المقتدري : سة إلى الخليفة المقتدر بالله أمر بإنشائه سنة ٣٠٦ هـ وكان سان بن ثالث أشار على الخليفة أن يتخذ مارتاناً بسب إليه فهو له باب الشام في الجانب الغربي من بغداد وولاه ساناً . وعمل اشغل في هذا المارستان من الأطباء يوسف الواسطي وجبرائيل بن عداقة بن يحيى .
- ٧ — بيمارستان ابن الفرات : وهو مضاف إلى أبي الحسن ابن الفرات وزير المقتدر . وقد أجدده في درب البغداد . وكان الوزير الخاقاني قد قلده أمر هذا المارستان إلى أبي الحسن ثالث بن سان بن ثالث بن قره في سنة ٣١٣ هـ (٩٢٥ م) .
- ٨ — بيمارستان الأمير بجكم : كان أنشأ هذا البيمارستان في سنة ٣٢٩ هـ وقد أسدرمته إلى سان بن ثالث غير أن العمل في هذا البيمارستان لم يتم في عهد الأمير حكيم فقد كانت إمارته ستين وثلاثة أشهر وتسعة أيام وقد جدد هذا المارستان في عهد عهد الدولة .
- ٩ — بيمارستان معز الدولة البويهبي : ابتدأ معز الدولة من بونه في إنشائه في سنة ٣٥٥ هـ في موضع الحسن الجديد ، ويظهر أن البيمارستان كان يقع على نهر دجلة .
- ١٠ — بيمارستان الوزير فخر الملك الصيرفي : ذكر الذهبي أن محمد بن علي بن خلف الوزير فخر الملك أما غالب الصيرفي أنشأ بيمارستاناً ببغداد قل أن عمل مثله .
- ١١ — بيمارستان باب المحول : جاء ذكر هذا البيمارستان في حوادث سنة ٣٢٩ هـ وفي حوادث سنة ٤٤٩ هـ وباب المحول الذي مضاف إليه هذا المارستان ، محلة حكيمه كانت معمودة بجانب الكرخ أول الأمر وقد دمر من وقت مكر .
- ١٢ — البيمارستان التتشي : شيد حمارنكي في الدرق المعروفة سوق تشر قريباً من المدرسة النظامية .
- ١٣ — البيمارستان العضدي : لقد أتم عهد الدولة البويهبي البيمارستان الذي كان شرع سانه على راية تشرف على مقبرة من قصر الخلد الذي أنشأه أبو جعفر المصور .
- ١٤ — دار الشفاء أو البيمارستان المرجاني : سة إلى أمين الدين مرجان . وقد بني هذا المستشفى على نهر دجلة باب العربة أحد أبواب دار الخلافة ، وأوصف عليه وعلى المدرسة المرحومة كثيراً من العقار والصياغ ، وحمل ثمنها للمستشفى وثلاثها للمدرسة .

أشهر الأطباء في البيمارستان العضدي ببغداد

روى ابن أبي أصيبعة أن عهد الدولة لما بني المارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد جمع فيه الأطباء من كل موضع ، ورتب فيه أربعة وعشرين طبيباً اختارهم من بين مئة طبيب . وقد ظل هذا المارستان حتى ثلاثة قرون ، يمكن أن تذكر من أطبائه الذين تداولوا إدارته والمخالفة والتدريس فيه الأطباء الآتي ذكرهم . أبو بكر الرازي (جالوس العرب) المتوفى سنة ٣٢٠ هـ أو ٣٢٤ هـ وهو محمد بن زكريا الرازي سنة إلى الري مسقط رأسه ولعله كان أعظم أطباء العرب وأكثرهم استكاراً وإتقاناً . هم بغداد وعمره سبع وثلاثون سنة ، وكان رئيس

الأطباء في مارستان بغداد وكان تعداد كما أسلفنا عدة ممارسات وكان الرازي يدير أحدها وهو المارستان العسدي بعدد العربية في حين أن بعض المؤرخين يذكر أن الرازي توفي قبل ذلك بأكثر من نصف قرن إلا أن ابن أبي أصيبعة يذكر في تعليقه على ذلك بقوله « ولندي صح عدي أن الرازي كان أقدم زماناً من عهد الدولة بن بويه وإنما كان تردده إلى المارستان من قبل أن يجدده عهد الدولة .

وجاء في عيون الأنباء أن عهد الدولة لما بنى المارستان العسدي المنسوب إليه ، قصد أن يكون فيه جماعة من أهل الأطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حشد تعداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المئة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جوده أحوالهم ونسبهم في صناعة الطب فكان الرازي معهم ، ثم أنه اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة فكان الرازي معهم ، ثم أبحر من العشرة الثلاثة فكان الرازي أحدهم ثم أنه ميز فيما بينهم فإن له أن الرازي أهلهم فجعله « ساعور » المارستان العسدي ومن مؤلفاته ثلث عشرة رسالة في الكيمياء ومن أهم ما وضعه كتاب الأسرار ومن أشهر رسائله رسالته في (الجذري والحصنة) وهي أول ما كتب في هذا الباب ، وتعد من مفاخر التأليف الطبية عند العرب . والرازي أول من قال بالعدي الوراثية .

على أن أحل مؤلفات الرازي في صناعة الطب وأعظم على الإطلاق هو كتابه الحاوي الذي نقل إلى ثلاثينية رعاية كارل امجو ملك صقلية وقد طبعت الترجمة مراراً .

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة المتوفى سنة ٣٦٥هـ أو ٣٦٣هـ كان مارعاً في الطب كأيه عالمياً بأصوله . وكان يتولى تدبير المارستان بغداد في وقته وفي سنة ٣١٣هـ مله الوزير الخافعي المارستان الذي أشاء الوزير ابن العرات بدير المصل .

صاعد بن بشر بن عبيدوس . وبكى أم مصر . كان في أول أسرته فاصداً في المارستان بغداد ثم اشغل بعد ذلك في صناعة الطب ومير حتى صار من الأكابر من أهلها والمنجيين من أربابها وهو أول من علاج الشلل بالأدوية الباردة بدلاً من الأدوية الحارة بغداد .

نظيف النفس الرومي : كان مسلماً عالماً بالنقل من النواحي إلى العربي قرره عهده الدولة في المارستان الذي عمره بغداد في جملة أربع وعشرين طبيباً فرروا فيه ودرسوا لمعالجة المرضى وكان حبراً بالكتاب

أبو الخير بن أبي الفرج الجرجاني : كان طبيباً حراً غلباً بصاعته حبراً بها . اختاره عهد الدولة للمارستان الذي عمره بغداد على الجسر الحبيب العربي وكانت ولادته سنة ٢٥٥هـ ووفاته سنة ٤٤٣هـ

أبو الفرج بن الطيب : الملقب بالدم . كان مسمياً في العاصي بغداد ، وكان يقرى . صناعة الطب في المارستان العسدي وعالج المرضى فيه . وكان واسع العلم كثير النصف . وكان معاصراً للشيع الرئيس ابن سينا . وكان الشيع الرئيس محمد كلامه في الطب .

جبرائيل بن عبدالله بن يحيى شوع : كان من أشهر الأطباء الذين تولوا رئاسة المارستان ، وكان عهد الدولة قد أجرى له راتبين أحدهما رسم (الخاص) والآخر رسم المارستان سوى الجراية . درس الطب بغداد على يوسف الواسطي وغيره . وأكسب على العلم والدرس . وكان ذكاه قريباً من عصر فرج من الجانب الشرقي (علة الحارة الأعظمية) أصل بعض الدولة ودخل منه بغداد ولزم المارستان العسدي علاج الصاحب بن عباد وحسرو شاه ملك الديلم وأقام بغداد بعد وفاته عهد الدولة وألف كتابه الكبير الذي سماه بالكافي ، ووفيه منه نسخة على دار العلم بغداد وسخه بالري ، وكان المارستان يعمل بموجبه . سافر إلى الموصل ومافارقين وكانت وفاته بها سنة ٣٩٦هـ

أبو الحسن بن سنان الصابي : كان في حدود سنة ٤٣٩هـ وكان ساعوراً في المارستان وله إصابات في الطب ونقمة المعركة والتوفيق في العلاج عجيبة .

اطباء بغداد

أفرد حوت مستشفيات بغداد أطباء اختصاصيين كفاء ، أول الأمر تخرجون على أي أطباء يقومون بالتدريس في المستشفيات كأمي الفرح ابن الطب وإبراهيم بن بكري وكان عدد التلاميذ يصل أحياناً إلى خمسين طالباً وكان يعطى للتغلب بالاصطفاء إلى المختبرات العلمية والمعدة بعهدت لكل مريض سعة مدقة ، وكانت الملاحظات تدون عن كل مريض بحسب صغر المرض وعما قيل في هذا الصدد أن الرأي في كونه (الحاوي) على هذه الملاحظات

وقد درس تعداد أطباء مشهورون أمثال أبي نصر محمد الفارابي المتوفى سنة ٣٢٩هـ الذي عاش تعداد مدة وقد أحد صناعه الطب في أيام المقتدر وكان أمين الدولة ابن التميمي المتوفى سنة ٥٦٠هـ يحضر محاضراته في صناعة الطب خلق كثير يعرفون عليه كما كان ايرصى بقصود أطباء تعداد للمعالجة ويعمدون لهم حرييل العظاما وانهايت وكان أطباء تعداد يعملون أحياناً لبعض المصالح خصوصاً طه بشرايف لجنة طبية وقد عاجزوا من يموت بانسكة بانسكة ونصرت كنهه بالعصا حين لا يجدون له نصراً وكانوا يستعملون بعض الأدوية إلى أن يعود حركة البصر وقد استعمل ذلك ثلث من قرى من مروان بن ثابت تعداد

هـ كما هو متجه لأحد والصيدلة فقد ذكر القعطي أن الصيدلة امتحوا في زمن المأمون والمعتصم وذكر ابن أبي
اصمعه أن المقنن أمر سنان بن ثابت بن قرة سنة ٢١٩ هـ بفتح سائر المتطمين من التصرف وعبارة مهتهم إلا من
أحسن سنان وكان أطباء بغداد يومئذ ثمانية رجال وبنا

وإليك هذه مبرهنة عن عدد من الأطباء العدائين الذين قدموا أحر الخدمات للإنسانية في عصور انقضاءهم على منسب المثال لا المحصر لأن أطفء معدود كانوا أكثر من جداً يقفون بذكرهم

١ - علي بن العباس : وقد اشتهر بالظن بعد الرازي حذفت منه في سنة ٣٩٤هـ وكان حياً محمداً
منه أي صاعه الصب وهو الذي وصف الكتاب المشهور الذي يعرف بـ (الملكي) وهو كتاب جليل مشتمل على أجراء
الصناعة الطبية وقد قصد به أن يكون دستور من الحادي والمصور من حيث الخطوب والاحتصار قسم المؤلف
الكتاب إلى عشر من مقانه ولكن مقالة إلى عدة أبواب تبحث في تصرف الطب ومعالج الامراض صيغ العلمية وتصف بشرح
أقسام الجسم وتعي بآخره . كل كتاب من هذا قد اصل بانه لم الأوربي لأول مرة بواسطة ترجمة لانسنة قام بها
مستخلص يدون أن يذكر اسمه المؤلف الأصلي . وبعد هذا الكتاب : كتب الخايمي الرازي أنه اندكر وكذب انقاوب
لاين سينا الكتب العربية الثلاثة الرئيسة التي اعتمد عليها الغربيون في مدارسهم .

٢ علي بن عيسى : شير كجالي العرب ولد بمقداد في نصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي
أما كتبه العربية الانسان وثلاثون في علمه ومقداد في الطب وأصيب كتاب (تذكير الكعابين) الذي لم يبق في هذا
الموضوع الا رسالة ابن عاصم ورسالة حسن بن اسحق وقد وصفت (تذكير) منه ثلاثين مرصاً من أمراض العين
وقد نقلت الى العربية مرة وإلى اللاتينية مرتين ولا زالت مستعملة في أشرى

٣ - أين جملة : (المتوفى ٤٩٤ هـ ١١٠٠ م) وقد صنف موجزاً طبعاً عموده (نجوم الأندلس في يد الأندلس)
 سج فيه على سؤال (تقويم الصحة) الذي صنفه حسب حرره ابن سلطان المتوفى في ١٠٦٣ م (٤٥٠ هـ)
 وقصد بالتقويم ترتيب الأمراض على غرار ترتيب النجوم في التقاويم الملكية .

٤ - يعقوب ابن أخي حزام : وكان يظن أن عدد المتعدد (٢٧٩ - ٢٩٠ هـ) (٨٩٣ - ٩٠٢ م) وقد وصع رسالة في تربيته الخيل لا تزال نسخة منها محفوظة في المتحف البريطاني .

• **يوحنا ابن ماصويه** : هذه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة وقد وضعه هارون الرشيد أميناً على الترجمة وحتم الرشيد والأمين والمأمون إلى أيام المتوكل ، وكتابه في الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله وكتابه في الأعذية وكتابه في المدة المعروف بالرجحان وكتابه في الأدوية المسهلة وإصلاحها وكتب كثيرة في غير ما شيء مما عجز عنه غيره وكان حين بن إسحق تلميذه وحاضره .

٦ — **ثابت بن قرة الحراني** : سكن مدينة بغداد وكان العالم على الفقه دون الطب وكان في دولة المعتصم الماسي وله كتب كثيرة في فروع العلوم .

٧ — **ثابت بن سنان بن قرة** : يذكر ابن حنبل عنه « أنه كان في أيام المطيع بن وهب إمارة الأنطع أحمد بن بويه » أدركه الحراني أحمد بن يوسف بغداد وقت رحلته وقرأ عليه وكان دارعاً في الطب ، عالماً بأصوله ذكر صاعد والقمطي أنه أحد أفاضل الأطباء والمؤرخين انتهت إليه رئاسة يمارستان بغداد ، وتوفي سنة ٣٦٥ هـ كما ذكر ذلك صاعد والقفطي في حين أن ابن أبي أصيبعة وابن العبري يذكر أن وفاته في سنة ٣٦٣ هـ

٨ — **أحمد بن وصيف الكحال** : كان طساً ببغداد في حدود سنة ٣٥٠ هـ وكان عالماً بصلاح السيف . لم يكن في زمانه أعلم منه ولا أكثر مراوثة وذكر ابن أبي أصيبعة أن عمر وأحمد بن يوسف الحراني درسا عليه وعلى ثابت بن سنان ببغداد .

٩ — **أبو البركات هبة الله بن علي ابن البلدي** : ساهم إلى مدينة بلد وكان يمارس الطب في عهد الخليفة المستنجد بالله . وقد اشتهر بمعالجة الأمراض العقلية والنفسية

هؤلاء هم بعض الذين كانت خدماتهم وكنهم المعول عليها في دراسة الطب ببغداد غير أن هناك كثيراً من بوابع الأطباء الذين اشتغلوا ببغداد في البحث والتأليف ووصلت إليها بعض كتبهم لا يتبع المجال لذكرهم .

مدرسة الطب المستنصرية

كان علم الطب من العلوم التي تدرس بالمستنصرية في ساية خاصة فقع نجاح المدرسة المستنصرية أي مقابل باب المدرسة الرئيس . وهي ضفة فاحرة تحت الأيووان الذي تكامل في سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) وقد انجذبت هذه الضفة مكاناً لتدريس الطب ، ومداواة مرضى المستنصرية على اختلافهم .

وذكر ابن العبري أن طبيب المستنصرية كان يتردد إلى مرصاتها في نكرة كل يوم يتفقدهم وكان يطلق على هذا المكان : **البيمارستان أو المارستان (أي المستشفى)** .

وذكر ابن العبري وابن واصل وغيرهما أنه كان في المستنصرية محرم فيه أنواع الأشرطة والأدوية والعقاقير ولا شك في أن هذا المحرم كان بمثابة المدرح الطبي ، أو الصيدلية لها . وقد درست معالم مدرسة الطب ولم يبق منها شيء يذكر .

وبما يحسن ذكره في هذا الصدد أن ماء مدرسة الطب المستنصرية بجوار مدرسة الفقه ، ودار السعة ، ودار القرآن . . ألح . كان أمراً ضرورياً وذلك لتسهيل معالجة المرضى في تلك الجامعة الواسعة ، وللاستفادة من الامكانيات الأخرى التي امتازت بها المستنصرية كالاستفادة من دار الكتب ، ومن المحرم ، ومن المطبخ الذي كان الطعام يهيأ فيه ويوزع على الطلاب وغيرهم من أرباب هذا الوقت .

وبما يتصل بمدرسة الطب ما ذكره عبد الرحمن الأرنؤلي صدد ما كان يدرس بالمستنصرية ، فقد عد حفظ قوام الصحة ، وتقويم الأسان ، من الأمور التي كانت تحظى بساية هذه المدرسة وأطائها

ويحي أن يذكر أن كثيراً من علماء مصرية اشتهروا بالطب والتأليف فيه فقد كان « البرزنجي » رأساً في الطب ، وقد وصف في الطب ما يشتمله الاسان ، غير أننا لم نعثر على ما يدل على اشغالهم بمدرسة الطب المصرية . وإليك ما وجدناه من أسماء أطباء هذه المدرسة :

١ — شمس الدين ابن الصباغ ٥٧٧ هـ — ٦٨٣/١/٩ هـ

٢ — منجر الطيب المتوفى في ٧١٥/٨/١ هـ

٣ — علاء الدين الأربلي المتوفى بعد سنة ٧١٥ هـ

٤ — ابن الكتبي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٥ هـ

أما النظار في مدرسة الطب المستصرية فلم نعرف منهم إلا

ابن أبي السعادات الدياس المتوفى في ٦٤٨/٨/٢١ هـ

وأما طلاب مدرسة الطب المستصرية فقد عرفنا منهم اثنين فقط وهما :

١ — مجير الدين بن كاسو

٢ — جمال الدين النميري

التراث الحضارى في الطب البغدادى

طب الأبدان والعيون والأسنان

لقد كانت موفع المستشفيات بعدد مختار بعد الدرس الديوى فقد روي عن عهد الدولة أنه انتشر الرأي ليجتاز له عللاً لواء مستشفى يحمل اسمه وكانت المستشفيات على نوعين : منها ما هو خاص ببعض الأمراض كالجدام والمعنى والأمراض المعدية ، ومنها ما هو عام لجميع الأمراض وإليك بعض هذه الأنواع

١ — مستشفيات الجدام : وأول مستشفى بني في الاسلام كان في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ م) لمعالجة المجدومين في حين لم يس في أوربة مستشفيات للجدام قبل القرن الثاني عشر الميلادي .

٢ — مستشفيات المجانين : يذكر آدم مر : أنه كان في بغداد مارستان كبير خاص بالمجانين وهو ديسر هرقل القديم الذي كان يقع على مرحلة إلى الجنوب في طريق واسط . وعدد المستشفيات الخاصة بالمجانين فقد كان لهؤلاء أيضا عن خاص بمعالجتهم في المستشفيات العامة حيث افردت لهم عروق خاصة لها بواحد مشكة نقصان الحديد

٣ — المستشفيات النقلة أو السيارة : وهي التي كانت تسمى (المحمولة) قديماً كانت هذه المستشفيات تنتقل في البلاد إلى الأماكن المختلفة حيث لا يوجد أطباء ولا أسماء في القرى المجاورة للمستشفيات فمعالجون المرضى عامة . وكان سان من تات قد اهتم بأشياء المستشفيات النقلة وذلك ما يعرف اليوم بالمستوصف السيار ينقل من بلد إلى آخر ليس فيه مستشفى

٤ — مأوى للعميان والأيتام والنساء العاجزات : بناها المأمون في المدن الكبيرة

٥ — مستشفيات الجيش : كان للجيش أطباء خاصون ما عدا أطباء الخليفة والقواد والأمراء وكانت المستشفيات محررة تفل على ظهور الجمال والبغال وكان للجيش مستشفى خاص به يشه اليوم وحدات الميدان الطبية . وكانت النساء تقوم بمرضى الجرحى من الجنود حتى شفوا

٦ — المستشفيات العمومية : كانت هذه المستشفيات تنشأ في المدن الكبيرة من البلاد الاسلامية كعداد وهي هذه المدينة كان يوجد مستشفى عمومي وفي بعض الأحيان عدة مستشفيات ، وكان يقوم بإنائها الخلفاء والأمراء والأطباء

أصمهم ويعق عليها سحاة من الأوقاف التي ترصد لها ومن هات المحسين . وكان كل مريض يحتاج إلى المعالجة ، كان يقبل في المستشفى بصرف النظر عن لونه ودينه أو مقامه ذكر أو أنثى .

وقد عني العرب أيضاً بمعالجة المسجونين

وكان كل مستشفى ينقسم إلى قسمين ، قسم للرجال وقسم للنساء . وكل قسم يحتوي على غرف وقاعات منها للأمراض الداخلية ومنها للعيون ومنها للجراحة والكسور والتجبير ثم أن قسم الأمراض الداخلية نفسه كان منقسماً إلى غرف منها عرف للحميات ومنها لحوادث الاسهال ومنها للأمراض العقلية . وكانت المياه جارية فيها في أغلب الأحيان . وهذه المستشفيات كانت تقوم على مال الأوقاف . وكان إيراد هذه الأوقاف كبيراً وكافياً لتقييم حاجات المستشفى من عداة وكساء وعمرقات وأدوية وسواها مع دفع أجور الأطباء والمرحزين والمخدم .

وكانت المستشفيات مؤثمة بأحسن الأثاث . فقد قل أن أثاث المستشفى المصوري بالصهرة كان يماثل أثاث قصر الخليفة وقصور الأمراء .

أما العداة فقد كان يحوي على لحوم الأسمار والأعنام والطيور وكان يعطى لكل مريض العداة الموافق لصحته وباعتدال المناسب . وفي المستشفيات العمومية كان الساعور مسؤولاً عن علاج المرحى بعاونه رؤساء الأقسام الأكفاء . وكان في كل مستشفى أطباء مختصون بالأمراض الداخلية أو الجراحة أو العيون .

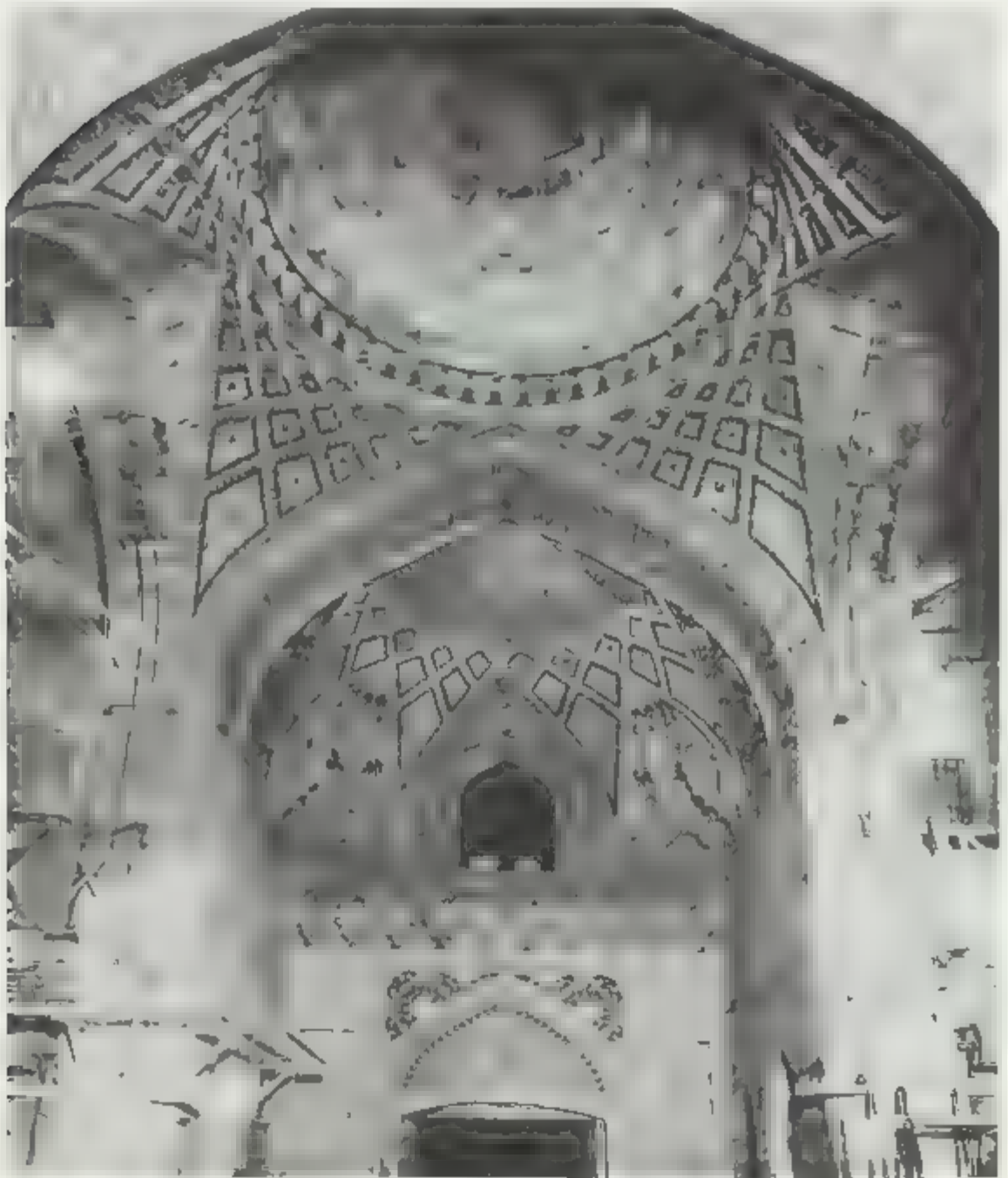
وكان المرحى محصور أولاً في القاعة الخارجية فمن كان مريضاً بحالة مرض حفيف يكتب له الملاح ويصرف من صيدله المستشفى أما الذين هم بحاجة إلى المعالجة في المستشفى فكانوا يدخلون إليه وبعد قيد أسمائهم يعطون حماماً وثيابة نظيفة وكانت ثيابهم القديمة ترسل إلى المحزن . ويبقى هؤلاء المرحى في المستشفى حتى الشفاء التام . وبعد خروجهم من المستشفى كانوا يعطون بدلة من الثياب وملعباً من العود يكفهم للعود إلى أن يصحوا قادرين على العمل . أما صيدلية المستشفى فقد كانت بمهدة صيدلي كفاء وكانت مملوءة بأصناف الأدوية والأشربة الموصوفة في أحسن الرائي والأوامر الصبية . والواقع أن العرب كانوا أول من أنشأ من الصيدلة وحصر الأهرامدين وإقامة الرفقة على الصيدليات والعيادات

وقد توصل أطباء بغداد إلى آراء جديدة في الطب تحالف آراء القدماء في تدبير الأمراض مثل نقلهم تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الخار إلى التدبير البارد كالعلاج والاسترخاء . وأول من فعل إلى هذه الطريقة به عليها وأحد المرحى بالمداواة بها الشح أبو منصور صاعد بن بشر الطب بغداد فانه أحد المرحى بالفضد والتربد والتطبيب ومنهم من العداة فأصح تدبيره صبيوه رئيساً للمارستان المصدي بغداد فرجع به المعاجين الحارة والأدوية الحادة ونقل تدبير المرحى إلى ماء الشعير وماء الرور فأظهر في المداواة عجائب فاقتدى به سائر الأطباء بعده . وقد جاء أن العرب استخدموا في مستشفياتهم الكاينات في الجراحة على نحو استخدامهم اليوم . وهم أول من وضع الفكر إلى شكل الأطاير في المسلولين ووصفوا علاج اليرقان والهواء الأصفر واستعملوا الأفيون بمقادير كبيرة لمعالجة الجئون ووصفوا صب الماء الدرد لقطع اليرقان وعالجوا حنك الكف بالطريقة المعروفة في الجراحة برد المقاومة العجائبي ووصفوا أير الماء الأزرق وهو قنح العين عند فقدان الصر وأشادوا إلى عملية تعنت الحصاة في المثانة .

وقد تقدم العرب في إجراء العمليات الجراحية للحوائس الدقيقة ، إذ كانوا يعالجون الأورام الأهمية وحاطة الأدن والشعة ، ووضع اللورين وشق أورام الخلق ، وقطع الأنثاء السرطانية وعمل المثانة بالزراعة ، وإخراج الحصاة من المثانة أو صلبها وإخراج الجين بالآلة ، وإخراج الحين الميت ، وحياطة الحروح ، وإخراج العظام المكسورة ، وكشط الجلد الاساني وبريقه بالجلد الحيواني . وكانوا يحتجون صه الثرثة لامتكان الاستئثار إذا تصدر من الخياشيم . وقد نجح الزهرراوي في ضم جراح الاعماء بالحناطة . . الخ .

وتخصص عدد من الأطباء بطلب الأسنان وطرق معالجتها وشدها بحبوط الذهب والعصاة وعرفوا كثيراً من الآلات الخاصة بجراحة العم ومعالجة الأسنان . كما استعملوا النظارات التي عرفت قديماً بالمرآة ويمكن الإشارة إلى وجود ما يشبه العنبر الطبي العدلي بعداد في خلاقة العائدين عد حدوث بعض الوفيات العامة أو الاعتقال وكان الذين يقومون بذلك الأطباء والنقابة والشهود المدبول وأصحاب الشرطة وكانوا يعملون على جذب شعر المتوفى ليستدل على الموت بالسّم أو حتف الأنف .

منظر عام لواجهة مدخل جامع الورير بسوق السراي بعداد السرقة وهو يمثل الزخارف في أعلى القبة التي تتوج مدخل الجامع .



المرصد الفلكية ببغداد

بغداد مركز علم الفلك :

من اول من عيى بعلم الفلك أبو جعفر المنصور فقد قرب المجيى وشجع المه حيين والمعلماء وأعدى عليهم العطايا وأحاسبهم مائة وعربية واقضى بالمنصور الخلفاء الذين ولوا الحكم بعده في نشر العلوم وتسجيع المشتغلين بها فجمعوا كتب الأمم في سقت العرب وصححوا كثيراً من أعلامها وأصافوا إليها ما اشكروه أو اكتشفوه الشيء الكثير وأصبح بغداد مركزاً لهذا العلم مدة خلافة العباسيين ، فأنتت بها الأرصاد ، ودوت الأرباح ، ونوعت آلات الرصد وظهر كبار الفلكيين الذين نهت أسماؤهم واشتهرت أعمالهم .

وبد اعتمدت دار الرصد المعمول — التي أشتت سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) أي بعد سقوط بغداد سنة واحدة — على علماء بغداد وفلكيها ، وعلى ما ألف بغداد من كتب في هذا العلم ، وعلى الكتب التي جمعها بعير الدين الطوسي من بغداد والموصل وواسط والناصره وكانت تبلغ نحو ٤٠٠ ألف مجلد . ويستر من جاء بعد العباسيين بقلة ومقلدين بوصفهم ما اشكروه العباسيون بغداد ويختصرون المصنوع من علم الفلك ويعصرون المختصر منه .

مدرسة بغداد الفلكية

أقد إردهرت مدرسة بغداد الفلكية سنة فرون مد مأسس عديبه السلام سنة ١٤٥ هـ = ٧٦٢ م حتى سنة ٨٥٤ هـ — ١٤٥٠ م . وقد أدت هذه المدرسة في خلافة الرشيد واليا موني الى أعين مهمة . وأدجت مجموعة الأرصاد التي تم أمرها في المراصد ببغداد ودمشق وكتاب « الرياح المصحح » . وقد عين العرب فيه مدة آلة بالنسط . وأقدم فلكيو المأمون على قياس خط نصف النهار الذي لم يوفق له الأوربيون إلا بعد ألف سنة كما يقول العالم الفرنسي الدكتور كوستاف لوبيون G. L. Le Bon . واشهر فلكيو بغداد بما وضعوه من التعديوم لأمكنة الكواكب السيارة وتعيينهم بالنسط مسندرة الاعتدالين .

ويرى الدكتور لوبيون أن عمل العرب في حمل الحصاره قد دام الى ما بعد روال سلطانهم الساسي بر من صوبين . ودام بعصل ذلك تقدم بغداد العلمي حتى بعد أن صارت في قصة الأجانب . وقد ظلت مدرسة بغداد الفلكية على أرهاها الى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري) ولم ينقطع عن نشر رسائل مهمة في الفلك . فالبروي علم اليهود ما انتهت إليه مدرسة بغداد . وملكشاه السلجوقي أمر في سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م) بالقام بأرصاد أدت الى إصلاح التقويم السنوي بما هو أصل من التقويم الفريزوري الذي تم مد ستعة سنة .

كما ذكر لوبيون أيضاً أن هولاءكو نقل أصل علماء العرب الى المرصد الذي أنشأه مراغة كما نقل أخوه كويلاي الى بلاد الصين كتب علماء بغداد والعلماء في علم الفلك . وقد استسط هؤلاء معارفهم الفلكية الأساسية من تلك الكتب ولذا يقول لوبيون : « إن العرب هم الذين نشروا العلم في العالم كله بالحقيقة » .

اسطرلاب کامل



وجمع تيمورلنك بمدينة سمرقند التي اتخذها عاصمة لامبراطوريته المشتتة على بلاد التركستان و فارس والهند —
فرقاص علماء العرب وأول حصده أولوع بك على علم الفلك نشاط عظيم . ويمكن عد أولوع بك الذي لا يفصله
عن كيلر سوى قرن ونصف القرن . آخر مثل للمدرسة بقداد الفلكية .

مرصد بقداد الفلكية :

وقد أنشئت بقداد وأطرافها خلال العصور الفارسية عدة مراصد في أماكن مختلفة منها اشتهر بها علماء فلكيون قاموا
بأرصاد مهمة ووصفوا مؤلفات قيمة ووصفوا آلات أنشئت عند الناس يومئذ . ومن أشهر هذه المراصد

أولاً — المرصد المأموني في الشمسية بقداد :

يظهر أن المأمون أنشأ أول دار للرصد في الشمسية بأعيى بقداد الشرفية (عند محلة الصلح إحدى محلات الأعطمة
اليوم) وقد جمع المأمون بقداد علماء الفلك وعقد لهم مجالس علمية كما سبى في اشام في سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) مرصداً
أحر قال عنه المعص أنه أول رصد سبى في الاسلام . ويذكر المؤرخون أن المأمون أول من أشار باستعمال الآلات في الرصد
ولدينا أخبار حسنة عن الفلكيين الذين انتقلوا في المرصد المأموني .

قياس دائرة نصف النهار في زمن المأمون :

ذكر يندس على أن المأمون أمره هو وحده س عداسك المرو الرودي أن يعيامفدار درجة من أعظم دوائر دوائر
سطح الأرض فاراً إلى جهة تدمر . وأمر على س عسى الاسطرلابي وعلى س الحنري مثل ذلك فاراً إلى ناحية أخرى
هي ناحية سحر . وقد ورد الكتابان من النجيبين المذكورين في وقت واحد بقياس متعصب . وهناك رواية أخرى
ذكرها ابن حنكل المتوفى سنة ٦٨١ هـ ١٢٨١م منحصر أن المأمون كان معرى علوم الأوائل وتحققها ورأى فيها أن
دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل فأراد المأمون أن ينف على حقيقة ذلك فقال لبي موسى أريد منكم أن تعملوا
الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى يصير هل ينحدر ذلك أم لا ، فأخذوا معهم جماعة من يثق المأمون إلى أهوالهم ويركن
إلى معرفتهم بهذه الساعة وحرروا إلى سحر ثم سبرهم إلى أرض الكوفة كما فعلوا في سحر فهو هي الحسابان فعلمهم
المأمون صحة ما حرره القدماء .

وكان طول الدرجة عد فلكي المأمون ١١١,١٨٥ متراً وطول جميع محيط الأرض ٤١,٢٤٨ كيلومتراً وهو قرب
من الحقيقة دال على ما كان للعرب من الباع الطويل في الأرصد وأعمال المساحة . ويذكر بليو أن قياس العرب هو أول
فاس حقيقي أجري كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة واشتراك جماعة من
الفلكيين والملاحين في العمل فلا بد لنا من عد ذلك القياس من أعجاز العرب العلمية المجددة الماثورة .
وبما يستحق الذكر أن البيروني أراد تحقيق مقياس المأمون وبعد أن قام بالاحراءات الضرورية قال أن حاصل
امتدانه كفاً دالة على صبط القياس المستقصى الذي أجراه الفلكيون في أيام المأمون

وبذكر بليو أنه لم يقم أحد بعد العرب مثل هذه التجارب في أوربة إلا طيب فرسي في سنة ١٥٢٥م ويقوم سدبو
Sed lot أن العرب قالوا باستداره الأرض وتدويرها حول محورها وهم الذين صطوا حركة أوج الشمس يسمام
بتشتر تعليم حركة الأرض الدورية عد المرحح إلا بعد سنة ١٥٢٣م عندما وصح ذلك كوبرنيك Copernic الذي يذكر
أن كثيراً من كب الفلك العربية نقلت إلى اللاتينية والعربية والإيطالية . ويذكر كاجوري Capor أن اكتشاف
بعض أنواع الخلل في حركة القمر يمرى إلى أبي الوفاء وليس إلى الفلكي (بيحو براهي) الداسركي

ثانياً — مرصد بني موسى

لقد بليت بعد وفاة المأمون مرصد عدة منها. مرصد بني موسى بن شاكر الذي أقيم على طرف الحضر المتصل باب الطاق وأخرجوا به حساب العرض الأكبر من عرض القمر

ثالثاً — مرصد بني الأعلم

وهو من المراصد التي بليت بقتداد بعد وفاة المأمون أيضاً .

رابعاً — المرصد الشرقي ببغداد

وهو المرصد المسمى في شرق الدولة بن عهد الدولة العباسي وقد بناه في حديقته قصره المعروف بدار المنكة ببغداد على نهر دجلة . وقد ذكر المؤرخون عدداً من فلكيي هذا المرصد (١) .

أشهر الرصايد البغداديين :

لقد جعلت بغداد عدد كبير من الرصايد والمجسج من عهد الخصور حتى المصمم وقد اشتهر هؤلاء الرصايد بأبحاثهم والانتهم التي أجروها ، لكنهم التي ألغوها وبعد في كتاب الفهرست لاسن الدم وكشف الصون للحاج خليفة وغيره ، الأساء في صفات الأطباء ، وأربح الحكماء للمعصي وفي كتاب ابن احم ، وغيرها حملة خلية من هؤلاء الرصايد والمجسج ، ولكن بعلكية التي ألغوها والآلات التي صمموها ، ذكر منهم على سبل المثال

١ — ابراهيم بن حبيب القراري : الأمام الامام المشهور المذكور ، في حكماء الاسلام وهو أول من عمل في الاسلام اسد لاد وله كتاب في سطح ، ذكره منه أحد كل الاسلام . وكان منه اي علم انك وما يتعلق به ومن حكمته كتاب له اس با بان ، كتاب ربح على سي العرب ، وكتاب لبعض الاسطرلابات دوات الخلق ، وكتاب العمل بالاسطرلاب المسطح .

٢ — محمد بن ابراهيم بن حبيب القراري : هو أول من عي في امته الاسلامية ، علم التجيم وكان في حاشية انصو هو وأبوه المقدم ذكره . وكان حبر سبب كواكب عمل في أول دولة العباسية ككتاباً سمعه المجسج السد هدد الكبر حصه من أصل هري وسجده العرب اصلا في حركات الكواكب وطن مسمولاً له اي ومن المأمون ثم احضره أبو جعفر محمد بن موسى خور من وعمل معه ربحه المشهور بلاد الاسلام ، والقراري من ولد الصاحب سده بن حبيب والقراري هو الذي احب للمصمم الوقت المناسب لهذه البعداد ، وذكر ابن التديم أنه أول من عمل الاسطرلاب في الاسلام .

٣ — موسى بن شاكر : وقد ذكرنا أنه كان هو وسبوه الثلاثة متقدمين في الرياضات وهن الأفلاك وحركات النجوم وكان موسى بن شاكر مشهوراً من مجسج المأمون وكان بوه أنصو التيس بالهندسة وعلم الخيل ولهم في ذلك تواليف محضة يعرف بحيل بني موسى وهي شريعة الأغراض ، عظيمة الفائدة ، مشهورة عند الناس

٤ — الخوارزمي : وهو محمد بن موسى الخوارزمي طهر في عصر المأمون ، وولاه منصب بيت الحكمة وبر في الرياضات والفلك وهو أول من استعمل كلمة (خبر) وألف فيه كتاباً ومنه عرف يعرفون هدد العلم ومنه استقى أصول أورد في القرون الوسطى وقد أسدع الخوارزمي في الفلك وانتكر أموراً فيه وفي المثبتات وعمل ربحاً

(١) يرجع أن موقع دار المنكة في أصل علة « الطولية » الخالة في أراضي آل العباس .

خاصاً وكان لريجه الذي احتصره من السد هد أثر كبير في الأرياح الأخرى التي عملها العرب . ولذلك يعتبر الخوارزمي من أكبر علماء العرب ومن العلماء العالميين الذين تركوا مآثر جليلة في العلوم الرياضية والفلكية .

٥ — الحسن بن محمد الطوسي التيمي : المعروف بالأصح أحد المجتهدين الحاشيين في زمن الرشيد

٦ حبش الحاسب المروزي البغدادي : واسمه أحمد بن عبدالله كان في زمن المأمون والمتنم له تقدم في حساب سير الكواكب وله ثلاثة أرباع وقد صمم ريجه الثاني حركات الكواكب على ما بوجه الامتحان في زمانه وله كتاب حسن في العمل بالاسطرلاب .

٧ أبو معشر البجلي : وهو عالم أهل الاسلام بأحكام النجوم وكان مراراً بالحبس العربي من بغداد باب حراسان ومات بواسط . وكان معاصراً لمحمد بن سنان الثاني . وكان مجتهداً للموقف أحيى المتعدد

٨ — محمد بن جابر البتاني : أحد عظماء العرب المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين في علم الهندسة وعلم الأفلاك وحساب النجوم وله ريح جبل صممه أرصاد البيروني . وكان يصعد أرصاده التي سمعها في ربحه في سنة ٢٦٩ هـ وفي سنة ٢٨٧ هـ . ولا يعلم أحد في الاسلام طبع منلمه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان حركاتها . ابتدأ في الرصد من سنة ٢٦٤ هـ إلى سنة ٣٠٦ هـ وأثبت الكواكب الثابتة في ربحه في سنة ٢٩٩ هـ . والثاني فلكي شامي جاء إلى بغداد مع بني الريات من أهل الرقة فلما رجع مات في طريقه بقصر الحضر في سمرام سنة ٣١٧ هـ . وقد عده الفلكي الفرنسي « لالاند » واحداً من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله . وقالت هوككه « لقد كان تأثير هذا العربي الدائمة على بلاد العرب عظيم الشأن فضطرب نظرياته في علمي الميزان والصربان على العلوم الأوربية حتى ألبسها هذه .

٩ — يعقوب الكندي : وهو فيلسوف العرب الشهير من درة الأئمة بن فليس الكندي أحد أصحاب الرسول (ص) ويشتهر بنحوه في فنون الحكمة « وهو من الأئمة عشر عفرناً الذين طهروا في العالم » لأنه كان عالماً بالطقس والفلك والحساب والهندسة والمطلق وعلم النجوم وتأليف اللغز وطبائع الأعداد وقد انتبه المأمون ليكون أحد الذين يعهد إليهم في ترجمة مؤلفات أرسطو . وكان مهتماً بقراءة بحث كان يرجع إلى مؤلفاته عد القيام بأعمال السماء أو حفر الأقنية بين دجلة والفرات . وقد عني بعلوم الفلك والأرصاد وله في ذلك رسائل ومؤلفات . وقد عده بعض المؤرخين واحداً من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية في القرون الوسطى . وكان لا يؤمن بأن للكواكب تأثيراً في السعد والنصر . وقد لاحظ أوضاع النجوم والكواكب وحركة الشمس والقمر بالنسبة للأرض فأنتى بأراء خطيرة وجريئة عن نشأة الحياة على الأرض دعت العلماء إلى الاعتراف بأنه مفكر عميق من الطراز الحديث . وكان لمؤلفاته في الصربان تأثير كبير في العقل الأوربي وقد وضع تأليف في الإيقاع الموسيقي قبل أن نعرف أوربة الإيقاع بعدة قرون . وقد وضع عدداً كبيراً من الكتب طبع منها في النجوم تسعة عشر كتاباً وفي الفلك ستة عشر كتاباً وثمانية كتب في الكريات كما وضع رسائل في بعض الآلات الفلكية حتى قيل أن دولة المتنم كانت تتجمل بالكندي وبمصنفاته وهي كثيرة جداً .

١٠ — ويحيى بن رستم أبو سهل الكوهي : وكان عالماً بعلوم الهيئة وصناعة آلات الأرصاد . تقدم في الدولة البويهية والأيام العصفية وسدها . ولما حضر شرف الدولة إلى بغداد عند إخراج أخيه صمصام الدولة بن عصف الدولة من الملك بالعراق واستولى عليه . أمر في سنة ٣٧٨ هـ برصد الكواكب السنة في مسيرها ونقلها من بروجها على مثل ما كان المأمون عمله في أيامه وعول على أبي سهل ويحيى بن رستم الكوهي في القيام بذلك وكان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة هي له يتأ في دار الملكة في آخر السنين مما يلي باب المطاطين وأحكم أسلحه وقواعده ثلثاً بصطرب سيانه أو يجلس شيئاً من حيطانه . وعمل فيه آلات استخرجها ورصد ما كتب له محضران أحدث فيهما خطوط الحاضرين ما شاهدوا واتفقوا عليه .

١١ — أحمد بن محمد الصاغاني : المتوفى سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) بغداد وهو أبو حامد الأسطرلابي كان فاضلاً في الهندسة وعلم الهيئة . وكان بغداد بحكم صناعة الأسطرلاب والآلات الرصدية غاية الاحكام . والآلة مدسكرة بأبدي أرباب هذا الشأن ، وقد سمع له عدة تلاميذ يسون اليه ويعتصرون بذلك . وله زيادة اتركها في الآلات القديمة فاز بها دون غيره .

ولما تقدم شرف الدولة من عهد الدولة بغداد مرصد الكواكب السعة اعتمد في ذلك على ويحيى بن دستم الكوهي . وبني بيت الرصد في طرف سنان دار المملكة ورصد وكتب بحصرين صورة الرصد . كان أحمد الصاغاني من شاهد ذلك وكتب خطه بتصحيح نزول الشمس في برجيين من بروجها .

١٢ — أبو الوفاء البورجاني الخاسب : المتوفى سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٨ م) انتقل من بلدته بوزجان بين هراة وسابور الى بغداد وعمره يومئذ عشرين عاماً وهو أحد الأئمة الممدودين في الملك والرياضات ، واعتزف له كثير من علماء العرب بأنه من أشهر الدين برعوا في الهندسة . وله فيه استخراج عريضة لم يسبق اليها . وقد هسى أبو الوفاء حياته بغداد في التأليف والرصد والتدريس وقد اتحب ليكون أحد أعضاء المرصد الشرقي الذي أساءه شرف الدولة . وقد استطاع أبو الوفاء أن يجد حيوياً تعلقاً بالقصع المكاني ، وقد مهدت هذه الخلول السبل أمام علماء أوردة ليتقدموا بالهندسة التحليلية خطوات واسعة أدب الى التكامل والتفاضل الذي يعتبر من أهم ما وصل اليه العقل الشرقي . ويقول كوستاف لوبيون : « أما الوفاء هو الذي عرف الاختلاف القمري الثالث وقد عزى هذا الاكتشاف بعد ثمانية سن إلى نيكوراهاي (Tycho Brahe) الدنماركي المتوفى في سنة ١٦٠١ م . ويرى لوبيون أن هذا الاكتشاف عظيم للغاية لأن مسيو سيدو (Sedo) استند به على وصول مدرسة بغداد في أواخر القرن العاشر الى أقصى ما يمكن علم الفلك أن يصل اليه بغير نظارة ومرقب .

١٣ — عبدالرحمن الصوفي : وهو من كبار علماء الفلك ولد سنة ٢٩١ هـ (٩٠٣ م) وتوفي ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) . بعده عهد الدولة البويهية معلماً لمعرفة مواضع وحركات النجوم الثابتة . وبني له مرصداً فلكياً في حدائق قصره هو المرصد الشرقي الذي تكلمنا عليه أيضاً وقام مرصد النجوم وعنده وحسب أسسها عرساً وطولاً في السماء . واكتشف بجراً ثابته لم يلحظها « ارحس » الرقي (Hipparch) المتوفى سنة ١٢٥ ق م . ثم رسم خريطة للسماء بدقة كبيرة حسب فيها مواضع النجوم الثابتة وأحجامها من جديد معدراً درجة إشعاع كل منها وذلك لكي تستخدمها في تعليم امرأته . وكان عهد الدولة بحد مرصد الرحمن الصوفي المذكور لأنه كان معلماً في الكواكب الثابتة وسيرها . وقد ذكر المعطي أنه كان في حراة الكتب بالقاهرة في سنة ٤٣٥ هـ كره من جهة من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عهد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم وقد اشترت بثلاثة آلاف دينار .

١٤ — هارون بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم : كان محمداً حياً يعلم الهيئة والعمل لألاتها ، وله زيج مشهور يعمل الناس به . توفي بغداد سنة ٣٣٦ هـ .

١٥ — ابراهيم بن هلال بن ابراهيم : ويعرف « بن هرون » وقد نشأ بغداد وكانت له يد طولى في علم الرماية وحسباً الهندسة . وقد خدم ملوك العراق من بني بويه . وكانت ولادته في شهر رمضان سنة ٣١٣ هـ ووفاته بغداد في ١٢ شوال سنة ٣٨٤ هـ ودس بالموضع المعروف بالجسه المجاورة لشويرة . وكان من جملة الفلكيين الذين سدهم شرف الدولة بن عهد الدولة ليشروها على الرصد في مرصد بغداد .

١٦ — أبو القاسم القصري : محمداً حادق مشهور الذكر ولم يزل قيماً بصاعته إلى أن توفي بغداد سنة ٤١٣ هـ .
١٧ — البديع الأسطرلابي : وهو عداقه بن الحسين أبو القاسم العدادي . وكان وحيد زمانه في عمل الآلات وقام بأمور عجز عنها المتقدمون وقد عاش في زمن المسترشد بالله .

خدمات الاسطرلاب

لقد استعمل العرب الاسطرلاب في أرصادهم وحساباتهم الفلكية والمعمارية والطوغرافية وفي الملاحة . وقد فاقوا في صحة الأمم التي كانت قبلهم من السابيين واليونان . وأصبح للاسطرلاب عندهم علم خاص به بحيث في كفة استعماله ومعرفة صفة خطوطه على الصفائح ، ومعرفة كفة الوضع في كل عرض من الأقاليم . وقد يعمل اسطرلاب شامل لجميع البلاد وهذا عظيم النفع جداً .

وقد ألف العرب بعدد وعبرها مؤلفات كثيرة في صمغ الاسطرلاب والعمل به خلال اثني عشر قرناً . وقد أحصى منها اليوم ، نحو مئتي مؤلف ما بين كتاب ورسالة في هذا العلم .

وفي المتحف العراقي ، ومتاحف العالم ، وفي حرائر الأشخاص والحسابين والمقاييس حملة كثيرة من الاسطرلابات العربية المختلفة . ويختلف الاسطرلابات من حيث الشكل فمنها الكروي ، والمستطوح ، والربع المجيب والاسطرلاب الخطي وهو المعروف بـ (عصا الطوسي) . سـ إلى المطهر بن المطهر الطوسي المتوفى سنة ٦١٠ هـ — ١٢١٣ م والربع الحائطي والربع السقي والربع المثقل الذي صمغ منه على أقل تعديل ثمانية عشر شكلاً . وتذكر المستشفة هونكه أن البيروني استعمل ربعاً فلكياً حائطاً فطره ساعة أمبار وصف المربع وبلغ قطر الربع الفلكي الذي أمر أولوع بك بصمغه أربعين منزلاً . وقد اخبر العرب مبدسات السطوح ومنسأها . وقد استعملت الآلات العربية في مرصد بلاد العرب . وكانت الساعة الشمية العالة الاسطوانة أكثر اخراعات العرب أصالة وفاء في هذا الحقل . وقد انتشرت هذه الساعة في بلاد العرب أيضاً . وقد صمغت الساعات التي سير بواسطة الماء أو الرنق أو بالشمع المشتعل أو التي تعمل بواسطة الأنقال ، وأوجدوا الساعات الدفاعة التي كانت تمل ساعة العداء . صوب رباب والساعات المائية التي كانت تقذف في كل ساعة كرة في صمغ معدني ، وتدور حول محور تعبر فيه الحجوم ويسومات حيوانة كساعة الحرري وساعة المستصرية . ومنها ساعات فيها فتحات منسقة الواحدة تلو الأخرى على هيئة نصف دائرة تبرز كلما جاورت الساعة الثانية عشرة للآ في حين يمر فوقها هلال وصاء . ويذكر أيضاً أن ساعة الرشيد التي قدمها إلى شارلمان كانت تنفط إلى الأسفل اثني عشرة كرة صغيرة معدنة — لدى اصطدامها برفاص معدني مثب دواً انعافياً حملاً بالاماسة إلى عدد مائتي من الأفراس الصغيرة التي كلما دارت الساعة دورتها الكاملة . فعرب هذه الأفراس من فحات الأبواب المذكورة وأعفتها بفرانها هذه . وفي هذا الصدد تقول المستشفة :

« نحن ما رلنا حتى يوماً هذا نقف فاعري الأقواء دهشة وبعجاً كلما رأنا ساعة كبيرة في مسمى المدينة وما يرافق دقائقها من ظهور شعوص صغيرة متحركة تذكرنا بما فعله العرب في الماضي العبد حماً بالألعاب الميكانيكية وولعاً بها . »

وستعمل الاسطرلاب في الأمور الآتية

١ — إستخراج البرج الذي تكون الشمس فيه بعدد الدرجات التي قطعتها منه .

٢ — قياس ارتفاع الشمس والكواكب

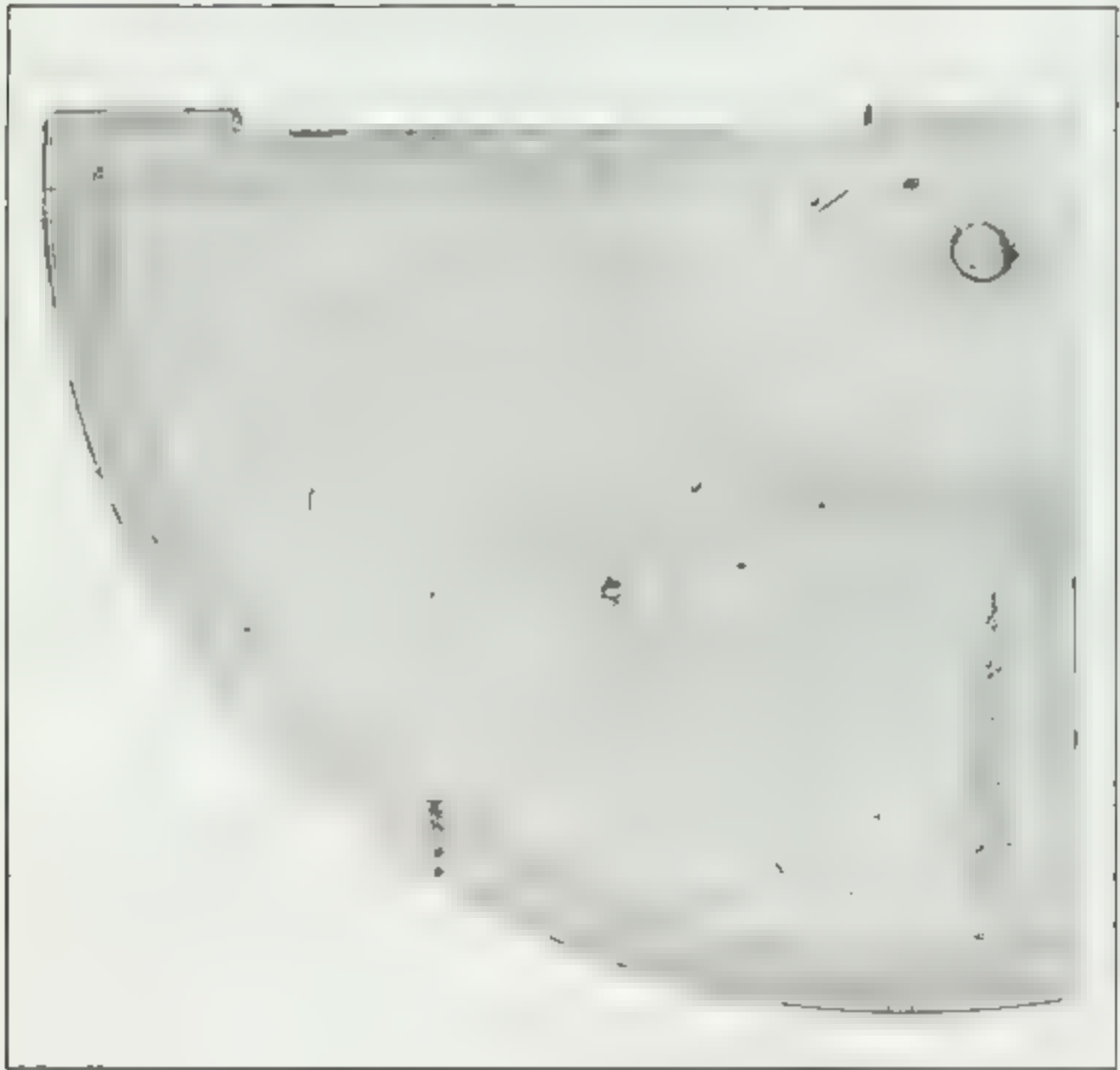
٣ — معرفة أوقات الصلوات المعروضة

٤ — معرفة معيب الشفق وطلوع الفجر .

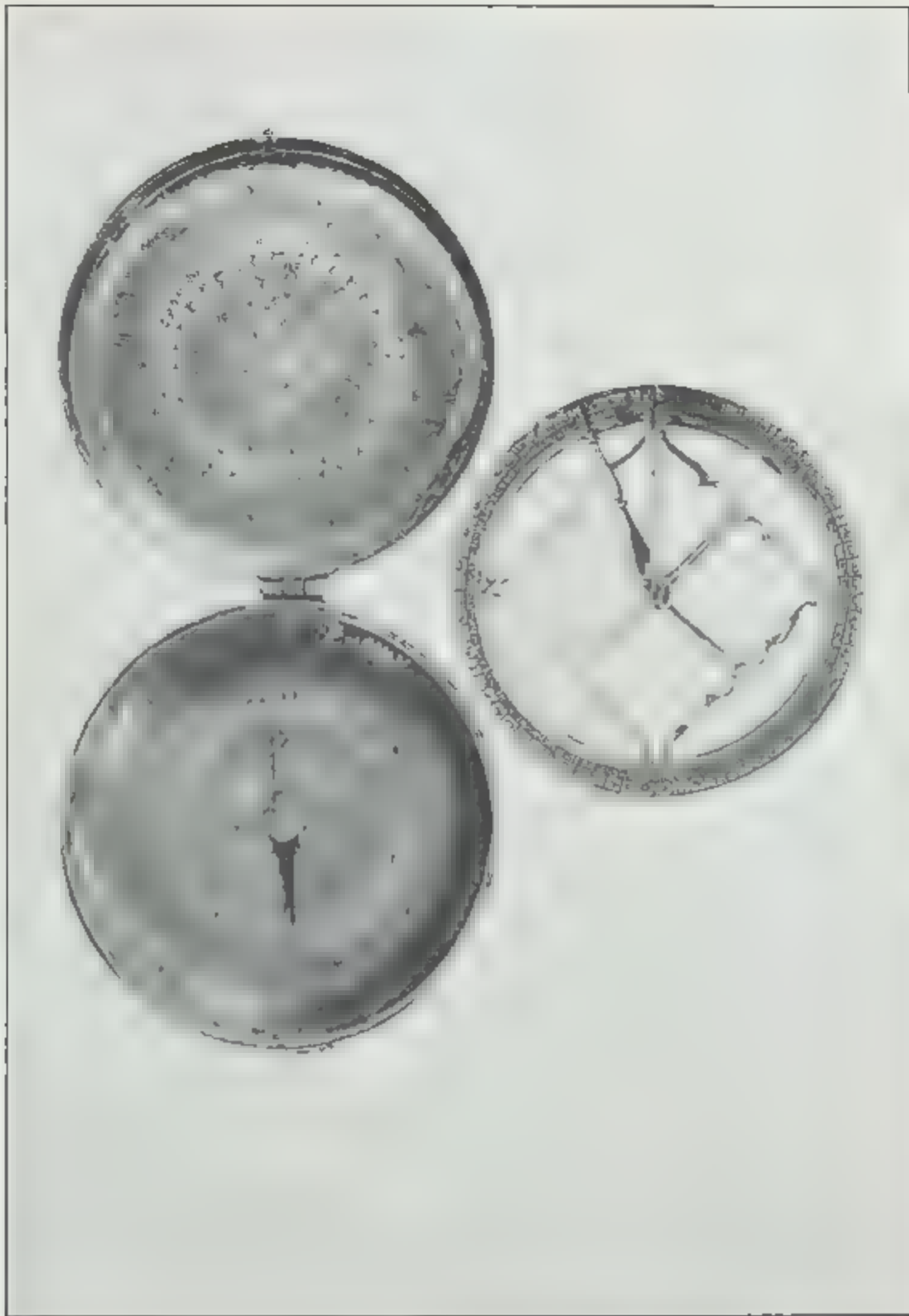
٥ — معرفة أوقات النهار والليل .

٦ — معرفة ساعة واحدة من ساعات النهار والليل وكسورها

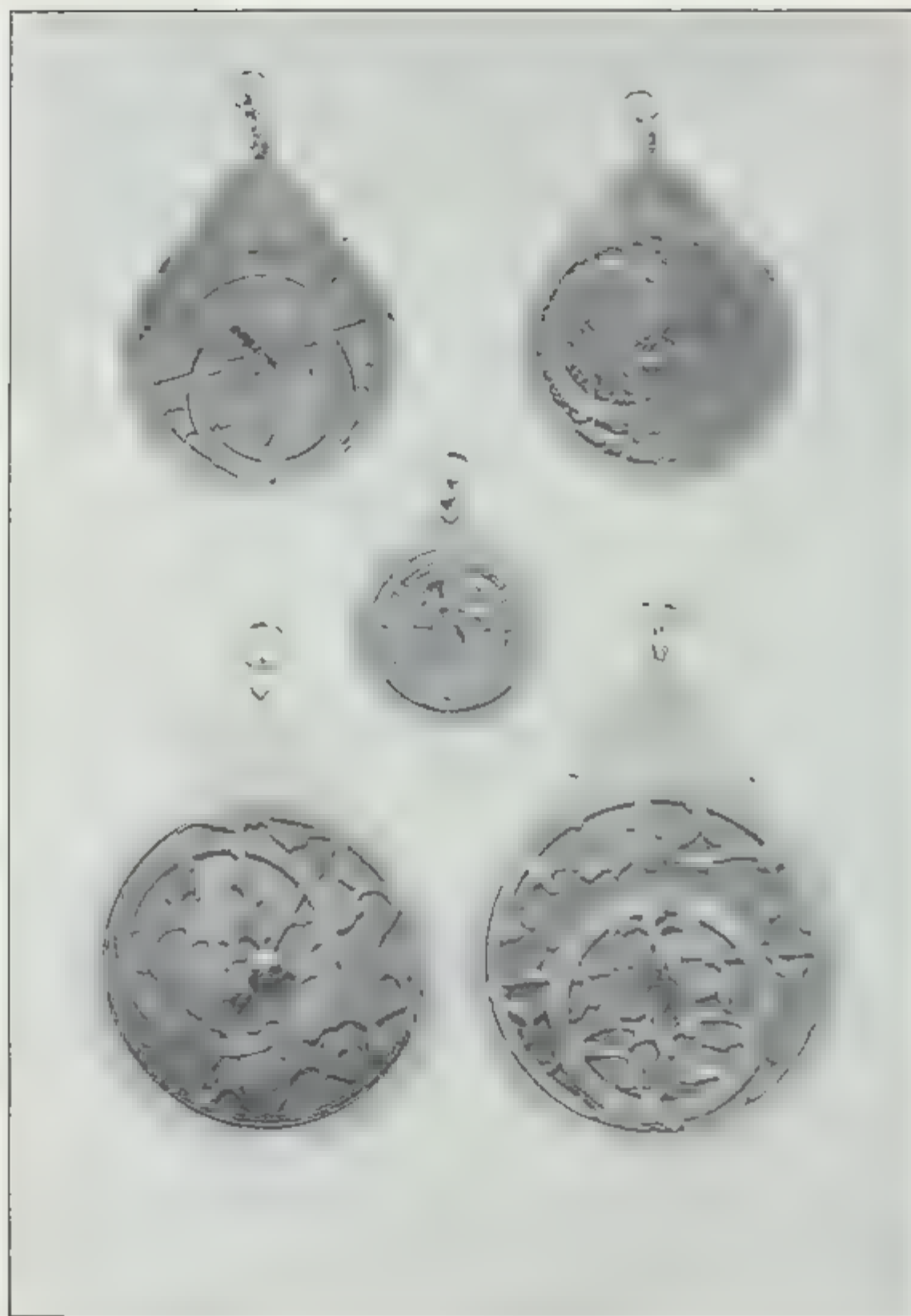
- ٧ — معرفة المجهول من الكواكب الموصوعة في شبكة الاسطرلاب من قبل ما هو معلوم منها
- ٨ — معرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل .
- ٩ — معرفة القلة بالليل والنهار
- ١٠ — معرفة الطول والعرض
- ١١ — معرفة الظل من قبل ارتفاع الشمس وارتفاع الشمس من قبل الظل .
- ١٢ — معرفة ارتفاع ما بين مكانين وما يزيد الأعلى منهما على الآخر .
- ١٣ — معرفة موضع القمر من البروج ، ومواضع الكواكب السيارة .
- ١٤ — معرفة المشارق والمغارب .
- ١٥ — وقد استعمل الاسطرلاب المصطح الصغير مكان الساعة الصغيرة التي تحمل في الجيب .



رياح مقنطرة — من الرياح المهبية أو الرياح النكبي



بوصلة عربية ومزولة في الدوت هذه لمرحلة ست الفقة



دوره ساسانیات

العُملة والنقود البغدادية

تمهيد

تمثل العملة البغدادية صفحة حصارية مهمة من النواحي الاقتصادية والتاريخية والصناعية والفنية والدينية خلال أحد عشر قرناً منذ تأسيس بغداد حتى سنة ١٢٦٢ هـ ١٨٤٥ م.

وفي المتاحف العالمية والمتحف العراقي كميات كبيرة من الدنانير والدرهم والفلوس التي ضربت بغداد في خلافة العباسيين ومن جاء بعدهم من الممولى والتركمان والصمانيين والشمانيين ، وتعدّ نموذجاً للنقود التي ضربت في دور العرب في الإمارات والدول الإسلامية التي اسلمت عن الدولة العباسية خلال العصور ، وربما أرت على (١٥٠) مكاناً للعرب .

وقد ضربت كميات عظيمة من هذه النقود بدار العرب ببغداد وكانت على صور شتى تمثل فيها بوجه عام أنواع الخطوط والحرارة ، واختلاف المياد والوزن ، وبمئة الديار والدرهم وقوبها الشرائية خلال العصور . وكان يطلق على نقود الذهب لعملة « العين » وعلى نقود الفضة لعملة « الورق » وكان العباسيون ببغداد ينقشون كلمة « الديار » على الديار وأجرائه وأصنافه . وقد تهمل كتابة لعملة « الدار » على أجزاء الديار أحياناً وبما كتبه العباسيون على الديار أيضاً السملة ، وكلمة الشهادة وهي رمز التوحيد ، وأبانت قرآنية مختلفة . كما كانوا يكتبون مكان العرب سنة الضرب ... الخ .

دور العرب ببغداد

لقد ضربت النقود ببغداد المدورة بعد أن انتهى أبو جعفر المنصور من سائها في مكان أطلق عليه « دار العرب » وقد استمرت دار العرب ببغداد العربية ثم الشرقية في خلافة العباسيين ومن جاء بعدهم وأطلق عليه « دور العرب » كما سميت في أواخر أيام الشمانيين ببغداد « السكك حانة » أي دار السكة كما يلاحظ ذلك في وثيقة جامع القلعة المؤرخة سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٤٨ م) .

وقد كان الخلفاء العباسيون أنفسهم يتولون أمر « دار العرب » ببغداد أو سامراء . ويذكر المؤرخون أن الخليفة موسى الهادي أودع أمرها إلى وزيره علي بن ماهان . كما أن الرشيد عهد بها إلى وزيره جعفر التميمي وترفع عن مباشرة العبارة نفسه وصير الخليفة الأمين دور الضرب إلى العباس بن الفضل بن الربيع

وقد ضرب ببغداد « دنانير أميرية » باسم الأمراء وولاء العباسيين من زمن أبي جعفر المنصور وكان أول ولي عهد ذكر اسمه على الديار هو « محمد الأمين » سنة ١٧٩ هـ كما أن أول خليفة ذكر اسمه على الديار هو هارون الرشيد سنة ١٩٠ هـ . ويظهر أن أول مرة ذكرت فيها « مدينة السلام » على الديار العباسي كانت في خلافة المأمون سنة ١٩٨ هـ . بينما ذكرت « مدينة السلام » على الدرهم العباسي من أيام أبي جعفر المنصور . وأول خليفة ذكر اسمه على نقود الفضة هو محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور .

وعندما سيطر البويهيون والسلاجقة على الخلافة أصبحوا يقومون بإدارة دور الضرب بأنفسهم . وفي سنة ٤٦٢ هـ عهدت دار الضرب إلى وكلاء الخليفة بسبب النهج الذي كثر في أيدي الناس على الكلك الطباية . ويذكر أن الأثير أن اسم ولي العهد ضرب على الديار وسمي « الأميري » ومع التعامل سواء .



سادج من نمود الصلة المصورة المصورة سديه سداد في حلافة ايسيرى المصورة انحططه مثل الخليفة المختار

وكعبة الصرب أن تنقش النصوص على سكك من الحديد بشكل معكوس كالحاتم . وبعد أن يصير الذهب ويبقى مرة بعد أخرى لتحقيق عياده يكس، ويقطع إلى أجزاء بورن الديار وبعد ذلك يصرب بالسكة على كل قطعة حتى يظهر النقش على وجهي العملة

وكانت السكك المذكورة تعمل في دار الخلافة بعدد ومها ترس إلى دور الصرب الأخرى وكان يستقطع واحد مائة أو أكثر من قيمة المسكوكات ثمناً للوفود وأجور العمال والموظفين الذين يتولون ضرب النقود في دور الصرب . ومن الأماكن التي ضربت فيها النقود بعدد قطعة ، الامام الأعظم أبي حنيفة بالأعظمية حيث ضربت دار الصرب سنة ١٠٢٥ هـ (١٦٣٥ م)

عيار العملة البغدادية

لا تختلف النقود في سكها أو سكها وإب يختلف في عيارها فالدرهم خمس حبات دعماً والحبة أربعة فوسقرة ، والدينار تتفاوت قيمته بين ١٢ درهماً و ١٠ دراهم . وكان العار بالصحات الزجاجية وهي عار على هيئة الدرهم والدينار وتشبهها في الكتلة والنقوش التي عذب وقد اتخذت من الزجاج لأن الزجاج لا يتأثر بالحر أو البرد .

وكانوا يستعملون صحات للدينار بما يعادل الدينار ونصفه وثلاثة ، والدرهم بورن درهمين ودرهم واحد ونصف الدرهم أي على أساس ما يضرب منهما ومن أجزائهما .

ولم تسجل الصحات إلا لأن عار الذهب والفضة كان يختلف على مر العصور فأخذت الموارس الخاصة في دور الضرب لتصفية الذهب والفضة ومزج كل منهما ومعرفة عياده .

وكان الدينار في العراق ساوي عشرين قيراطاً والدرهم أربعة عشر قيراطاً والعيار ورنه ثلاث حبات وكل عشرة دراهم ترس سعة مثاقيل ذلك لأنهم وجدوا أن دره الفضة ترس سعة أعشار درة الذهب

واختلف قطر الدينار العباسية نفسها ما كل قطرها (٢٠) ملمتراً ومنها ما بلغ قطرها ٢٥ ملمتراً و ٣٠ ملمتراً ووصلت أحياناً إلى ٣٥ ملمتراً . وأما أصناف الدينار فقد بلغ قطرها ١٧ ملمتراً ، والأثلاث ١٢ ملمتراً ونصفها ١٣ ملمتراً ، والأرباع ١٠ ملمترات .

وقد أخذ ينظر الأعيان مقدار الذهب والفضة عند الورن وصلت المعاملات بحري على أساسين هما الورن والنقود لأن الدرهم صار ورناً وبعداً ، والدينار بقدرأ واعتبر ورنه مثقالاً أي ٤٢٦٥ من العرامات وبعد الدرهم سعة أعشار الدينار فكل سعة دينار ترس عشرة دراهم . وقد كان الرسول (ص) أول من أمر مثل هذا الورن وسلك اعتبر أساساً في القضايا الشرعية حتى اليوم ، على أن الدرهم والدينار لم يحافظ علي ورنيهما وقد ألفت الكتب في الأوزان لمعرفة النصاب والدينه وتعديل الأدوة وقد تغيرت هذه الأوزان بحسب البلاد والعصور وتغايب الدول

وقد رافقت الدولة دور الصرب والدينار والأوزان . وبعدد كان بورن الدينار نارا الدينار ليظهر أيهما أفضل وكان للصياغة والجهادة أثر واضح في وزن الدينار .

وكان الخلفاء يشددون كثيراً في أمر العيار وتحليص الذهب ، وكانوا يحاصرون على النهاب في ذلك بأشد العقوبات حرصاً على سمعة دهمهم فقد قرع عيار دينار للرشيد مؤرخ في سنة ١٩٣ هـ وآخر للمطعم مؤرخ في سنة ٣٦١ هـ فكان عيارهما ٩٧ و ٩٨ مائة أي ٢٣ حه

وبعد أن نوهنا بالفساد الذهب والدرهم الفضة وعيارهما لاند لنا من أن نشير إلى الفلوس الحاس الذي كان يصرب بعداد أيضاً ويقال له « المس » وهو قطع صغار من الحاس يستعمل لشراء الأشياء الصغيرة . ذكر المقريري أن الفلوس الحاس تستعمل في المحفلات من المبيعات وهي التي نقل عن أن سابع درهم أو جزء منه . ولا تسمى عملة ولا تقوم بمرئ أحد النقدين ويقول ولقد كان بعداد التي أُرئت عمدها على عامة الأمصار يجعل ناره عالب المبيعات عوضاً منها الخبز . ويذكر في سه صبح وأرعمته أنهم كانوا يتعاملون به في الأسواق وقيمونه مقام الدرهم في الاتفاق وتتقدونه قدماً اصطلاحوا عليه وجعلوا لذلك قانوناً يرجعون إليه فيردون المثلوم والمكرح كما يرد الدرهم الرائف والديار المهرج ، ويشترون به أكثر المأكولات والمشروبات ، ويدخلون به الحمامات ، ويأخذون الناد والخمار ، ولا يردده الرار ولا يعطون ، ولطريف السعيد على غيره صرف مقدّر وحساب عندهم معلوم بحرر . ومنع هذه العاية والاحتياط يباع كل ستين ربيعاً بغيراط

ومن أحوار الفلوس الحاس بعداد أنها أطلت في سنة ٦٨٢ هـ (١٢٨٣م) وصرب عوضها فلوس من الفضة وجعل كل (١٢) فلأً درهم ثم أطلت في سنة ٦٨٣ هـ وأعيدت فلوس المس . وتعامل بها الناس كل ثلاثين فلأً درهم . وفي سنة ٦٨٤ هـ أطلت هذه الدراهم أيضاً وضربت دراهم غيرها .

التصوير في النقود البغدادية أو نقود الصلة

يلاحظ وجود عدد من الدماير والدراهم البغدادية عليها صور بعض الخلفاء العباسيين مع تصوير أخرى مختلفة وتظهر أن التصوير لم ينش على النقود المتداولة بين الناس وإنما نقش على بعض النقود التي كان يجمع بها على الناس أو تنثر على رؤوس الخلفاء والملاطين والأمراء في الأفراح والأعياد والمناسبات المختلفة . وتعرف بـ « نقود الصلة » وانباسيون أول من صرب « نقود الصلة » هي حلقة الرشيد كما ورد في التماس صرب جعفر بن يحيى البرمكي عشرة آلاف دينار قيمة الواحد منها مئة دينار . وكان يفرقها على الناس في البور والمهرجان ويروى أنه وحيد في دار جعفر اله مكى بعد مقتله بركة فيها أربعة آلاف من الدماير الذهبية الواحد منها مئة مثقال ومثال . وقد كتب على وجه كل منها بيت من الشعر



نماذج من نقود المصروه معدة بعداد في عهد الخلفاء هارون الرشيد والأمن والمأمون

وفي حلاقة الأمير صرحت دناير للصلة كيرة الحجم رنة الواحد منها عشرة مثاقيل كتب عليها
 « صكل عز ومفخر - ظموسى المظفر ، ملك خص ذكره ، في الكتاب المسطر »
 وصرب الناصر لدين الله دناير ذات وزن ثقيل وصلت إلى (١٨) غراماً وكان نظرها نحو ٣٥ مليمه أ
 وكذلك ضرب المستنصر والمتنصر دناير من الوزن الثقيل أيضاً .
 وصرب العباسيون من أحرار الدمار للتعامل الربع والثلث والنصف وعلى وزن الدرهم وأقل منه وقد صربوا
 من الأصناف من فوق المثال إلى أربعة مثاقيل . وكانوا يصطرون أحياناً إلى ورثها وهذا يحلف عما كان يصر من
 الدناير في المناسبات أو للكر والخرن أو الأهداء فقد كانت كيرة الحجم والوزن كما يراها بذلك
 وقد وجد بين دراهم المتوكل درهم صرب في سنة ٢٤١هـ فيها صورة . وفي الوجه الآخر صورة رجل يقود جملاً
 ويظهر أن هذه الدراهم من « نقود الصلة » أيضاً .
 ويلاحظ بين نقود المقتدر بين سنة ٢٩٥-٣٢٠هـ بقدره صورة المقتدر وفي بده النمل كاس وشي كالسلاح وفي
 الوجه الثاني صورة معية تلس رداء وفي يديها عود تعرف عليه
 وكانت الفلوس النحاسية تحوي تصاوير بشرية أو حيوانية أيضاً

العملة الفيدانية بعد العباسيين

بعد سقوط بغداد بيد الممولى استعملت النقود المصروفة بعدد وعبرها ، من ذلك « الدناير ابعوال » وهي
 الدناير الحمر ولم تختلف نقود الممولى التي صربوها بعدد إسلامهم عن نقود العباسيين وكان ابعوال يكون
 كلمة للشهادة وأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة كذلك فعل التتكمين من بعدهم
 وطلعت النقود بصر بعدد في أيام الممولى من الانجاسين والجلاريين من عهد هولاء وحلفائه وقد صرحت
 النقود متساوية ليعامل بها بالعدد ولما أسلم السلطان عزال أمر أن يصفى الذهب والفضة من الفس ويصرب الدراهم
 متساوية الوزن ليعامل بها بالعدد أيضاً وحذف اسم القائم من النقود بعد أن كان يذكر عليها من سقوط بغداد
 وصرب المستعصم والضعفون نقوداً قليلة بعدد لكن العثمانيين صربوا كثيراً من مودهم بعدد خلال حكمهم
 انطون للعراق ولم تختلف هذه النقود عن بعضها بوجه عام إلا بما كان يكتب على من أسماء السلاطين
 ومن التواريخ المتأخرة التي صرحت فيها دناير بعدد سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) أما الدراهم التي صرحت
 بعدد فلم تتجاوز سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) وأما الفلوس النحاسية فقد ظلت تصدر حتى سنة ١٢٥٥هـ ولم يوجد
 لها (بارات) النحاسية بعدد سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٥م)
 وكان يقال للدرهم المصروب بعدد « معددي » وقد تمت هذه الأقوام في نقوش النقود التي كانت تصدر
 بعدد وفي ترسها والكتابة عليها بالخطوط الكوفة وظلت اللغة العربية هي اللغة العالية فيها بوجه عام كما يمكن أن
 نذكر أن نقود البلاد المجاورة للعراق قد تأثرت إلى حد بعيد بنقود بعدد وبما كان يكتب عليها وبالصور التي تصور
 فيها وشكل الخطوط الكوفة أو غيرها

العملة الورقية بفنداد

نذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب (ر) أول من اسعمل بالحجار قطعاً صغيرة من حلد الابل بدلاً من
 النقود الفضة أو الذهب .
 على أن بعدد استعملت « الخوالات المالية » والأوراق التجارية في صكوكها بدلاً من النقود لتيسر معاملات الناس .

ويذكر الرحالة المغربي محمد بن سعد الذي زار بغداد في القرن السابع الهجري أنه رأى التجار ببغداد يستعملون أوراقاً نقدية وهي أوراق لينة ناعمة مصنوعة من ورق التوت .
ومن النقود التي استعملت ببغداد في عهد الممول ما يأتي :

١ — البالش : وهو معد من ذهب أو الفضة وكان البالش الذهب برون (٥٠٠) مثقال ويتكون من (٢٥) قطعة كل قطعة برون نحو ثمانية دنانير أما البالش الفضي فيزن خمسة مثقال أيضاً وربما تكون من (٢٥) قطعة أيضاً كل قطعة ثمانية دنانير .

٢ — البالش الورق : وهو عملة من الكاغد بقدر الكف محتوية بطابع السلطان وكل (٢٥) قطعة منه تسمى بالش أو بالشت .

٣ — الجاوي : وهو عملة وقيمة أيضاً اسمها مثل النقود الذهب أو الفضة يذكر عليها اسم سلطان الممول وكان تكون من عشرة دنانير إلى الدرهم وأحرائه . ويظهر أن الذي وضعه هو صدر الدين أحمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحب دهر الملوك تبرر وأعلن العمل به سنة ٦٩٣ هـ والجدو كاعد مستطيل على وجهه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » بحروف عربية





تُراثُ الرِّسَمِ البَغْدَادِيِّ

الدُّكُورُ مُحَمَّدٌ مَكِّيَّةٌ

سَوْجُ مَا فِي فِئْتَنِي وَجِدِي وَادِّحِي رَوْحِي بِسَبْدِي
 عَلَى صَاحِدَاتِي مَرَامِي الشَّدَى مَتَى حَبِيدِي وَنَعْدِي
 وَمَا بِي الشَّدَى وَنَجْدِي تَهْدِي رَأْسِي وَجِدِي وَجِدِي
 وَأَوْفَى أَدَمٍ فَدَفِدِي مَدْفِدِي وَأَهْبِي بِالسَّجْعِ عِنْدَ الْمَوْدِي



فَقَدْ جِئْتُ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ لِي وَفِي يَدِي مِثْلُكَ



تراث الرسم البغدادي

لعل من الصعب على أي متبحر لتاريخ الحضارات الآسيوية ، أن يركن بشكل نهائي إلى كل ما كتب من بحوث ودراسات ، تناولت بالاستقصاء ، أصل وشوئ الاجارات العنة لعصر ما ، على الرغم من اتمام بعضها بالاصالة والعمق ، نتيجة لتأكيدنا على المنهج العلمي الخالص في البحث . ومع أن بعض الدراسات ، بقيت غير مستقرة في موارد القند العلمي ، إلا أن ما أعقها من آراء ونظريات ، أثبت عبر تلك البحوث على الفناء كحقائق مطرية مسلم بها وعلى صوء هذه الحقيقة ، تبدو أنه دراسة لا تصح في إطارها التأملي ، تلك العمليات المعقدة القائمة بين الخبرات البشرية والبيئة المجتمعية ، غارة من أي سد علمي مقع يشدها نصف إلى يقين عقلي مجرد من الهوى . وهذا هو الجانب الايجابي الذي يود تأكيدنا في هذه الدراسة . أحدين بطر الاعتراف ، تألف العاصر الرماية والمكايبة لاستيعاب كل نشاطات الانسان بعد انصارها في يودة العمل الأمثل .

وعلى صوء هذه الاعتبارات ، بدأنا سبل المعالجة الموصوعة لبحث ساهمت فيه أفلام كثيرة ، مميزات من بينها أقلام معة من المشرقة ، الذين عملوا ما وسهمهم الجهد في عرص الآراء والمفاهيم حول التصوير الاسلامي . وسعوا إلى ابرار كيانه في محيط البحث العلمي ، حتى استأثر باهتمام الدارسين في الشرق والغرب ، وأصبح ، بعد أن جلبت كثير من عوامه ، وأصبحت أكثر مألوفة ، ميثاً لتناول الباحثين من أبناء الأنظار الشرقية ، وخاصة أولئك الساعين لتكوين قوام حصاره جديدة ، نصل ما بين مقومات الماضي لأجل ما حاصر متطوع للحياة

إن دراسة الفن الاسلامي ، تطوي على أهمية مألوفة في ما حاة فيه في شرقا العربي ، فهي بقدر ما ستمعه من عطاء للآسيوية ، فابا سناهم في إعاء الفن العربي الحديث بمقومات الحياة والنماء والاردهار وهكذا سيصبح من حق أبناء بعداد ، بعد أن استيقظت عواقي طائفتهم المكربة اليوم ، التقرب للأسلوب الذي يمكنهم عن طريقه الانصال لشخصية حاصرهم العريقة التي كانت تتمتع بأوسع عود فكري وثقافي واجتماعي في العصر الوسيط

وحيث يكون المقصود من هذا الفصل من الكتاب ، التعريف بوسط بعداد زماناً ومكاناً ، يكون لزاماً علينا أن نستجلي ما وسما الجهد ، كامل الصورة لتلك الحصاره . ساءها العكري ، عالمها الروحي ، وعاصر وجودها الفني ، ليصح في مقدورنا من أبناء هذا العصر تقوم حاصرهما ، وإعادة ما كيانه على ضوء جديد ، يشدنا إلى تلمس جوانب الاحساس العمي في الصورة الكلية لاجارات الرجل البغدادي في حقول الأدب والعكر ومون التصوير المرئية

قد يترأى لنا من ماضيها القريب ، وحاصرنا الأقرب ، إننا لم منيح فنون التشكيل ، وخاصة من التصوير ، المكانة المناسبة في ميدان التكامل الثقافي ، ذلك لأننا نحرصنا إهتماماً على صروب الثقافة الأدبية ، وماعدنا بين الأدب والفن . فكانت طامرة الاستحاف عصور التصوير والمرئيات عموماً وسبها بأوصاف اللهو العاث ، نتيجة لتلك المرلة التي فرصت عليها مسراً ، بما أدى في النهاية إلى اشعاد الفنان ذاته عن اسيعاء الأدب واستلهاهم مجزاته الكبرى ، فظلت شخصيته الفنية دون مستوى الضوج والاكتمال .

إن مكانة المدرسة العمدانية في فن التصوير وسر تعوقها الباهر في تلك المرحلة الحسنة من مراحل التاريخ العربي ، يحصرنا اليوم على التفكير في تعميق الصلة بينها وبين مجرات المدرسة العراقية الحديثة ثم الاستعادة منها بشكل لا يسعى إلى التقليد الطغي العقيم ، بل يستهدف البحث عن الجوهر الخفي من أسرارها ، واستجلاء تلك الأسرار بطريق التأمل الصافي لمطورها الروحي أملاً في الوصول إلى الغاية المثلى من حصاره عصرية كاملة الوجوه .

ومحس حين يأتي على ذكر هذه المدرسة العتيدة التي عاشت على أرض بغداد قبل سبعة قرون ، فلا بد لنا أن نذكر القارئ بأن هدف هذه الدراسة سوف لن يكون مقصوداً على رسم العدد الرمي للتاريخ بقدر ما سيكون دعوة للتأمل في جوهر ذلك التراث وحث طبعاً على الظهور في أفق الثقافة المعاصرة لمحبها قاطبة التأثير .

إن التعارب الأثمي الذي أصاب مجتمع العالم بفضل تفوق التكنيك الآلي والألكتروني للمواصلات ، واتساع نطاق وسائل الاعلام الحديثة ، كل هذا ، ترك أثره الواضح في طريقة تناول الإنسان الحديث لقضايا التراثية . فقد أذاب هذا التقارب الحدود الفاصلة بين الأمم ، وجعل في حكم الامكان ، امتزاج تلك الأمم وإصهارها ثم إسيانها في محيط « العالمية » وهذا ما استدعى بالضرورة ، ظهور علامات تشير إلى تجاهل القيم البنية والخصائص المحلية في الاتساج الذهني والعقلي للإنسان ، غير أن الأمر لم يدم طويلاً على هذه الحال ، فقد برزت ظاهرات جديدة في التحولات الشاملة الذي ساد عالم ما بين الحربين الكبيرتين ، انتهت إلى تأكيد القيم التراثية المحلية ، ونكيس الدراسات الواسعة لها ، ومحبها القسطنط الأوقى من الناية العلمية . حتى أصبح الفن قادراً على التعبير عن القيم الرمزية والحاكية من إطلاله العالمي الجديد ، وهذا ما جعل من المفهوم الأساسي للقومية الأصلية ، معبواً حصاراً قاد إلى توصلات جديدة في حقول الكشف الفني .

ولعل من أهم أهداف هذا البحث ، هو رسيخ الاعتقاد بأن دراسة الثقافة العربية في الأدب والشعر ، نتوجب التعميم الكامل لمسائل العنصر التشكيلي في ارتباطاتها المعقدة بالبيئة المجتمعية لهذه المنطقة من العالم . وهكذا سيكون البحث مقصوداً على دراسة ما أنتجه الوسط العمداني في حقل الرسوم التصويرية أو التصوير الملون الخالص المتمثل في « المسميات » أو التصويرات التي رسمت لترويق المخطوطات وقامت بدور وسائل الإيضاح في مقابل النصوص المكتوبة . لذا فهو يحصر في إطار دراسة هذه الرسوم ولا يتناول من الزخرفة الإسلامية الواسعة التي دعاها الأستاذ شرف فارس — [جهاداً بـ « الرقش » ، أو ما يدعى بـ « الأراسك » في تاريخ الفن وعلم الآثار

ليس عرباً أن تكون بغداد الوسط الأمثل لشؤون التصوير الإسلامي المنمير طابع الأصالة . فقد أصبحت عت تأسيسها ، المقر السياسي لدار الخلافة الإسلامية ، ومحبها موقفاً الجغرافي الفريد قدرة الاتصال والتوصيل بين الشرق والغرب ، فاسات لها ثروات الفكر وكور الفن من جميع الأفاق حتى استطاعت أن تؤكد ذاتها الأصلية في اتناح الهي ، واتعمدت رويداً رويداً عن تأثيرات العنصر الساسانية والبريطانية والأفريقية حين تجلت فيها روح الحصار الجديدة التي تمت على صفاء الراعبين طغفت شهرتها الخافيتين . وإن فيما أشير إليه اللدانيون العرب من ظاهرة روح المهرة من الصابين والصناع من أقطارهم وأصدارهم إلى بغداد ، لدليل واضح ، على أن هذه المدينة قد أصبحت في وقت قصير مركز جذب لكل الطاقات المندعة في حقل الفن والمعرفة . وهذا ما أعطاها القدرة على تكيف تلك الطاقات وصهرها في بودة العمل الدائب لا يجر شكل جديد من أشكال التعبير الفني استطاع أن يسوع أعراض ذلك العصر ، ويلور أفكاره في نظراتهم الرمزية والمكانة لمفهوم الفن والحياة

لقد ارتبط اسم بغداد باسم مدرستها الشهيرة في الفن ، رغم أن بعض الدخين قد أطلقوا عليها المدرسة « الميزوبوتامية » أو المدرسة « العباسية الدولية » أو المدرسة « العربية » . ولعلنا لا نتمد عن جوهر هذه التسمية ، ومدى انطباعها على الفس التي شأت فيها ، إذاً أحداً سطر الاعتبار ، مركز بغداد في قلب الشرق الإسلامي ، وموقعها

الطبيعي من أقطار هذه المنطقة ، وأخيراً جوارها التاريخي لأحباب حواضر العالم القديم - المدائن وبابل فلقد ساعدت كل هذه العاصر مجتمعة على إقامة الكيان الحضاري الجديد لبلاد ، وأودعت فيه آمات المعرفة والعلم والفن ، ثم شيدت في هرات الاستعراذ والاردهار ، أسس مدرسة للتصوير الاسلامي كانت نشاطها حركة التأليف والترجمة حياتها في المجتمع البغدادي ، وترفعها بمعطيات التشكيل المنظور .

لقد أكد ما عرّضه الدكتور ركي محمد حسن في مؤلفاته العديدة ومحوته المستعصية واستقصاءاته في حقول الفنون الاسلامية ، بأن المخطوطات العربية المصورة المنتشرة في مكات العالم ومتاحفه الكبرى ، قد أوضحت للباحثين أهمية الدور الذي لعبته بغداد في إرساء قواعد مدرسة قائمة بذاتها لعن التصوير الاسلامي وقد جاء ذلك في قوله

« تألف هذه المخطوطات الثمينة أولى مدارس التصوير الاسلامي المشهورة ، وهي مدرسة بغداد التي استطاع التصوير الاسلامي في طلب أن يتوي ويتحلى ومن ثم يديع من بلاد الرافدين الى سائر البلاد الاسلامية

نقد إردهرت مدرسة بغداد ما بين القرن السادس والثامن للهجرة (١٢ - ١٤م) وهكذا فقد صمّت أقدم ما نعرفه من التصاوير الاسلامية في المخطوطات ، لاها سقت تصاوير المخطوطات المملوكية والتمورية والعصفوية في ايران ، كما سبقت التصاوير التي زينت المخطوطات في الهند الاسلامية وتركيّا .

يستنتج المستشرق ريجارد اتكهوس من تأملاته في كتاب (البيطرة) بأن فن التصوير البغدادي وهووج أساليبه قد أوى على العاية في منتصف القرن الثامن عشر للميلاد . فهي لوحة تصوير فارسي يلاحظ بأن استواء التمثيل لشنة العربية الاسلامية في بغداد مهد لحالة من الوصوح الأسلوبى والكشف المقع الذي تتحقق من خلاله الشخصية البغدادية بشكل لا يراه في الرسوم الرومية . وما يمكن أن مجده في هذه الصور استطاع العثور عليه في اللوحات الأمامية لسحة من رسائل أحوان الصفا - الموسوعة العلمية المعروفة - فهي تمثل أوج ما وصلت اليه التصويرات البغدادية من انقضاء وتكامل . ذلك لأن المخطوطات الرفيعة الحساسة والألوان الشديدة الراهية ، والتأليف الانشائي المتقن ، يظل عماد الصورة التي تسجل بأمانة ، مدوة بحث علمي ، أو مجلس أدبي تنبع في أحواله روح بغداد ومقوماتها الاسلامية .

هناك إذن ، من حصري عاشر في أكاف مدينة كانت تظل على مشارف ديبوات من الأحلام والأساطير والشعر وحقائق الوجود فلا عراه ، أن مجده به روح الأدب وحنان الشعر . ولا عجب أيضاً أن يكون في شكله وجوهه تأليفاً أدبياً لصورة المجتمع البغدادى آنذاك .

يشير المستشرق الألماني الحائز كوهل الى الدور الذي لعبته بغداد في مبداء التصوير فيقول بأنه « تجاوز إدراك تلك التجديدات التي استحدثت في الرحلة الكتابية ، فإن لها أن تناهي بأنها أسست المدرسة الاسلامية الأولى لعامي الصور المصغرة ، وكان ذلك في القرن الثامن عشر إثر الترجمات العربية لأسفار في العلوم الطبيعية اليونانية . وهي ترجمات رودت بصور مصغرة تحلت الفن . وهذا الطراز التصويري الذي وجد على هذا النحو قد استخدم أتب في شرح أدب التسلية المكتشوف الذي كان محمواً إذ ذاك حياً جماً . والذي عرض على هذا الطراز التصويري مهام تقتضي أساليب جديدة في التصوير وحده الى اظهار مقدرة في التلوين . »

ولهنه المدرسة تأثير واضح على الفن المسيحي المحلي ، فقد عثر على نسخة عربية من اجل طفولة السيد المسيح ، تعود الى سنة ١٢٩٩م ، وهي من المخطوطات المسحقة القديمة التي يبر فيها بوصوح ، خصائص الأسلوب النصورى لمدرسة بغداد الشهيرة

ويذهب الدكتور بشر فارس في استقصاءاته أنه لأعاد هذه المدرسة وامتداد تأثيرها على فن التصوير الاسلامي ، الى أنها كانت تمتلك القدرة على استيعاب أعراس ذلك العصر ، حكما أن لها قابلية اكساب الخبرات الجديدة واصفها على غيرها من مدارس التصوير .

وقد عرّض الدكتور ماهر كامل لأحداث القرن الثالث عشر ، وأجارات فن التصوير في مسح رسوم مخطوطات مقامات الحريري . ومكانة بغداد في هذا الميدان فقال :

« لقد شاهد القرن الثالث عشر في بغداد ظهور كيان مدرسة فنية يمكن أن تعتبر المدرسة الفنية الأولى ، حيث اتجهت الى رسوم لوحات في الكتب ».

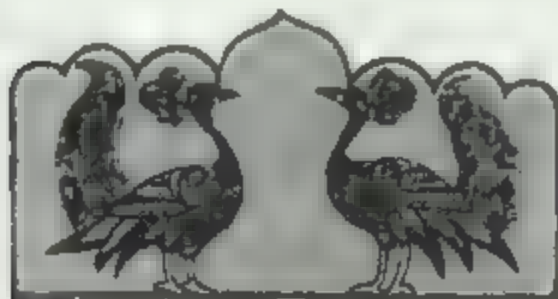
وفي الأساطح المطولة التي عقدها بعض المستشرقين على مدرسة بغداد ، اصبحت اهتمام أولئك ، على الجانب الدراسي البحت ، حيث أولوا المصادر والاشتقاقات والمؤثرات المتقابلة عنيهم الخاصة . فلفد أكد الدكتور « أربولد » الذي يعود له العسل الأكبر في كشف بعض الجوانب العامة في الفن الاسلامي ، أكد في كتابه الجليل المشتم بالدقة والعمق ، أهمية الدور الذي لعبه اليعقوبيون والساطرة في قيام مدرسة بغداد وشأتها .

كما أوصح « ديماند » الذي أطلق اسم مدرسة التصوير العباسية أو العرفانية على المدرسة التي شأت وتعمركت في بغداد بأن الأساليب الفنية التي أرسدت فواعدها بغداد في القرن الثالث عشر أتتجت أسلوباً اسلامياً جديداً له مقوماته في التأثيرات الأيرانية والمسيحية الشرقية

غير أن موقف المستشرق « بلوحيث » من الفن العراقي يختلف عن غيره من المستشرقين فلفد منته بالدائنية والسداجة ، وأشار الى أن الفن الأيراني قد تحرر منه بعد أن ابتعد عن ما يسميه بوجت « مراسم بغداد والكوفة » التي دامت مدى قرنين ونصف من الزمان .

غير أن بساطة الفن العراقي التي يشترها المستشرق المذكور من المآخذ ، تعد اليوم من ميراثه المشعقة ، إذ ليس من شك في أن تطور أساليب هذا الفن وتنوع موضوعاته واتساع مداه التصويري والجمالي ، قد سلكت جميعاً طريقها الطبيعي الذي تمليه طبيعة الأشياء كما تتطلبه الظروف والأوضاع الحياتية المتجددة أبدأ . وسوف نعرف فيما بعد ، كيف أن المركز الأساسي للتصوير ، قد انتقل مد القرن الثامن الهجري « الرابع عشر للميلاد » الى ايران . وأن تاريخ التصوير في هذه المرحلة يكاد يكون وفقاً على التصوير الأيراني الذي استقت منه أساليب أخرى في الهد وتركب .

وهكذا يبدو صحيحاً ما جاء به الأستاذ (مارتن كروي) من أن امتداد معوذ مدرسة الرسم العبادي ، قد أكد تسميتها به « المدرسة العباسية الدولية » .



نشأة التصوير الإسلامي في بغداد

تتبع ندرة المصادر المصورة في مقدمة الصعوبات التي تواجه الباحث في تاريخ المدرسة العبدادفة للتصوير . فقد تعرضت عداد لكوارث العصابات والمخاطات والعرو والخرائق بما ذهب بالكفر من كوز حصارها وروائع عدها العسكري والعقي . وحامدة الكع المصورة التي لم يصل البامها سوى ما نداوله نظرات الناحين اليوم، من كتب واوراق مصورة مشوهة ، وهناك في مكبات العالم . الأمر الذي يحملنا ، في كثر من الأحيان ، على الاستعانة بالأوصاف الواردة في كتب التاريخ للوصول الى دلائل كافية ومقنعة حول الاجراءات العبة المصورة . يضاف الى ذلك ما ورد من مصوص واحتفادات دينة ، أدت الى تكوّن شعور بالنفور من التصوير باعتباره الأثر الناقى من صور العادات القديمة التي عني عليها الاسلام ، وأران آثارها من دما الناس ، ثم تكبر لكل ما يدكرهم بها . ولولا وصول هذا العدد القليل من الكتب والاوراق المصورة البيا ، لما استطعنا التعرف على تلك المدرسة التصويرية الفريدة التي سجلت بدقة وأمانة . صورة جانية رائعة لحياة المجتمع العسادي في ذلك العصر

تشير المصادر التاريخية الى أن قصر المنصور الذي توسط بغداد المدورة كانت تعلوه صورة شكل فارس يتجه مع الرياح ، وبما جاء في وصف المناهي والبوت والقصور العبدادفة يظهر انه بالاضافة الى شيوع من القيصاء التي اشتهرت بها قصور واية عداد فأن الرسوم الخائطية لم تكن بالعربية على العبداديين بل كانوا يمارسونها في تزيين ابنتهم ودورهم ، فقد جاء في كتاب «الف ليلة وليلة» ما بعد بأن الخليفة هرون الرشيد رحرر قاعة شدها في حديقة قصره ععداد برسوم على سبط الرسوم السداسية وشير اس الجوري في (مرآة الزمان) الى ان الكاتب لعبدادي «علي بن اطلح» ببى دارا كبيرة رحرر حدرانها صور مختلفة . كما ان الحمامات العبدادفة كانت تملأ عبيها الرسوم الجدارية . فقد أشارت بعض المؤلفات الى حمام في عداد بناء شرف الدين هرون بن الورير شمس الدين الجويني كانت حدرانها مصقولة وتشمل صوراً آدمية متقنة مرسومة بالألوان الراهضة . وهناك الكثر من الشعر الذي جاء في وصف مثل هذه القصور تشير الى معاصر نقوش ورسومها ولعل سيرة البحري المشهورة خير مثل رائع لهذا الوصف . كذلك ما نلما من وصف قوارب عداد النهر في عهد الخليفة العاسي الأمين . فقد كان قسماً منها بأشكال حيوانات مختلفة ، كما ان ما جاء من اوصاف الدح في انقصور ، أن اشجاراً وطيوراً من الذهب والعصا استعملت في بهرجة قصور الخلفاء حتى كانت طيور هذه الاشجار تعرد عند هبوب الرياح وما جاء وصفه وعرضه عند زيارة الموقدين من الروم الى قصر الخلافة من وجود نماثيل عرسا شاهرة السيوف . الح كل هذه دلائل بل ظواهر تميزت بها الخواصر الكبرى لاطهار أبة السلطة وما يتصل بها من ترف وسع ، وهذا ما طلع بعرض وجود طقة متفوقة من الصاع والفدين المهرة على أن الأدلة المحوسة التي يمكننا ان نتلمس منها الشكل المادي للرسوم العبدادفة قد ظهرت ل في اكتشافات وحفريات الثقب التي قام بها هرنعيلك في سامراء . وهي بالنسة لطاخمها وحصائصها ، توصح لنا ما لم يعثر عليه في الآثار العبدادفة المصورة التي طمرها العضان وانلقها الحريق يسما طلت الأولى بعيدة عن مثل هذه العوامل ، غير أنه

جنة عدن فرحته رنة النخيل
 راجبات ما زه وهنالك صليت
 خديجة مرقى باسمه وقوله



معالة الشيخ ربح الله الولى وجبراله العالى

من المؤسف ان تكون هذه الاكتشافات التي قام بها الحفافة الأثاري هرتميل قد وقعت في أيام الحرب العظمى الأولى
إذ ان الصور التي عثر عليها في سامراء لم يبق منها الى اليوم شيء يستحق الذكر عدا قطع صغيرة في متحف الدولة بباريس
وفي لندن ، وهي رغم قلتها توحي لنا ملامح من خصائص هذه الرسوم . وتقرب هذه الخصائص من المدرسة
العبادية التي ظهرت بعد ذلك وتكاملت بتموق في القرن الثالث عشر الميلادي

ولقد أشار أحمد تيمور في فصل سامراء (الحث عن التصوير على الجدران) الى هذه الاكتشافات في حبه فقلنا عما
كانت جملة لغة العرب العبادية . وهي نصف التقيبات التي قام بها الاستاذ هرتميلد الألماني في آثار (مر من رأى)
حين ذكرت به انه عثر بين دفتين اطلالها على آثار المجد الخامع الذي ساء المتوكل حيث شوهد في بقايا الدور عرف
وابهاء رست جدرانها تصاوير مشرقة بين باردة وعائرة في الجص وصور ملونة للأعمى وغيرهم بدعة المثال حافظه
لمجدتها على غير الرمان . ويتضح من هذا الوصف ما ذكر حول هذه القصور وأشار اليه ياقوت في معجم البلدان عن قصر
سمي «المختار» كان يحوي صوراً صجية منها صورة يعة فيها رهاا

انني اقال العاسير حتما نشر الى المصادر التاريخية، على استخدام التصوير في تزيين جدران مجالسهم وايواناتهم
ما يؤكد ازدهار هذه الفنون ورقيها في تلك الأرماء ، فلقد جاء في قصص «الف ليلة وليلة» دلائل متفرقة بهذا
الخصوص

وسمى الأستاذ إنكهوس إلى أن اكتشف الآثار التصويرية في سامراء يعتبر علامات دالة لما لم يكتشف في بغداد
من أعمال تصويرية صاغت معالمها بعد أن نالت الأحداث على هذه المدينة ، ولم يجر حتى الآن تحطط علمي لأجراء
عمليات التقيب الأثرية فيها .

وهو يرى في رسوم سامراء التي عرصها هرتميلد اصحاباً بصورياً لفصص ألف ليلة وليلة غير أن تلك الرسوم
الخاطئة ، لم تكن لوحدها الشاهد على من تلك الفترة الرمة . بل أن الحرف المصور الذي كان يعد نفس الأسلوب ،
كان شاهداً آخر يضاف إلى ما سبق .

ولا شك في أن من سامراء ، يعتبر استمراراً للفن الباساني في بيئة الإسلامية . وهذا أمر لا يحتاج إلى التعمق في
بحث مدى تلك المؤثرات ، ذلك لأن البيئة الإسلامية الجديدة ، اعتمدت على الأساليب التي توفرت لديها من الحضارة
البلغة ، وهكذا استطاع المهرة من الصانع والفنان أن يمزجوا بين ما ورثوه عن أبائهم وبين متطلبات البيئة الجديدة ،
فأبدعوا فناً له مقوماته وطابعه الذي يألف وروح الحضارة الإسلامية .

وقد جاء امتتاح الدكتور حس الشاشا عن طراز سامراء وعرضه لما ارتأه الاستاذ ركي حس وأحمد تيمور توكيداً
لهذا الرأي إذ قال .

«والحق أن طراز سامراء الذي يمثل في المتحف التي كشفت عنها الحفائر ، لا يمثل طراز مدينة واحدة ، وإنما
يمثل الطراز الذي كان سائداً في مراكز الخلافة العباسية في ذلك الوقت كبغداد وغيرها من المدن الهامة ، والذي أخذ
يتشرب بعد ذلك إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي» .

وهذا لا بد لنا أن نشير إلى حلقة هامة تصل تطور الفن الإسلامي وتؤكد الثقاء نقاط التأثير المتبادل في حقل الفن
التصويري بين بغداد والعامرة في العهد العاطمي فقد أشار المؤرخ الكبير المرحوم ركي حس في كتابه الصيم ككور
العاطميين إلى مثل هذه العلاقة بقوله

«وعلى كل حال ، فقد كانت القاهرة في القرن الخامس الهجري مركزاً رئيساً للصاعات الفنية المختلفة . ومن
المحتمل أنها كانت تصدر إلى كافة أنحاء الشرق الأدنى كثيراً من المخطوطات الذهبية والمصورة»

كما أن هناك تشابهاً في الطابع ونقارناً في الأسلوب بين من سامراء وما وصل اليه من التصوير العاطمي في مصر وقد

انصح هذا التأثير بعد أن ترك أحمد بن طولون سامرا. وحل مصر في سنة ٢٥٤هـ ٨٦٨م ليكون من بعدها حاكماً مستقلاً لتلك البلاد. وإنه وإن لم يثر على آثار طولويه من الصور، إلا أن المصادر التاريخية تشير إلى اتحاد بعض الطولبيين للصور والتماثيل. كما ورث الفاطميون هذا الطراز وأولوه من عائلتهم ما بهن به كفن إسلامي متميز في حوض البحر المتوسط. ويعد اندارس في القوش الجصة المرسومة على جدران الحمام الفاطمي التي عثر عليها في عام ١٩٣٢م وعرضت في جناح من دار الآثار العربية، دلائل واضحة على تأثير الرسم بأسلوب الفن العراقي، هذا الأسلوب، الذي انتقل من مصر الفاطمية عبر البحر الأبيض المتوسط إلى المرمو في صقلية.

ولقد أسهمت القاهرة لتلكات بعد انتهاء الحكم الفاطمي بها، ودمرت كثير من كورها الفنية وآثارها الخشبية على أن القامات المتجددة للعائين، سرعان ما تودعت وانتشرت في بقاع أخرى من البلاد العربية والإسلامية. وشير ملك عباد في مؤلفه عن الفن الفارسي إلى أن بغداد ظلت محتفظة بمكانتها الأدبية والفنية حتى استطاعت أن تجتذب إليها أشهر الفنانين وأمهري الصناع. كما سجل الدكتور ركي حس في فصل عقده عن المدرسة البغدادية وسقوط الدولة الفاطمية، بأن هذا الحدث كان إنداءاً بالتفكير كثير من فاني مصر إلى بلاد الجزيرة حيث أصبحت بغداد مركزاً للفن والكتب.

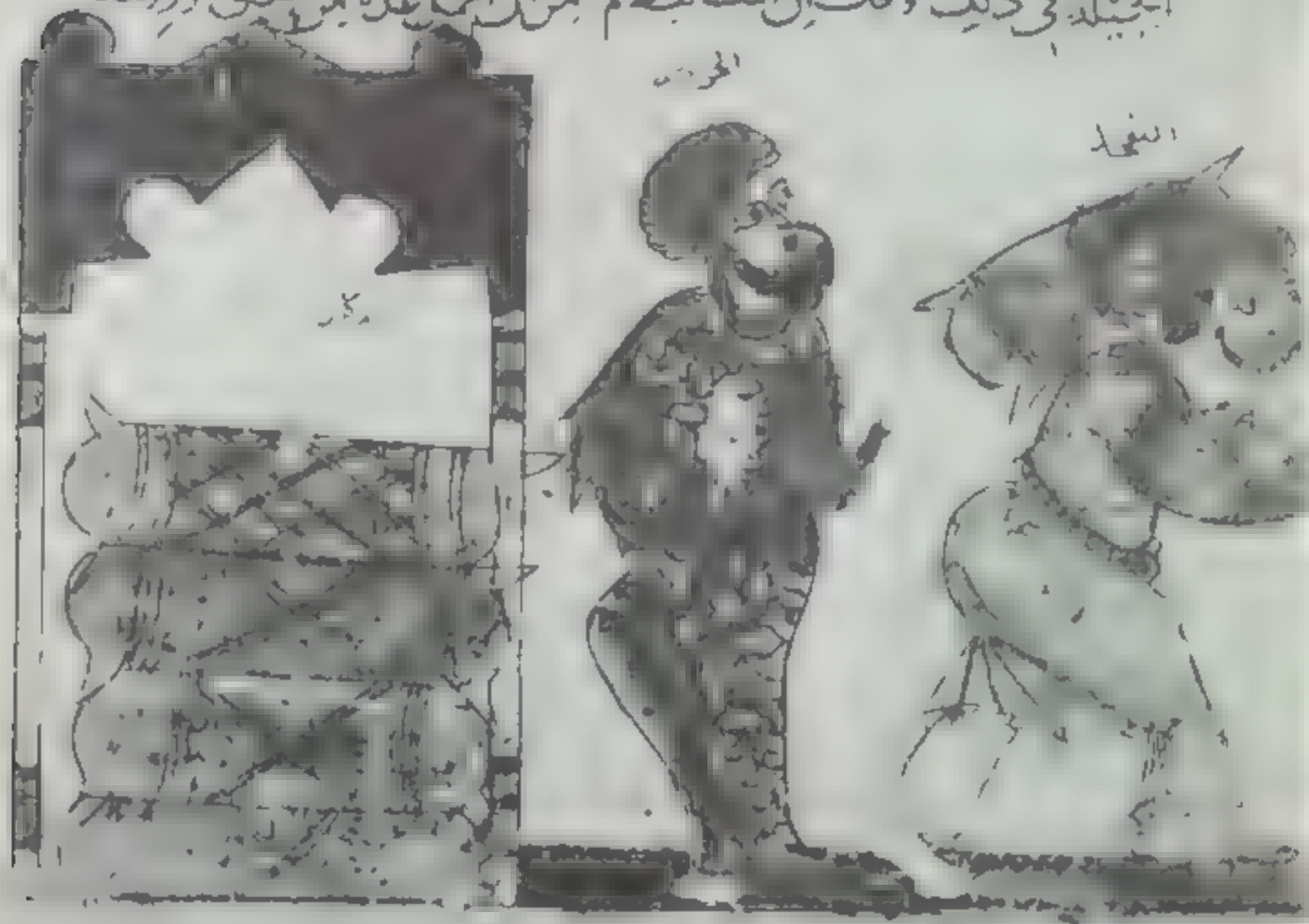
لقد حصل الفنان كما شيع أغلب المصادر التاريخية — على كثير من الأمتارات الأدبية والأحماة يومذاك، ونتيجة للعروض الحية التي كان يعاها من رجال الدولة ودوي اليسار من الناس، ارتفعت أجور عمله ومنه شأنه. وبعل هذا أشار إليه المقريري عن كتاب «طبقات المصورين» المفقود والذي قال عنه أنه كان يسمى «صبيوة البراس» وأبىس اخلاص في أخبار المروهم من الناس «ما تلقى الصوة على اهتمام الحاكمين بالفنانين أساك» فقد تحدث عن ماضية بين مصور جاء من العراق بدعوة من الوزير الفاطمي وبين مصور آخر من القاهرة في منتصف القرن الحادي عشر. وفي هذه الحادثة إشارة واضحة إلى دعوات الفن التي كان يلقها الصابون من الأمراء والوزراء لربادة بلد عربي أو إسلامي بعينه والعمل به.

ولابد لنا قبل أن نعمل في البحث عن مظاهر الحياة الفنية في بغداد، إلى ذكر دور الكوفة ومدرستها، فقد أوضح المشرق الكبير لويس ماسبيون أهمية كيان هذه المدينة في عالم الحضارة الإسلامية وبصورة خاصة في التصوير الإسلامي. حيث جاء في مقال له بعنوان «الكوفة الوسط الأصل لبدهم من التصوير الإسلامي» استأجه بأن هذه المدينة تشكل نقطة البداية في تطور الفن الإسلامي الذي امتد حتى شارب مدرسة بغداد للتصوير.

عاشت المدرسة البغدادية للتصوير في الفترة التاريخية الواقعة بين القرنين السادس والثامن الهجريين (١٢ - ١٢٢م) وازدهرت في نهايتي القرنين السادس والسابع الهجريين. وعاشت حقبة من الزمن اندسه المعولة والتصوير وسها تعود أولى المصادر الإسلامية التي وصلت إلينا في فن التصوير وتروى الكتب. وبالرغم من أن تلك الآثار قليلة لم تكن كلها من إنتاج المصورين البغداديين، إلا أنها إسمت طابع هذه المدرسة وبأثرت بها، وحبرت أساليبها. وشير الأستاذ ركي حس إلى هذه الظاهرة بقوله «كان هذا الاتح في ديار الإسلام متأثراً بالأساليب التي ردهرت في مركز الخلافة على النحو الذي نعرفه دائماً في تأثير معظم الأنظمة بالطرز الفنية التي تردهرت في الحواصر وبدبع منها إلى سائر بلاد الدولة أو الامراطورية».

إن العمل المنودحي الكامل لهذه المدرسة، وصل إلينا في مجموعة من الصور الوضعة الدقيقة التي سجلت بكنهى الدقة والموضوعة، مشاهد الحياة العائية في الربع الأول من القرن السادس الهجري (١٢م) وهذه الصور التي رسمها الفنان البغدادى المديحى بن محمود بن يحيى الواسطي لمقامات المقريري، عارالت مدار بحث الدارسين ومنهم إيجاء للفنانين. فقد أشار المشرق الفرنسي ماسبيون إلى أن تصويوات هذه المقامات تعتبر من أرفع الرسوم المصورة

فَأَشْنَأْجِرْ لَهَا مَا وَجِبَ لَهَا مُشَاهِدَةً مَا قَبِلَتْ وَكَانَ لَهَا مَا مَرَسَتْ
 الْمُسْرِكُ مِنَ الْحَيَاةِ فَاصْطَدَّ فِي نَفْسِهِ أَنْ تَشْرُقَ عِدْلًا مِنْ عِدَالٍ رَفِيفَةٍ وَمَكَزَ
 الْبَيْتُ فِي ذَلِكَ وَقَالَ إِنْ أَنْتَ لَيْسَ لَمْ أَمْرًا لِحَا عِدْلًا مِنْ عِدَالٍ أَوْ زَمَنَةً



سُورَتِي وَلَا أَعْرِضُهَا فَدَعَا بِي بَطْلًا فَلَمْ يَدَأْ وَأَقْبَاهُ عَلَى الْعِدْلِ الَّذِي
 صَمْرًا ثُمَّ أَعَادَ إِلَى مَرْبِهِ مَجَارِفَةً جَدِيدَةً لَكَ لِيُفْعِلَ أَعْدَالَهُ فَوْضًا بِأَ
 شَرِّكَهُ عَلَى مَقْدَرِ الْعِدْلِ الْفَعْلِ إِنَّ لِي مَهْدًا زِيَارَةً لِي وَلَا أَتَشْكُرُهُ إِلَّا وَدَّ

الموجودة اليوم . وتعد هذه المجموعة بمشاهدتها المختلفة ، وهما الأدي وكويها الفني المثال الأسلوبى الأعلى لمن التصوير الإسلامى فى بغداد ذلك لأنها سجلت فى تصوير الكامل القائم بين الإنسان ومجتمعهم فى القرون الوسطى ان مقامات الحريرى (١) تؤلف مجموعة من القصص التى تميزت بدقة الملاحظة وحرارة المسادة والخيال الخصب وقد اكتسبت هذه المقامات كما اكسب مؤلفها القاسم بن عبي الحريرى ، شهرة عربية ومكانة عالية فى الأدب العربى لما حوته من عرص وتحوال وتعلم فى البيئة والمجتمع الإسلاميين ، ذلك أن « أمارد السروحي » يروي قصصه باسم « الخارث بن همام » أحد أثرياء العرب ، ثم يورد الحوارات التى شاهدناها بنفسه عندما كان يجوب البلاد ويلتقي بصوف الناس مخبراً بروح المجتمعات الإسلامية كاشفاً عن حقايق الناس فيها .

ولعل رسوم الواسطى التى أوضحت تلك المشاهد الأدبية بالصورة ، كانت أصدق تعبير وأوسع دراسة مباشرة للمجتمع الإسلامى وطبقاته المختلفة آنذاك ، وهى تاتى حيز وثيقة مادية ساعدتنا على التعرف تلك المجتمعات بطريقة لم تمكن من تحقيقها عن طريق النصوص الأدبية والتاريخية الواردة فى نأليهما العربىة . وتمثل تصورات الواسطى أسس إنتاج عرقة بغداد واقترن باسمها ، وهى شواهد قيمة رفيعة ، تنبئ بما كانت عليه هذه المدينة من رقي اجتماعي وفكري ، وشير الى مكاتبها النالة فى حفل العيون الجميلة الي حدث روح تلك الحضارة ، وجمعت بين مظاهر الحياة فى المدينة والريف .

يطلق الفنان العراقى شاكى حسن سعيد على هذا الأثر العيس بقوله :

« وقد توفقت رسوم الواسطى فى تصويرها الاجتماعى فى الفن لخلق عالم شكلي حق »

ويقول ديمارد عن نسخة المخطوطة المروسة فى المكتبة الأهلية بباريس « إن صورة هذه المخطوطة سبعة ورائعة جداً » .

أما الجانب التشكلى فى هذه التصويرات فيتميز بطابع المخطوطات المدادية السفة لها رعباً ، وهو الرمر للأرض بالخط الأقي ، وتزييه بالرسوم السابة الاصطلاحية ذات الرؤبة الزخرفية . وحلو الصورة من الخلفية ، وأحياناً نسب من الأشخاص فى التصاوير .

ولأن لنا أن شيرها الى أن نسخة مخطوطة بارس لم تكن هى النسخة الوحيدة الناقية من هذا الأثر العيس ، فقد وصلت إلينا نسخة أخرى من مقامات الحريرى هى المخطوطة المحفوظة الآن فى متحف ليمبراد ، وتنقسم مجموعة من الرسوم الرائعة التى تحمل شخصية المدرسة المدادية وأسلوبها المتميز ، غير أن هذه النسخة لم تلق نصيباً من التعريف كما لقيت نسخة مخطوطة بارس التى اطلعت عليها مختلف الأوساط الفنية فى معرض الفن الإسلامى الذى أقيم فى تلك المدينة عام ١٩٣٩ ، وتناقلت الكتب والمطبوعات الفنية المختلفة فى العالم مادح مختارة منها وبالرغم من التشويه الذى أصاب صور الأشخاص فى هذه المجموعة ، برسم خطوط حول رقائها ، إلا أنها لم تفقد روحها وجمالها .

وهناك نسخ أخرى مصورة للمقامات قد تعود إلى إنجرات هابى عراقين خارج بغداد ، منها ما يرب إلى الموصل ومنها ما يرب إلى ديار بكر كما فى المخطوطة التى اكتشفت أخيراً لهذه المقامات ونشر عنها أوليك كرامر بحثاً فى كتاب « الفون الشرقى » . ويظهر عما نشره هذا الباحث أن هناك عشر نسخ من مخطوطات مقامات الحريرى معروفة حتى

(١) المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ٥٨١٧ عربى — تضم هذه المجموعة (٩٩) صورة عيس ٣٧ سم × ٢٨ سم . وقد أجمل ما وصل إلنا من نسخة بغداد ، ذلك لما فيها من قوة فى التعبير وده فى الملاحظة وبيحة فى الألوان ويرعى فى التخطيط ، وهى تصلح أن تكون لوحات لمصورات كبيرة أكثر من كونها تصاوير مخطوطات

الآن (١) ، ويؤمل أن تجمع في المستقبل لتكمل شروطها في جعل الدراسات العلمية ثم تأخذ مكانها في مصاف الاجازات الفنية التي يحتويها تاريخ الفن الاسلامي .

أما الكتب الأدبية المصورة التي وصلتنا من تلك الفترة التاريخية الفنية بالانتاج ، فأبرزها كتاب « كليلة ودمنة » الذي ترجمه ابن المقفع عن الأساطير الهندية وأصاف عليه ثلاثة أبواب في سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) . ويعتبر هذا الكتاب من أقدم النصوص الأدبية التي ريت رسوم الحيوان والطبيعة على نحو شعري لا يمكن أن يجد المرء له مثيلاً إلا في متدعات الدهة الشرقية الأصيله

وبالرغم مما أشار اليه « بلوست وساكستان » من وجود نسخ من كتاب كليلة ودمنة تعود الى القرن الثاني عشر الميلادي ، إلا أن الدليل القاطع ، لم يعم حتى الآن ، على صحة هذا الرأي الذي ذهب اليه أيضاً ، الأستاذ « اربول » في كتابه « دراسات في الفنون الإيرانية » .

إن مخطوطة كليلة ودمنة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس والتي يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٢٣٠م تشتمل على (٩٨) صورة من بينها ست صور أصيبت اليها في القرن الثالث عشر وهناك نسخ أخرى من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية ، بينها نسخة غير مؤرخة كما أن جامعة اكسفورد تحفظ نسخة من هذا الكتاب يعود تاريخها إلى سنة ١٣٥٤م . وهناك نسخة واحدة في مكتبة « بودليان » تصم (٧٦) صورة ، ونسخة في مكتبة ميونخ ، ونسخ أخرى متفرقة منتشرة في مكتبات الجامعات ، والمجموعات الشخصية

يشير « ديماند » إلى المجموعة المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس قائلًا « إن هذه المجموعة تعود إلى مدرسة بغداد التي عرفت بمخطوطاتها المصورة واشتهرت بها في القرن الثالث عشر الميلادي » ويرى آخرون أن رسوم كليلة ودمنة تشابه رسوم الواسطي وسب اليها أما علامتها الموضوعية ، فهي موصولة بالبيئة العراقية ، والأسلوب العدادي . على أن قسمًا منها يعطى عليه صفة الأنساب إلى أسلوب « الموصل » في شمال العراق ، عدا ما هو واضح من أنساب البعض الآخر إلى المراكز الفارسية .

ويعتبر كتاب « الأعالي » لأبي العرج الأصمائي ، ثاني الكتب الأدبية الشهيرة التي عي تزويقها بصور من مدرسة بغداد وقد أفاض الدكتور شرف فارس في الحديث على هذا الكتاب ، وتوصل في أبحاثه إلى استنتاجات على جانب كبير من الأهمية العلمية .

وفي رسالة نشرها المجمع العلمي المصري تحت عنوان « سوانح مسيحية وعلامات إسلامية » ، يؤكد الدكتور شرف فارس على التعارب الكبير بين البيئة الإسلامية والمسيحية في المجتمع الاسلامي ، مددًا في ذلك إلى دراسة مقارنة للرسوم الأدبية ويتضح معبومه لهذه المدرسة فيما أشار اليه حول حول الانقلاب إلى النهج الاسلامي في التصوير ، في الفقرة التالية من كتابه « سر الزخرفة الاسلامية » :

« وعد هذا الانقلاب ، تحول الفن الاسلامي ، غير متدد ، عن حو التأثيرات ، وكان قد انحرف إليه هذاه منه شيئاً دليل ذلك المسميات الراجعة الى الأسلوب العربي المعروف بالعدادي ، السابق لدور التصوير الفارسي وهذه المسميات التي تعصد الى تزويق الكتب وتزويقها تثير واقعية حادة ، في عبال الخان ، وتندس في أثناء المواضع الدينية ورعاً صادقاً ، على أنها مشتقة من أصل هندي توطى أرض سوريا وما بين النهرين هصار سامياً ثم تراكم ماؤه وتطرح ها وهناك قبل الاسلام ، وقد عدته على مدار السنين فورات من بابيع الفن المسيحي الشرقي خاصه ، حتى انتهى الدفقان إلى المزاج العربي ، فتجدد على يديه . »

(١) أشار الأستاذ كرامران إلى أن به جامعة ميشغان منخره الآن ال تصوير مجموعة كليلة لهذه المخطوطات وعمد دراسة مقارنه لها جميعاً

خسادم ورسیده است و غرنه عیب زد و است و نو و حرناس و...



و این است از این و غرنه عیب زد و است و نو و حرناس و...

على أن هناك كماً مصوره أخرى ترجع في أساطها ، وأساليبها إلى المدرسة العبادية من ذات كتاب « الآثار الباقية » لليروني المؤرخ في عام ٧٠٧ هـ والمحموط في جامعة أدنبره .

ولعل الرسم يأتي الجديد من كشف الدارسين والباحثين في حفل المخطوطات التي طلت باقه حه رغم الكودوث التي حلت ببغداد ، وحواضر الشرق الاسلامي

وعلى ضوء هذا الاستمرار في الدراسات العلمية ، واستحداث مؤرخي الفن الاسلامي خاصة ، يظهر لنا أن «تراث العبادي قد أسثر في أنحاء مختلفة من العالم الاسلامي فقد استعانت سمرقند بصابين من بغداد ، وامتد نفوذ المدرسة العبادية إلى أواسط آية بعد أسلاء المعول على العراق ، فأنثرت بها مدارس محلة مختلفة أخرى نمت بظاهها الاسلامي ، واختلفت في أساليب حراجه على ضوء التطور المجتمعي والانهجيات الجديدة في التعبير ، يمكن أن يلمح الباحث المتأمل في الآثار التصويرية لمدرسة بهراد والمدرسة النصفونية مثلاً

ولقد كان لنفوذ المعولي أثره الواضح في ملعل الأساليب الفنية وامتدادها إلى الشرق الأقصى ، وخاصة بلاد الصين ، حيث تبادلت التأثيرات مع اساليب الفن الصيني ، وفتح من ذلك وصنع مخطوطات مصورة كثيرة يمكن أن ندخل في إطارها كتاب « منافع الحيوان » لابن حبيب ، ومخطوط من كتاب « جامع النوارع » للوزير رشيد الدين ، ومخطوط آخر لكتاب « كيلة ودمنة » ،

وكان من تأثير «فن الصيني» الرسم بلون واحد متقارب ، واتسام رسوم الأشخاص بالصب الصبغة ، ومراعاة النسب في رسوم الحيوان والأساس ، وظهور بعض الحيوانات الخرافية في تلك التصويرات وسدو تأثير «فن بصي وأصحا في تصوير الأشجار الزاهرة والمناظر البصعة الجميلة ، وفي مشهد الفصل العراقي التي سرع إلى روح المواقف الصوفية وتمد عن لايجاءات الخفية ، يصف إلى ذلك فهم الفنان لأسرار اللون وبراقته في مزجه ، وأخيراً قدرته على التعبير عن الحالات النفسية المختلفة .

مميزات فن التصوير البغدادي

عن سبيله موبله من دراسات الأكاديمية التي تناولت بالبحث المنهض ، جوهر التراث التصويري لمدرسة بغداد ، ثم التوصل إلى نتائج علمية على حد كبير من الأهمية حددت على صونها ، الخصائص الاسلوبية والفنية لتلك المدرسة ، كما سلوت ملامح شخصيتها التي طلف سن طوان ، مدار جدال بين مؤرخي الفن والباحثين والمشتغلين وقد انصح بكثير من هؤلاء ، أن الفن التصويرية لمدرسة العبادية ، لا يمكن أن تدرس بمعزل عن الأحوال الروحية التي أحاطتها ذلك لأن ذلك العلاقة الغائبة بين (الشكل) «بدي يذهب البصبة الجمالية» تظهره تلك الآثار التصويرية وبين المصوم الداخلي الذي يمثل الحس الباطني للفنان التشكيلي البغدادي ، لا يتم طريق الاستقراء اسطحي لتلك الآثار ، وإنما يتم عن طريق ربط علاقات بدقيقة لغائية بين ما هو « شكل » يتناوله النظر وما هو « افعال » داخلي روحي ، يتركه الأحاسيس المزهف .

ومال رغم ما ذهب إليه بعض المشرقين من أن الفن الاسلامي في هذه الفترة ، لم يحصل كلاً من التأثيرات الهلنستية ، إلا أن الدراسات العلمية المقارنة التي تناولت بالمحصص جميع الآثار التصويرية لتلك الفترة ، وعلى الأخص آثار المدرسة العبادية أظهرت بطلان هذا الرأي ، وأكدت تمتع فن التصوير البغدادي بمميزات المدرسة اكتملة ذات الشحنة المفعلة

يشير عصر «التسطح» من العناصر التشكيبية المعيرة لتراث التصويري الاسلامي في بغداد ، وهو بهذا متعدد عن الأسلوب اليوناني والهلنستي الشرقي ، لأنه إنما سعى «لخلق عالم تشكيلي خاص به ، ويحبر عن مفهوم إجماعي كما ورد

في الدراسة التحليلية التي وضعها الفنان العراقي شاكِر حسن سعيد عن الخصائص الفنية والاجتماعية في رسوم الواسطي «
ين استعمال المنظور الذي عرفه المدارس العربية ، فصار واحداً من خصائصها البانية الأصلية . يعتبر لخط العنق
العازل بين الأسلوبين الشرقي والعربي هي حدود إطار اللوحة ، وخط الأرض لأعلى ، يوفق الرسام العدادي به كما ،
وإحساس مرهف ، إلى أن نقل لنا صور حياة المجتمع الشحي عبر هذه البومات المصورة العريضة دون اللجوء إلى
استخدام المنظور والظلال لإظهار الأبعاد والأعماق وإنما باستخدام اللون والاضواء حسب ذلك لأن لا بعداً عن
المنظور الواقعي المجسم ، هو أقرب إلى الروح الإسلامية التي نبعث من مثيل الطبيعة تمثيلاً حقيقياً ، وتري في الانصباع
لتحديد الشكل المنظور أمراً يقره من مفهوم « الأضواء » وطراً لمالمصر اللون من أهمية مصوى في التعبير ، فقد صار
الشخصية الأولى في تصورات الفنان العدادي ، الذي سعى إلى ترجمة الأشياء الروحية إلى ما يشهده الرمو .

لقد أدرك الفنان الراحل حواد سليم أهمية اللون في رسوم الواسطي فحس في مذكراته هذه الاكتشف
« ومن الأمور التي أهدت المصورين الأفريسيين إفادة عظمى ، دراستهم للصور الشرفية دراسة عميقة والمعروف
على ألوانها الزاهية وكيفية استعمالها حدد كل الصور الشرقية من بلاد الشمس المشرقة إلى أفريقية حتى الواسطي
أعظم من ظهر من المصورين في العراق التي تدعي أنها عديمة الألوان — بلاد الحب — إنه حطها بصوره وألوانه »
ثم يشير الفنان الراحل إلى رسم « القافلة » بقوله :

« إن صورة مثل مجموعته جمال ، وجمال العراق يعرفه جداً ، لا تعدى لونها عن لون الرب ، فلو صرنا هذا
العقري العظيم ، كل جعل بلون يتناسب مع اللون الذي يجانبه »

على أن القابلية الإيجابية والحبة للصور واللون — باعتبارها من المعاني الأصلية في التراث العدادي — تتع وتمتد
كلها أمس الرسام في تسجيل صور الحياة اليومية وتتجلى مهارته الفائقة في تصوير الجموع وحركاتها ، والتوزيع في رسم
أوضاع الأشخاص ، بحيث يستطيع الجمع في صورة واحدة بين أكثر من حركة وحادث — وتبدو التقايد الوصفية
المشتركة في التصاوير الإسلامية عامة ، واضحة وصوحاً تاماً في رسوم هذه المدرسة أيضاً — ويعلو عليها الانشواء الطعني
دي السعديين ، وحلو الأرمية الخلفية من أي خط أول — وتحقق رسم الشخص المهم في الصورة بحجم أكبر

لقد برعت المدرسة العدادية في إبراز حياة المجتمع الإسلامي ضمن إطار شكلي خاص وهذا ما وجدناه واضحاً في
تصويرات مقامات الحريري التي سجلت ، عبر سبحات الحارث بن همام ، صور ذلك المجتمع ، طعانه ومظاهر عيشه ،
فاستطاع أن يعرف من خلالها على أساليب العمارة ، وأشكال الأرباب وألوانها وهوشها ، والأثاث ولوانم العيش ، كما
استطاع أن تمثل فيها صور الحياة المختلفة لذلك المجتمع ، كمحافل الوعظ والنقاصي والرواج وشييع الجنادر ودهن
الموتى وأسرار الولادة وقوافل السفر واستقبال رمضان ، إلى غير ذلك من المشاهد الراحرة بالحياة .

يجعلنا هذا أن نقل ما كتبه الفنان شاكِر حسن حول المحتوى الكلي لرسوم الواسطي ، فهو تلخيص للجوهري في
ذلك الامجار الفني الرائع

« ومن خلال مناقشته « أي الواسطي » الحيوية هذه ، كان ما بقا شكل حموعة تشكلاً (شاملاً) ليقطع لحظة من
حياة كاملة ، يجمع بين الإنسان والحيوان والنبات والجماد — لكأنه يقول ، بل يترجم لغة الفصية ما يقوله القرآن
نصفه الألوية « سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » فهو بهذا يظهر مجتمع الحياة ، والسحة المحلّة ،
ويجمع الإنسان مع بيئته ولا يفردة ، ليؤكد أهمية ذاته كما هو في مفهوم الفنون الكلاسيكية — وهكذا يلاحظ في
رسومه بعدد اختلافها في أنها لا تتركز على استنواء الطبيعة وحدها حكماً هو الحال في الرسوم الفصية ، بل ترمز لها
باصطلاحات رمزية ، كما أنها لا تصور الإنسان وتعي — أجزاء الجسم الفصوية ، ولذا رأى الكثير من القاد أن
هذه الرسوم زحرفه الطامع لما نجم عن التحوير الذي بصمته الصورة للطبيعة والأسلوب التخطيطي للحلقة والعمائر »

لقد ساهم المجمع العدادي ، من صممه من أقوام مختلفة ، في بناء الكيان الحضاري لتلك المدينة . وحين اتسعت آفاق المعرفة أمام كل الاجارات الذهبية للحصارات الأخرى ، تحرر جهد المسطاع ، ليعطي المجال لما تحقق من اجارات تلك الحصارات في المعرفة الأساسية القرينة مع والعدة عنه . وهكذا يبدو لكل باحث ، أن نشوء مدرسة عدادية للتصوير ، كان ثمرة امتزاج وتفاعل بين عاصر فنية مختلفة تتصل جذورها التاريخية بأعرق الحصارات الأساسية السومرية والآكدية والبابلية والآشورية ، حتى الحصاره الأساسية التي امتدت إلى الفتح العربي الإسلامي للعراق ، وتنتج من كل هذا عدم عداد دورها في بناء كيان مدرسة ما زالت تلمس في آثارها التصويرية قيم الفن العالية ، وروح المجتمع الأصيل .

أما أقدم المخطوطات المصورة التي سب إلى مدرسة عداد ، فيمكن ذكر أبرزها موحراً في الخلاصات التالية

* كتاب البطلرة : وهو مختصر رسالة لأحمد بن حسن الأحنف نسخها علي بن حسن بن هبة الله يعداد في آخر رمضان سنة ٦٠٥هـ (آخر مارس سنة ١٢٠٩م) وبصم هذا المخطوط — الذي تحتفظ به دار الكتب المصرية الآن ، (٢٩) تصويراً وصفت بأنها غير واضحة المعالم لعدم العناية بها . غير أن وجود نسخة أخرى نفس الخط مرية برسوم من نفس الأسلوب ، مكنت الباحثين من الاستدلال على أن تلك النماذج ، لم تكن نتاج حصارات سابقة ، وإنما هي كما يشير انيكوبس — نتاج وسط عربي إسلامي حديث ، وبهذه فية تظهر ملامحها بصورة واضحة في هذه الآثار التصويرية

لقد بعثت رسوم النسخة التي عثر عليها انيكوبس بقوة بعبارة ، وساطة تجعل فيها حساسية عالية ضمن من سطح لا يعبده . مختصر لعصره العدمي — على عاصر تكوينة مؤلفه من أشخاص وحيول ، تكون الأرض فيها على شكل خط ، ورسوم لأشخاص سجن وملامح محله شمسة . ويرى هذا الباحث بأن الرسوم التي صمها مخطوط كتاب البطلرة ، تلتقي مع — م كتاب — سائل إحوان الصفا « أسلوبياً ومثلاً معاً ، الخصائص الأصلية المميزة للأسلوب العدادي .

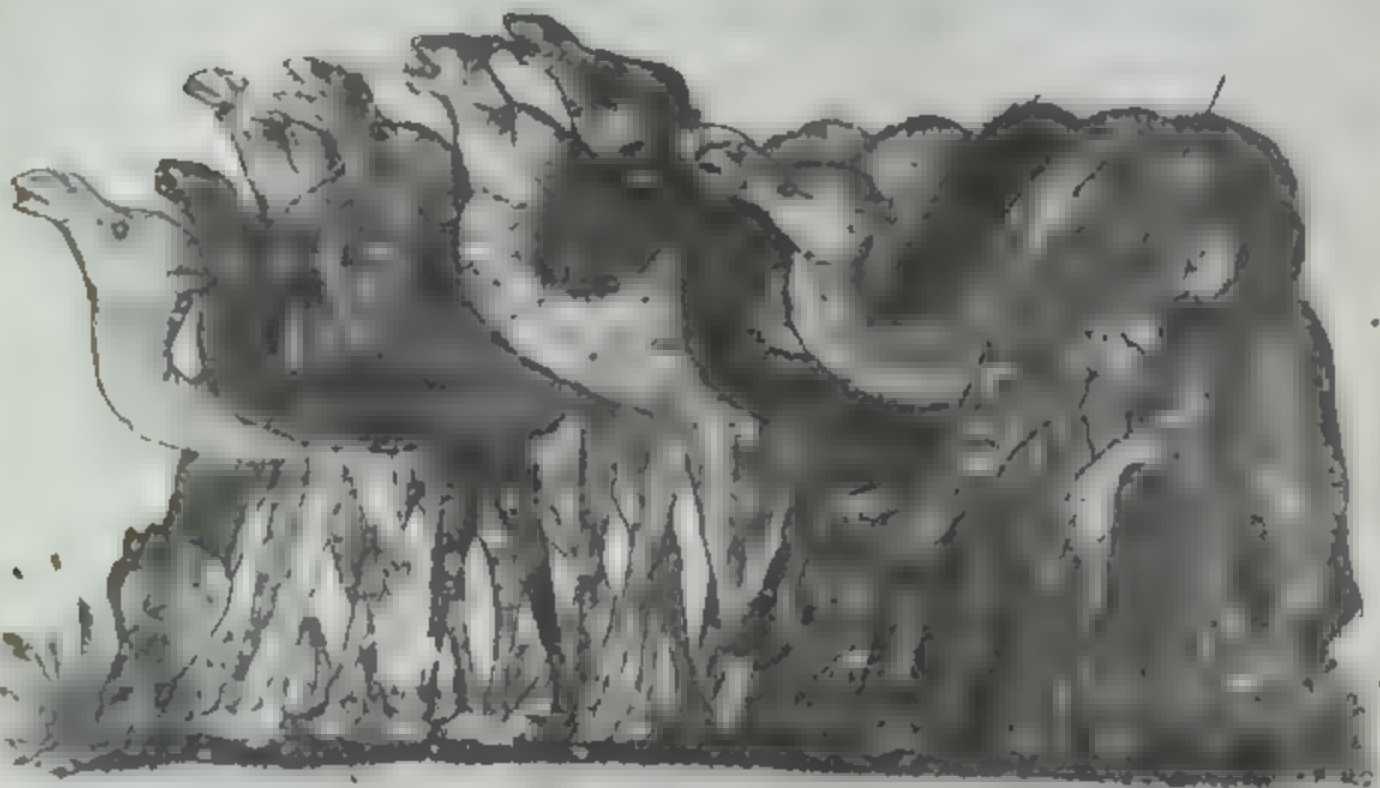
* كتاب التزييق لجاليوموس : يعتبر هذا الكتاب من المخطوطات المصورة التي يرجح نسبتها لمدرسة عداد أو المدرسة العراقية . وقد كتب الدكتور بشر فارس دراسة عنها في عام ١٩٥٤ ، كشف فيها عن العلاقات الفنية والأسلوبية التي تربطها بالمدرسة العراقية حيث جاء فيها قوله « وشعر ملامح هذه التصوير الأساس الصفا التي عرّفناها في نقوش سامراء . »

وبصم مخطوط هذا الكتاب المحفوظ حالياً في مكة الأهلل فارس والمؤرخ في سنة ٥٩٥هـ (١١٩٩م) (١٣) صفحة مصورة لأشكال البانات حصف على درجة عالية من التشكل والتألف والتلوين . حيث استعمل الفنان في تلوينها ثلاثة عشر صفاً من الأصباغ . وهناك مخطوط آخر لهذا الكتاب موجود في فيينا ، إلا أنه لا يواي مخطوطة باريس من حيث اتقان التخطيط والتلوين وقوة التعبير .

* كتاب الحشائش أو خواص العقاقير لديسقوريدس : يحفظ استاسول نسخة من هذه المخطوطة ، وقد كتبها وصورها عبدالله بن العصل ، أبرز مصوري مدرسة عداد في عام ٦١٩هـ (١٢٢٢م) . وهناك مخطوطات أخرى من هذا الكتاب صممت صور متفرقة منها مجموعات الدكتور زره في برلين والدكتور مارس مستكبولم ، وتوزعت المجموعات الفنية في العالم صورها الأخرى ، حيث يوجد قسم منها في متحف اللوفر في باريس والقسم الأخرى في متحف المتروبوليتان في نيويورك ، وهي تمثل أدوار تحضير الدواء . واستعملت في تصويرها ستة ألوان .

وقد عني الأستاذ هوجو مختال بأعداد دراسه وافعه عن هذه الرسوم وأصح بأنها تعود لنفس كاتبها عبدالله بن العصل ، أما موضوعات تلك الرسوم ، فهي صور الأطباء ، ومرآجل اعداد الأدوية ، والعملات الطبية المختلفة ونظراً للأهمية الفنية التي تطوي عليها رسوم هذه المخطوطة ، فقد أشارت إليها أغلب المصادر التي تناولت تطور

وَإِنْ شِئْتَ ارْغَفَ كُنِيَ الْبِرَاعَ فَنَاقِظًا رَّحْبَلِي الطُّرُوتَا
وَكَمْ مَشْكَلَاتٍ حَكِيمِ السَّهَائِفِ فَفَرَزَ بِكَفِي تَمُوسَا
وَكَمْ مِلْجٍ لِخَلْبِ الْعُقُولِ أَسَازَنَ فِي كُلِّ قَلْبٍ رَسِيلَا
وَعَدَّرَ أَفْتٍ بِهَا فَاشْتِي عَلَيْنَا لَشْنَا طَلِيفًا جَبِينَا



عَلَى لَيْلِي مِنْ زَمَانِي خُصِمْتُ بِكَيْدٍ لَا كَيْدَ مَعُونَ مُوسَا
يَعْرِضُ كُلُّ نَوْمٍ وَغِي طَائِمٍ لَطَامًا وَطِينًا وَطِينَا
وَبَطْرَقِي مَا حَطُوبِ الْبَنِي تَذِيْبُ الْفُؤَى وَلَسْتِ بِالْمُؤَوِّيَا

التصوير الاسلامي ، واهتم بها الأوساط العلمية منذ بداية هذا القرن ، وانعكس هذا الاهتمام بمرارة الحوث القيمة التي كرس لها ، والمعارض التي أتيح لها فرصة الظهور فيها ضمن الرسوم الاسلامية الأخرى وتنتمي رسوم هذا الكتاب أسلوبياً وتقارب مع رسوم كتاب البيطرة من حيث ساطة الأداء ، وتحديد الرسوم مخطوط خارجية ، وطريقة تمثيل الأرض خط عريض ، والرسم المحور للنات ، وعدم وجود خلفية وهناك نسخة أخرى من هذه المخطوطة ، نشرت عنها المستشرق فلورنس داي بحثاً توصل فيه الى الاستنتاج بأن هذه المخطوطة من أقدم المخطوطات المصورة التي وصلت اليها من مدرسة بغداد لمن التصوير

* كتاب الحيوان للجاحظ : لقد ضم هذا الكتاب مجموعة من الصور التي تعود ، أسلوبياً ، الى المدرسة العدادية لمن التصوير . ويرجع تاريخها الى نهاية القرن السابع ، أو النصف الأول من القرن الثامن الهجري (١٤١٣م) وفي المكنة « الأمروية » بمدينة ميلانو مخطوط من هذا الكتاب يضم تصاوير تعود الى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي أو الى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي .

* كتاب الخليل الميكانيكية أو « كتاب الخليل الجامع بين العلم والعمل » : ويقع هذا الكتاب الذي وضعه ابن الرزاز الجرجري في أواخر القرن السادس للهجرة ، في طاق الكعبة العلمية التطبيقية التي وصلت اليها بصورة بأسلوب المدرسة العدادية . وقد اشتمل على صور توضح أشكال الآلات الرامسة ، وطرق انقل والحركة ، وغيرها من الآلات المتحركة الأخرى .

* كتاب صور الكواكب الثابتة : وهو مخطوط وضعه الفلكي العربي المشهور عبدالرحمن بن عمر الصوفي . وقد عثر على نسخة منه تعود الى القرن العاشر الميلادي . ذلك الصفحة الأخيرة منها بهذا النص « كنهه وصوره الحسين بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد سنة ٤٠٠ هـ » .

ونعثر هذا المخطوط ، الذي تحتفظ به الآن مكتبة بودلين بأكسفورد ، من الوثائق المهمة التي تبقى الأصواء على حواش من التصوير الفلكي ، ما زالت خارج حدود اهتمام مؤرخي الفن الاسلامي وتتميز رسوم مخطوط الصوفي هذا ، بمقائنها الخطي ، وقدرتها التعبيرية على تمثيل الأشخاص ضمن إطار من الأجواء الاسلامية عبر مشونة بأي تأثير هندسي مما يسم تصاوير العهد الأموي الباقي في قصر عميرة والحير العربي في الأردن . وهكذا يبدو لنا ، أن سبيلها الى الأسلوب الساساني المتأخر كما جاء في البحث الذي نشرته مكتبة بودلين بأكسفورد — أقرب الى الصواب ، ذلك لأن الفن الساساني ، لم يق ساسانياً حينما انصوى تحت لواء الفتح الاسلامي ، بل أصبح إسلامياً في الروح والشكل ، وهذا يمثل الانتقال الكامل الى مرحلة المدرسة العدادية في فن التصوير .

هذه إلمامة قصيرة تناولنا فيها بالتعريف الموجز ، بعض وثائق المخطوطات المهمة التي سحبت وصورت في بغداد ، واكتت نتيجة لذلك ، طابع المدرسة العدادية وتقاليدها في التكنيك الفني والأسلوبي . أما القسم الآخر من تلك المخطوطات ، فقد تم سحبها وتصويرها خارج بغداد ، وحضعت لنفس التقاليد ، فاعتبرت ضمن حدود تلك المدرسة ، وصلت اليها . ولعل هذا اكتشاف من تلك المخطوطات حتى الآن ، ما يدعي الأمل في العثور على وثائق أخرى غيرها ، أو يوسع من دائرة البحث في الآثار المكتشفة منها فيصيف اليها المريد من الحفائق العلمية التي ستوسع أكثر فأكثر ، دور بغداد في فن التصوير ، وأثرها على مدارس الفن العربي خاصة والشرقي عامة .

المدرسة البغدادية الحديثة

لم نرث بغداد ، شأنها شأن الكثير من مدن الشرق العربي ، تقاليد فنية توصلها جذور من التصوير وتقاليد الماصية . فقد مرت هذه المدينة ، عبر قرون العزلة المطلقة ، بأشد عهود الجهالة ، والفقر الفني ، والأحساس الثقافي . ولم تحظ فترة الحكم العثماني ، طيلة القرون الأربعة التي سادت العراق ، أي أثر يديها من روح الحضارة العربية التي أفلتت نجومها

الراهرة بعد سقوط الدولة العباسية ، وتوالي عزوات الأتومات المختلفة عليها فيما أعقب ذلك من أحقاب
الآلة يمكن ، حين استعراض الفترة الحديثة من تاريخ العراق ، اعتبار نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن
العشرين ، أول بوادر التطلع إلى فنون التصوير الأوربي الكلاسيكية . فقد تمت بذور هذا التطلع في تركيا العثمانية ،
حين كانت تستلم أساليب الثقافة الأوربية — ومن التصوير واحد منها — عند اتصالها المباشر بأوساطها ودولها آنذاك .
وانتقلت هذه الدور ، بحكم المطلق التاريخي إلى بغداد ، عن طريق رسامين هواة ، كان التصوير يؤلف جانباً ترفيهياً من
جوانب حياتهم الشخصية . فقد تعلموه في المدارس العسكرية ، وصار نرفاً يرأوله البعض ويجموه البعض الآخر .
وكان عد القادر رسام ، ألمع الفنانين العداديين في تلك الفترة ، بل وأكثرهم أصالة ، وأعزهم إنتاجاً . فقد ترك
لنا هذا الرسام — منذ حوالي عام ١٨٩٠ — مجموعة كبيرة من اللوحات الفنية التي أنتجها بين الاستانة — حينما كان
صاحلاً يعمل في الجيش العثماني آنذاك — وبين بغداد ، بعد أن أحيل على التقاعد ، وظل يعمل في ظل ظروف اقتصادية
وصحية صعبة ، حتى وفاته في عام ١٩٥٢ وقد أشرف على التسعين من العمر .

كانت أعمال هذا الرسام الانداعي ، تقع تحت انجذاب سحر الطبيعة الغدادية الخلاب . وبما كان يتقل من ضفاف
دجلة التحلية الظليلة ، إلى معالم المدينة ، كل يسمي تسجيل صور المراقب المقدسة ، وبعض المشاهد التاريخية المعمارية
كدليل على ولائه الروحي لهذه المشاهد أولاً ، وروعته للتعبير عن الشخصية الكاملة لعصر « المناظر الطبيعية » التقليدي
ثانياً . إلا أن عد القادر رسام ، لم يقتصر في أعماله على رسم الطبيعة ، بل تناول رسم الصور الشخصية « البورتريت »
أيضاً . ثم اتجه إلى مرحلة الرسم الجداري ، ليبرز باللوحات الزيتية الكبيرة — كما أشار الفنان بوري الراوي في
كتابه « تأملات في الفن العراقي الحديث » — جدران إحدى قاعات السيماء الأولى في بغداد ، والتي رالت معالمها الآن ،
بعد أن أتى عليها العمران الحديث .

وتعددت شهرة هذا الرسام بغداد واستأول ، حين احتفظ متحف برلين — كما أشار المصدر السابق — بلوحة
من لوحاته التي فارت بالجائزة الثانية في مسابقة دولية .

وبن ، حين يؤكد ذكر هذا الرسام ، ونلقي الضوء على أهمية الدور الذي لعه في فجر حركة الفنية الحديثة ،
فانما يعود ذلك إلى أن آثاره الباقية ، تؤلف المصدر الوحيد الذي يعول عليه في دراسة تلك الفترة
أما الرسامون الآخرون الذين عاشوا فترة الرمية ، وما بعدها ، فقد وصلت إليهم دون أعمالهم ، وهذا ما
يحملنا على أعمال تلك الأسماء — غير أن المتأخرين من أولئك الرسامين القدامى — وما يزال يعيش بين ظهرائنا أثنان
مهم هما : محمد صالح ركي وعاصم حافظ — فقد مثلت أعمالهم الفنية ، المرحلة التالية لهذا القادر رسام ،
زمنياً وأسلوبياً .

تبدأ حركة الفن العراقي الحديث على وجه التحديد ، في أوائل الثلاثينات حينما بولت « وزارة المعارف » إرسال
فنانين للدراسة خارج العراق . فقد أرسلت الفنان فائق حسن إلى باريس لدراسة فن الرسم في « البورار » . وتبع ذلك
آخرون من بينهم عطا صبري وحافظ الدروبي والمرحوم جواد سليم . وإن عودة هذه البعثات قبل وأثناء وبعد الحرب
العالمية الثانية إلى بغداد ، تعتبر بداية الحركة الفنية الحديثة في العراق .

وهالك حدث تحول ، في رؤية الفنان العراقي ، بعد أن اتصل هؤلاء الفنانين الشباب ، بمجموعة من الفنانين
البولويين والانكليز الذين حلوا ببغداد إبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٢ ، وسرعان ما تبعت أساليبهم — وعلى
الأخص فائق حسن وجواد سليم — فنهجوا ، عبر تعاريفهم الفنية الجديدة ، نهجاً ، امتد كثيراً عن أسلوبية القرن التاسع
عشر التقليدية ، واقترب من روح المدارس الحديثة ، حيث اطمعت في تأثيرات وأساليب المدارس الأوروبية الحديثة
« أساليب » بولار » و« اعلام المدرسين الفرنسيين الاصاغة والمعاصرة » وغيرهم . وقد كتب جواد في يومياته يصف هذا اللقاء

« وكالت الحرب ، فقلت بعض هؤلاء (البولويين) الى بغداد ، فصرخوا بي وبما تق حس في معرضا السوي ، وكأني ذلك لقاء حاراً . وانتدأت يا صديقة مية أرجعنا فيها تأثيرات باريس وحياء باريس قدر طافنا ، وقدر ما تمكن به بغداد . وتعرفت عنهم بأشياء لم أحلم بها . . . أشياء سيكون لها تأثير عظيم جداً في مجرى حياتي . »
ثم سجل في موضع آخر من يومياته :

« ثم عرفت أكثر من هذا . . . عرفت قداسة العمل - عرفت قيمة الوقت . . . كما تشغل كل يوم من ابدائه الى نهايته بدون انقطاع . وفي المساء اجتمع في القهوة البرازيلية لحضي القهوة الفرنسية مع جدانا الطويل . كما تتجادل حول كل شيء ، وكنا آخر من يترك القهوة . »

وتطور النشاط الفني لتلك الفترة في شكل معارض للرسم والمحت كل يقيمها أعضاء أسرة في صعيد ظهرت باطاريها الرسمي عام ١٩٤٠ تحت عنوان « جمعية أصدقاء الفن » ثم ما لبثت هذه الجمعية أن احتضت من مسرح الفن العراقي عدسات قليلة ، حين عبرت عن الامتنعار في العمل سب من افتقارها للمال ، وشأت على ألقاصها في الخيمات ، جماعات فنية استأثرت نشاطات الفنانين الذين شدتهم الى عصمهم ، اعتبارات شخصية عصمهم . وكالت ثمرة هذه التجمعات نشوء : « جماعة الرواد » التي قادها فائق حس و « جماعة بغداد للفن الحديث » التي قادها جواد سليم . ثم من بعد « جماعة الاطباء العراقيين » التي استحدثت من مرسوم حافظ الدروبي ، وأخيراً « جماعة الفن المعاصر » التي تألفت من بعض مخرجي معهد الفنون الجميلة .

وفي عام ١٩٥٦ تشكلت « جمعية الفنانين العراقيين » فاجتهدت إليها كل الجماعات الفنية ، مع أعداد من الفنانين المستقلين . وبدأت نشاطها الكبير في نفس العام حين أعلنت عن سلسلة من المعارض الفنية والمعارض والأفلام تحت عنوان « مهرجان الفن العراقي » .

وهكذا بدأ الفن العراقي — الذي لم يكن يحظى بل سوات باعتراف المجتمع أو عناية المسؤولين — يأخذ مكانه اللائق في تلك الحياة الثقافية في العراق ، كما أخذ يتجه نحو مطلقات جديدة للتعبر عن معاهيم اساية معاصرة . ولقد هيأت تلك المعارض الفنية المتتالية — بما رافقها من نقد موضوعي ومحكمات فكرية . هيأت ذهن الفنان العراقي للتمتع العكري والنصب الفني الذين قادوا الى منطقة الوعي بمشاكل المجتمع ، فتوصل ، عبر تجاربه التكنيكية وممارساته لطافات التعبير ، الى ادراك القيم الجوهرية في الفن الحديث ، واستخدامها — طريق الشكل المجرد للصورة المنظورة ، للحصول على أعلى شتى التعبير .

وظهرت أولى محاولات استكفاء الروح العراقية في أعمال جواد سليم . التي سلكت طريقها الصعب متعلقة في مطويات النفس العراقية الشعبية ، للبحث عن معاني وجودها ، متحدة من أساليب الفنان الراشدي القديم وتأليفات الفنان البغدادي العباسي ، سبيلاً للوصول الى قمة « المعاصرة » .

ولقد أكد جواد بوعي كامل ، طريقته في البحث عن أسس مدرسة عراقية بقوله : « إن التوصل الى الطابع المحلي ليس بالأمر الهين ، ولا أقصد بالطابع المحلي رسم أعراي أو نمذجة عراقية مثلاً ، بل هو المميزات الخاصة التي يثيرها في الفنان ، فتكسر روح أعماله » .

لقد كان جواد يمثل ذروة التمتع في الفن البغدادي ، وانجازاته عبر المصور ، ذلك لأنه أول من فتح باب الماضي ليأبى بكل مقوماته الى الحاضر . حتى يغدوا عالماً واحداً . وصورة المعروفة بـ « البغداديات » ما هي إلا اجازات فنية تمثل استمرار الرمن منذ عهد الواسطي قبل أكثر من سبعة قرون ! . أما عمله الشامخ الذي وصحه تمجيداً للحرية

• من مقال الفنان حول معرض الفن العراقي الفني أقيم في بغداد عام ١٩٥٣ بمناسبة مهرجان ابن سينا .

وللإنسان ، فهو إجاز على المستوى الانساني ، يدو في امتداده وعمقه ، كأنه تشخص لذات الشعب العراقي عبر العصور وتوالي محاولات العباين العراقيين ، في البحث عن مفاهيم راسخة وصياغات جديدة للمدرسة العراقية المحيية ، يبدأ شاكر حسن سعيد ، تلميذ جواد ، صته في طيات الفولكلور الشعبي عن الذات الكلية للقداء ، ولشهادة الشهيد ، ثم يقتحم أسواراً ما كانت لتفتح من قبل ، ويتغذ فائق حس الى أعماق القرية العراقية يصور شقاءها الرمي عبر الأشكال والألوان في روبة جديدة مطورة من الخارج ، وليجمع حوله تلاميذ وأتباعاً يقتمون أثره ويرون رؤيته ثم يأتي في سواب الأجرة العاين الشاب ، لهوام من المورد الأسطوري الشعبي ، استطاع أن يذكر مهم كاطم حيدر الذي قدم ملحنته الدموية الرائعة عن الاستشهاد الانساني مثلاً بشخص الامام الحسين بن علي . وضياء الراوي ، بلمساته الشاعرية لروح الماضي ، واستطاناته للأسطورة العراقية ، واستحائه لأجوائها العاصفة وبوري الراوي الذي ظل



تصويرة في خطوط مستطلة
الترقياق الجاليلوس ١٩٩٥ /
١٩٩٩م من قبل الأناضي الشافية
من مجموعة المخطوطات
العربية الملكية الأملية يابوس

يسمح على ذات النول، مؤكداً حضوره القاطن في الخلق وأجراً سلمان عاص الذي يتحضر الماضي عبر مرشح ضوئي ملون.

إلا أن ظاهرات العصر وقضايا المعقدة ومشكلات إنسانه المعاصر، بدأت تظهر في المحاولات والأعمال الفنية الكثيرة لعدد كبير من الفنانين الشباب الذين تلقوا دراساتهم في معاهد الفن في العراق وخارجه، وتوزعت الجماعات الفنية التالية: الرواد، مبداء الفن الحديث، الاطاعين العراقيين، الفن المعاصر، الراوية، المجددين، التشكيليين، تموز، آدم وحسواء، الدابة... الى آخر هذه السلسلة المتنامية. وإذا دلت محاولات التجريد التي انسمت بها معارض السوات الأخيرة على شي، فاما تدل على نمو التجارب الجديدة التي قد تتحول تدريجياً الى اتجاهات فنية ذات مقومات عصرية تؤل في النهاية الى محيط «العالية» المتراخي الأطراف.

عاشق الطيور - جواد سليم



تطور فن الغارة في بغداد

الدكتور محمد مكيّة

تطور فن العمارة في بغداد

سحاول في هذا العرص الموجد لتطور فن العمارة في بغداد ، استخلاص أبرز الخصائص المعمارية التي تميزت بها عمائر هذه المدينة ، معتمدين في ذلك على ما سجله المؤرخون اللدائيسون حول معالمها العمرانية من معلومات ، وما ورد في كتب الأدب والرحلات من مصوص تناولت الوصف ، مظاهر الحياة والبيئة أمانند . وقد لا يكون من السهل رسم صورة متكاملة الأوصاف لتصاميم تلك المنشآت وتوزيع مرافقها ، كما يفعل الأنثري لاطهار ذلك في نقياته — لأن أية محاولات فردية للبحث في هذا المدان ، ستكون محفوفة بالمصاعب ما لم نكسر على مستوى الجهود الجماعية المستمرة . وأن موضوعاً واسعاً كهذا سوف لن يحقق تأنده الانحائية إلا ضمن برنامج فني طويل من الدراسات والبحرثات والموسج الموضوعية التي تتولاها هيئات مشتركة متعاونة لتبقي البحوث على صوء تحطيط علمي شامل ، كما هو جارر في التحريثات التنقيية .

وما هذا العرص في حقيقة الأمر ، إلا محاولة لتعمم الاعتبارات التصميمية التي استوطنت هذه المنطقة العريقة من الشرق العربي ، على صوء الاستدلال بالثرث الأدبي والتاريخي الذي قلما أشر بدقة ، إلى التفاضل الفنية المهمة في تكوين تلك العمائر ومآثها الفني وطرائق صاغتها ، لتساعدنا من بعد على الاستمرار في إيصال مقومات الحضارة العربية ، إلى عالمنا الحاضر ، وفيما الحديث الذي ما زال يشكو الانقطاع عن الماضي ، والانعصام من الأرض التي مارا نعيش عليها ونحن ، حين نمهد لمثل هذه الدراسة ، لاند لنا من أسرار الخصائص والملامح الفنية للثة المعمارية في بغداد باستقراء المصوص التاريخية والأدبية ، ومعرفة العناصر التي تؤلف البيئة المعدادية ، كالسج والطسعة المحلي ، وأثر ذلك في الحياة اليومية ، والأحوال الاجتماعية ثم انعكاسها حميماً على الحياة الفكرية عموماً ، وبالتالي على الصياغة العامة لشكل المدينة .

ورغم ما بكتف طريقاً هذا من صعوبات تتجم من معارض أساليب المؤرخين ، واختلاف أعراضهم ، فإن اسعاب القيم الفنية ، عن طريق تعميم الماصح البيئة ، خير مساعد للبحور في هذا المدان ، بأقل تحيز ، وأكثر مجرد علمي ممكن . لم يكن هاك من للعمارة الاسلامة ، تتحدد فيه كل الخصائص الجديدة ، فقد ظهر للوجود ، قبل أن تتولى بغداد تكوينه وانداعه . فالتمدن الاسلامي في هذه الفقة من العالم القديم ، أوجد حاصره تلت مسئلة بمدى سريع حجم عن نشاط حصارى في كافة الميادين ، مما حمل مها حاصره العالم الاسلامي ودار الخلافة العباسية ومكرراً سجاراً هاماً جمع اليه الناس من كل الأنظار والأبصار ، حتى أصبحت كما قيل : « الدنيا بادية وبغداد حاصرها »

إن فن العمارة قبل قيام بغداد ، لم تتوفر له العرص والامكانات ليوهم على تكوين مشآنها الجديدة أكثر من أن يحاول تحقيق مسقعات واسعة كانت تتجمع من عناصر الفن الأعرقي والروماني والهنسي ، تلك التي ظهرت معالمها واضحة في الانجارات المعمارية التي سحقت في بلاد الشام إبان الحكم الأموي . فسنة الصحرة والجامع الأموي — بعد تجمدهما من دحارو التكية السطحة — هما معالم تاريخية أكثر من كونهما معالم لمجزات في فن العمارة الاسلامية

المختصة : وأما المختصان ، فبحث في علم الأثر الاسلامي ودرجتها ، حول مصادر هذه العصور وعناصرها الهندسية ، فإلى من عصبه يوم محلات بغداد ، وما انعمها من عقد العمارة الاسلامية في المنطقة ، ثلاثة الهئية ، أو توصل مصادر الاشتقاق من العمارات اليونانية والرومانية .

لقد أصبح عداد، بحكم موقعه الجغرافي من ناحية العالم، وبسبب الصلة التاريخية على اتصال بالعالم القديم، ومهد لها، عصر النهضة الإسلامية في سنين الفتح، مع حضارات بلادها المختلفة، ففتح من ذلك نشوء من محلي له سمعة عظيمة، وحدث من فيه متحدة اسمها، ووجدتها من المواقع الخصبة في الجدد.

وهو - لو - من الكرامة - من الناحية - وهو - سكن متين معبر أرض الغد في القرون بواسطة - فمن من

مدينته الأحلام والخيال والأساطير.

[illegible]

وأما هذا القصر فسمي بهذا الاسم لما سبى حبيبة كوكب حضرة اعنه بعد حول مواعيلها الى مر كر خرمس
والدولة وحرقة الأفر وهو البيت الذي كان فيه كوخ وأصبح عامه دلاسا في باشقنة بالحركة التجارية كان
لاند بعد ذلك سمع به من قبل أحد ان الخدم ورأوا أحد حقوقه القديمة بني بها هنا التصميم بدائري الذي لم
يصح في وضع من خصصته من هذه شع في حيا ثم وط الماء في الحياه الانصاف والنجارة والاردهار في مراقف
الحديقة لمطعمه بقدر عامه وهكذا أصبح هذا الصفة الشرفه مدينه بديه اذصور بعد أن سمع الحديقة
الاسمه وهي أن سهل أي بعده وأن إلى له فيها رة وحديق معكرا ومستقرا لشؤون إدارته وعرفت بعد ذلك
بأنه بسماء محلات وقد سميت لحظة الجديدة مسكر المهدي ثم عاب «الصفاة» وكان هذا أول سنة
١٥١ هـ وهكذا استمرت بالانواع لتضم لها مناطق ومحلات كثيرة مهمه حاجت أحيائها في مصدر نارحة متفرقة
منها الدليل يدعى التي اندي وصنعها المكنة ابن مصطفى جواد وأحمد سوبه لحطة بغداد وبشير الخطيب
المعداني الى أن أول جسر أقيم بمقداد كان في عام ١٥٧ هـ عند باب الشعير حيث قرر الخليفة بناء قصر جديد له
هناك سماه «قصر الخلد» وقد عوص بهذا البناء الجديد ما حرمة في قصره الرئيس من مشاهد النهر وصفات الصيغة
ومعاني الحقائق والسائقين.

إن الخصائص المعمارية لسور بغداد تمثل تصميم مداحل المدينة، وقد تجلّى ذلك في تحقيق المحور المكبر لمركز
الأبواب، وهو تقليد تخطيطي بغدادى أصيل، حملته الصليبيون — كما أن الأندلس — فما حطّاه من
أساليب الشرق وتأثيراته المختلفة، إلى أوروبا.

(١) ابن الخليل، المسجب، ابن سامرا، بغداد، (٧٥) عم علي أناسي جدار. وحمد بن إدريس بن أبيه (٢٧٩ هـ، ٨٩٢ م)، أصبحت بغداد الشرف مركزاً لدار الخلافة.

وذكرهم من المعدل انما الحصة كالتصديق والا في الاله محمد استطاع ان يمد في العدائي بحرا ح مجراه
بصفته صمد واعدت عجي السعد بعد الى الارض العاقل انعمه ابو وثمان من سبب واما الحصان
الخرقة السامة التي صب مواضع حتى التدم نحوا عدده معداد كاضلال ابل ك. واثب. و. ثنائ
اساسية ثم به ثم به المدة

من لقاء الأساقفة الألمان في مدينة د. القساسة التي رثا لها من جهة - القسوس من جهة - ومن
أهمها مجد المصور

عبد الحنفية انصب الى الخرج من هذه المدينة في هذا اليوم في نفس اليوم الذي كانت فيه
عمائر الخديعة شاحولته. فعند اندحار المسحط لم يبق الا ذكره في بعض النسخ من الاربع والتسعة
شعر هذه المدينة من الأجر قوله (٢٠٠) داح. واسم القلاء قد نزل هذه المدينة واحتوى
على (١٥) أسك و (١٦) عمودا من الخشب. ثم القصر وقد احتوى من حوائطه ثلاث الأبنية على حساب
لكل منها رواقان

ولقد ركب أمير حجة آل حنيفة هارون الرشيد أمير سجستان همدان سنة ٩٢ هـ ٨٠٧ م
وبعد أن صار بمسجد من أخصه المسجد، أمر بوضع بناء فُصِّلَ إلى بيت الصلاة من حجة القلة بإحدى
بنايه حجة وبالف من حصة سنة سبكي أخرى وكان ذلك عام ٣٨٠ للهجرة ثم جعل المسجد للمسجد
صالحاً في مؤخره كما أصبح المبنى المحفوظ الذي يوصل له خارج بغداد الإسلامية الكعبة
الأستاذ حكيم بول (١).

وتصح، من نفس الزكك، تحفظني لجمع أن كنه العلم به كنه هذا الصبح الذي بعده نصيب
الأساسي لهذا السكون، لذا فإن سعة الفقه، وأمداد مقبلة به، أن أهمه نفاذ الح لذي يحطه، وعلى هذا
الأساس، يصح الرجوع إلى مجموع ما يرد في كل مدح من السجدة، ويتم نصيبه، وكذا مقبلة، أم الفقه
حيث يكون السجدة الكبر للصحى قد امدت على صفوف من الأساطين، فإن الفقه، العتيق يدي بكله يكون مائة
للحاجة، ومن المعروف، أنه كلما رددت الصبح، أي بأسماء ربي مع السجدة، كلما تحققت الأمانة الطعمة
شكلا كاملا في أرجاء السماء.

اشكركم على هذه النسخة التي سلمتموها لي. من الخطط التي رسمها هرتسفلد للجامع بشكله الأخير.

وعلى الأثر أنه حتى لو وجد شيء من شأنا على عهده ذلك الجمع هو بحرفه الذي يعرف باسم "بحر
جمع الخاص" وهذه اللواحق الأثرية إلى أن دخلت هذا الحرف، وأسلوبه الفني عريان عن الطابع
لعمد في "رسالة من الأسلوب" بنفسه الذي الأصل فإني ما به على من يد آخر لعمد أو جمع يشهد

(١) ومع هذا كله فإنه خير في صالح الأمة الإسلامية بحسب محمد بن أحمد وأحمد بن أبي عبد الله أحمد
وقد فتح هذا الكتاب — الذي استغرق حياة المؤلف وجهده — أفقاً واسعة أمام الدارسين والباحثين في حقوق
العلماء والمراسم الإسلامية.

محراب جميل من الممر عثر عليه في جامع الحفصكي ببغداد، وهو الأثر في مجموعتكم المتحف العراقي ويستند الأستاذ

مدينة السلام . ويؤكد هذا الاعتقاد ما ذكره الخطيب العدادي من أن باب حراسان جيبه به من الشام . وهو من عمل بمرآة . وأن باب الكوفة الخارجي جيبه به من « الكوفة » وهو من عمل خالد القسري . وأبواب أخرى سبق أن جيب بها من موقع يعرف بـ « زندود » ، وأخرى صنعت محلياً

عنه أن ظاهره كهنه . لا يمكن أن تستبر دليلاً على انتقال كثير من النماذج المعمارية إلى بغداد . ويستدل أن ما وهته هذه المدرسة لشارع الشرق من حصص العيون والمعادن . ما نصعب أن يدخل تحت حصر رعم فلة ما بقي منها تحت تلك الآثار من كدات الطسعة وبوال الأديم وما بقي حتى اليوم . شهد على براءة القياس العدادي في الحفر وبمش والصناعة والربح . وفي العمارة الأخرى وندي من أرها الآثار البغدادية الباقية الحجر والحجر اللين يحتفظ به اليوم بمدرسة تبرهان وبس . ويشير الأستاذ ديماند إلى هذا بقوله « يعتبر من القيروان الذي يرجع إلى عهد هرون الرشيد (٨٧٦ - ٨٠٩) واحد من روائع أمثلة الحفر على الحطب من مدرسة بغداد »

أما باب الفقه . فهو من حر من معالم العمارة الفقه التي نسب للطابع العدادي . وإن لم يكن في بغداد . وقد أشاد إليه هذه المدرسة على الغرب في سدر . وجعلها عاصمة ملكه الصبغة . وسكان أن يدل على أن عقود أقواسها وأجرها وأساليب عمارتها صورة من معالم العمارة البغدادية في عصورها العباسية الأولى

ومن أهم ما يلاحظه من العمارة في بغداد استخدامه للحرف في التكية الخدارية . فقد أثبت البحث العلمي — مدني — بين طم الأحوال هذا الموضوع — أن العراق . هو الموطن الأول الذي انكر فيه الحرف ذو البريق المعدني أمام العباسيين . ويشير ديماند إلى هذا النوع من الحرف بقوله « يعتبر الحرف العباسي المحلي بخراف من الله في المعدني . أحوال منحوتات الحرف في العالم الإسلامي . إذ أن صناعة الحرف ذو البريق المعدني كانت من الأساليب التي اهتم بها الخلفاء المستعملين في العراق الثامن والتاسع »

ثم ذهب إلى القول بأن هذا النوع من الحرف المعدني المنمذد الألوان . والذي وجد في إيران وغيرها من الأقطار . عرف في الأصل . وأن اللطاف بحراب مسجد سفي عفة بمدرسة القيروان . والتي تألف منها إطار المنحرف . استوردت مع أمه الحطب الذي ورد ذكره أعلاً من بغداد . ويوجد هذه اللطاف إلى الفترة التاريخية التي تسبق حروف سامراء — التي تمت امتداداً طبعاً لحرف بغداد — كما يرجع بحصانها إليه . طبعاً وأسلوباً . إلى مدرسة بغداد . ويذهب الأستاذ ديماند إلى نفس هذا الرأي حين يقول « يمكن اعتبار مدرسة سامراء فرعاً للمدرسة العراقية في صناعة الحرف ذي الله في المعدني . وهي كانت بغداد مركزه الرئيس » وفي متحف برلين أمثلة من هذا الحرف اللامع الذي كان يزين قصور الخلفاء في عصر بغداد الذهبي .

و ستمثل الحرف في هذه الفترة عهداً والمعادن خصوصاً . لس في حيزه إلا النصوص المكافئة لعصر مادة الب . فقه من حصص الصلاة واليون والله . في تلك الخصائص الصبغة التي تتوفر في الحجر والبصحر وعدها من المواد المتيسرة في البلاد الأخرى .

وعلى ضوء هذه الحقيقة استخدم الموقود الحرف والصنعة في إكساء الجدران . والرياب الملحقة الأخرى من أقدم النصب . بحيث يصو بغداد . والعصر عباسي باستعمال هذه المادة على أوسع نطاق . نظراً لخصتها القوية العاليه . ولجمال ألوانها ومقاومتها للعوامل الطبيعية دهوراً طويلاً .

واستدلالاً بالنصوص التاريخية . وما ورد في المصادر المختلفة من أوصاف للبيوت العديدة . وأحوال السكن في العصر عباسي . سيجد في

لقد كان اتساع الحركة العمرانية في ذلك العصر سجعاً ومموجاً الحركة التجارية . فقد نشأت في بغداد طعنه من حيا الأثر . وبأب ملة عاليه في سمة لحيا الاجتماعيه ومما . وحظ كك الأدب وسرير أشاء برفق وبديها





بيوت بصلادية - اليرموك

واستمتع بها بالجماء وهكذا أصبح قصر هذه المدينة ، ما احتضنته من فرادس أرضة مثل أعلى مويبات أنص
المعماري الذي توصل إليه دهر الفداء في بيت 'عبد' - أشبه بالأنصب من بهو الجيد - وصمت تلك القصور
أنص الرسات وأعلى الأشياء ، حكما حليت بأفق الرخايف وأروع العرش ومضى أصحاب في حله ، تتنافس حتى
الشوط الأخير ، فصارت مصر الأمثال وحكاية الأجل

لقد اشهر من قصور بغداد في أوائل العصر العباسي « قصر الذهب » الذي أشبه - كما أسلفنا - وسط
المدينة المدورة ، و« قصر الخلد » الذي ساء المصور على شاطئ « حلة » ليحقق سائته ما لم يحققه في قصر الخلافة الأول
وهناك في شمال الضفة الشرقية من دجلة « قصر الرصافة » الذي سكنه المهدي خلال فترة خلافة والده
المصور ، وقد نقلت المصادر التاريخية أحاديثاً عن قصر آخر ، منها « القصر الجعفري » أو « المأموني » الذي سمي
أخيراً « القصر الحسيني » و« قصر الناح » الذي وضع أسسه أخوه المعتصم على دجلة تحت القصر الحسيني ، ثم أمم
المكفي بناءه وأصبح في أمامه المركز الرسمي لدار الخلافة ، وقد جاء في دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى حواد
وأحمد سوسة أنه « كان لهذا القصر ماء عظيمه لحمايته من البر » وكانت هذه الماء الممتدة على ضفة دجلة تؤلف
هيئة حاصه لقصر الناح ، وكان القصر مشرف على هذه الماء كانه الناح ، ويعتبر هذا القصر من القصور الفخمة التي
جاء ذكر أوصافها المعمارية في الكتب ، حيث أشير إلى أن وجهه كان مائلاً على حصة عقود كل عقد على عشرة أساطين
بحصة أدورج ، وكذلك ما جاء في وصف دار الامم مؤسس المطهر على دجلة شمال قصر الخلفاء ، وهو القصر الذي
أنشأت المدرسة الطائفة إلى جواره فيما بعد في العصر البويهي

وقد حوت دار الخلافة التي بنىها ابن الجبوري بقوله « وهي بها بلد » جامع للقصور والأسبلة التي اشتهرت
أنداك وكان مركزها على ما يظهر « القصر الحسيني » ثم قصر الفردوس ، وقصر الناح ودار « الشجرة » الدار المثمنة
التي جلس فيها هولاء عندما فتح بغداد ، و« الدار المربعة » ودور البراءة والدواوين ، وكانت هذه المجموعة بعدها
سور بيئة نصف دائرة يحوي سبعة أبواب رئيسة وبمد إلى مائة كلومتر واحد على ضفة أنهر

وكان الشارع الرئيس في دار الخلافة عند سكن حمار لهم دجلة ، وأما ذلك شارع بغداد وسوم شارع
المستقر ، وكان يسمى أنداك شارع القصر حيث كانت تفرع منه عدة طرق تؤدي إلى أبواب أخرى ، ويرجع
تاريخ إنشاء سور دار الخلافة في بغداد أيام المعتصم ، وقد أسسه الخلفاء الآخرون من بعده

ومن أهم المباني التي اشتهرت في بغداد وتلك أحدها الكتب ، « الدار المعربة » فقد جاء في ذكرها أنها
أنشأت ، على يد المعز لدين الله ، في القرن الرابع للهجرة ، وأصبح أقرب ما يكون إلى مدينة كاملة في محله الشمسية
وقد أحكم المعز لدين الله تصميم هذا الحي فيها له ، وتلمظقه محيطاً شاملاً وبني بناءه الكبير المشهور ، ومن اعتراف
في هذا الباب أنه استخدم القيلة برص الأبرية كما يحتمل مكان الحد في الأعمش الترابية على أنما هذه الأ ، وكان
لبناء هذه الدار أثره الواضح في تحرير الري ، بحكم السداد لتلك المحلة المشهورة التي سادت استعمالها لسلطات
الحكم المتعاقبة ، فصارت تعرف بدار السلطة السلجوقية ، ثم أصبحت بعد حكم طغرل بك معراً لدار السلطة
وانعدها ملكشاه مرلاً له عند قدومه إلى بغداد سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) ، ثم انتهت إلى الخراب بعد أن وجه الجند
لحرق معالمها وبيع عواديها .

وبعد اشتهرت هذه المحلة البويهي الأندلس العباسي الذي شمل مناطق حكمة من بغداد ، حيث
اشترت القصور في شرقي نهر دجلة بين ضريق الشماسة وطريق الروان ، وأصبح جامع الرصافة والمحلة القائمة حول
مشهد أبي حنيفة متداخلين بين هذه القصور والشمسية - كما جاء في دليل خارطة بغداد - هي محلة الصليح
الحالية ، أما جامع الرصافة ، فهو أحد الجوامع الثلاثة الكبير في بغداد الشرقية بمحلة الصواصبة اليوم ، ولهذه المحلة

مكانه خاصة في نارنج عمران بعدد وحصل بها فقد بقيت عامه زاهرة مدة أربعين سنة حيث اعتد شارعها الى سوق الثلاثاء — كما جاء في معجم البلدان .

و قد وصل السامر وصف تلك القصور والمباني ، لا يعي الدارس الباحث عما يطله من معلومات قيمة حول المؤلف ، مبني والتخطيط المعماري لتلك المنشآت ، إذ أن معظم المصادر العربية تناولت الوصف الظاهري لها وأفادت في ذكر ما صرف عليها من مال ، ومبصرها الذي آلت إليه بعد أن حلت بها نكبات وثوبتها عواذي الرمان وأسدي اخذت بالومع ذلك ، وبه يمكن الاستدلال عن الأسس التخطيطية لتلك المباني من الآثار الباقية ، والأوصاف التي دونت في المصادر المختلفة ، ومن طمعه الحياة الاجتماعية ، وادع مادته المتجددة في البناء ، ذات أن يحدث عنها ، كذا لا يمكنه من حجب أهميتها وارتباطاتها — والانتقال من هناك إلى آخر يحصل بينهما عدد من المعرفة والأدلة والمباني ، بلفظ عدم الأساسي في التخطيط ، ذلك ، وهو هذا السامر من بعد كما فرضه الطمعة وكما يمكن في حله لمجتمع ، بصفه السامر ، الذي حجب الوجهة كمنه ، أساسه في التخطيط المعماري

وعن أبي موسى يفسر فيه معاني بعض العبارات الإسلامية ، كقوله : "وعند عرفاته وردها" ، هو يعني
 من "عند الأخص" ، ثم قال : "في سائر أوقافه" ، أي : وقفاً الخديفي هذه (مقصود هو من
 بقوله : "في سائر أوقافه" ، أي : في أوقافه وهو الخدم والامراء ، وأهمه هذه الخلفاء
 أمه من كفايته عنه من الأوقاف ، أي : في أوقافه من الخدم ، ثم استطاع المصنف
 التاريخية والأدبية إعاءانه بوصف علمي موضوعي لها .

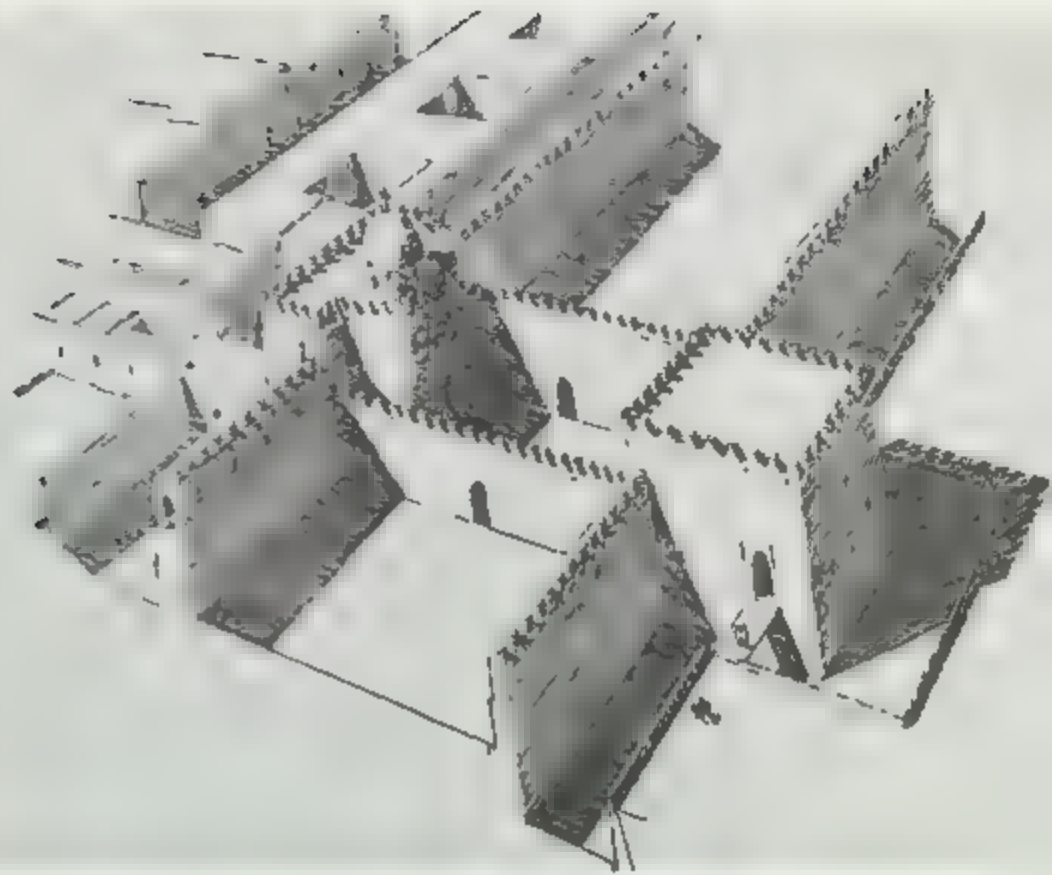
ومن القدر الأثني عشر التي فيها يكون أبـ الأوبـ فقد كان لصنع الأوبـ ، اتصاله بنسبة نصف
الأوبـ في النسبة ، نظر لثقله وعدده ، وأما ما جعله - سمي الذي سجد في المصلا والاحداث وعدد الجناح
والأوبـ ما دعى الغشاء الذي يتوسط أحد جوانب الغشاء الرئيسي ، ويكون سقته على ثلاثة أضلاع . أما
الصلع الرابع فيكون مكشوفاً - حيث أنه لا يغطى بالجلد - ولكنه بواسطة عظام وأوتار

ومن دلائل العلم له لعمري أهميته في أن جعل في كتابه بعض الأحكام الدينية وودعها على هذه المنه
"المذنبات بعصبي" على أنه بعض الدوائر في بعض الأحكام في موضوع قصصنا نحن الذي كان قد يهدم يومئذ
حدث سر في سنة عام ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) وحي في سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م)

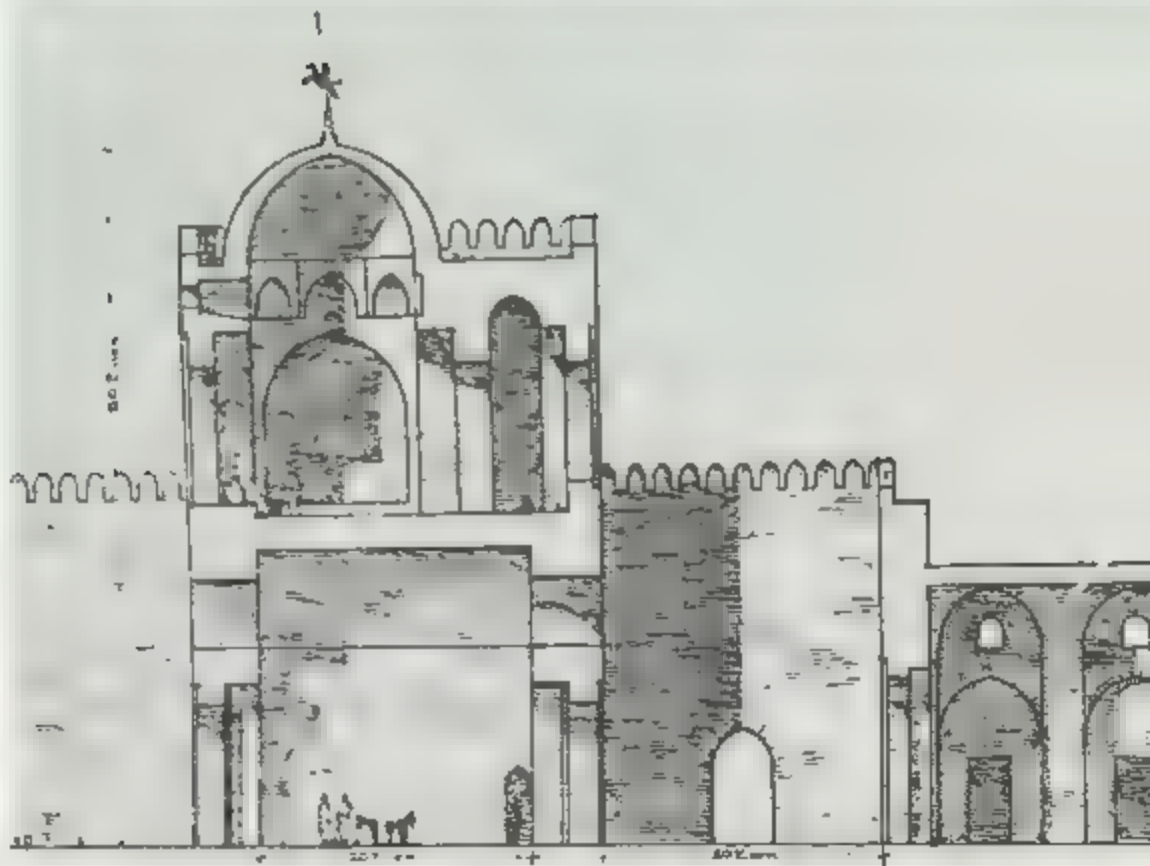
وفي منتصف القرن السادس الهجري كتب الرحالة الأندلسي "سعد بن عبد الله" من مدينة طليطلة وصفا لهذا المزار الذي كان قديماً في غرب المغرب من مزارات بنو دحمة ووقع من بني دحمة من لغزات هذا بنو الصراقة فقال بأنه مجموعة من أمه وأبيه ثمانيه كذا في بعض النسخ عنه في السيرة كما أنه حوّل إلى المزار من العتبة وقد أشار إلى مقام هذا المزار بمكانة بعد ثلاثين عاماً من حياضه سنة ١٠٠٠ هـ في شرحه وذكر أنه يقع في مجرى بنو دحمة في بعض النسخ كما في بعض النسخ وجميع ما في السيرة النبوية من أن يدخل إليه من دجلة

ومن العمد: ١- الحاشية العدد ٥ - عدد ١ - القسم ١ - أُنشئت في عهد ٢٠٠٤ له عام ١٣٨١ هـ ١٩٦٠ م.
وقد باعها ١٠٠٠ م بعد سنة ١٠٠٠ هـ في حيا - العربي من بغداد في حلة بن السبيعي - وكر من ١٠٠٠ م
أُنشئت سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٦ - أُقيم مكانه بعد ١٠٠٠ م - البعثاء ١٠٠٠ م - والاعلافة ومهد الشعر العربي
أبو العلاء المبري.

۱۔ من المعتمد ابن عبد بنی ثعلبہ سنحووی، ۴۶۱ھ - ۵۵۲ھ ہجری گاہ استمرار متحدہ مسجد حنفی دارمی
فی مرآۃ جامع المستندین شیعہ بیروت ۱۳۸۵ھ (۹۶ م) و گاہ جمع علی مسافہ میں من جامع



رسم تصويري
مدخل أسوار
مدينة بغداد
المدورة



مقطع مدخل
أسوار مدينة
بغداد المدورة

الرصافه في موضع لا يبعد كجم أع الحاجه التذليل من معياره الحالية وقد ذكر ابن الجوزي في صنف بغداد أن أحشاب هذا الجامع جئ به من سامراء .

ولقد شطب حركة بناء المدارس في العمرة والسجوة ، حيث كان رجال السلطة بحاجة الى قصدة بشعوبهم ويحكمون باسمهم ومن لمدارس الأولى الي أنشئت في بغداد المدرسة الصامية ضد أنشائها نظام الملك ورمز ألب أرسلان وأنه ملحقه عام ٤٥٧هـ (١٠٦٥م) وكانت في آخر سوق الثلاثاء في محلة الخصائر (في موضع سوق الكرك الخليلي وحاح حجاب) ونقبت هذه البنية قائمة حتى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وذكرها معظم المؤرخين والرحالة ، كان حيز واس مطبوعة والمؤرخ الفارسي حمد الله الذي وصفها بأنها أم المدارس في بغداد

إن العمود المعماري للمدرسة البغدادية يتألف من عناصر أساسية تعتمد على الرابطة بين العصر الفارسي المكتشف والأروقة التي بنيت فوقه الوطني في البناء اليومية ، بعدد حلقه الوصل الي مجمع بين وحدات العرف الداخلية والعصائب المكتشفة والأروقة المكتشفة التي ساعد على حمله المني وكبر حمله حرارة أشعة الشمس المرافية المعروفة بنفاذها المباشر في أشهر الصيف .

إن التوسع العمراني الذي أصاب بغداد خارج سور دار الخلافة ، أحدث بالتسعة عجلات وأسواقاً جديدة متزامنة وفاد في النهاية الى إنشاء سور عظيم وحديث واسع أحاطا بالمدينة النامية في نهاية القرن الخامس الهجري واستمر حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة

ولقد بقي من معالم هذا السور القديم واحد من أبوابه هو باب المنطرة أو ما كان يدعى أحشاً (باب حراسين) وعرف اليوم بالباب الوسطي وقد اتحدته مدرسة الأتار العامة متحماً للأسلحة منه من الرمن ، ثم نقبت الأسلحة منه الى بناء على دجلة من أن أن أمر هذا المنصب الى وزارة الدفاع وهو يقع بالقرب من تربة الشيخ عمر السهروردي أحد المعالم المعمارية البغدادية المعروفة في الجهة الشرقية

أما باب القلنس ، وهو أحد الأبواب الأربعة لسور بغداد الكبير ، فقد كانت تسمى باب الخلة نظراً قربها من ميدان أساق — الذي كان في هذا الموضع كبحاء في بابل — قبل إنشاء السور حيث كان بحري فيه لعب الصولجان أيضاً وقد ورد ذكره في أخبار الحصار المغولي ومه دخل السلطان العثماني مراد الرابع عند فتحه بغداد سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م) ، أطلق عليه ، روح الفصح وحين حدد الخليفة الناصر لدين الله بعض المباني — في أواخر القرن السادس للهجرة — قام بتجديد هذا الباب وأقام رحاً ضخماً فوقه وظل قائماً بظاؤل الدهر حتى سنة ١٩١٧ حيث سمى لأثره بالارور بعد استحباب جيوشهم من بغداد ويمكن بالرجوع الى صوره الفوتوغرافية والمعلومات المتوفرة حوله وسهولة تحديد موقعه ، إعادة إنشائه من جديد ، باعتباره زمراً تاريخياً له مدلولات عمرانية وسياحية كبيرة .

وقد أشبه هذا البرج الشامخ بالآخر المحلي ، ويرى بإطار كتابي جميل ، كما يرى عند باب المدخل تحت بأور يعتبر من الأمثلة الجيدة للنس السلجوقي ونسب هذا البيت ، الخليفة في وضع الجلوس وعلى حايه تيان أعقد جسم كل منهما . ووصفه الأستاذ كوهيل بأنه من الأبراج الرائعة .

ومن الأبواب التي أبنى عليها العمرا الحديث قبل سجن جاهلاً لقسمها التاريخية ، باب كلوادة التي كانت تقع في جنوب بغداد على جهة شاطئ دجلة ، أي في موقع الباب الشرقي الحالي .

أما الباب الرابع ، فهو باب السلطان الذي كان يقع في شمال سور بغداد ، أي عند باب المعظم الحالي في حوب جامع السلطان وعلى مسافة قليلة منه .

24



قصر خزان (الذي يعرف خطأً عند الناس بقصر السراي) والقائمة في الجانب الغربي من بغداد

وبشير النمط الرحرفي في هذه المارة الى بدء اعمال الأخرى في المنائر العديدة ذات الشكل الأسطواني التي قصد
في المعمار البغدادي . تحجب إحداث الحفقات والزوايا الحادة والاستقامات العمودية نظراً لمرحبتها للأكل على مر
الزمن وروايل هذه الجمالي . لذا فقد أصبح يختلف جوهرياً عن أمانير الاسلام في الأقطار الأخرى . من هنا
يمرث أن المعمار البغدادي قد تعميم خصائص المادة المجدبة التي كان يستخدمها في بناء واستطاع السطوح عصبها في
تكوين أسطوانات المعمارية ثم الأبراج ذلك الى إنشاء القصر والدار .

ومن الملاحظ أن الممرجة المجدبة الواقعة بين بغداد والكوفة ، المشهد المعروف بـ (مشهد البصرة) وقد أشير
إلى كونه مصطلحاً حيوياً الى أنه موقع قريب من ثانياً القدمة التي صارت تعرف بـ (العقبة) بعد إنشاء مدينة بغداد
وقد رالت معالم هذه الجامع واستند بناء جديد فقد خصائص المعمار للجامع المذكور الذي لا يحفظ
بخصائصه المعمارية صورة قديمة عرفت بـ (شربله) حيث استعمل الأجر نواصب في تكوين شكل المعمار البصري
ومن الأبنية التي تعود الى العصر العباسي أمأخر ، مارة المسجد المعروف بـ (مسجد قمرية) التي مارا الى عظم
على الصفة المربعة من دخله . فقد شد جامع قمرية سنة ٦٣٦هـ (١٢٢٨م) على عهد الخليفة المستنصر بالله . ومن سبق
من بناءه العباسي لإيمارته بـ (قصره) . وقد ذكر هذا الجامع ومباركه وحيزه بـ (الحدائق الخسنة) . ومن
خصائص هذه المارة البغدادية الاختلاف الواضح في شكلها الأسطواني عما هو مألوف من «شقة الماء»
المعدنية ذات الأجنحة العمودي المتجمع . ولعل هذه القصر هذه بالنسبة لعظم الحج . يعود الى كونه أكثر خصائص
في إقامته المارة . وأن شعور المعمار بهذه المصنعة دعه الى أن يحسن منها قاعدة للأذان وليس بصلاً بـ (الحدائق)
وبدو القوش المحطة بـ (الحدائق) أشكالها المصنعة السطوح كما لو كانت قد حقت له من خلال الجدران
المتباينة في الخط الأجرى .

ونلاحظ أيضاً أن سعة ممر المارة ساعد على إقامة الخوص على مساند أحرته سطة تتصل بالحدائق المجدبة
المقرنص المألوف في شكل المنائر البغدادية المتأخرة
ومن المواقع المهمة بالنسبة لخطط بغداد الشرقية ، علة الشمسية التي كانت حدار محمد أبي حنيفة . وقد أصبح
الخراب . ولم يبق من معالمها إلا مقبرة الأمام الأعظم التي تضم تربة الأمام أبي حنيفة المتوفى في حدود سنة ١٥٠هـ
(٧٦٧م) . وقد عرفت هذه المقبرة فيما بعد ، باسم «مقبرة الخيزران» أو الخيزرانية نسبة الى الخيزران زوج الخليفة
المهدي . ويعود تاريخها الى عهد الخليفة المنصور .

وقد أعتد بـ (هذا المقام) سنة ٩٤١هـ (١٥٣٤م) من قبل السلطان سليمان بعد احتلاله بغداد . كما حدد من قبل
استيطان من الروم أم القبة المارة (المائلة حالياً) بعد شيدت من قبل الوالي العثماني عمر باشا بأمر من سلطان
محمد . وأجريت عليها صيانات متوالية ، وخاصة خلال حكم السلطان عبد المجيد عام ١٨٧١م .

أما جامع الخسنة ، فقد ورد ذكره في رحلة ابن خلدون وأعدده واحد من ثلاثة جوامع كبيرة . شيدت جامع
السلطان ، وثلاثها جامع لرصافة . وقد الت معظم الجامعين الآخرين ، ولم يبق من جامع الأول إلا ممرته
التاريخية الشهيرة والتي تسمى مارة سوق العزل والتي تعتبر أعلى برج شيدته مدينة بغداد .

وهذه المارة هي الأثر المعماري الوحيد الباقي من دار الخلافة العباسية ومسجدها الذي وضعه ابن خلدون
وصعد إلى حدائق الممرية بـ (بغداد) سنة ٧٢٧هـ (١٣٢٧م) . وأشار الى أن هذا الجامع مبني من
الخلقة ودورهم ، وهو جامع كبير فيه سقانات ومظفر كبيرة للوضوء والعمل . وأن الممرات المحيطة بهذه الممرات
داخل السور عامرة ومزدحمة وفيها أسواق ومساكن ودروب كبيرة . وكان معظمها أحدث ما بني في بغداد الشرقية
وتعقد في هذا الجامع — كما جاء في دليل خارطة بغداد — الدواب وحفلات الفقه والوعظ . وفي رحله كانت

تبنى مظاهر الحياة الاجتماعية والتجارية لأهل بغداد .

ثم جاء رح هذه المارة ، على عهد أماني هولاء الإخاني ، في ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني على العراق وقد أنشأ الوالي سليمان باشا الكبير ١٧٧٩ - ١٨٠٢ م جامعاً يقرب المارة يعرف بجامع سوق العسرل ، هدم قبل سنوات من أجل إستقامة شارع الجمهورية الجديد .

شيدت هذه المارة بالأجر ، ورست بالكثافات والرخايف البارزة ، وعمرت بشموحها وإرتفاعها الذي يبلغ ٣٥ متراً عن خلال الخلافة وهنا

المدرسة المستنصرية :

وحسباً يأتي على ذكر بعض المعانير العاسية النافية في بغداد . صنع المدرسة المستنصرية — التي شيدت سنة ٦٣١ هـ (١٢٢٣ م) — في معدنها ، ذلك لأنها تتميز من الوجهة الفنية والتاريخية والمعمارية ، بمودجاً موهماً للسـاء الدراسي . فقد توصل المعماري المدادي في اجناراب اظهار انمايس التي تتلائم وطمة المواد واداء المهام المعمية

ويطوي بكبرس البناء على حصائص جوهرية في العمارة العدادية أهمها توصل المعماري الى دراسة العلاقة القائمة بين التألف الشكلي للباء وبين طسعة الجو المدادي المسرف بالنور والحرارة ، والخروج من هذه الدراسة نتيجة ، قد تكون ، حتى في عصرنا الراهن مفيدة شكلاً ومضموناً .

إن من أبرر ما اطوت عليه العمارة العدادية . هو إحلالها الصحن أو الرجة الداخلية ، المكل الأول في التخطيط ، وتأتي العرفات والأواوين والمداخل والممرات لتحتل مكانها حول تلك الناحة أو ذلك الميدان الداخلي الذي تتجه اليه كل مراق الساء يسا تقتصر الواجهة الخارجية على الأبواب المؤدية الى الداخل

ومن الميزات المعمارية الواضحة في ساية المدرسة المستنصرية إمتداد الايوان في وسط الواجهة الداخلية على طابقين يحيطان بالباء وهذا ما يؤكد أهمية الفضاء الأوسط لنوير ساية كبره استندعت للدراسة وتلقي العلم . ثم يأتي بعد الفضاء المكشوف الرواق المسقف المكشوف ، ثم العرف والقاعات التي تحتوي على مراق السكن والدرس والمطالعة . والتسبيق الذي اتسمه المعماري في تدرج الفضاءات : انتهاءً بالفضاء المكشوف والنور المباشر ومروراً بالفضاء صعب المكشوف ، ثم انتهاءً بالفضاء المسقف ذو الاضاءة الداخلية . يشير الى النظام الموروث في الماني الإسلامية والى أسلوب التخطيط المعماري الذي أكدته طسعة البنية ومتطلبات الحياة اليومية للعرد العراقي . فقد استندعت العقود الأجرية في تعقب سقوف طابع محلي ومقاييس أكاديمية في الارباع توصل المعماري عن طريقها الى حلول مباحية ملائمة . لأنه استطاع أن يحمي الفضاء الداخلي من إشعاع الحرارة المباشر بواسطة القوف المعقودة والحيطان السمكة والأروقة والدهاليز الداخلية التي ظمت تيارات التهوية في الساء كله

أما الاضاءة السقفة ، فقد صعد بشكل يعطي أكثر ما يمكن من النور ، بأقل ما يمكن من إشعاع الحرارة وجسماً يأتي دور الصانع الماهر في التشكيل التصويري لأوجه الساء الخارجية ، لا يمكن لمؤرخ العمارة العدادية أن يتجاوز هذا الدور ، دون أن يشير الى الاحساس الربيع الذي صاحب عمل ذلك الصانع العباسي الذي أدرك الخصائص الأحيية لمادة الطابوين ، ويمكن أن نستندعها في تكوين تشكيلات زحرفية من الحجر العائر ، كما استطاع أن يمد ألواناً من المادج الهندسية للتعبير عن قيم جمالية ، بواسطة حفر وحت وحدات مختلفة الأشجام من ذلك الأجر ثم رصفها وفق حسابات رياضية خاصة فوق أقواس المداخل ، وعلى مساحات مية من الجدران لاجرار تأثيرات تعبيرية من تنابر الظل والضوء .

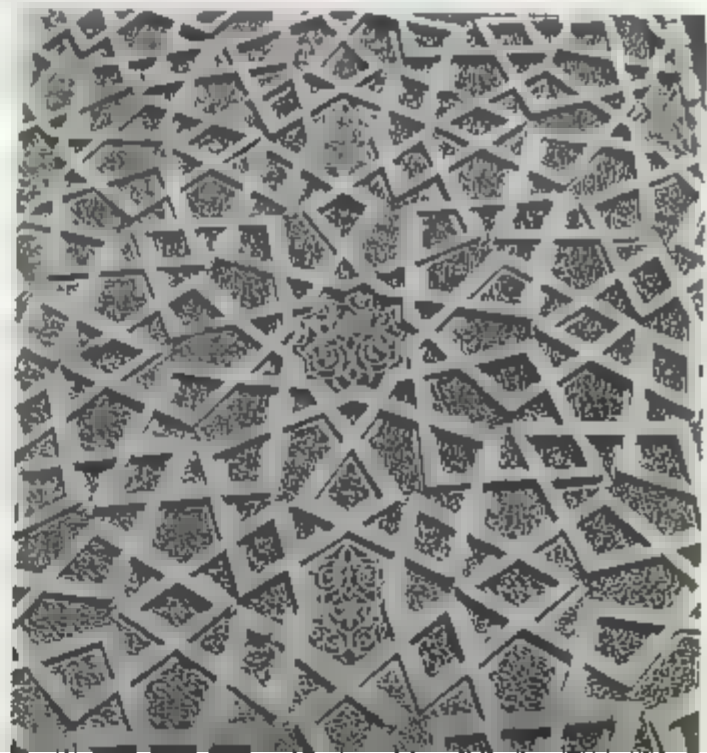


الكافة الأجرية على جدار المدرسة المستنصرية المطل على نهر دجلة



نسيم من اجزاء الشماي للمدرسة المنصورية من الداخل

➤ حاصل زخرفة من مدرسة المنصورية



وهناك مدرسة أخرى أقدم رماً من المتصيرية ، لم يبق من معالمها ما يشير الى تحطيطها المعماري ، هي المدرسة النظامية التي شدها نظام الملك وزير ألب أرسلان وأنه ملكها سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م) . وتقع في وسط سوق الثلاثاء الذي هو اليوم « سوق البرازين الكبير » .

أما القصر العباسي ، فبأني مدرجه هلمه أيضاً في المعالم المعمارية العبدادية . وقد احتلف المؤرخون في وصفهم من أكد أنه « دار المساءة » وصفهم من قال بأنه مدرسة أسست في عهد المستر بالله ، من قل شرف الدين إقبال الشرايبي على أن ما بهما في هذه الدراسة أن يأتي على تحليل الطبيعة المعمارية لهذا المبنى ، الذي يألف من إيوان وأروقة وماء كبير ، تحيطه غرفات لا تختلف كثيراً عن غرفات المدرسة المتصيرية .

ويعتبر هذا المبنى التاريخي اليوم نموذجاً من المعالم الرنسية للريادة العسكية في عصرها المتأخر . فقد استخدم الأجر في تحلية العقود بمشبه فصوص وممرصات ذات تكمين هديسي يحدو الى الأسفل فيكون محاميع لنحوت هندسه تتعبر بها العمارة العبدادية بصورة خاصة .

ومن المدارس المهمة التي بقيت بعض معالمها العمرانية ، المدرسة المرجانية ، التي علب عليها إسم الجامع ، فأصبحت اليوم تعرف بـ (جامع مرجان) . وتآلف هذه المدرسة التي أشأها أمين الدين مرجان في سنة ٧٥٥-٧٧٣هـ (١٣٥٦-١٣٧٤م) ، من قاعات للدرس ومساكن ومصلى تدور حول قطعة إرنكارية لمصاهي الصحن الرئيسي ، شأنها في ذلك شأن المدارس الأخرى التي أتت على دكرها في هذه الدراسة . إلا أن الجديد في هذا البناء أن المعماري وقد أصاف لآب المدخل مارة من طراز العصر السموري في إيران . كما أقم فيها ذات الشكل العريد ، وللاضواء الدائرية في تقويسها على رعة مستقيمة مربعة بالعوش الأجرية . وقد أتى عليها العمران الحديث بعدد فأراها قل منين ، ولم يبق من هذه المدرسة إلا الباب والمئارة .

ومن الأمثلة البارزة النفيسة للثقافة الداخلية الكبيرة ما نشاهده في مبنى خان مرجان أو « خان الأورثمة » الذي شده أمين الدين مرجان سنة ٧٦٠هـ (١٤٥٩م) . والتسمية بمبنى الخان المسقوف خلافاً لما هو مألوف في سائر الخانات التي تتوسطها ساحه مكشوفة . ذلك لأنه عبارة عن قاعة بهو مسقوف ترتفع عتادته ١٤ متراً عن أرضيته ، ويتميز هذا المبنى بالأصاف الى سلسلة العقود المتداخلة بقوش كتامة بشكل مسور من الرواة للمدحج وحكمه هي عليه حتى اليوم من جهة سوق الرايين الحالي حيث تحدي بسمه أسطر من الكتامة حفر عليها الكلمات بخط واصله دقيقة .

تآلف خان مرجان من طابعين الأول يحتوي على (٢٢) عرقة والثاني على (٢٢) عرقة . ويتبع أبواب الطابق الأرضي الأخرى ذات المقرصات الأصلية التي يؤدي فيها الدور الأخرى وطعته الحمالة المثلث وهو سلسلة من مشكوات مقوسة تنحدر منها رخارف مقرصة . وبعد هذا الطيف الذي يفصل ما بين الطابقين من أمن آثار الريادة التي شاهد في بناء الخان .

يستند الطيف على سلسلة من الخوامل المقرصة والأفارير الدعة تحرج من الجدار بصورة تدريجية حتى تتمدد عنه ما يقرب من المتر الواحد ، وتتألف طاقاً مرحرفاً برند عرصه على المنبرن ويحيط بالهو من جهاته الأربع على إرتفاع أربعة أمتار .

لقد توفي مصمم هذه القاعة في طريقة إصاها بالور الطبيعي ، وذلك باستعماله البواقد المقوسة المحرمة والتي لم يسبق أن وجدنا لها أمثلة مشابهة من قل في ماني هذه المنطقة .

ولا عالى إذا قلنا أن هذا البهو الكبير ، طعه الديع وسلسلة عتاداته الحميلة ، بشكل يحد ذاته مثالا معمارياً فريداً في نوعه ، ومن أجمل القاعات العبدادية والأبناء الموجودة في المدينة .



مسورة تخطيطية لمشهد الكاظمي من «كتاب رحلات ديولافوا»

ولابد لنا قبل أن نتول العمارات العددية الأخرى بالدراسة ، ألا نعمل ذكر تلك المنشآت الاجتماعية الخيرية التي كان يطلق عليها « الخاقاء » أو ما مراد به « الرط » وهي مدارس أشأها الخلفاء والأمراء لصيانة العلماء الراحلين من قطر إلى آخر طلباً للعلم ، وأصبحت مرور الزمان أشه بدور الثقافة ثم آلت إلى أن تكون أحر الأمر مواطن للصوفية ، ونكايًا لفرهدين وقد أشار الدكتور مصطفى حواد إلى أن أهم رباط أشي في بغداد هو الرباط الذي شيد في مقابل جامع المنصور في أرض مدينة السلام . وذكر بعض أسماء تلك الرط ، مثل رباط الاخلاطية ويقال أنه رباط سنجوق ، ورط زمرد حانون وأرجوان والديع الرضائي ودار الشط والحريم الطاهري . ولم يبق من هذه الرط ما يشير إلى تخطيطها المعماري . كما عثر الرص أيضاً على آثار الأديرة والكنائس المنددية القديمة وفقدنا لذلك أي أثر مادي للاستدلال على تخطيطها الهندسي وتكوينها المعماري .

إن من المعالم المعمارية والشواخص التاريخية الهامة في بغداد وإلى اليوم هو المشهد الكاظمي نسبة إلى الإمام موسى الكاظم (ع) الذي دفن فيه سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) ، كما دفن معه حفيده محمد الجواد (ع) سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥ م) . فهو بالإضافة إلى قدسه ، يعتبر أثت مرجع خططي في تاريخ بغداد العربية لأنه حافظ على موقعه الأصلي حوالي ألف ومئة وخمسين عاماً وكانت هذه المقبرة تعرف بـ « مقابر قریش » كما كانت تسمى أحياناً مقبرة الشويبي الصغيرة لتتميزها عن مقبرة الشويبي الكبيرة . التي دفن فيها الشيخ جليل . ولا يزال القسم الغربي من صحن المشهد يسمى « صحن قریش » حتى يومنا هذا .

لم يحط هذا المشهد بالمصانة أول الأمر إلا على عهد الأمير عمر الدولة من بويه الديلمي في سنة ٣٢٦ هـ (١٠٤٧ م) . فقد أمر بأن يعاد بناء الصريح ويعد فوهة فتان ، ويبدأ حول المقبرة حائط كالسور . ولم يصل إليها ما يشير إلى وصف

الفنن اللذين أمر بانهما مع الدولة ، إلا انهما كانا من الساح . وانهما لم يكونا محروطين الشكل من الطرز المعروفة
ر « اهيل » لأنها ظهرت في القرن السادس للهجرة . وليس لنا بعد . إلا أن يقول بانهما كانتا كسائر قباب الأئمة
والأولياء في العراق لأن الناس توارثوا العيون والصاعات والطرز والأساليب المعمارية من بها
وفي سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) أمر أبو طاهر ساشي الخاحب الزكي بحجر دبابه به دجل وسوق ماء منها الى مصابر
قرش فتوفرت أسباب العمارة هناك

وفد ذكر الشيخ محمد بن طاهر الساوي أن « الخارث الساسري والمملك السويهي ، رعا في سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م)
المشهد الكاظمي وجعلوا الصريحين في صدوق وعددا عليهما قبة وحيطانها سائط وجعلوا للمشهد بهواً واسعاً مصللاً
مسجد وللمسجد مثناة ، وبعدة توالى على المشهد الحريق والعرق ثم جاء التعمير والتجديد
وفي سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) دخل ابن طهولة لأول مرة الى بغداد وقال في ذكر الجانب الغربي منها « وفي هذا
الجانب قبر موسى الكاظم بن جعفر الصادق والد علي بن موسى الرضا والى جنبه قبر الخوادم والقراة داخل الروضة
وعليهما دكانه مبنية بالخشب عليه ألواح الفضة » وقد أراد بالدكانة المصانيف الذي يحول بين الرواد
والصدوق الداخلي

وفي سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) في عهد الشاه أوس بن الشيخ حسن الكبير أمر النوبان هو نفسه بمهم المشهد
فرمم وبنت فيه قنار ومارنار والصريحين صدوقان من الرخام مدح بقشما وحجما وأمر أيضاً بتزيين الروضة
بالأجر الكاشاني المكتوب بسور من القرآن الكريم وبني رباطاً في الصحن .

وفي أيام حكم شاه اسماعيل أبي المظفر بن شاه حيدر الصفوي في سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) جدد عمارة المشهد
الكاظمي على طر العمارة القديمة - كما هو - بقى حتى أيام هذه - وحسن به صحنه واسعة جد وأروقه
وحجرات صلاب العلم والمجاورين وحطه أية من آيات الفن الثاني الدهر . وحسن الأبواب والفتاح وبني مطلق
العتن من الداخل بآيات القرآن الكريم ، والمقرصات الدارعة . وبني الصدوقين بأحسن رسة . وشدد مداخل
شوامح وكنت على الزوايا المقاب للداخل الى الحصره من باب القبة على الأجر الكاشاني

وفي سنة ٩٧٨ هـ (١٥٧٠ م) في عهد النظام سنة الثاني بن شاه المارة التي في الركن الشمالي اشرقي من
المشهد الكاظمي

وفي سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) أمر ناصر الدين افندي بتعمير المشهد وبنين الماراب بالصحن الذهب
هذه حجة ناحية موحدة عن مشهد الكاظمين . بين لنا التطورات المختلفة التي مر بها هذا البناء والتعديلات
المنمارة التي جرت عليه وبدولنا من راسة بحفظ المدن الاسلامة ومكانه المسند ووصافته المعددة فيها . أن
صحن مسند لكاظمين يجمع الطائف المدمر والاجتهاد والروحية بالنسبة لمسقطه ورواها «الصحن هو المبدأ
الرئيس للمسقطه ولا يحصر مهماته في التعداد والصلاة والوعظ على عرار المعابد لأوربه . من تذهب الى أن هذا من ذلك .
حين يكون حاجته وسبق لتجمعات شعبه كانه يقصص ظروف المواسم بديسه . والمراتب لمسقطه . أو الأخوان
الاجتماعية المختلفة

فمن متسع فصانه الذي يمتد طوله ٣٧٠ م وعرضه ٣٥٠ متراً يمتد عشرة أمدان تؤدي الى الشان الذي يحيط
سور صحن المشهد

أما البناء الذي يضم المرقدين اشرقيين فتبع مساحته ٢٣٠ × ١٥ م وبنيوه قباب معشاه بالذهب المطروق
ويحيط من جهاته الأربع ، رواق بالاضافة الى أروقة المداخل المطلقة على الصحن
ومن الخصائص المعمارية التي يتميز بها سور الصحن ، أنه حال من الأروقة التي تشع في صحن الخوامع . وتكرر

فه وحدان من الالهة والمعبود ، في كل ايوان باب تؤدي الى عتبة داخلية . وقد خصصت هذه الأرواب والغرف للدرس بحث تحقق عزلة خاصة عن صحن الميدان

ومن الميزات المعمارية التي ظهرت في هذا المشهد استعمال الفاشاي في إكساء الجدران والقباب والمناظر فقد كان لهذه المادة القوية الجميلة أثرها الواضح في تطور العمارة الإسلامية في العراق ، حتى شاعت في إكساء القباب والمناظر بشكل ملحوظ .

بعد إنشاء حصن صلاحية في الولاية سنة ١٥٢٠م في حوامص ومن بسبب الهم كما قدم بعضهم تجديد مبانيها . ومن أبرز المعالم التاريخية التي جرى تحديثها ، مشهد الشح عدنانقادر الجيلي المتوفى سنة ٥٦١هـ . ويعبر نهر الشح الجيلي من احواف المدينة الى كات داخل سور بغداد الشرفية . ويكون فيه وصحة المستطيل وممارنه ، والمجموعات السكنية التي تحيط بها مساحاً . ويشير المصادر التاريخية الى أن القبة التي تعلو «صرح» ، كانت على «نظر» السلجوقي الهرمي الشكل . وقد هدمها السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) واستبدالها سنة ١٥٣٤م . ثم بنى مسجداً قرب الصرح . ما القبة الواسعة المنطوقة القائمة الآن . فقد شيدت سنة ١٦٣٦م . ويعد مشهد شيخ عبدعزاد ، الكلياني من المهدى الإسلامية الشهيرة في بغداد ، فهو بالاصح الى كونه مسجداً ومرآة فأنه من المراكز الثقافية الدينية .

ومن لمشهد تاريخية مهمة التي حدثت أيام الحكم العثماني للعراق ، مشهد الامام أبي حنيفة المولود سنة ١٥٠هـ (٧٦٧م) والذي يعود الى عهد الخليفة المنصور . وقد وضعه الرحالة ابن حبر سنة ٥٨٠هـ (١١٨٤م) فأشار الى قفته اشعة التي تعلو عن أن يرممها ويحدثت كثيره جرب عليه خلال تلك العهود حتى أن أمره الى ما هو عليه الآن بعد أن شيد فيه الصحن ومبانيه الحالية عمر ناشأ بأمر من السلطان محمود . أما أروقته المشيدة بالأجر فقد أمر ببنائها السلطان محمد سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . واستمرت المظاهر المعمارية في التغير ، حين حاولت التكية الفاشائية لفتنة ، وشكل المارة ، والأقواس الأخرى للرواق الخارجي . وشكل هذه التكوينات في منطقة الأعظمية محور الارتكاز للحياء الدينية والاجتماعية عبر أن صي البياض الحالي ، والمداخل الى المسجد ، والحدائق المغفل — وهي التجديدات التي حوت على المسجد في السوات الأخيرة . لا يحسم من الناحية المعمارية ، مع التأليف الباني المتمسك بالسلطة والهدوء للمشهد

كما قد أوضحنا أن المساجد العمدانية التي قام ببنائها وبجديدها الولاة العثمانيون ، كانت ذات خصائص عمدانية في الشكل العام وطرق البناء واستعمال المواد . وأبرز هذه الأمثلة جامع الوردية القائم على صفة دحلة الشرفية عند مدخل حارة المأمون اعالي ، وفي الموقع التاريخي لمدرسة الخليفة « المدرسة النشبية » . وقد سمي جامع الوردية سنة الى الوردية حسن . حيث بني ولاية بغداد مد عام ١٦٠٠ حتى ١٦٠٤م وقام بأعمال الترميم والتجديد للمسجد بغداد وحوافها

ثم جامع الرازي ، جامع الأحمدية في لشدن وجامع الخاوي في رأس العربة شارع النهر وجامع المدرخانة الذي مازال يصل بقفته العباسية التي على شارع الرشيد . وجامع المذبولي وجامع سراج الدين وجامع المرادية وجامع الفضل وجامع أخرى بطرف لذكرها بالتفصيل والاحسان كثير من المصادر التاريخية . وسكني مايراد رسمياً والتعلق على بعض خصائصها المميزة التي يذكها الأسلوب العمداني في العمارة

وتتم أحداث القرن التاسع عشر الى الكوارث التي حلت ببغداد ، والى ما اتت بها في عام ١٨٣١م من فيضان مربع حرب سبعة آلاف مقي ، وما أعقبه من انتشار وباء الطاعون الذي أهلك من النفوس (٤) ألف مئة ، وأبى





عداد ڪا صورت في ڪتاب الائنح (G. E. HUBBARD) ح إي هووارد

اب علي ما في المدينة من عمران كما أصاب الحريق بعضاً من العائش الموجودة في السراي ، وسر لها الظلام والموت
أعواماً طويلة امتدت حتى أواخر القرن ، حين انصطت أيام الوالي مدحت باشا بالعالم الخارجي بواسطة خط الملاحنة
لهري الذي أوصل دحقة بالبحر عن طريق خليج الصرة . وهكذا بدأت بين عامي ١٨٦٠ و ١٩١٤ تنقل أول
سمات التمدد الحديث .

الأسواق البغدادية

سأول في الفصول السابقة ، دراسة الجانب المعماري للمباني البغدادية العامة ، كالفصول والمدارس والجامعات
والمساجد وغيرها . وسأول في هذا الفصل ، الجانب الحيوي الآخر من كيان المدينة المترسعة ألا وهو
« المنشأة الاجتماعية » . وبدخل في إطار هذه التسمية : السوق والخان والمقهى ودار السكن
و... أهمية المنشأة الأولى في مخطط بغداد ، تكمن في التعبير الجاني عن حاجة المدينة نفسها ، وحاجات المدن
والأقطار الأخرى

فقد أشاد الأسواق ببغداد من مخطط المدينة صحت حول موقعة تلتماكر العمارة والسكن القائمة
أدراك . وكانت صافي الأسواق في المداخل الرئيسة للمدينة : مراكز لتجميع التجار وأهل الريف والوافدين من الأقطار
بعدة لغزود مما سمح بحدوث ما بين يدي من تجمعات كبيرة ، تمتد تلك التي بأصوبها ، وسببها
الاحترام المعمورة التي طلت أثارها شاهد . حتى اليوم ، على اهتمام المعماري البغدادية بالجو والمناخ واحتلاهما أشكال
الأول في دراسة التصميم الأساسي لتلك المنشأة .

وورد ذكر تلك الأسواق في كثير من المصادر التاريخية وكتب التذاري ، فوصف ابن بطوطة في
رحلته المشهورة قوله :

« هذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق عاصمة الرب ، وأعظم سوق يعرف سوق الثلاثاء كل صاعه
« بين حده » . وكتب عنها « اندروبي » وهو أحد مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي ما يلي : « بغداد عاصمة
« في الشرق كالأصلها مصر حفر من بحر البحر ولا هي مدسه عظيمة كثيرة لأهل والخيرات والثمرات
حتى لطائف الدنيا ولزائف الدنم ما من متاع نعم ولا عرض نفس ، لا يجعل اليها فهي مجمع لطيف الدنيا
وماستها ، ومعدن لأرباب العايات وأحادي الدهر في كل علم وصنعة » .

وما يشير إلى أنفراد كل سوق خاص به وصف معين من أصول انصاعه « ورد في بعض المصادر من
أحاديث فقد ذكر ابن جرادة أن الحرف الصبي كان يسود بالأسواق ببغدادية . وحا في وصف أسواق الصفة
الشرقية « بي « سوق الرصافة عظمه حده » . ووصف أحد أسواق الجانب الغربي وهو أسواق المسمى « سوق
يحيى » بأنه « ذو الدكاكين عذله ، الدروب العظمى من دقيقين وحار من صلاوات » . وكتب ابن بطوطة في
سنة ٥٩٧هـ في وصف سوق الطير قوله « وهو سوق يجمع أرباباً من حواشيه الصيارف الطراف وأصحاب
الطاليس وهو حر الملايس » .

ولما كانت الأسواق العددية تؤلف مجملها وحدة من وحدات المشاة الاجتماعية، فهي ترتبط عضوياً بجماع خاص قرب منها يعرف باسم أهل الحرفة أو الصاعقة الشائعة في تلك الأسواق. كما ترتبط بعقار خاصة يرتادها أهل تلك الأسواق للراحة وعقد الصفقات وضاء الأوقات. ويظم هؤلاء تعيد اجتماعي يؤلف بهم في ماسات الأفراس والأتراس الخاصة، وكذلك في المناسبات الشعبية والدينية العامة.

ولقد اشتهرت بغداد، بوصفها المدينة الكبرى للثقافة والعلم في العصر الواسط، بأسواق الوراقين وهي أسواق كانت عامرة بالكاتب مردانة بأهل العلم والأدب والمكر وصعب ابن الحوري سوق الوراقين في كتاب « مناقب بغداد » فقال أنها سوق كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء.

وللاحظ في تصميم الأسواق الصاعقة نزع مشات المتاحر منها وهي « الخانات » التي ما ال بعضها يؤدي دوره المعدن في الحياة التجارية حتى اليوم. وتتألف هذه الخانات من طابقين توسطها ساحة مكشوفة أو أكثر حسب شكل وسعة الموقع ويحتوي الطابق الأرضي على غرف يفصلها عن الساحة أروقة مقفولة آخريه. أما الطابق الثاني فيشيد في الغالب بمواد أخف وزناً ليحفرو العضاءات المطبوعة لمكاتب التجار. وتحطط الخار، يكاد يشه من الواجهات الاثنائية العامة، تحطط دور الكرك فان العمود الخشب الذي يعرف بالاصطلاح العدادي « الدلك » يستعمل لحمل السقف الخشب في الطابق الثاني وقد يلبأ الى التسقيف الموقت للساحة الواسطى من أجل تحقيق عضاءات ذات أبعاد واسعة توفر إمكانات جديدة خزن البضائع وإيصال البور الطبيعي للساحة الداخلية من جوابب السقف المؤقت

المقاهي البغدادية

إن أول إشارة وردت عن وجود مقهى في بغداد جاءت في كتاب « كلش حلف » في عام ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) وقد كانت تدعى آنذاك « قبوة جمالة راده » ومؤكد الباحث يعقوب سركريس في دراسته عن موقع هذا المبنى، أنه كان في موضع « حان الكمرك » الحالي كما ذكره فيلكس حوس في منتصف القرن التاسع عشر بهذا الاسم أيضاً ويستفد يعقوب سركريس أنه أول مقهى بني في بغداد.

أما مقهى حسن باشا فيقول عنه أنه يقع في حوار جامع الوريير في مدخل السوق المؤدي الى المستنصرية، وقد رآه الرحالة « تكسيرا » وجلس فيه في كانون الأول من عام ١٦٠٤ م ووصفه بقوله « يستخدم في المقهى عدلمان ملاح ملاسهم فاحرة لتعديم القهوه وقصص الدراهم وهناك الموسيقى يعرف وعبرها من وسائل التسلية والبهو والترودد الى هذا الموضع في انقيط أكثر ما يكون ليلاً، أما في الشتاء فمباراً وهذا المقهى قريب من البهر « دجلة » وفيه بواعد وروايات تطل على البهر فتجمله متزهاً لطيفاً جداً ».

يعتبر المقهى العددية من الاسسة الاجتماعية التي تكمل دورة الحياة اليومية للسوق والمحلة، وهي بالرغم من حلولها من الطابع المعماري الخاص، إلا أنها تشار بعضاءات ذات أجواء متعة وخصائص اشائية أساسية تتوسع أعداداً من الناس بعدون إليها طلباً للراحة واحتواء بعض أقداح الشاي أو القهوه المرة أو سحب بعض الأعاس من دحان « الأرجيلة »





الدور البغدادية و لثرت السكينة

تتمتع الدور البغدادية، شأنها شأن الدور العراقية عموماً، بخصائصها الخاصة، حيث تتميز بكونها منسوبة إلى طائفة معينة، وهي طائفة الشيعة، وهي التي تتركز في مناطق معينة من العراق، وخاصة في المناطق التي كانت تابعة للدولة العثمانية، حيث كانت هذه المناطق تسمى «الطوائف».

ويختلف دور البغدادية باختلاف المراتب الاجتماعية، فالدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية المنخفضة، تتميز بكونها بسيطة، حيث تكون مبنية من الطين أو اللبن، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرفتين أو ثلاث غرف، وتكون مبنية على شكل مربع أو مستطيل، وتكون مبنية على شكل «بيت».

ومن ناحية أخرى، فإن الدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العالية، تتميز بكونها معقدة، حيث تكون مبنية من الحجر أو الطين، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرف كثيرة، وتكون مبنية على شكل «بيت».

ومن ناحية أخرى، فإن الدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العالية، تتميز بكونها معقدة، حيث تكون مبنية من الحجر أو الطين، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرف كثيرة، وتكون مبنية على شكل «بيت».

ومن ناحية أخرى، فإن الدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العالية، تتميز بكونها معقدة، حيث تكون مبنية من الحجر أو الطين، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرف كثيرة، وتكون مبنية على شكل «بيت».

ومن ناحية أخرى، فإن الدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العالية، تتميز بكونها معقدة، حيث تكون مبنية من الحجر أو الطين، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرف كثيرة، وتكون مبنية على شكل «بيت».

ومن ناحية أخرى، فإن الدور التي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية العالية، تتميز بكونها معقدة، حيث تكون مبنية من الحجر أو الطين، وتكون مسطحة، وتحتوي على غرف كثيرة، وتكون مبنية على شكل «بيت».

أخرى تعرضها لتضيق ساحلي تلك العرف وهذا الاربع ، يحقق في العالب ، وجود طابق وسطي نشأ فيه عرف حصة صغيرة يدعى « كشكال » وتحتل لأغراض الخزن أو لاقامة الخدم ، ويكون في العالب معزولة عن المرافق العائنة أما اربعاع الطابق الأرضي فيكون في العادة أقرب من ارضي العنوي

تصح من تحطيط السكن العدا في رب المصمم قد حاول اللعب على التشكيل الاشائه والاجتماعية والطبعية التي كانت تواجبه ، مستخدم لوصول أي عنه شتي الوضائن ومدرس عددا من المحاول حتى استطاع أن يجعل من الست موطناً بلوحة

وقد أعد « السرداب » لعب ساعات العبولة اعتيولة أيام الصيف بحدود ونصف هذا اسحاً محذرا به يمكنه وانخفاض أرضه عن مستوى أرضه ، انحصاراً قد يصرف في بعض الأحيان إلى عدة أمور مما يساعد على حمايته من الحرارة الملاهة أيام الصيف ، ويحري به به السرداب بواسطة فتحات صغيرة حده يكون في مستوى أرضه الماء ، ثم من أبواب المدخل وسلام انودته به كما تمتح بوجود محار عمودية لسببه تكون متصلة سطح الدار وتسمى « الداكيم » .

وبلاحظ الطر إلى الصبح العداية أشكال هذه الفتح سطوحها المقوسة ، وانجدها نحو مياه وبرج الشبلة المرمية ، تتصل « الداكيم » في الدب نحو به تؤدي إلى مستوى محقق في أرضية السرداب ، حيث يساعد الماء الموجود في قاع على برطب الهواء الخارج من الخاف الأتني من السطح . ومصطلح على هذا الاتصال - « الرور » والسرداب ، « الاضافة إلى أنه حصة الملأ لم يتم النهار الصيفي ، خصائص معمارية عديدة تظهر في عرائق معاملات الأجر ، والنفس في به عمود التميمية ، حيث يتم الاتصال بهذه الفضاءات من المضطعات المعتمدة في الدورير ثم الاتصال من أعمال احاء إلى الأشكال المطعنة التي تستخدم فيها دة لأجر بأبعاد تراوح ما بين ٢٥ - ٢٥ سم ٢ ، وخاصة في رصف الأرضات التي تحتفظ بالرطوبة والبرودة عن طريق رشها بالماء . ويتمر هذا التقليد في تليط الأرضيات حتى أمام هذه

ومن أهم راب المعمارية الشائعة في الباء المعماري ، المبود الخشب الذي يدعى بمصطلح العامة « الدك » وينتهي هذا العمود ناح مدرج مع بعض ساعد على بعض مباحه الجسر الذي يعلو عدداً من هذه الدعائم وسدل من شكل العمود وصرف استعماله أي لأقصاد في استخدام الخشب ، ذلك لأن عمله التطلع إلى بحري لهذا العمود ، سوى إلى المحافظة على أكبر سعة ممكنة لقطر هديسي ، مهندس أو مئمن . وقد يلاحظ المرء أن في استعمال الخشب بأشكاله الهندسية وحجمه المحتف به وبنو بكسية السقف وأسافل الشايلك ، ما يشبه أي داب النهر الاقتصادية التي ألما إليها .

النهر في حياة البيت البغدادي

ماء دجته أثر واضح في حياة البغداديين ، كما أن وجوده قد ساهم مساهمة أساسية في تكوين التصميم الأساس لمدينة . وقد جاء ذكر هذه المصاحبة الناحية في مصادر كثيرة مثل كتب ابن خلدون ولأصفهاني والأندلسي وابن حنكل

إذ يقول في الأندلس حمل بحلة المذوب في كونه « السلام » وصف مدينة بغداد العاسة مسداً إلى ما ذهب

إله البدائيون في ملامح أوصاف المدينة . صد جاء بهذا الصدد ما ذكره :

« ولما كان الحر يشتد وهب في الرواء ويعتقر أهلها إلى رطوبة الماء اقتنار العس إلى الهواء ، قل أن يخلو سوق من أسواقهم أو ساحة من سائهم من سقاية تجري بها ماء دجلة ولأهلها في إقامة الأحوال عامة نامة فيرقون عليها عمداً مزحمة من الرخام ويعقدون من فوقها سائياً مقوشة بآيات من الذهب . »

ثم يأتي على ذكر ترف البداديين يقول :

« ويتحدثون مقاعدهم في أوان الحر بين الماء المتدفق من صور السبع وأشكال الضبور وأشكال النباتات وغيرها . »

وفي وصف الية العدادية عبر الحياة اليومية للناس ، تنمى أهمية النهر في حياة المدينة ونشاطها ومواطن الترفيه فيها . فقد جاء في مناقب بغداد وصف لقصور السواطي :

« وكان لدور الشط أبواب إلى شوارعها وعلى كل باب مراكب مسرحة مائة لركوب الظهر كما بين أيدي رواشها حطبة أو ريزب (وهي صرب من السس) لركوب الشط . »

ثم يأتي على ذكر عدد القوارب النهرية لدوي السار يقول « مدجلة خمسمائة مصرع مرة لا يركب فيها إلا طراف التجار والأجناد وأرباب المقاطعات . »

وللقنوات وامتداداتها وتفرعاتها أهمية كبيرة في تحليط مدينة بغداد وتعليم البرك الخاصة بها فقد أستمد من نهر الصراة لاستحداث برك قصر الخلد الذي ناه المنصور على شاطئه دجلة .

وقد وصف بانوت القنوات النهرية التي حيز بها من نهر كرخا إلى أحد من العرات بأنها كانت « عقوداً وثيقة من أسملها بحكمة بالصاروخ والأجر من أعلاها »

أما السائين العدادية واختلاف الناس إليها فقد وردت عنها أحبار كثيرة في الكتب التي تحدثت عن هذه المدينة ومراحلها كما أشار دلي حارطة بغداد إلى بعض المواضع التي اشتهرت في المدينة بقوله

« إن في المواضع التي اشتهرت فيها بغداد موضع يقال له الشيعي كان يقع في الحد الجنوبي من بغداد الشرقية على الطريق الذي يوصل بغداد الشرقية بالمدينة وكان فيه ستان عامر يقصده كبار العوم ، وأمراء وسلاطين وقواد »

ويستدل من هذا أن لحدائق مكانه اجتماعي في السنة لعدادية ومرافق الترفيه العامة والخاصة

القباب العدادية

تعد القباب العدادية من أقدم المظاهر المعمارية التي احتواها جو وطابع المدينة ، فقد ذكر الخطيب العدادي في حديثه عن إنشاء المدينة المدورة أنه « بُني على كل باب من أبواب مدينة بغداد المدورة قبة »

والمتسع لأصول هذا التكوين المعماري ، نجد أنه ليس إلا متاعاً لامكابات العمود والأقواس وحركتها ، حين تكون القوس « بجاء » كبير « سعواً رملية » وحسن تكون الحركة حول المحور ، يتألف الشكل لصي وهذا ما يفرده شكل القوس نفسه ، فيصبح الشكل الجديد : القبة المقوسة .

ولقد استمر التقيد بالنمط العدادية ، حتى العصر الحاضر ، حيث تشاهد المرء قباب حوامها الجميلة تبرز بوضوح في المسطح الأفقي لأحيائها القديمة ، وهو المشهد الذي أثار اهتمام كثير من الرحالة الذين زاروا بغداد فجلوا انطاعاتهم عنه .

وحينما نذكر قباب بغداد، لا بد أن نشير إلى ما ورد في ذكر القبة الأولى التي شيدها المنصور في قصره، فقد حصها ابن الجوزي في كتاب صاف بغداد بهذا الوصف « وكانت هذه القبة باج بغداد، وعلم البلد، ومأثرة من مأثر بني العباس، ست أول ملكهم »

وإذا أمع النظر في القبة العباسية وتقريب دراسة أصولها في العمارة العراقية، وجدنا أنها ست البنية الطسعة التي بنيت في أحضان الأبنية الربيعية حيث يكون السقف، استمراراً للجدار الطيني، بشكل محلي تدرجي معوس ويعود هذا الأسلوب في التسقيف إلى طسعة المادة الرسولية للأرض العراقية التي يتخذ السقف فيها بالدرجة الأولى على مادة الطين، ويصنع من الصعب جداً الاعتماد الكلي على المساند الحجر أو الجسور الخشبية التي تكثر عادة في البلاد الحدية أو المواطى التي تكثر فيها العائلات، كبلاد اليونان التي مهدت للمعمار اليوناني طريق التسقيف التوسلي بين المساند الحجرية، وجمعت من هذا التأليف المعماري ما كلاسكياً لارم نظور فنون العمارة في تلك البلاد، وتشر من إلى أرجاء مختلفة من العالم القديم، وخاصة سوريا ولبنان.

ولعل هذا التحليل يقودنا إلى حقيقة علمية بسيطة تتعلق بتأثيرات البنية، وموادها المحلية، وانعكاس كل ذلك في طريقة ساول المعماري لتلك المواد، بحيث تصنع القباب، ذات الأشكال المنه أو المسطحة أو الهرمية، تأكيداً لقدرات المادة المحلية على التكيف الشكلي، وانتظور من القوس البسيط إلى القوس المركب الذي يسير حول مراكز محورية.

وتقل لنا محجوتات حصارة وادي الرافدين صورة البنية الربيعية التي تؤكد وجود القباب وتسقوف البرمسية بأشكالها المختلفة، وحديث بالذكر، أن القباب والمناظر القائمة في بغداد، لم تتأثر بالطرار الشمالي المستوحى من الفن البيزنطي، نعم أن معظمها قد شيد في عهدة مختلفة من حكمهم الطويل هذه البلاد وهذا ما يؤكد ما أصالة الفن البغدادي، وقدرته على الأمتداد والبقاء.

المناظر البغدادية

لعل أبرز ما سمعت به المناظر البغدادية عن شيلائها في البلاد العربية هو استعمال الحروف الملون « الفاشاني » في انكسية سطوحها، فقد أكسبها هذا المطهر الرحوق الدائم اللون، وجوداً حياً شاب والبنية المناحة الخافتة من « حة، وسجى وصفا أسود انبوهج صفراً وشتاء من ناحة أخرى، ويوضح هذه الطريقة المشي في انكسية اجدارية، توصلات لعن العراقي لاحقاً مادة الطين، ويهندسها وأحراجها بشكل يافس أصلب المواد الطسعة الجملة كالمزمر، وأبواع الحجر الملون وغيرها، « حيث تميز بخصائص عدسة في الاستعمالات الداخلية والخارجية، لاداء أغراض نائية وتجميلية وزخرفية في آن واحد.

من مميزات صحية لطرر وأساليب العمارة الخاصة بالمناظر الإسلامية، بوصولنا إلى حقيقة واضحة تلخص في استقلال الأسلوب البغدادي في بناء هذا الزمر الذي الجميل ويميزه عن أي طراز آخر في البلاد العربية بما أصفى عليه طابع التمرد، وحصه بجماله اسرة، تشهد عليه المادح كافة حتى اليوم من فنان ومبدع مراد الأئمة والعشائر المقدسة والجوامع الكبيرة في بغداد.





جانب الهمر في بغداد كما صورة هوپلر

تحليل القوام الانشائي للعمارة البغدادية

نشأت بعدد كبيرها من مدن العراق الأوسط ، على أرض رسيمة تولى طين السهول قوام مآدنها الانشائية وهكذا اعتدلت في إقامة ما فيها على الأجر ، مقنعة بذلك ، أسباب البناء في مدن احصارت انعمته التي نشأت ثم اندثرت في هذه المواطن المريقة

ويتميز الأجر بمرونته واصباحه لرعة البناء الخادق في تشكيل أعقد التاليفات والرحايف البائية ، كالخسبات والنبوءات والمقرصات والمقود وغيرها من المحت الاثنية الأخرى . ويصنع البناء عن طريق هذه المدة ، تدبيل الاتجاه في التقيف من الأشكال المستقيمة والروا القائنة الى الأقواس والحبات وانقود امثلة ككه ولا تتطلب هذه العمدات من الأدوات ما يحتاجه الحجر حين يستعمل لنفس الغرض ، فضلاً عن أن هذه الماده الأخرية تعتقر بطبيعة تكوينها المادي الى الحفة والهشاشة اللتين تمنع بها الأجر ، وهذا صفاً استطاع البناء بعدداني أن يستمد منها في تدبيل وحج الكتل الأخرية وصفاً لمقتضيات البناء . لذا فقد أصبح الجدار الأخرى مساطته المأبوفة يحقق عن فائدية البناء وحده جاذبية معماره يرى بعض ملاحظيها اليوم يعود نسبته الى من العمارة الحديثة عاطفة لا يمتلك الخصائص التقليدية الموروثة .

وحى تتسع مساحات الأجر ومسطحاته ، توحى للمصمم بأن إمكانات الماده مبالغ مستمرة ومتعددة . وأنها لم تسلك انطاقاً الا في كثرة في الرصف بل سمى وتحدد تحت يد بناء المحترف والقطاعات التصميمية الخلاقة . إن صور المسطوح الأخرية تعيش في نوع دائم جيداً باستعمال (المونة) أو ما يصطلح عليه بـ (البناء) وجباً آخر باستعمال التعابير في طرق الرصف من سود وحف . وهذه الطرق برودنا بثروه من العصور لأخره لا يستطيع المعماريون الجدد تجاهلها حين يعمدون الى التعمير في دراسها واستفراء الأساليب التي تسبق المعماريون القدماء في تمهيدها

أما عنده بسك الأجر فعمد بالدرجة الأولى ، على ماده محبة أخرى هي الحص . وهذه الماده ميرات خاصة بها أثر كبير في عتياب البناء . فهي بسك فائده عاليه على الجود بسرعة وثقة بعد اسباب البناء مباشرة . وقد ساعدت هذه الموصفات على احراء عمدات النقبه ورصف الأخر في بناء الأطواق دون ما حاجة الى استعمال القوالب الخشب . نبي تها عاده لصط دقة التعوس ومسح الحص فرحة أطول للجفاف . هذا بالاضافه الى ما يحققه بسك الماده بسلاستكه من إمكانات أخرى في من رحره الجدران ، ذلك ان البناء الذي اردته في سامراء ، وكان له ما يباطره في بغداد ، إلا أن الكوارث التي حلت بهذه المدة لم تبق من عمارتها ما يحمل لنا ، غير العصور اشارة الى وجود مداخل شبيهة بالوحدات الجصه الرائعه التي عثر عليها في تصور سامراء ، وظلت شاهده على تمتع من الرحره الحصية بالحصار و بغير

هناك لون آخر من ألوان البناء التريبي في العمارة البغدادية هو من ماء الأجر المقرص . وهذا الأسلوب الانشائي لا يزال مشكراً العصر الحديث في من العمارة العباسية التي ظلت تحتفظ بتشكيلاته الجميلة في قصر دار المساء أو ما يدعى اليوم « القصر العباسي » ومثله مسجد الحفص . وكان الأرمه ، وبعض نبوهه اسائه الأخرى . وعند مجلس هذه المداخل ، نجد أنها تحمل معاني اسائه لا تقف عند حد الرحره التكميلية الظاهره ، بل بعداها الى ما يمكن احصائه في جملة الادعاءات المعمارية التي ظلت تحتفظ بخصائص مبه جماليه ، بجانب تحقيق

بلوطائف الاثنائه الصوف قد ساعدت المعرصات على احداث التدرج من سطح الى آخر وقامت بدور الكواوين في الاعمال الحجرية ، غير أن الدقة والمهارة التي تتطلبها صناعة هذه كنده تتمثل في تركيب ورصف القطع الحجرية الصعبة ذات السطوح المنكسرة ، إنما يمكن الوصول اليها بطريق المهارة والدقة والصبر لتحقيق أرفع المستويات الجمالية لهذه الأجر . ما اعتبره بعض الدارسين سوء فهم ، عمدت زحرفة محض ، يراد بها إثراء السطوح بالمحسسات الشكلية حياً للزهو والبهجة .

إن الخواص الثلاث التي يمكن ان يقوم عليها البناء في العمارة تشكّل عالم هي : التكامل الوظيفي للنساء وحصة القوام الانثائي وبوفر عنصر الجدول وهذه العناصر والأسس التي وضعها فتوفوس في عهد الامر طورية الرومانية وما زال يؤكد اليوم طلبة المعمارين في عصر الحديث ، هي التي كانت متوافرة في العمارة الاسلامية في بغداد ولعل بعضنا الكثير من تلك الامم قد أثر فينا ، فإسناد على عدد كبير من اساتذتنا المتعلقة بذلك التراث الحضري الواسع

ومن خصائص العمارة العبادية استعمال الحرف المثلث في مزين الحدائق والمداخل وأقواس الأبواب وغيرها . فقد ازدهرت صناعة الحرف في العصر العباسي ، وانتشرت من العراق الى ايران ثم تطورت هناك واستطاعت أن تعاضد على استمرار تقليدها الموروثة في كل من الكاظمة وحكربلا . حتى اليوم وسدح في إطار هذا الفن الحمل عصر الخط العربي الذي يؤلف الشكل الأمثل لاعتناق الكلمة القرآنية المجيدة بالشكل الزخري المستمد من تجريدات الطبيعة .

إن من (الأساس) يعتبر من العنصر الاسلامي ذات الصلة بالصناعة المحرمة فهو من علمي لا يؤكد انسانية الفردية بل يحرم من وجودها عن طريق اللغة المحرمة الشاملة التي يطلقها من نحو الفن ويحفظها في الشكل . وهو بهذا يقف في وجه نظري ديني حاسم يختلف كل الاختلاف عن الاتجاه الديني الذي يعقب عليه الفن الأوروبي من الانسان والحياة والأشكال والظواهر .

واستد رافق الزخرفة انكسارية الزخرفة الهندسية في البناء فبعدد لابرار النجوم والتعرجات القائمة بين اسفل واصف . ومن يقصر استعمالها في الأبنية من معادها الى الصناعات الأخرى . كصناعات الخزف في الحطب والصبر والمعادن الأخرى .

وسنجد من طالع الزخرفة العباسية في بغداد أن مفهومها وحدودها الحصرية مستمدة من ماضيها وما انتقل اليها بعض مبادئ الاسلامي واستحبة لسقوط الرسالة الاسلامي في ارضها مدينتها أن أحترت وأحترت في صناعها مما جرداً به حصنهم عليه مختلف عما سمعه من أساليب الفن الباسني الذي اسمد منه الكثير ولكن لم تمثل في الفن الجديد الخطوة والبلطة للقوة المردية للخصائص الباسنية التي سبقت

ولم يحصر العناصر العددية في استعمال المواد المعجلة فتشير لنا المصادر التاريخية على أنها مركز استيراد لكافة المواد المتوفرة في العالم القديم وأن مظاهر زرف المعدن من وافيهم في تشييد القصور و زحرفتها جعلتهم على جلب المواد الباسنية من الخارج . وتشير الأوصاف لمعالي المصير وما حرته في بنائها وتكسية أرضيتها ومواد حيطانها الى استعمال الرخام والأحجار الملونة والأحشاب النادرة وغير ذلك .

وقد جاء في ألب انبياء : « وصفت مصر من مصر بعدا بأن : أرضه وأساطينه وحيطانه مرخمة بأنواع الرخام وهو منقوش بأنواع النقوش الرومية » .

عن أن هذه لاشأ تقتصر على بيوت الأعداء . وأظهر مدى الترف الذي سبب أحداً لعداد مسيها في مدينة ديبوية راهرة صبح عليها ما قاله ابن خلدون فيما يؤول اليه العمران البشري وملاذ الافراط في الترف .





تطور فن العمارة في بغداد

ماهن الرسم والتصوير الانشائية

تتضح خصائص التراث المعماري المتميز به الطابع العراقي البغدادي في العرض التصويري الذي تضمنته هذا الملحق. وبالرغم من زوال كثير من المعالم الحاصرية لهذه المدينة الخالدة، نتيجة لما أصابها من كوارث وأحداث عوق حد الوصف، فقد مثلت البقية الناقية من آثارها المعمارية، وفقونها الربارية، ظاهرة استمرار ذلك التراث، وقام تقاليده المعمارية التي استمدت وجودها من أحداث الأساسه للسكان. ومن الأعراس التصميمية لتلك المثلث عبر أن أهمه لصعدت العه النكسة. به شكل واضح في هذه المدارس باعتبارها لعصر الأساس في تكوين شخصية الأمة البغدادية، التي لم يسهل عليها المعماري أن يستهلكته من مواد ذات قاعدت عالية وخصائص طيبة فربده استصاع المعماري البغدادي أن يسهلها في بلورة عيانه الجمالة الى أقصى حد ممكن.

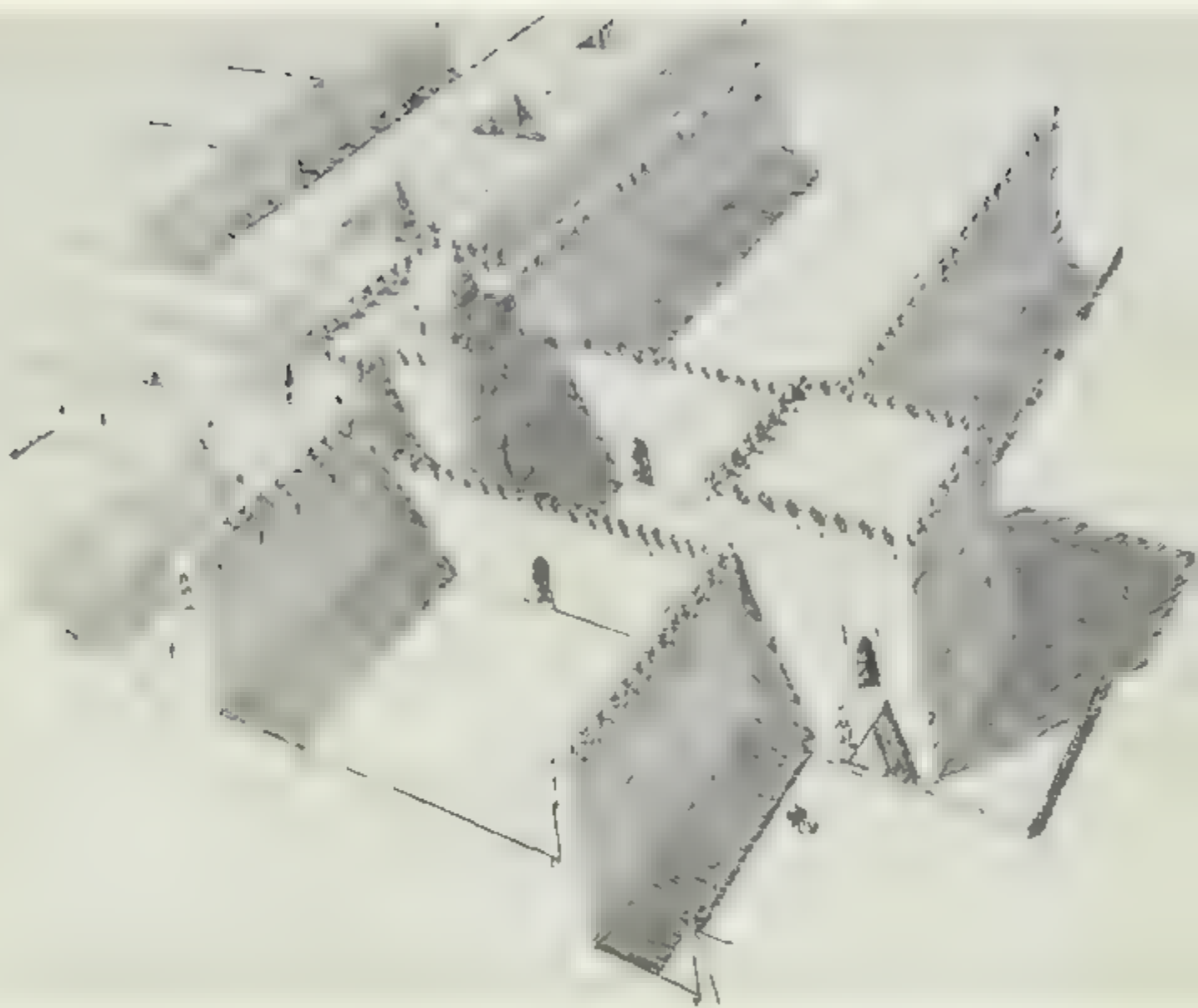
إن إردهار فن الزخرفة في العمارة البغدادية، يقترن — في العادة — بلوظائف الالته التي يمكنها من إمداده، كما يقترن بالمدايل العملية لاستخدامها، وهذا ما جعل منها نموذجاً قياً عالياً للعمارة العربية في هذه الأصقاع، كما جعل منها في نفس الوقت، نموذجاً عملياً تضمن كل الغايات الاقتصادية واحسانه الأخرى فالحرقة التي نلاحظها في الأعمال الأجرية والحسنه للأسس البغدادية، تعكس هذه الظاهرة بوضوح تام، وتبدو كما لو كانت ظاهرة تشكيلية عالية التكوين، عميقة المضمون.

وهكذا يبدو للدارس المتأمل أن استمرارية التقاليد المعمارية، مثلت أي حد كبير — من استمرار تلك الصاعات التي طلت مقترنة أبداً بأساليب البناء التقليدية، واستخدام المواد المتوفرة محلاً كما نجد ذلك في فنون الرصف والنكسة والأراند في أحر تلك لفون بي يعبر بها المدرسة الاسلامية للعمارة البغدادية ومحتها شخصيتها المستقلة بين سائر الفنون الاسلامية الأخرى.

العالم التاريخية المعمارية في بغداد

إن هذه الصور والرسوم ، توضح الى حد كبير ، مدى ما يحمله الأثر المعماري البغدادي من خصائص وميزات ومقاييس ، ذلك الأثر الخالد الذي عفى الزمان على أكثر شواهدة ، ولم يبق منها اليوم إلا هذه الأمثلة التي اجتمعت فيها — على قلتها — كل عناصر الجمال والابداع .

هي آية المساجد ، وبعض الممائر التاريخية الباقية في بغداد ، تتجمع الشواهد الحية لممارسات النشاط العمي والتموقي الحرفي للمعمار البغدادي الذي استطاع ان يؤكد مدته الملى في له ، كاستطاع ان يصنع للأجناس مقاييسه الجمالية التي تصنعت في جوهرها الأمثال الكلية لموامل الزمان وحدود المكان .



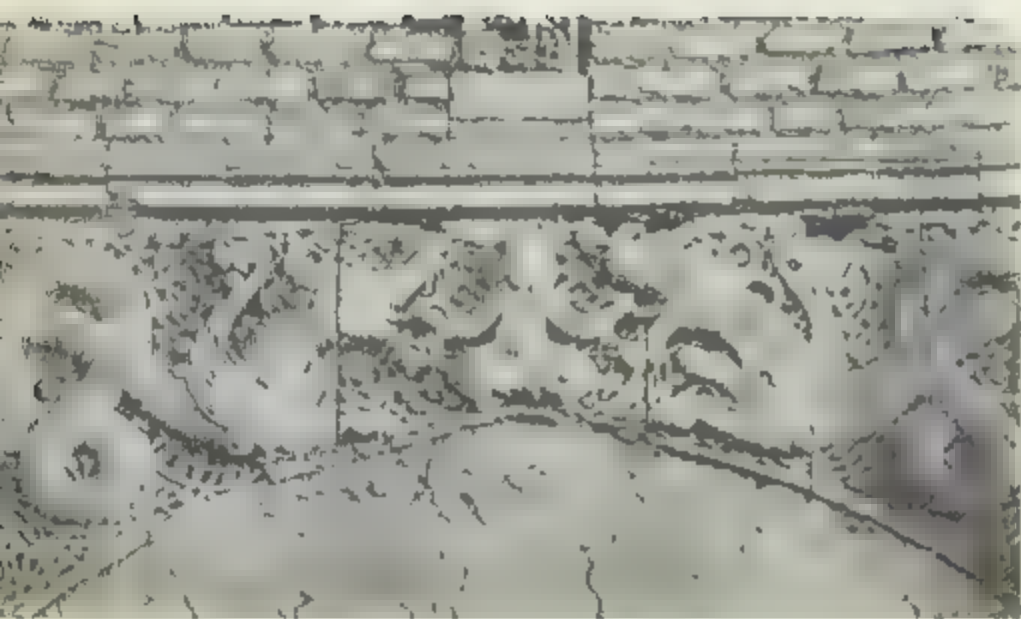
رسم تصويري لدخول أسوار مدينة بغداد المدورة



مقطع مدخل السور لمدينة بغداد المدورة



من أبواب سور بغداد الشرقية (باب السلام)



تفاصيل الزخرفة والنحت الأجرى في مدخل البوابة « باب السلام »

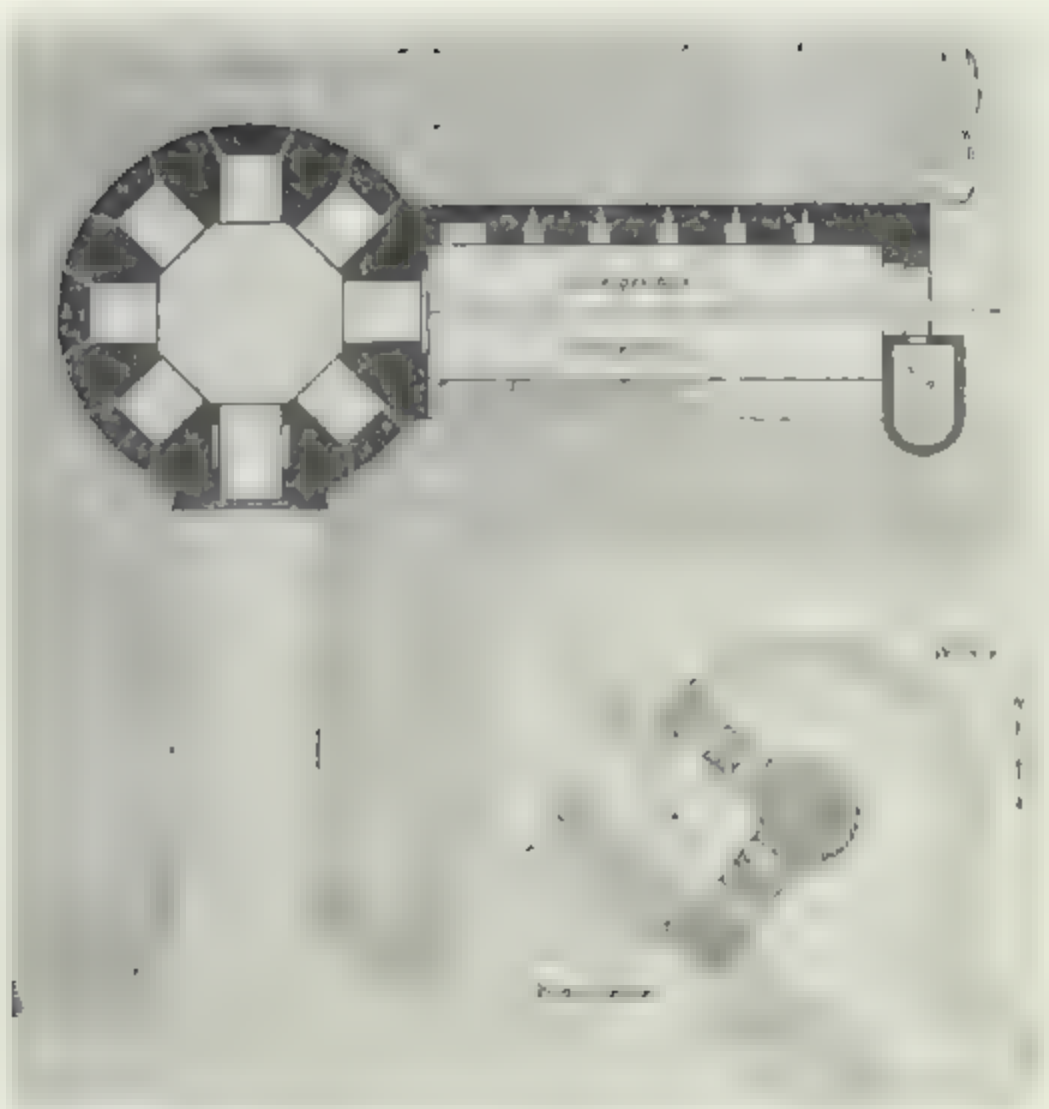


باب الخلة وسمى
بمعظم باب السلام

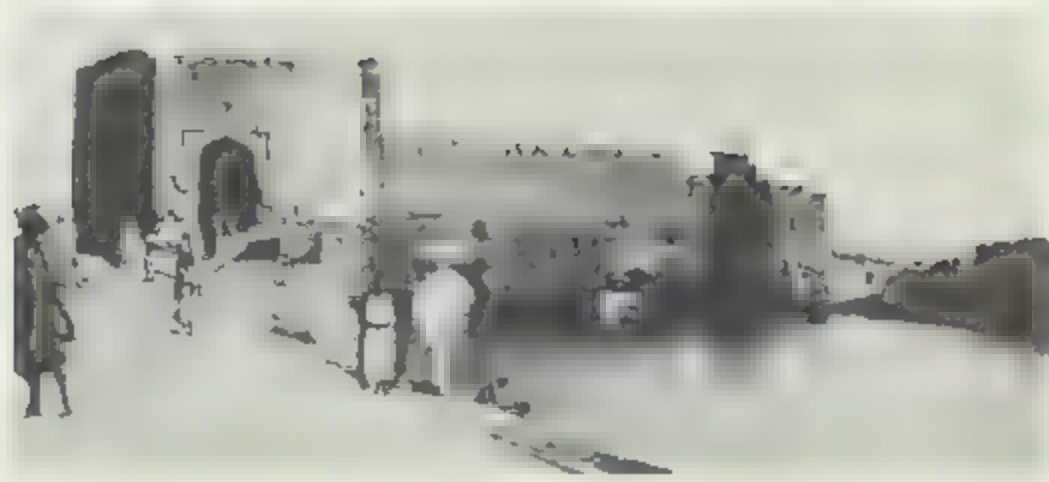




السايب الوسطاني بعد اجراء ترميمها بالوضع الحالي



محطة الباب
الوسطاني



باب الطعنة
« الباب الوسطاني »



منظر الأيوان الوسطي في القصر العباسي



مظور عقود الرواق نباحه لوسطه " لقصير لعماسي "

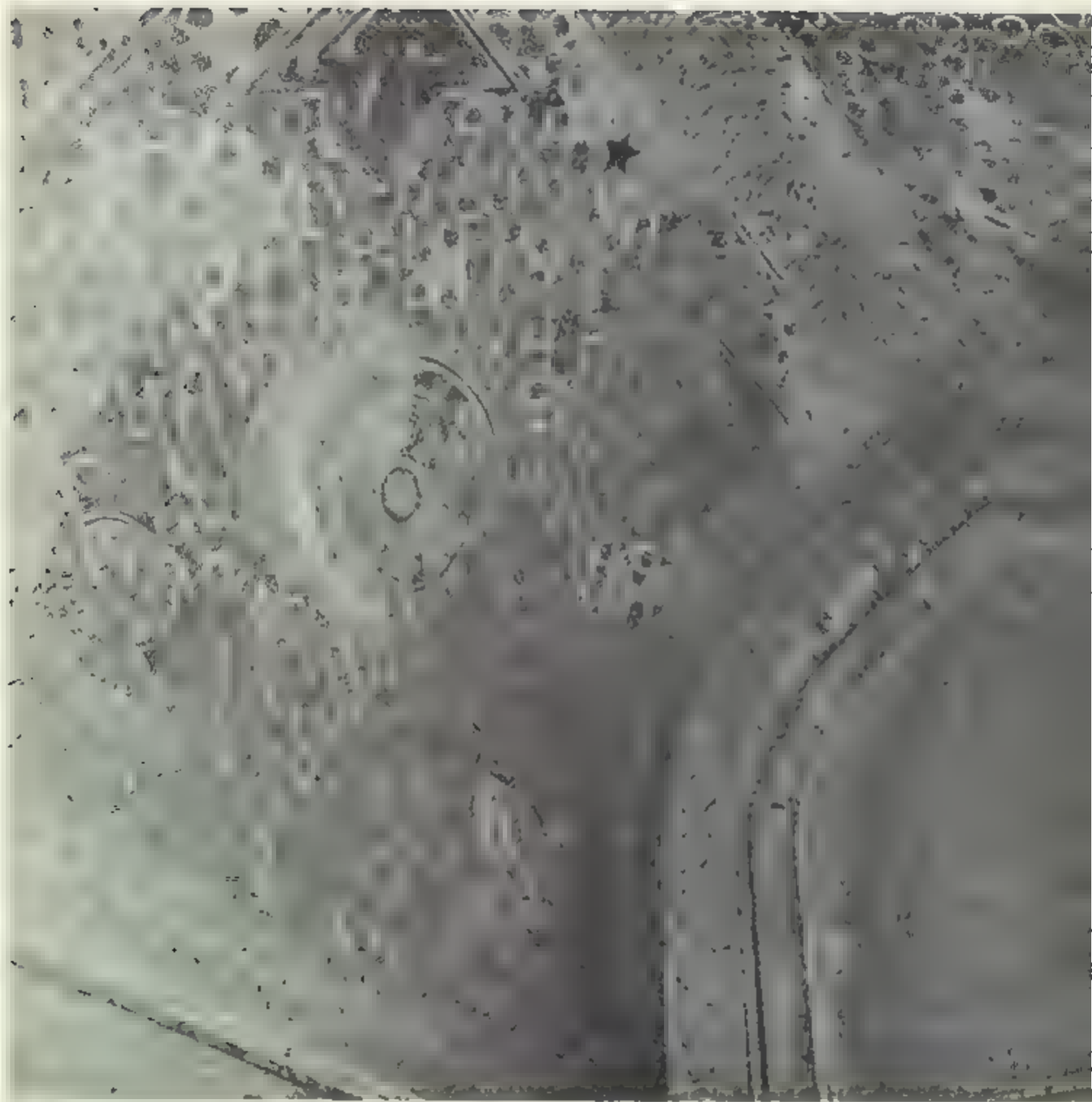


مظية امير لداخلي
لعرف « الفصر العباسي »

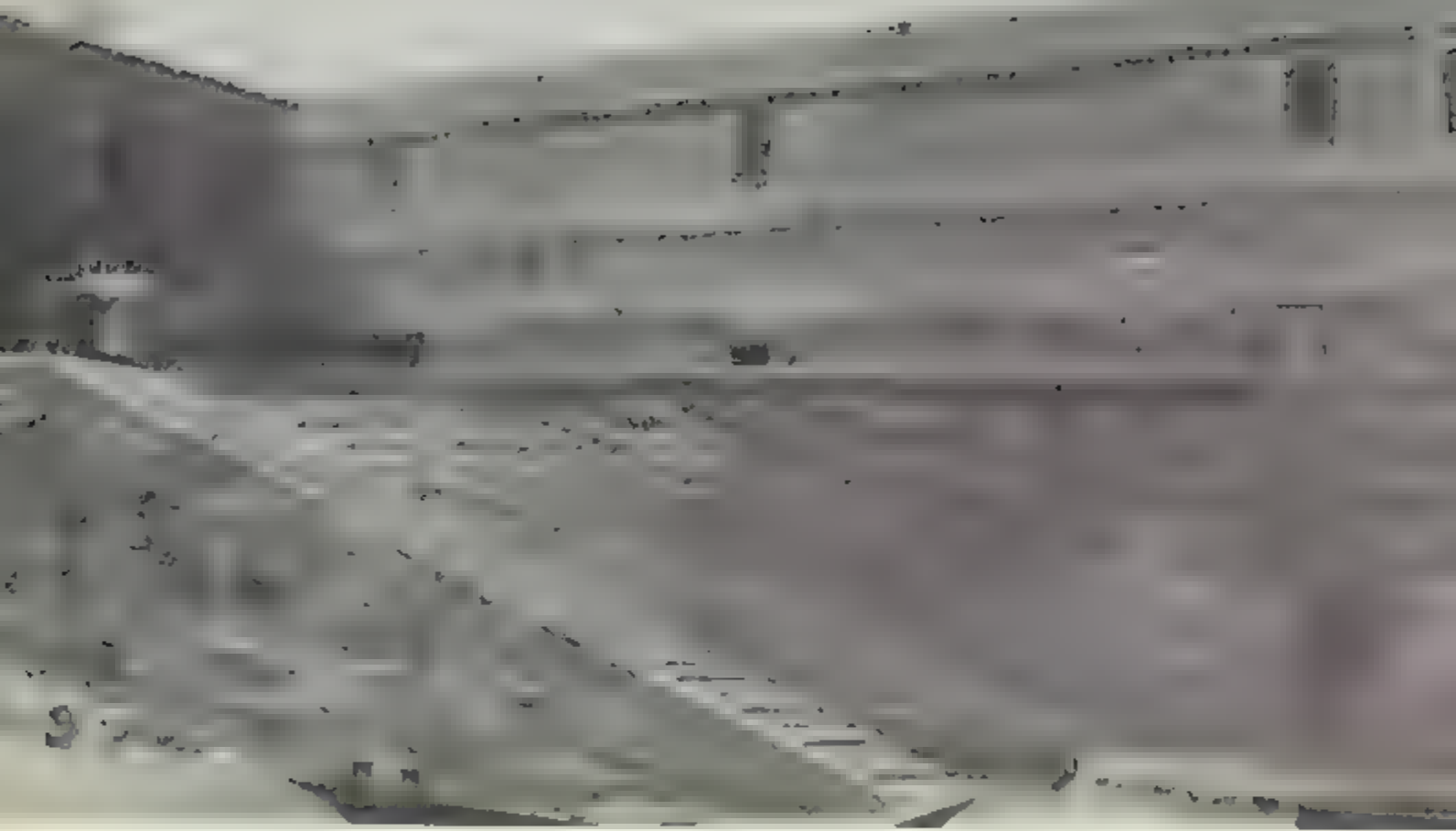




من المدام التاريخية المندرجة في القاهرة - القصر العباسي - أو دار المساء للصورة - مظهر الساحة الداخلية

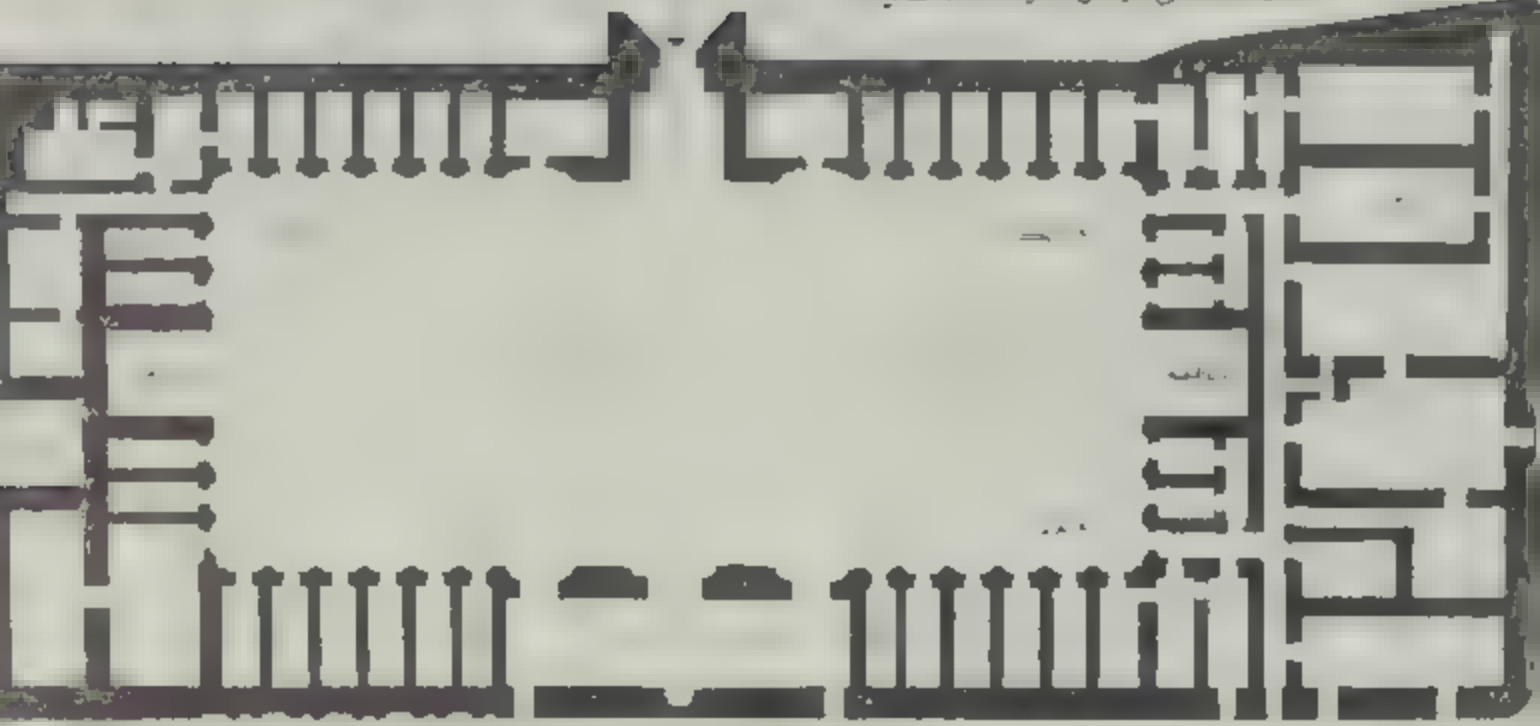


تفاصيل سقف إيوان « القصر العباسي »



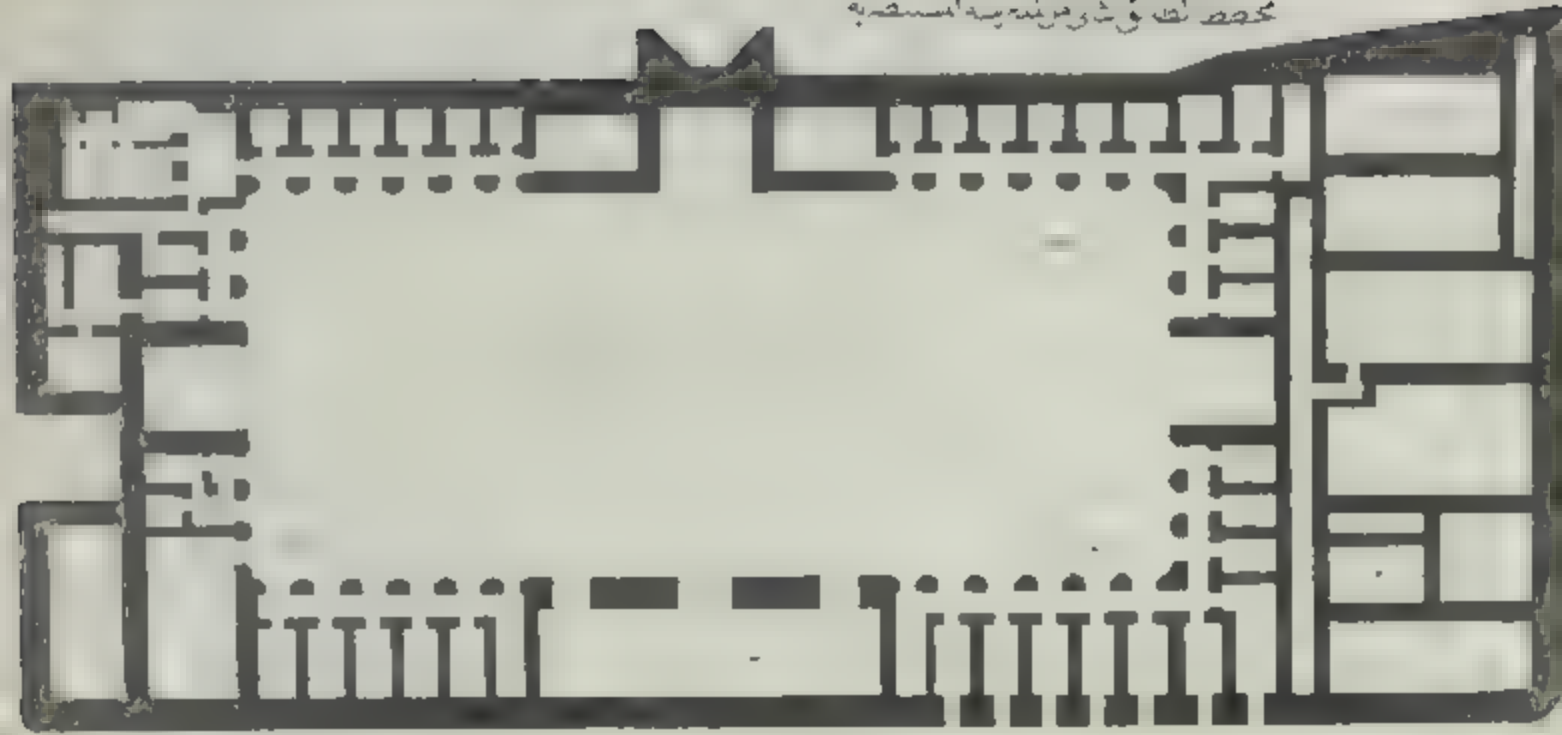
مقدمة المستعمرة — الواجهة الجنوبية الغربية على ساحل دجلة

محيط صانق (أول مدرسة مستنصرية)

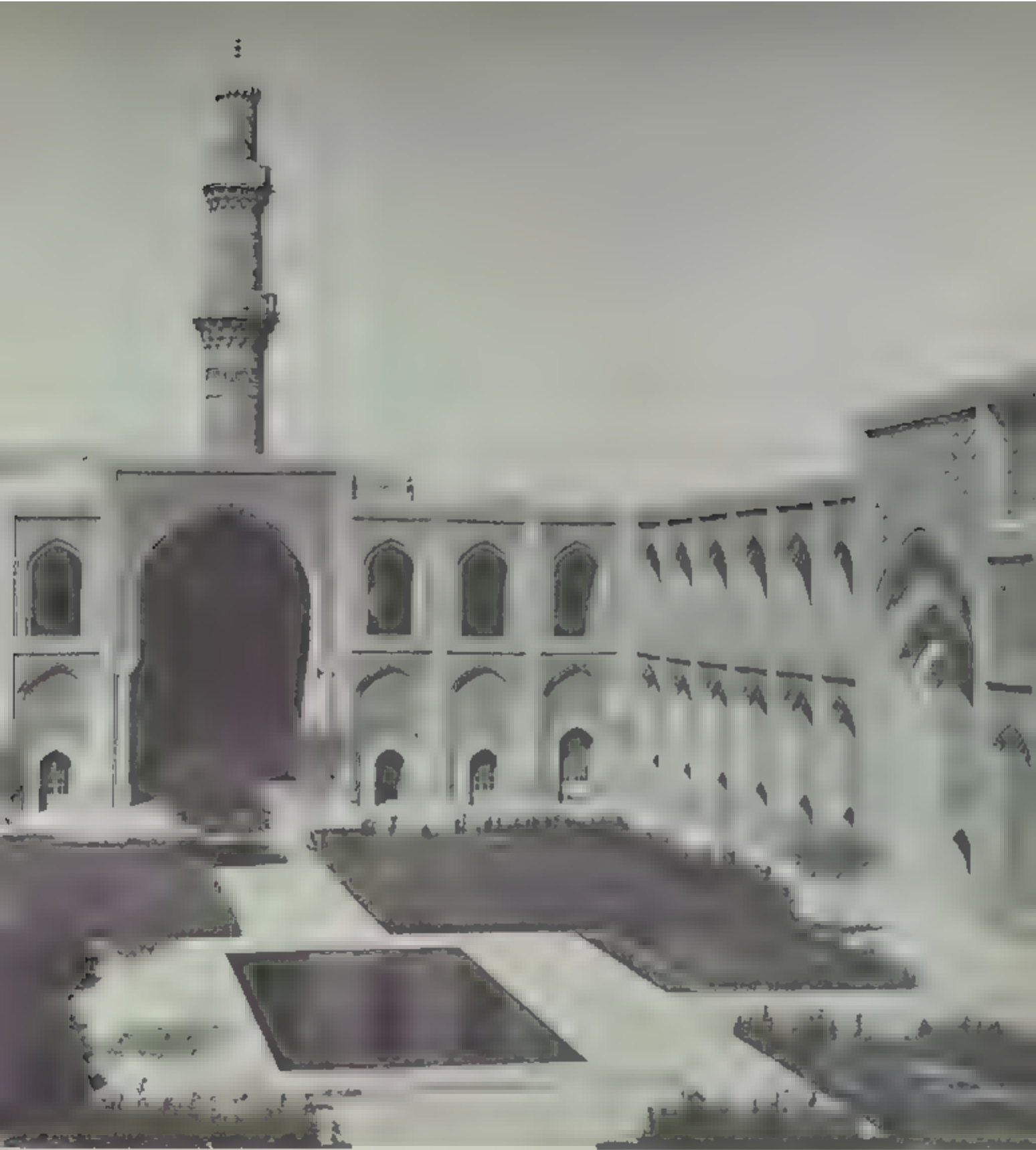


خطة الطابق الأرضي للمدرسة المستنصرية

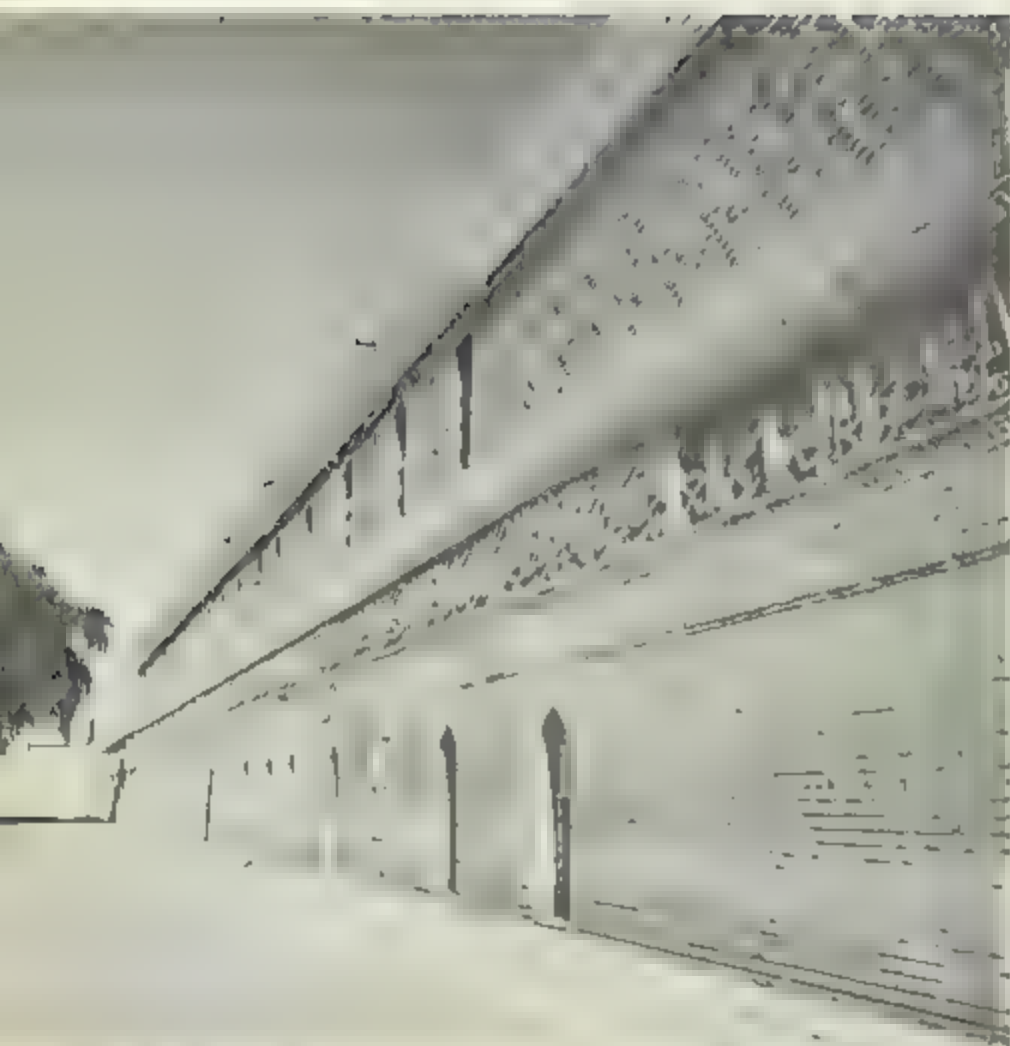
مخطط الطابق الثاني من مدرسة المستنصرية



مخطط الطابق الثاني من مدرسة المستنصرية



مظور الساحة الداخلية للدرسة المستنصرية



فاحيل لواجهة جدار ملونة المتحركة





المدرسة المرحومة
بواب الدحل
ومذبة مسجد
المسرة



قبة المدرسة المرحومة

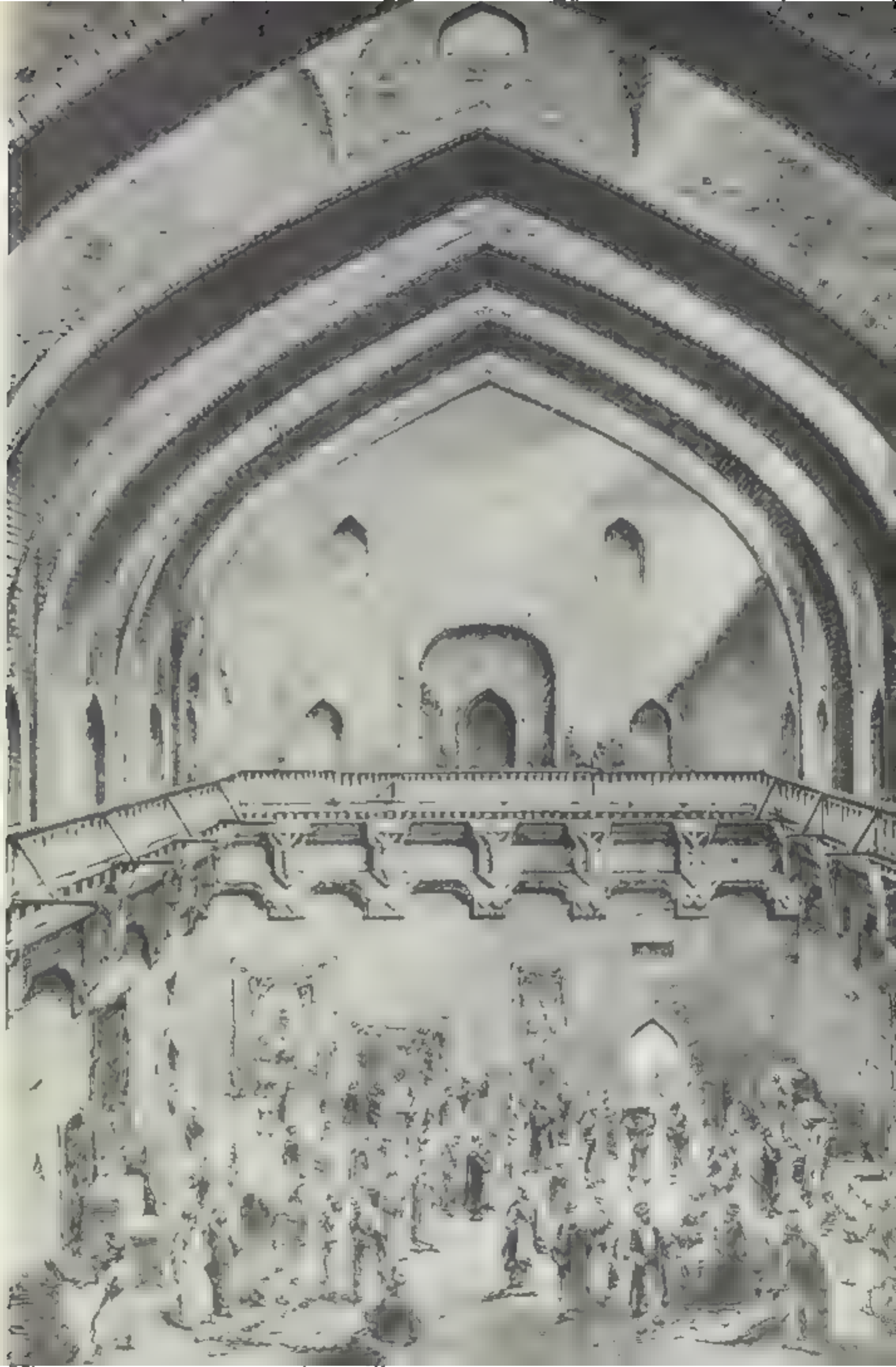


منظور جدار وقاب المدرسة قل الهم الآخر



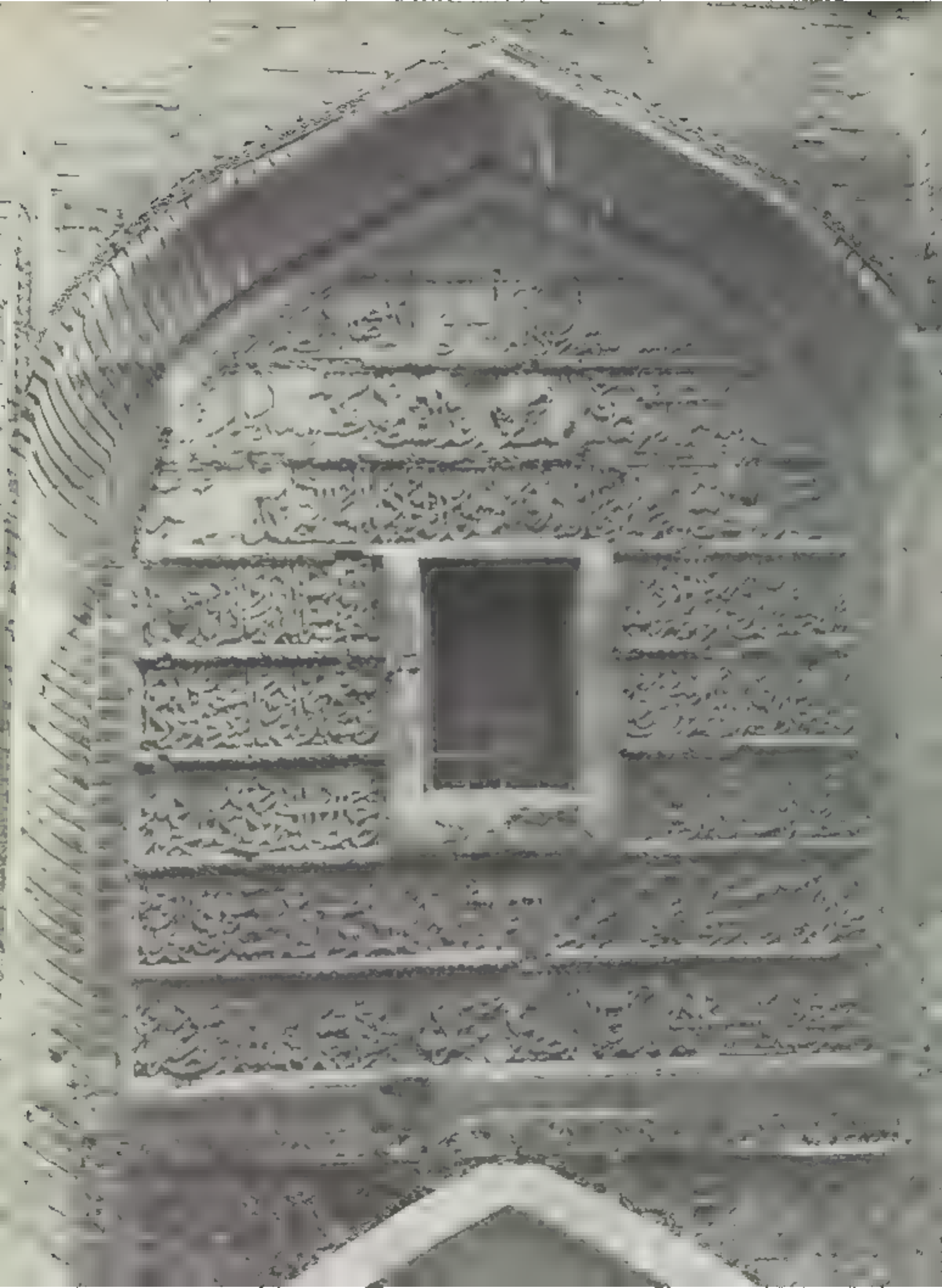
محطة الطابق الأرضي للمدرسة المرجانية

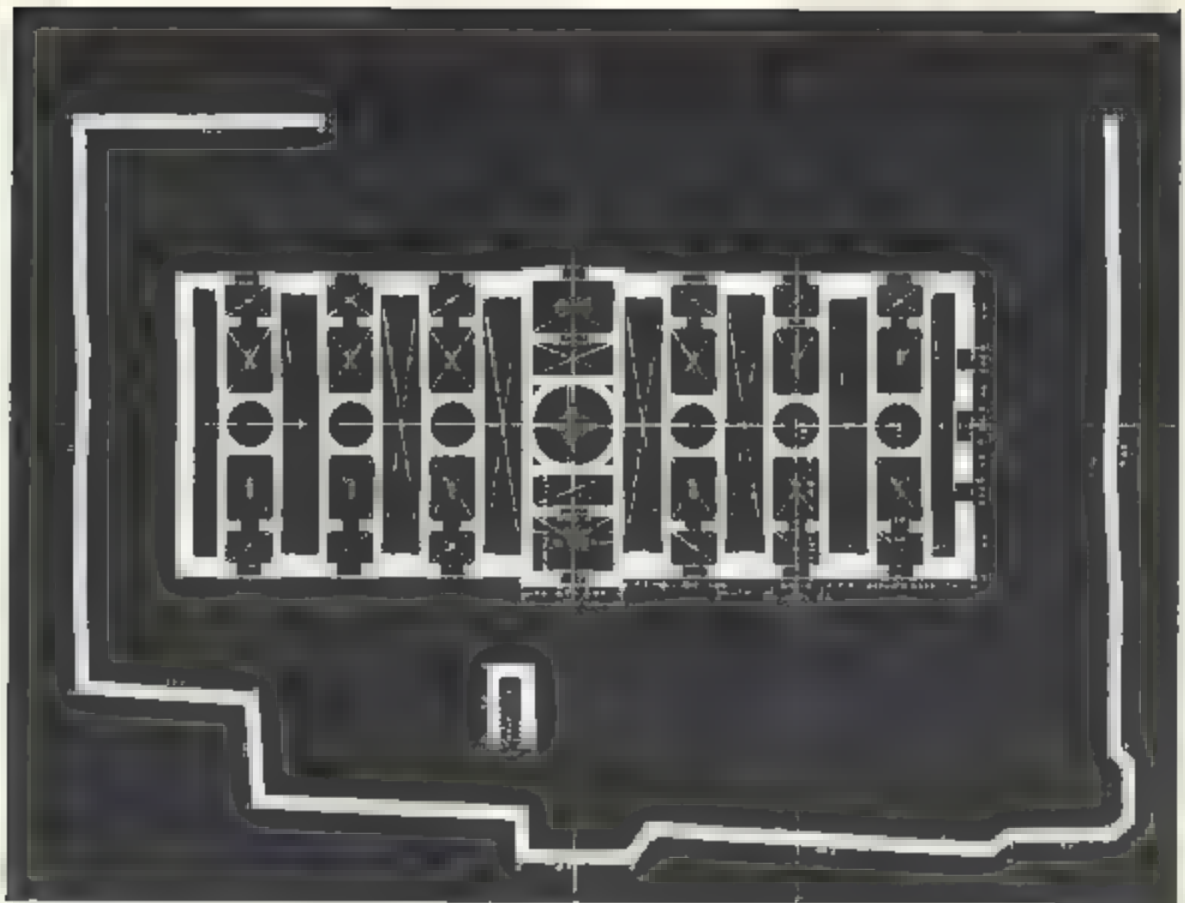
حاجن مرجان - حان الأورطية - كصوره (١٣٥٨م/١٩٣٦م) الشانور لي مدد



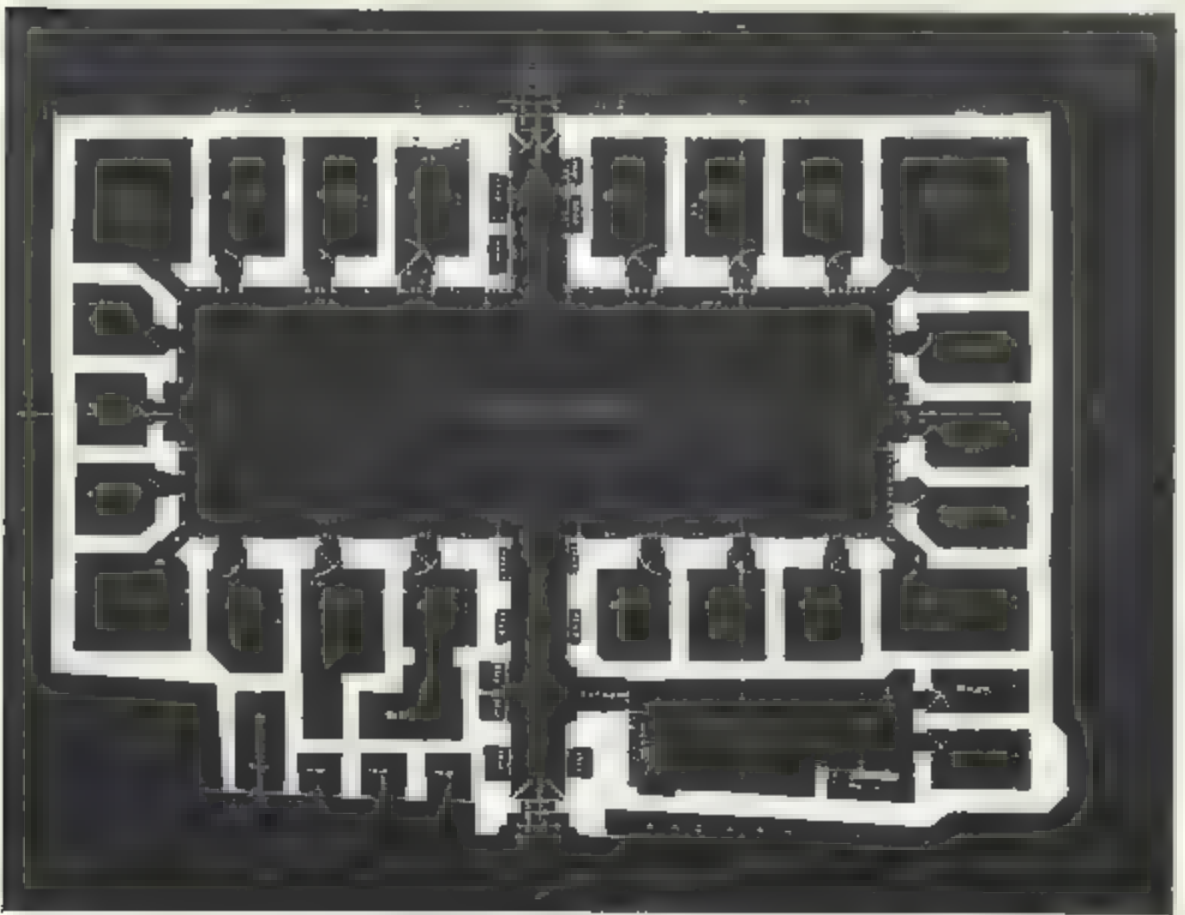


المصنوع الذي للقبعة المسقعة خلال مهرجان بومعه الحري





تمثيل جدران السور - خان مرجان



المخطط الأرضي - خان مرجان



مئذنة مسجد قمرية في الصفاة الحمراء لعماد



مظفر المنيرة والمسجد على الضفة لمرية لنهر دجلة



القمامة
ننكسه الأجره
لأطوانة لندة
« مسجد قمره »



منظر عام لحدّة مسجد
الحفّاظ « مسجد الحفّاظ »



حدّة مسجد الحفّاظ « جامع الحفّاظ »



منارة الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان في الجانب الشرقي من مدينة



مدينة جامع الخفاء أو « جامع العصر »

رسم للشدة كما
رسمها سواح إلى
عداد وقل التميم

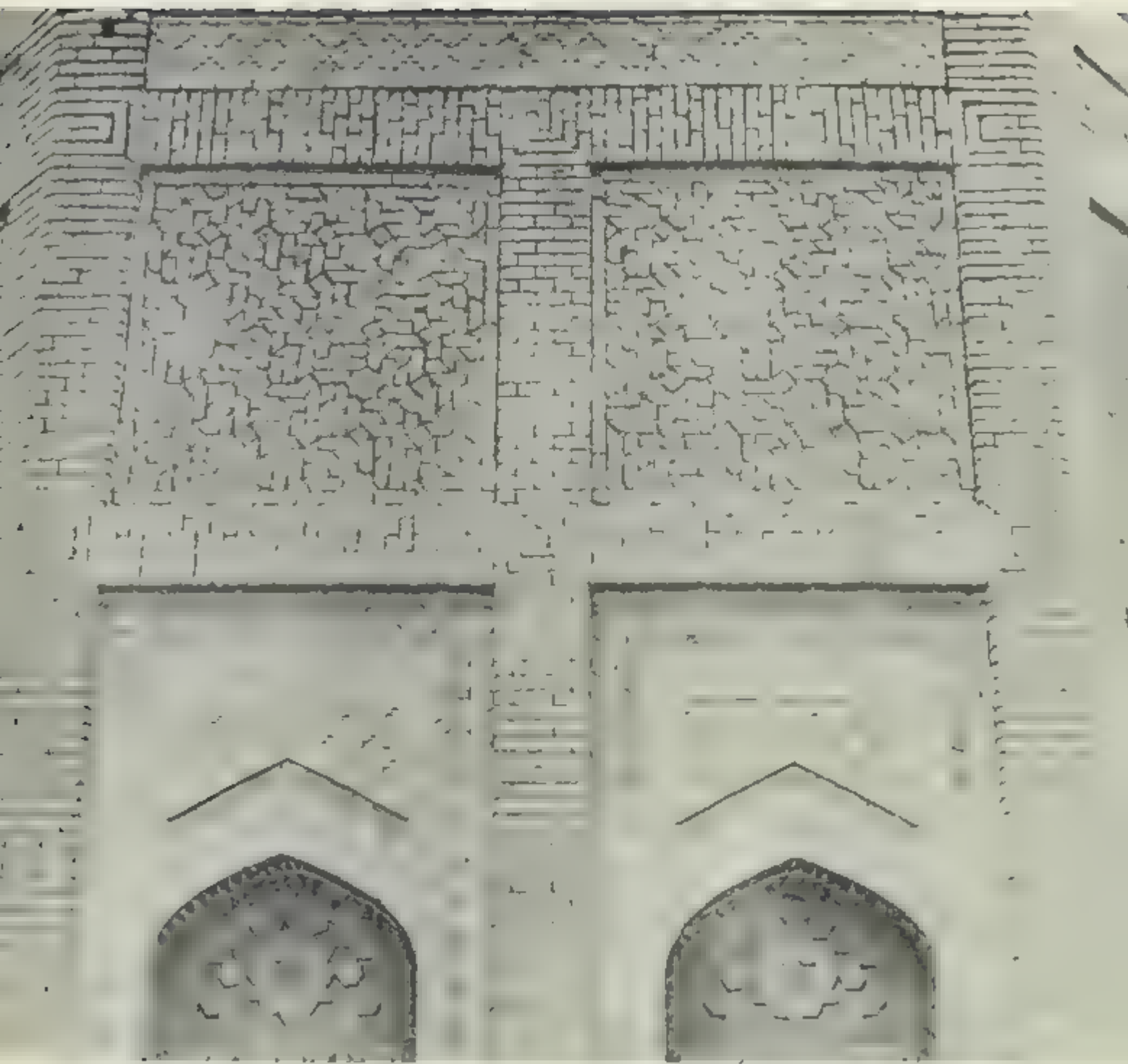




مسندة جامع الخلفاء ، وتظهر على القاعدة الزخارف الأجرية



مظور عام لقة الست ريدة « تره و مرد حانوی »



تفاصيل الواجهة لجدران قبة السعيدة



قبة التوتوم
« قرية دمر حانون »



مخطط قرية التوتوم « قرية دمر حانون »

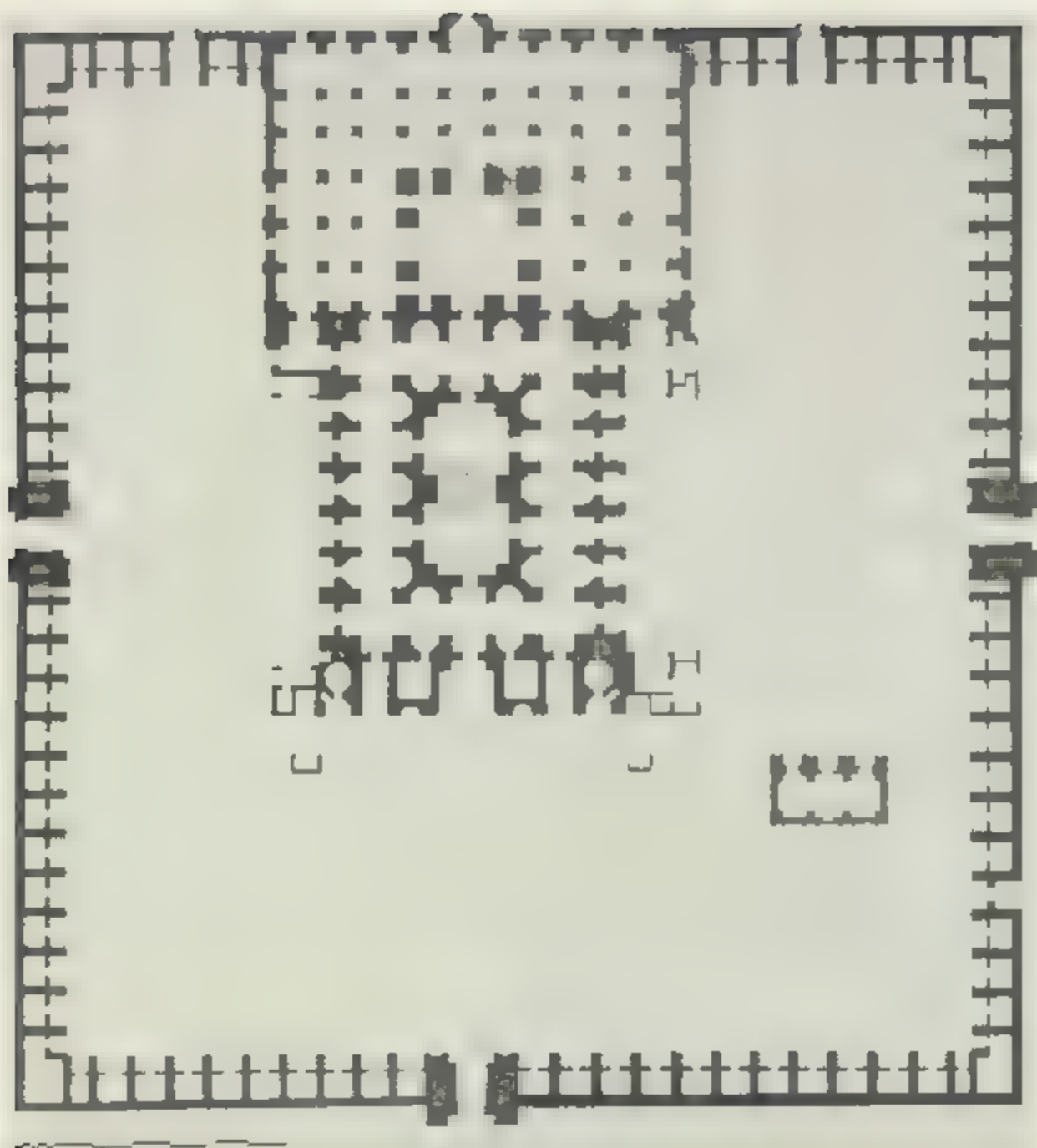




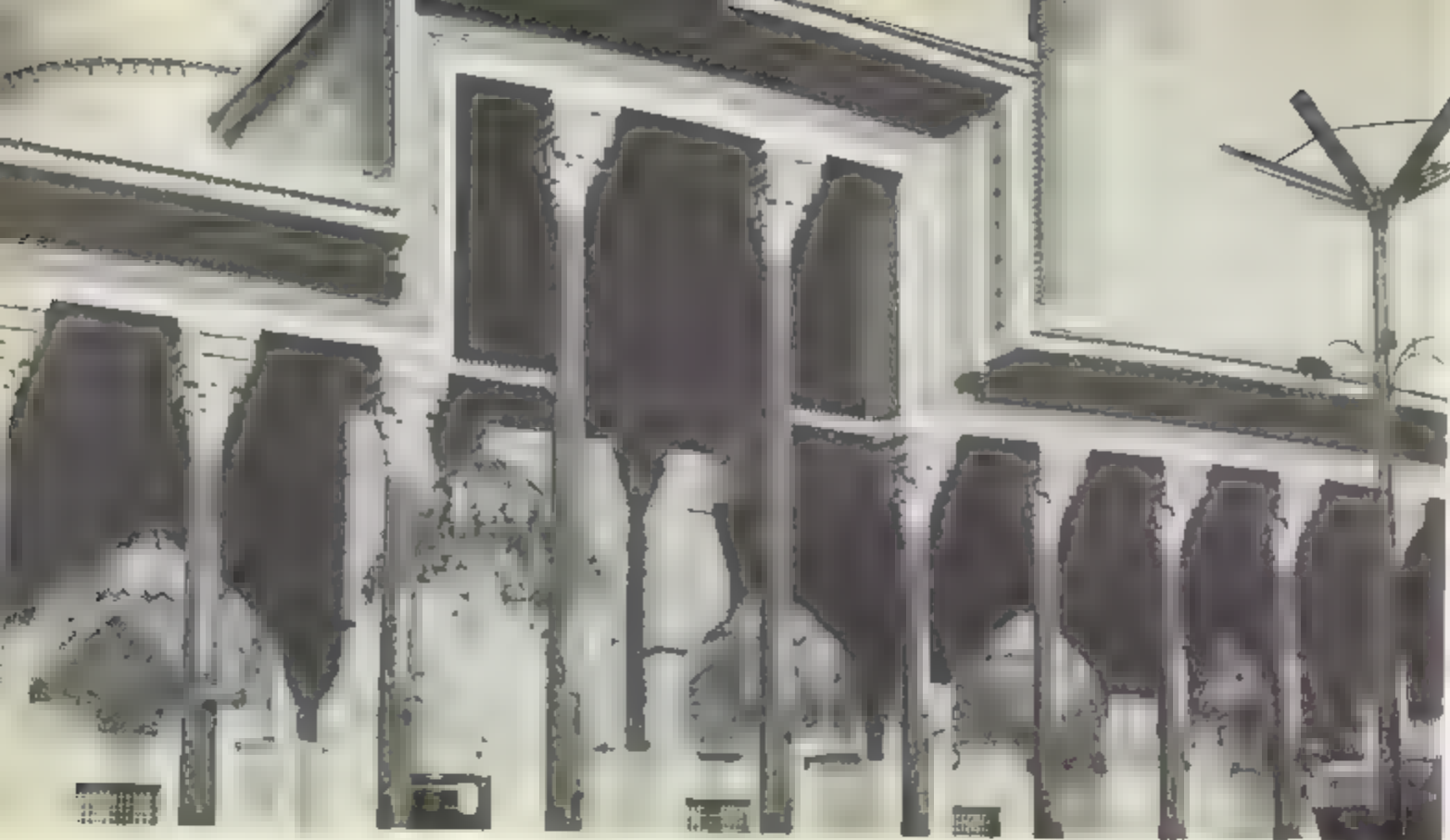
المشهد الكاظمي — منظور عام للقباب والمآذن كما رسمها السواح



المشهد الكاطلي — منظور جوي للصحن الخارجي ومبنى مرقدني المشهد



استبد الكامي — مخطط الطابق الأرضي



المشهد الكائمي - معبر رواق المدخل في داخل الصحن

المشهد الكائمي - الأروقة المحيطة بالمرقد والصاب لعمامة في داخل الصحن





من مواقع بغداد الناصية ومعالمها مقبرة الشيخ معروف



منارة دقة جامع الشيخ مملوف في عري بغداد



مظور الحصن الداخلي بجامع المنطقة

جامع المنطقة







جامع الشيخ عبدالقادر الجيلاني (الكيلاني) - منظور الصحن الرئيسي



جامع الشيخ عبدالقادر الجيلاني (الكيلاني) - منظور واجهة المسجد

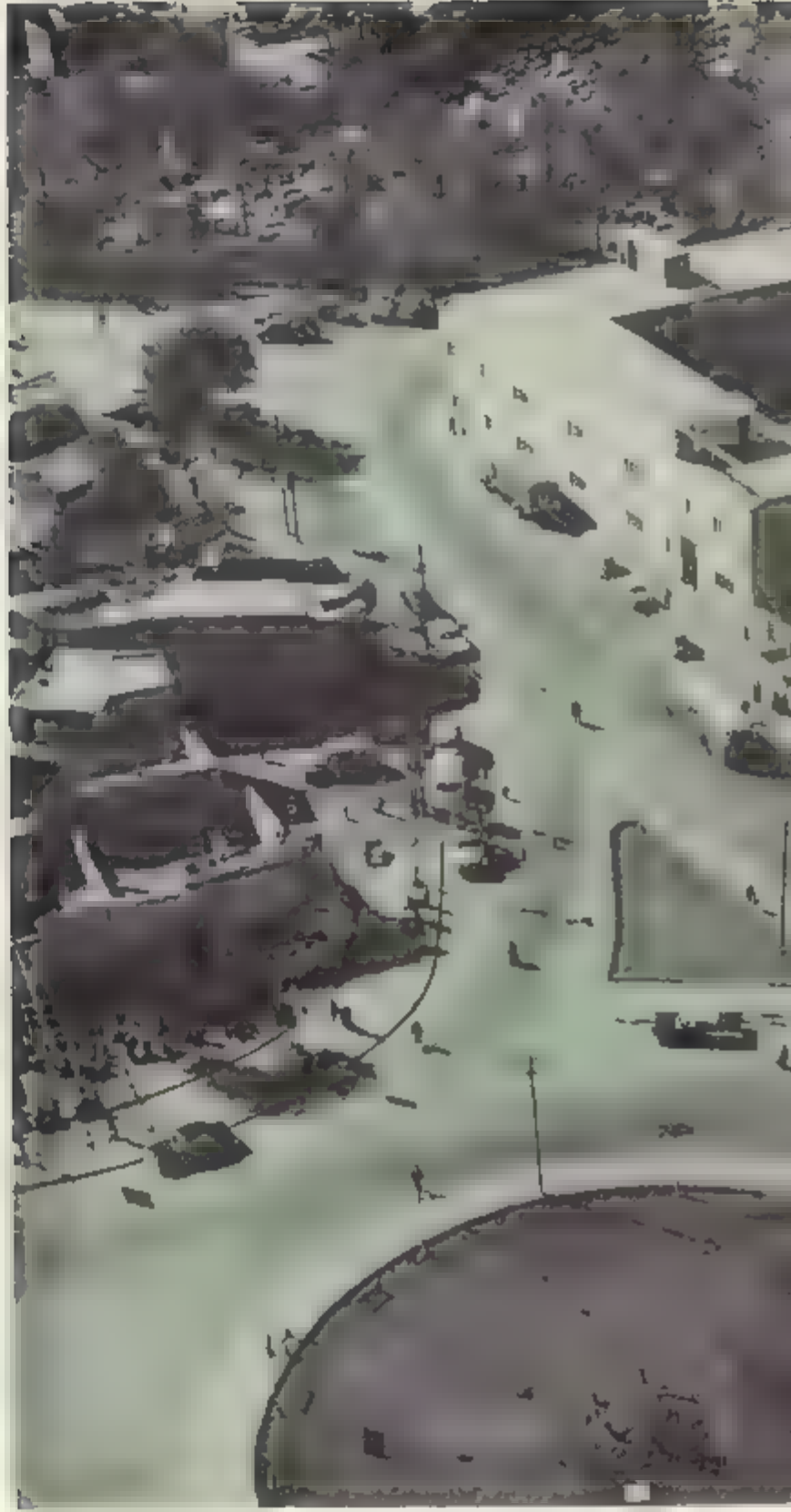


جامع أبي حنيفة (جامع الامام الأعظم) منظور الرواق الامامي



جامع الشيخ عبدالقادر الجيلاني (الكلبلائي) تفاصيل القبة القاشانه





جامع أبي حمزة (معبرة الخيزران) منطقة الأعظمية

جامع الميصر حانة -
عنة الحرم والمئدة

جامع الميصر حانة - ألقه من شارع الرشيد القديم







جامع الحيدرخانة - شارع الرشيد الجانب الشرقي



جامع الميدان -
مظور التبة من
سوق الميدان



جامع الميدان (جامع الاحمدية)



جامع حسن باشا الجديد الحجاب الشرقي



منارة الجامع الناقوري - عملة الناقورية - الجانب الشرقي



جامع علي أحمد في عملة الدارود - الجانب الشرقي

مئذنة ذات برجين - جامع الأصدة



مئذنة مسجد الخلابي - شارع الجمهورية



جامع الأصفى في الجانب الشرقي من همدان (دار القرآن) بجانب المتصرة

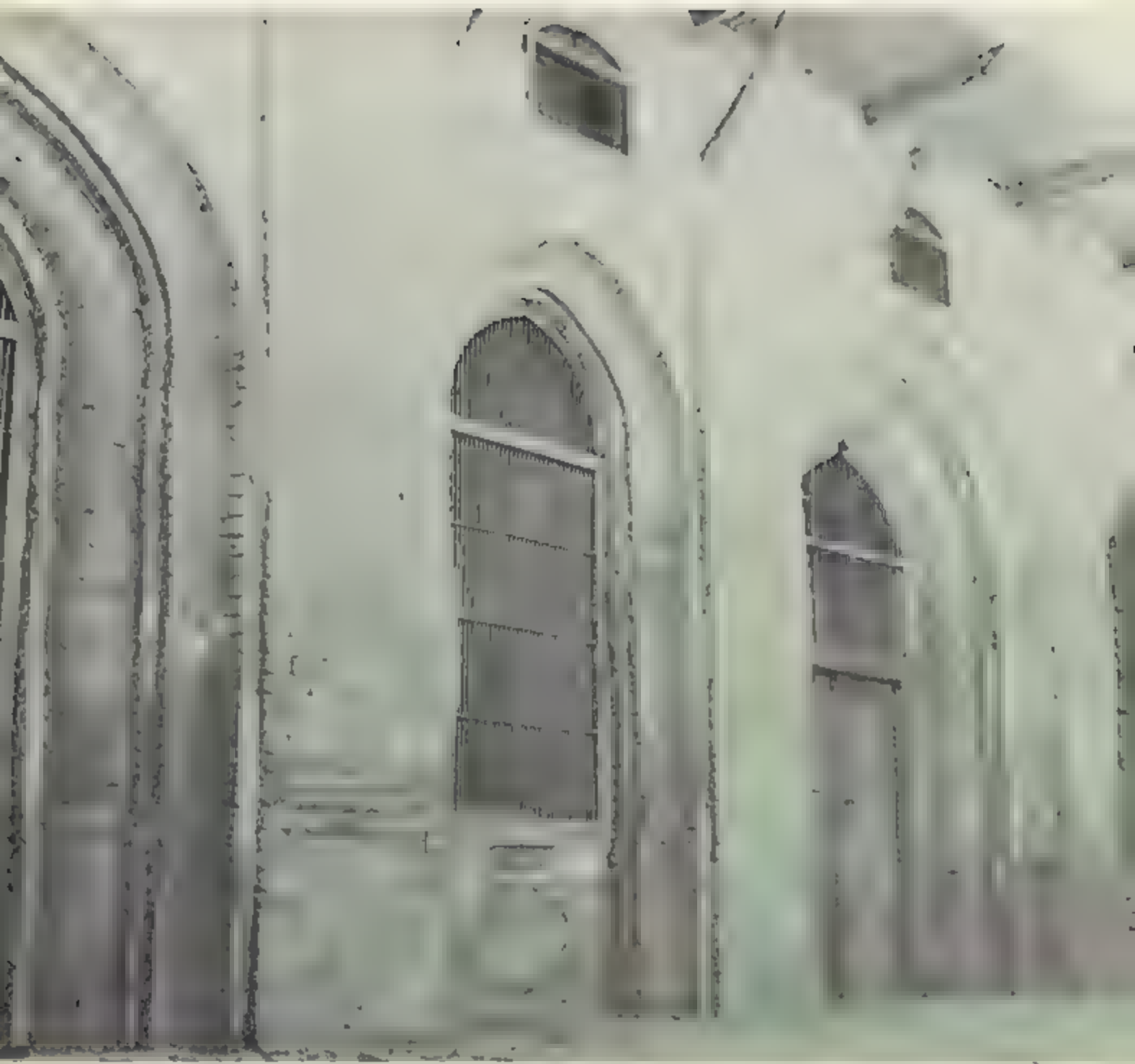


جامع المنصية - حلب لشرق



کله اللایې شارع جمهوریه





كبة المبراء في امداد من أقدم الكنائس المندادية



تفاصيل في كبة اللاتين



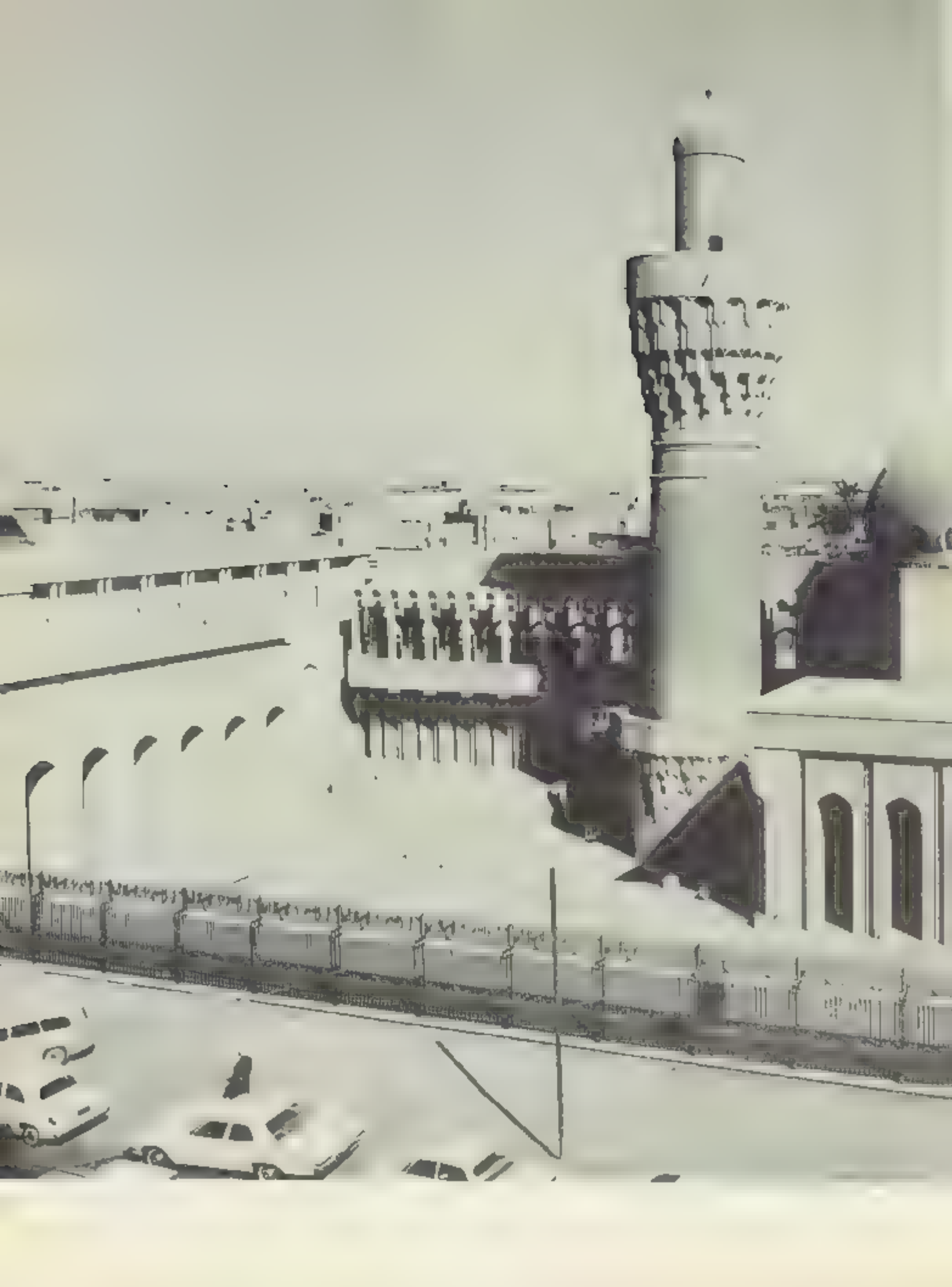
كنيسة القديس يوسف اللاتينية







منظور عام لجامع الخلفاء (المحدث)



البيئة العمرية

■ تُولف الأسواق ، واجبا- السكن العديدة في بغداد العصور الكلية للتراث المعماري الباقي من ماضي هذه المدينة العريقة . ويتميز هذا التراث ، بصفات وخصائص معمارية أصيلة استمدت من روح الكيان الاجتماعي للسكان ، كما عكست متطلبات الحاجة وضرورات المسح فيها

ولعلنا ، ونحن تصدى ، لهذا الموضوع بمزيد من التسط ، والشرح في هذا الفصل ، سوف لا نسى الاشارة الى ما أحرقه المعماري البغدادي من سبق في ايجاد الحلول المناسبة لتلك الجواب الحيوية الهامة التي تمثل بروح المجتمع أولاً ، كما تتعلق بضرورات البيئة ثانياً . وهذا أمر يجعل من استمرار تلك التقاليد المعمارية ، استمراراً لروح بغداد الرمز ، وحصوراً لعداد الواقع



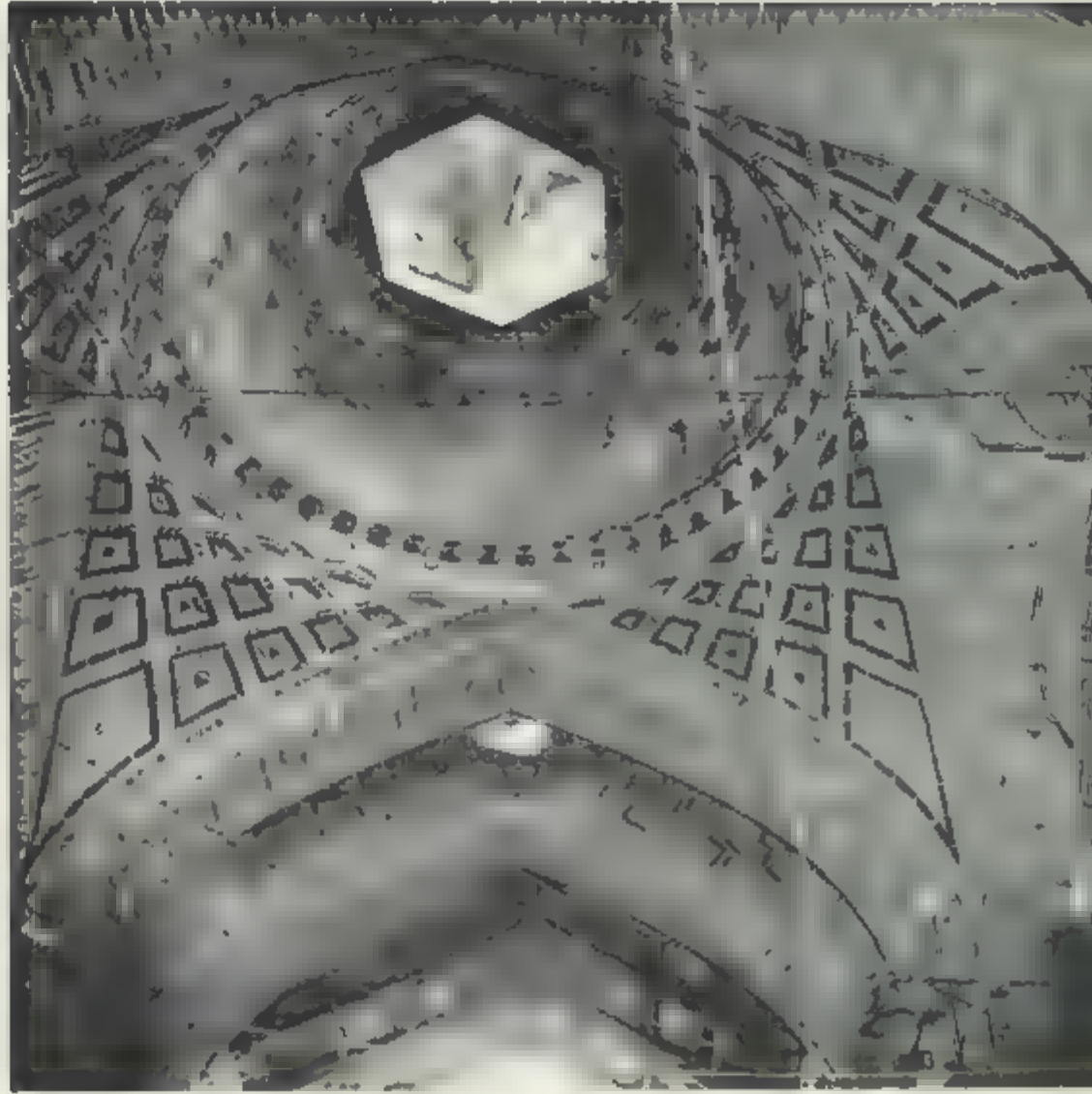
أحد الأسواق المعروفة في بغداد



نماذج القبة فوق الساحة في مدد



سوی معقود قرب المهریه



عاصمیل تقیہ سوق السراجین



مدرسة في بغداد - من أواخر القرن التاسع عشر



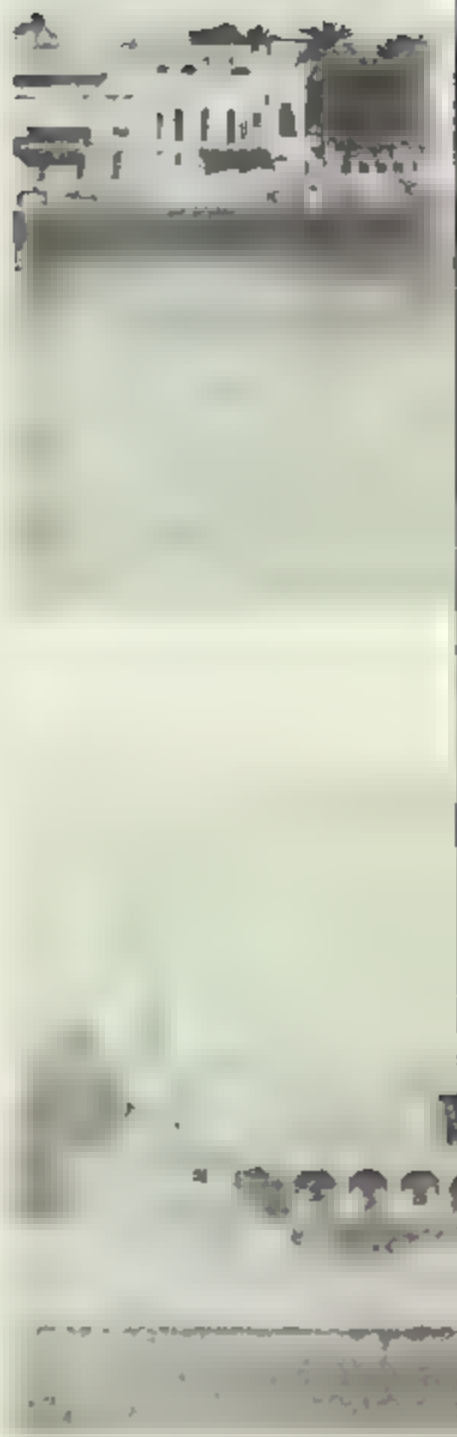
منظر عام للجانب الشرقى النهرى



نهاية الجسر القديم (جسر الشهداء) الجانب الشرقى



سټوټنډي علي ډسټر





بيوت ورقائق مطلة على النهر في الضفة الشرقية

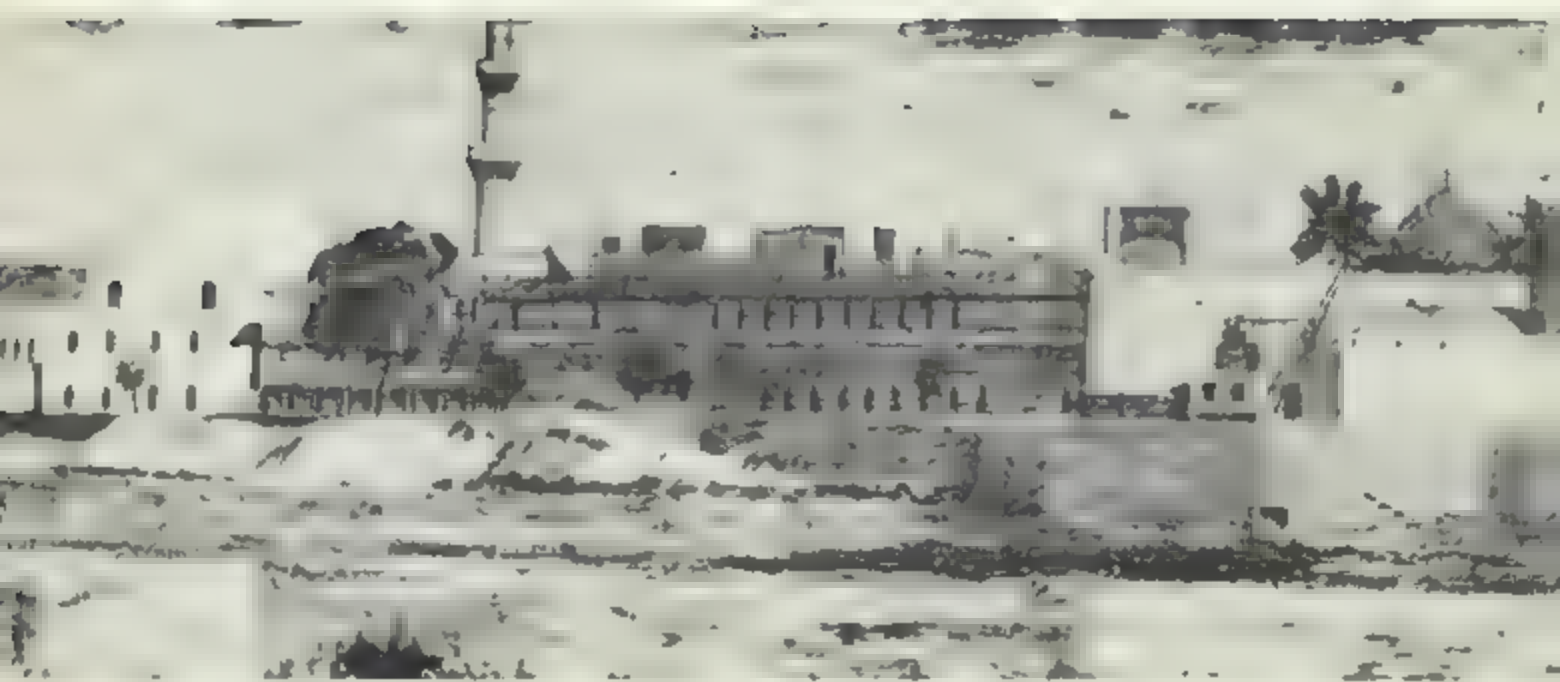


الواجهات النهرية لبعض البيوت البغدادية

الساحل النهرى (بجانب الرمسة) — لادونا السعيد



الساحل النهرى (بجانب الكرخ) — لادونا سعيد



من أطراف بغداد الساحطة



من بيئة معالم بغداد النهرية (في بداية القرن الحالي)





أحد البيوت المزدودة على ساحل دجلة



الساحل النهرى (بجانب الرصاة)

الساحل النهرى القريب لمدينة بغداد (الكرخ)







مداد من رسم أحد الواح

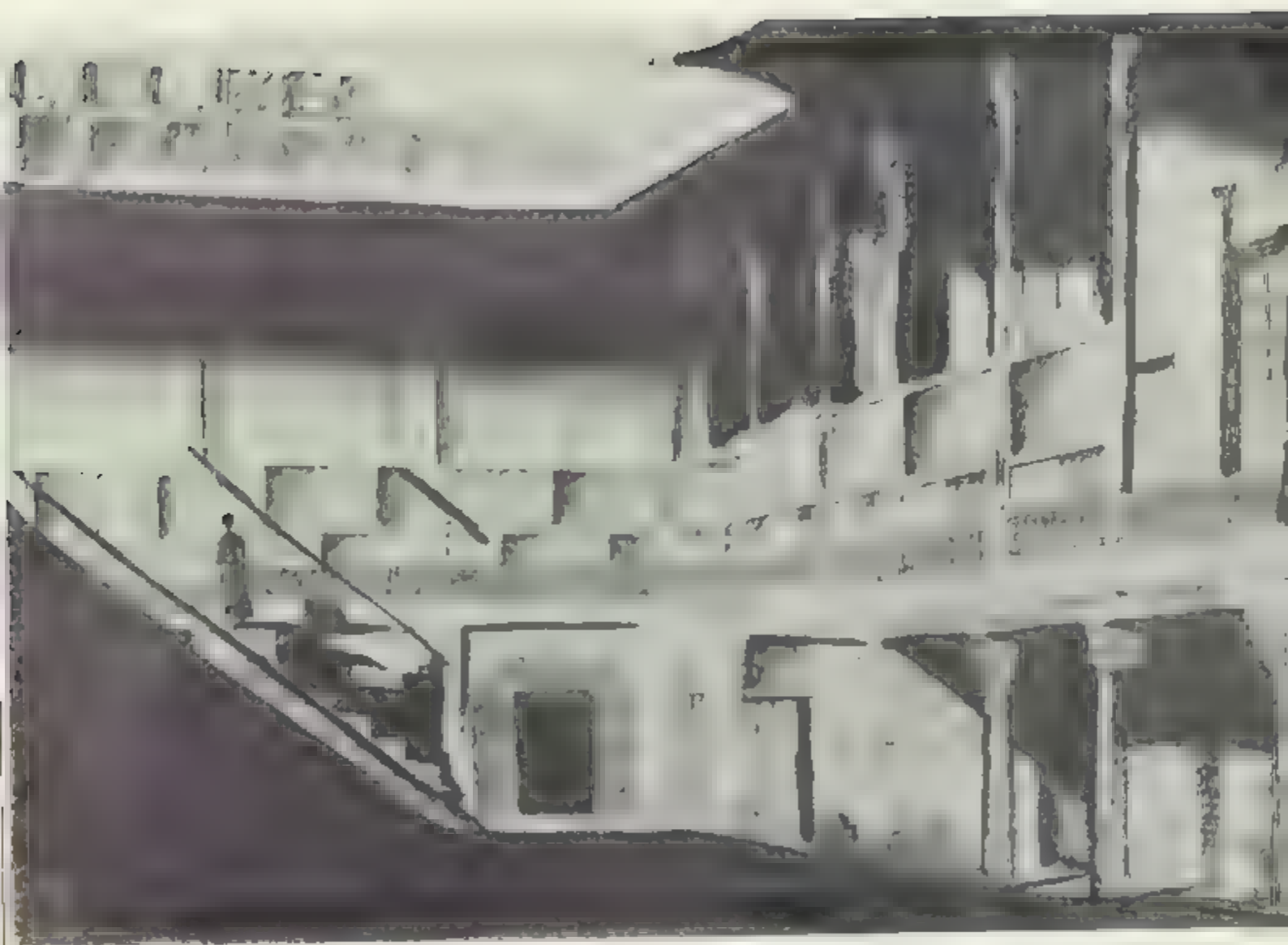


معین ہمدانی علی ساحل دجلہ کا منظر

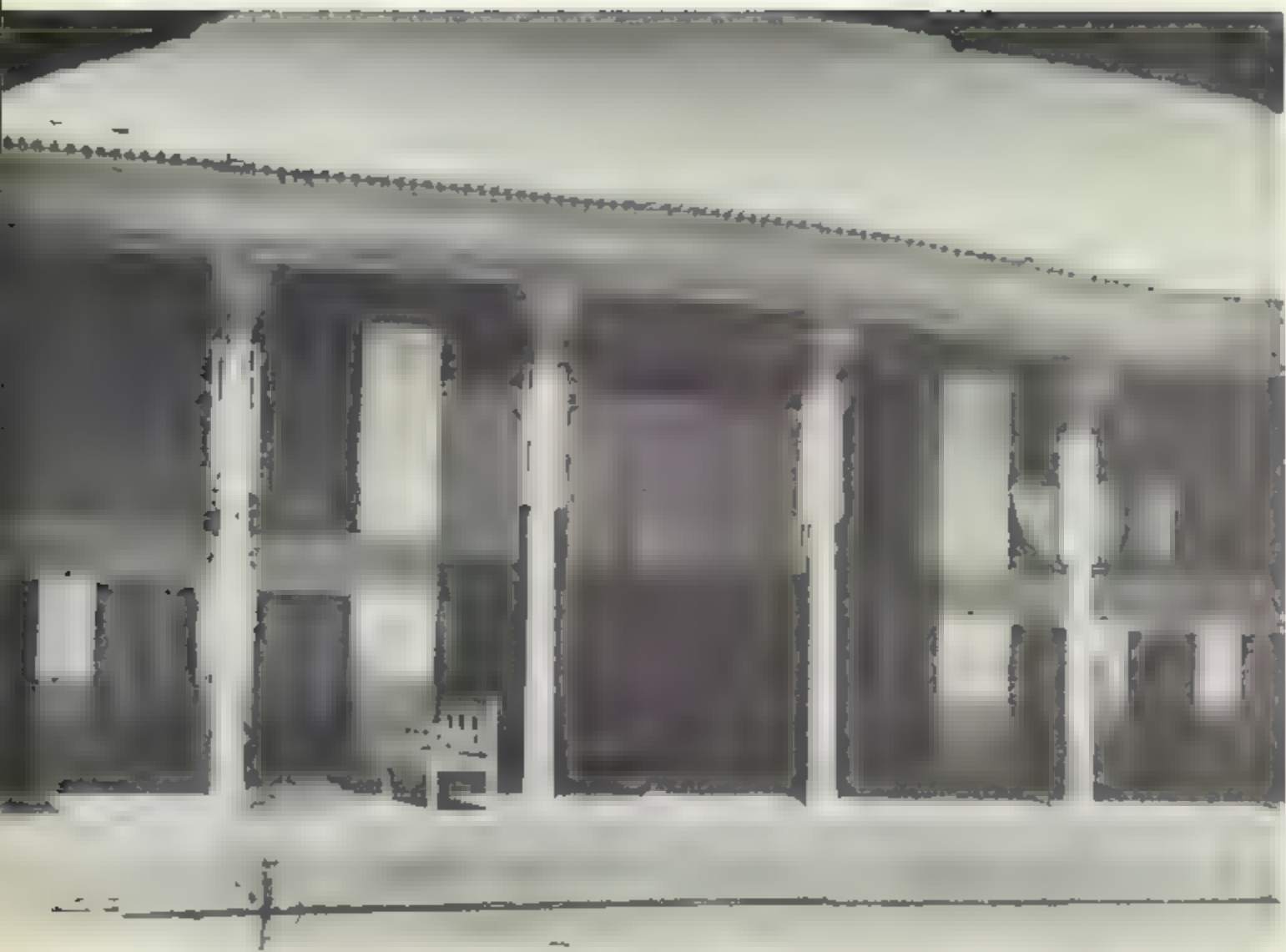


مظفر داسی مدرسه سداہ





الساحة الوسطية لدى السفارة البريطانية كما نشرت في كتاب فلكس جوس عن بغداد



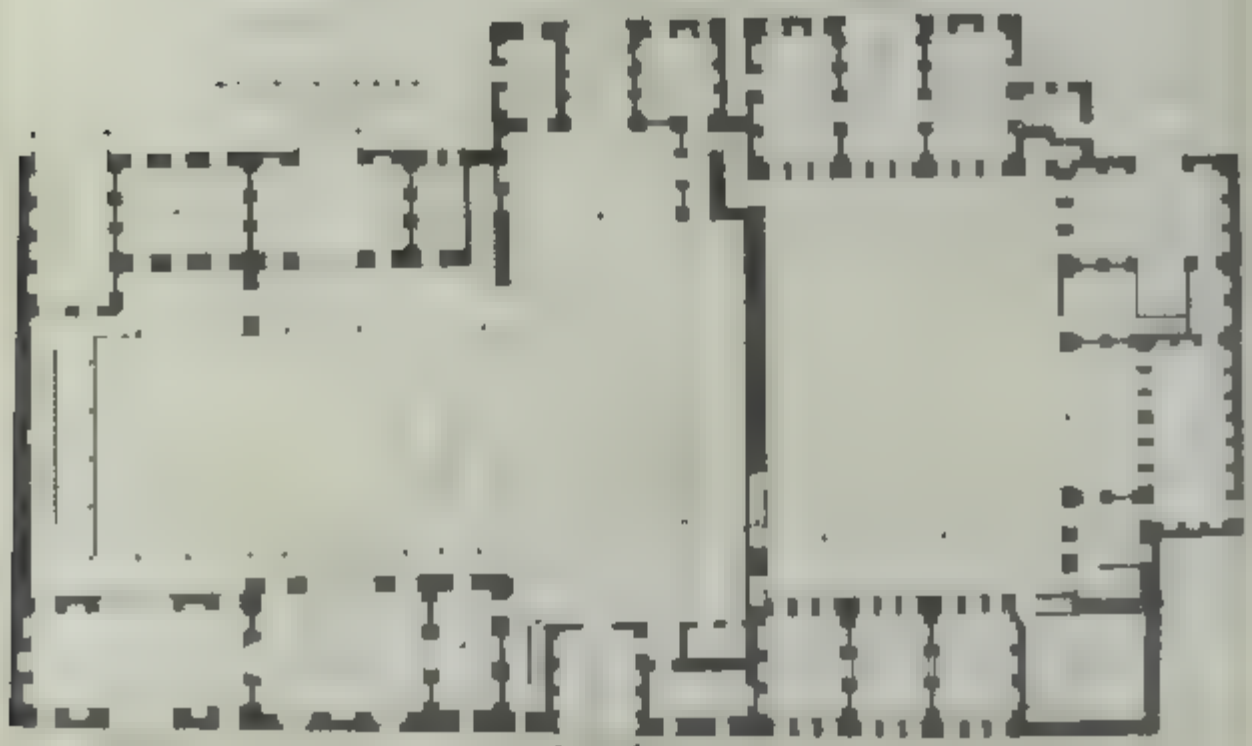
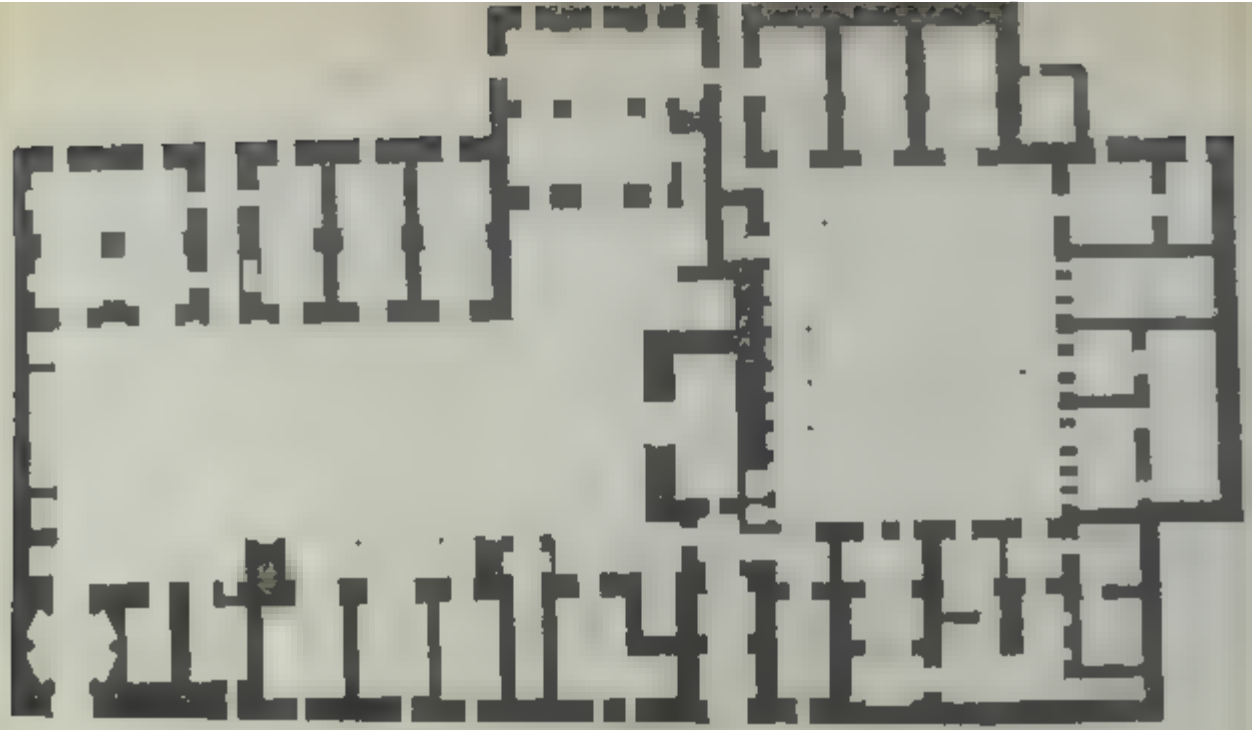
قوام العمود الخشبي في البكل العام — حة الحدرى



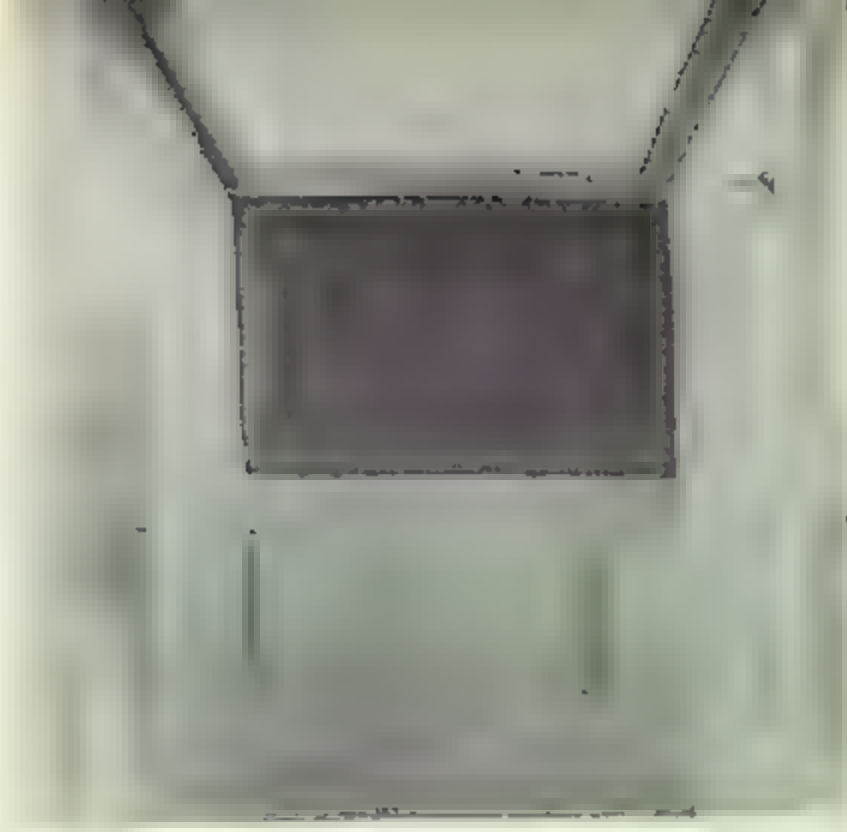
الرواق الداخلي هو، الساحة الوسطى في مبنى الدور. ذات الممرات الاجتماعية الهامة مبنى وزارة التربية والتعليم - الرائي



مثال آخر للساحة الوسطية في بيت يهودا صميم



مخطط الطابق الأرضي والطابق الأول — بيت التواب



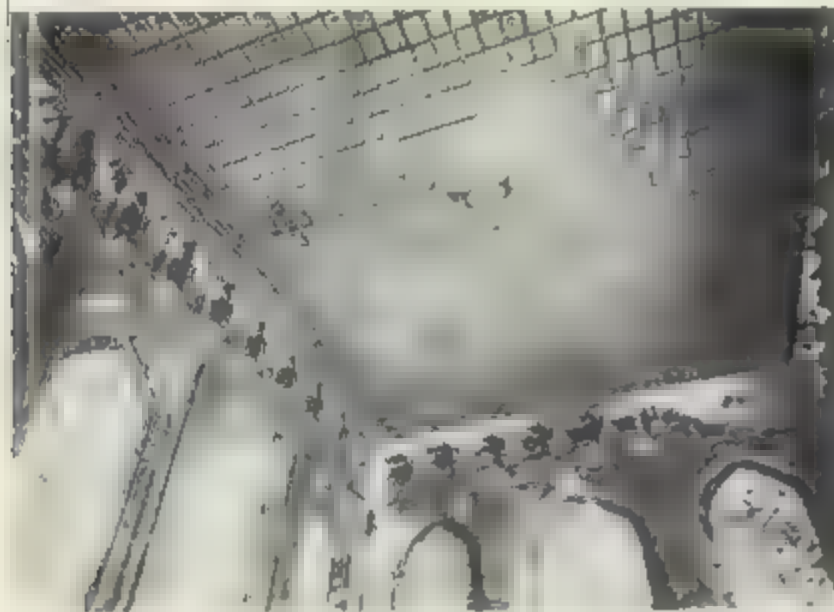
حديق شرف
« طارمة » دار اليد
محمود الأمير ابادي
ويظهر عرفة « الكمشكل »
في المؤخره



ايوان الطابق
الثاني — دار
الاسترا ابادي



الرياضة الخشب في دار السيد أحمد البدوي



الكنية الخشب لسقف إحدى الغرف في دار الاسترايادي







الحرقة الجدارية
— دار الحاج
جعفر جواد

الرسم الجداري في البيت الأبيض لصلالة الفخري المصطفى دار الحاج جعفر جواد بيت الملائكة



مظهر لأحد الأرة السكية



واجهة ليوت مكينة في محلة الصايديّة

رفاق في إحدى
مخارج المدينة
القديمة

الشايف الحنه
التقيدى في احدى
البيوت المطله على النهر



دور الكلى
في الأحياء البعده
القدسمة



التطور الحديث للعمارة في بغداد

توضح الرسوم استمرار الخصائص المحلية في بدء مراحل التأثير الأوروبي . وأن الأبنية المعاصرة تمثل الانتقال السريع للمرحلة الأخيرة من تأثير نفوذ المدرسة المعمارية الحديثة وما يقترن بها من تأثيرات للخصائص الانشائية للفن الكونكريتي المسلح والمواد الحديثة والمقاييس المعمارية لهذه المعالم الجديدة . إن الجذور التاريخية للبيئة وتأثير الطبيعة والمناخ والمؤثرات والمقومات الفنية التشكيلية واستمرار امكانية الحجر كمادة انشائية ، استطاعت أن تكون تراث معماري جديد . هذا التراث الذي بإمكانه أن يمثلك أدام المهام والوظائف الاجتماعية الجديدة في التمدن وكذلك أمانه وصراحة ما يتطله التعبير الفني في الكيان الجديد للبيئة المعاصرة



مبنى
البرلمان
الحكومي



رواق
البرلمان
الحكومي



مبنى عمارة لنج — شارع الرشيد



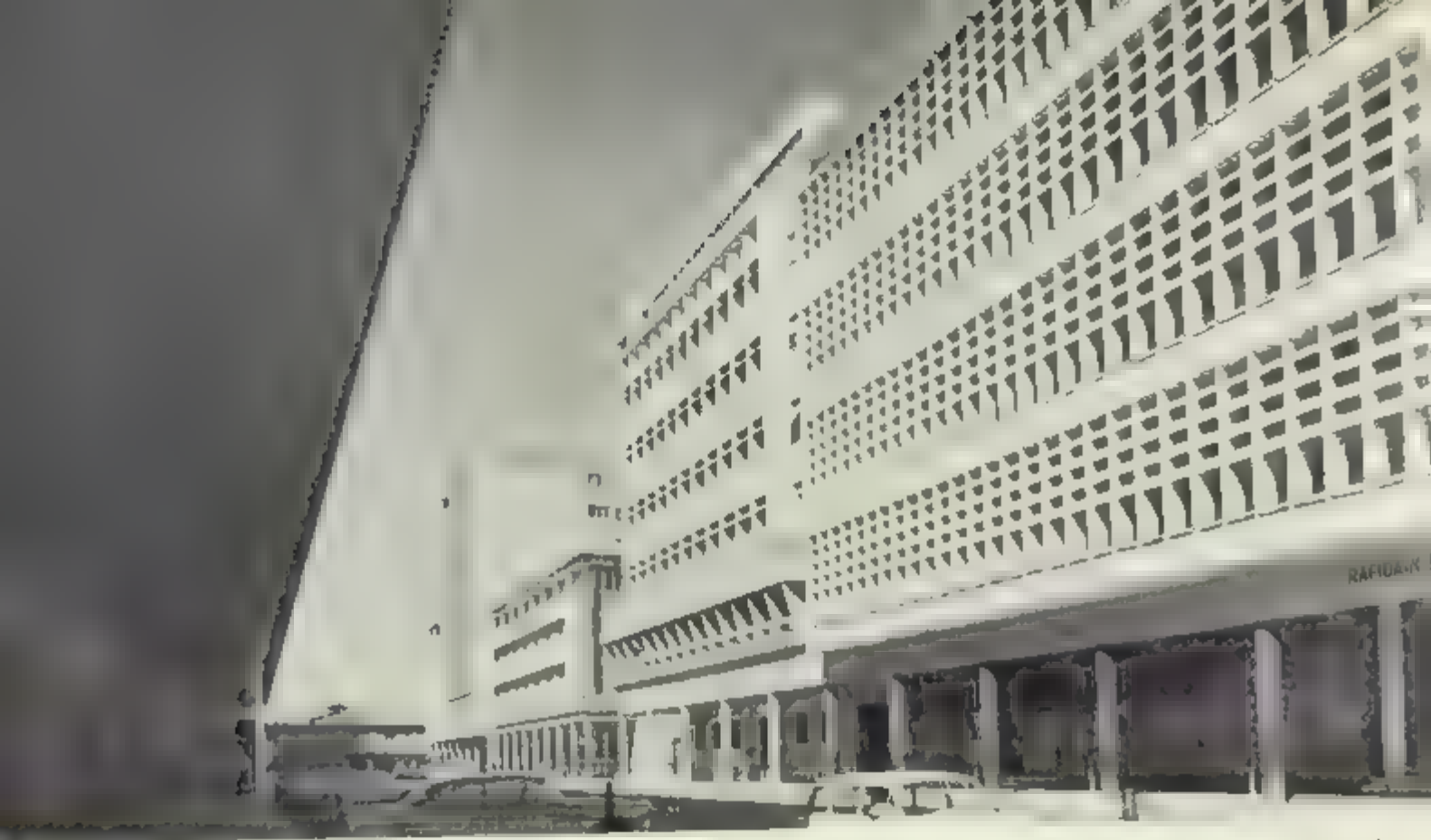
مظور لشارع في جانب الكرخ



ساحة دار المعلمين الأعظم



دار السفارة البريطانية — الكرخ



شارع البوك

مقاييس التطور الحديث لمركز بغداد — الساحل النهرى — الرصافة





الأحياء السكنية الجديدة



عمارة لاحد دور سكر لينة



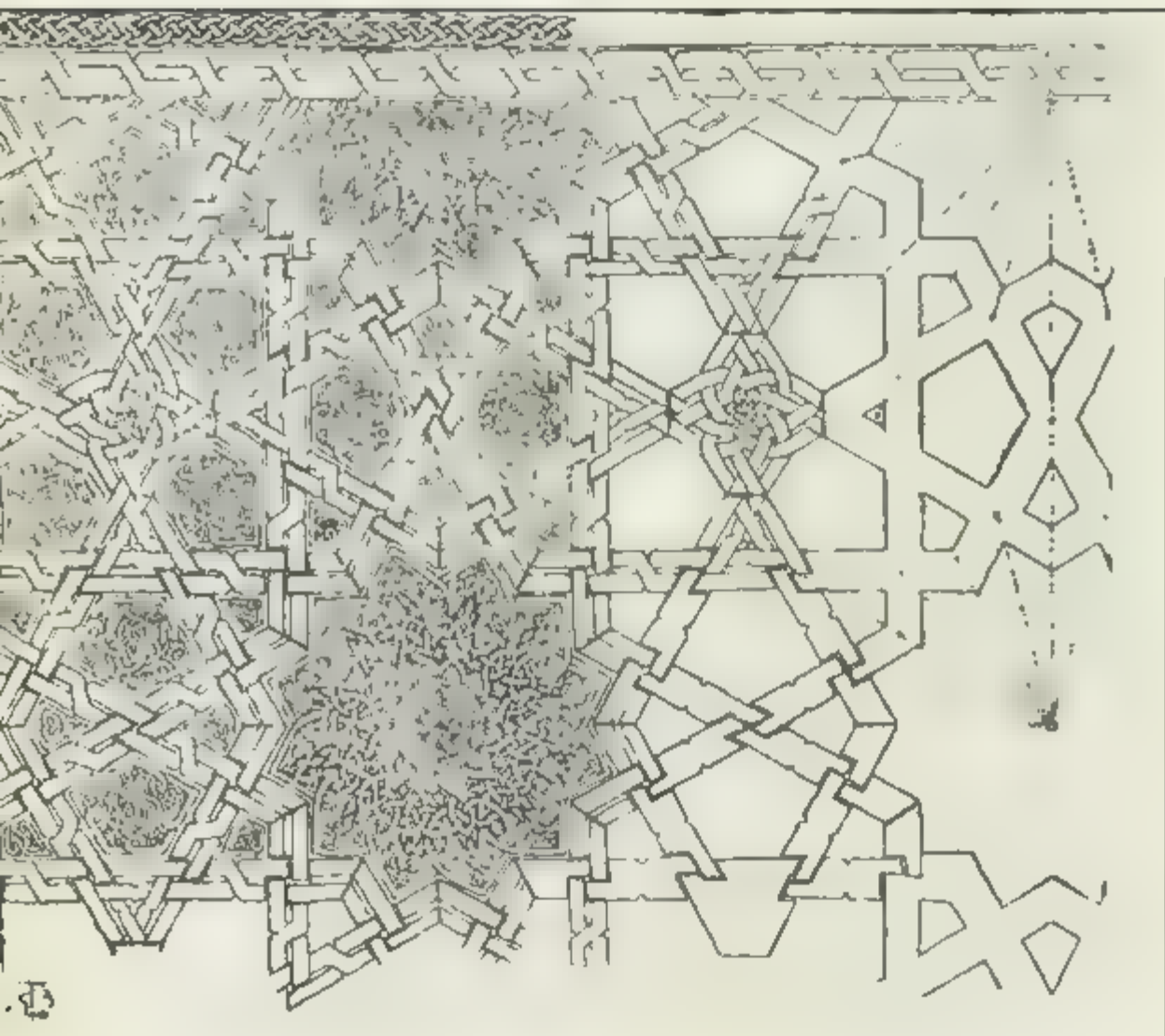


التطور في مركز
المدينة التجاري

الزخارف الأعرية

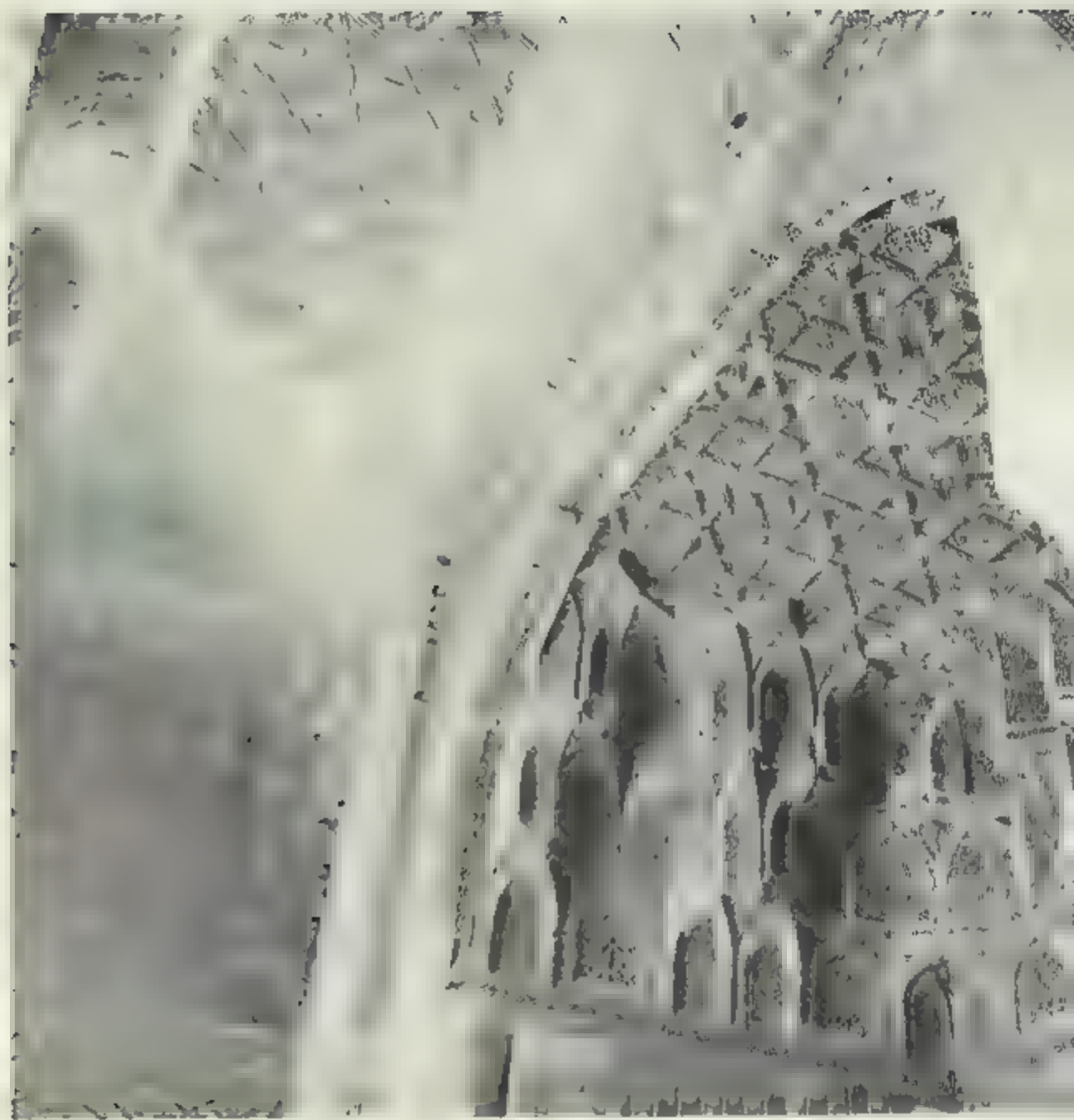
■ موضح الرسوم التأكيد الذي تطرقت إليه
الدراسة لخصائص العمارة الفخدادية في استعمال
الأجر وامكانياته ودوره في التكية كمادة
أصلية وعصر أسس في داية التكوين للأسس
المعددية

والألواح الأجرية برحارفها ونقوشها
الهندسية والنباتية والنصوص الكتابية تعطي
أهمية بولاري دور من البحث للأسس الأوروبية
المحررة ، كما تصح هذا أيضاً في الرحلة
الحضرة ونقوشها « الأراسك »

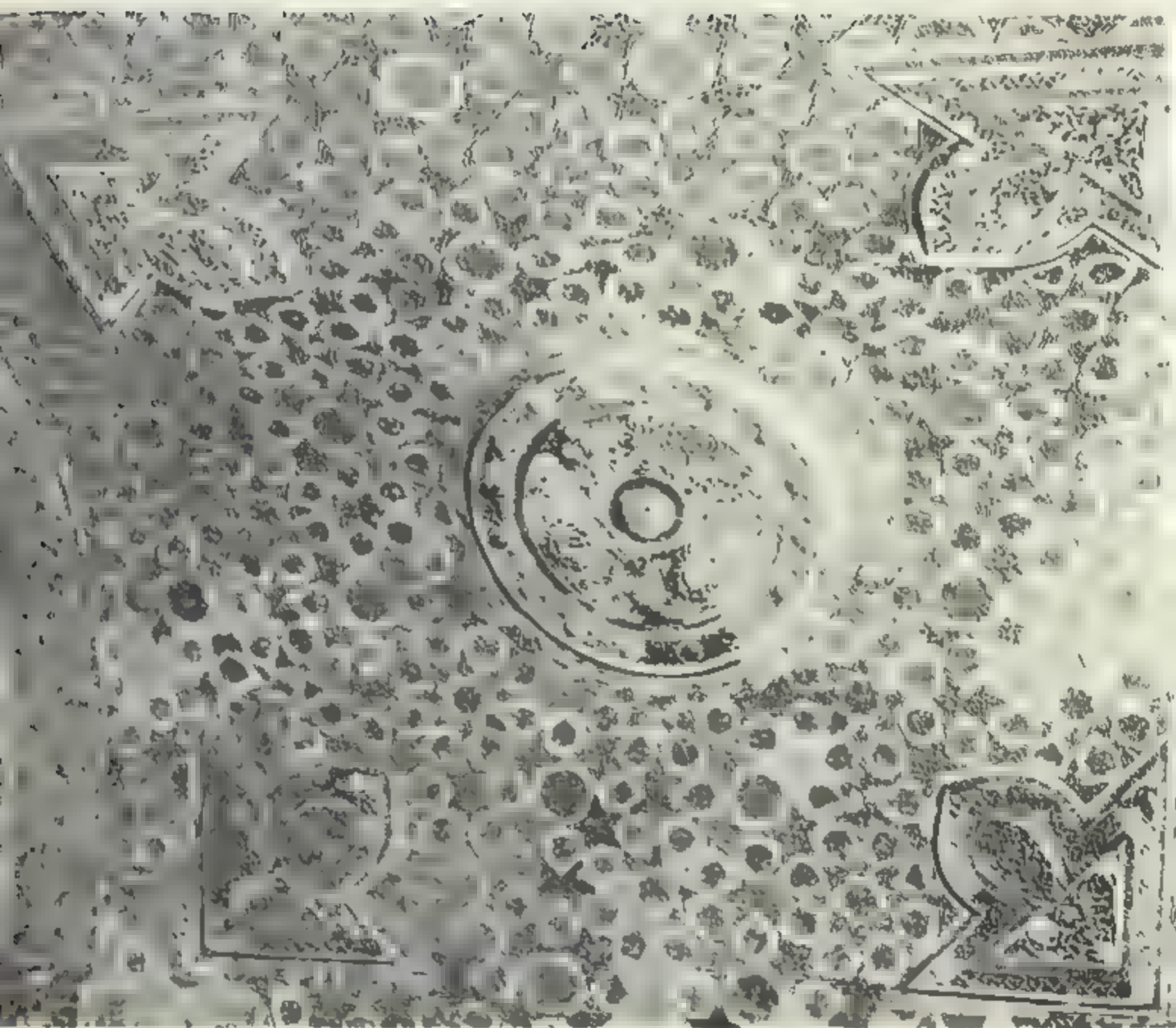


وحدة أحريه (الباب الوسطي)

وحدة أروقة دار الماء (القصر العباسي)

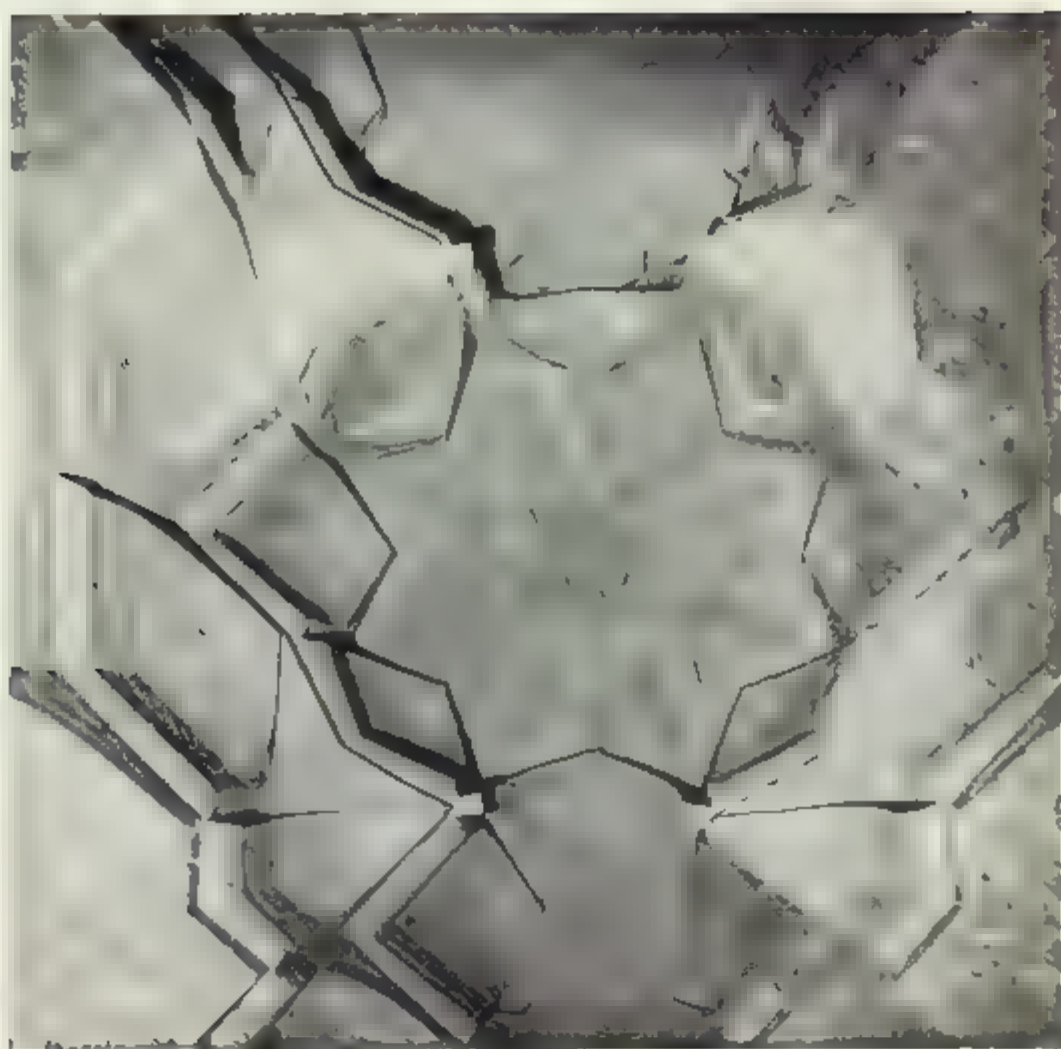


سقف الايوان الكبير دار الماء (القصر العباسي)





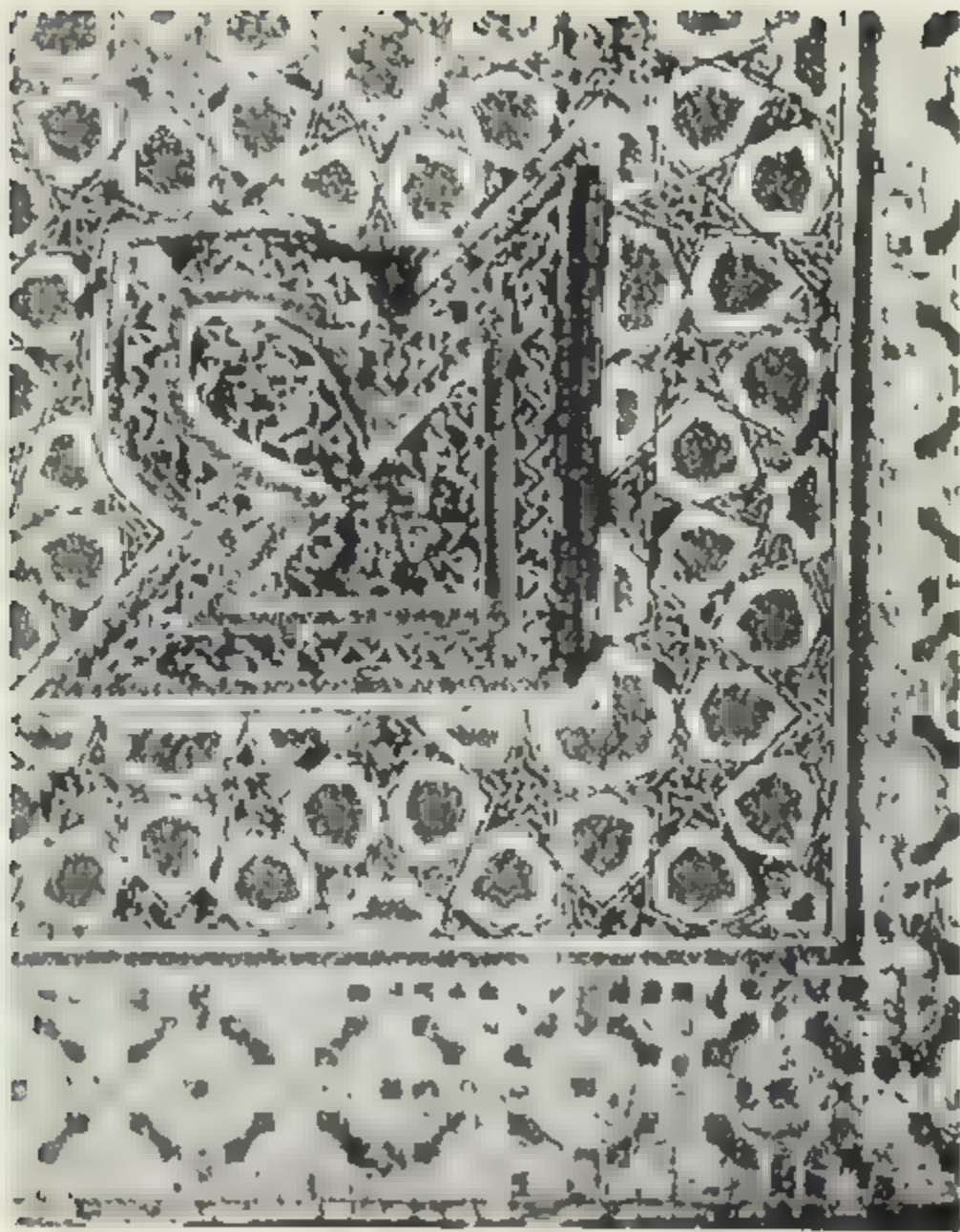
نماذج دهرية في رواق دار المساء (القصر العباسي)



مفرح وسجوي في دلة المساة (القصر الملكي)



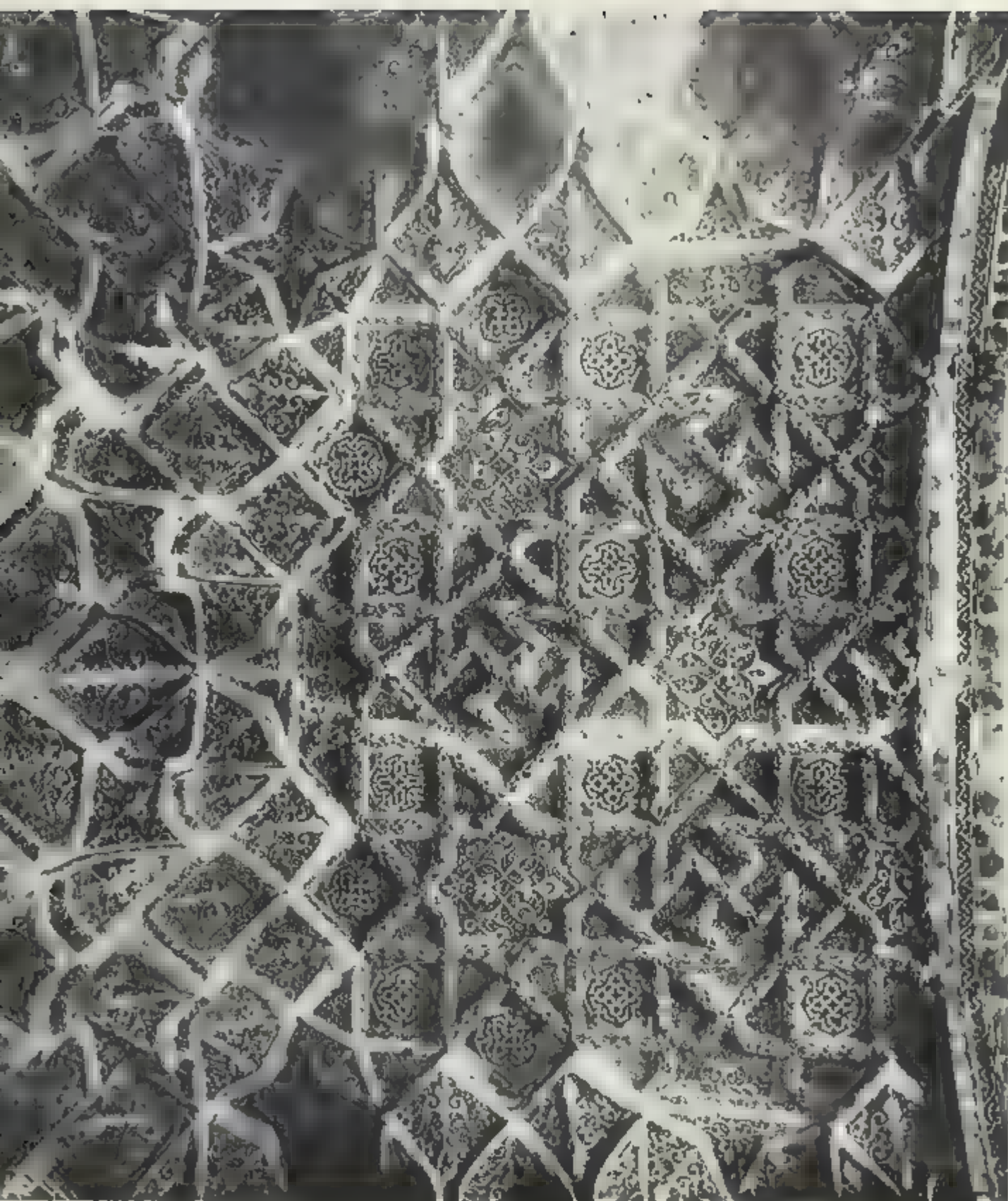
فصل رستمی فی سار و جامع اصف



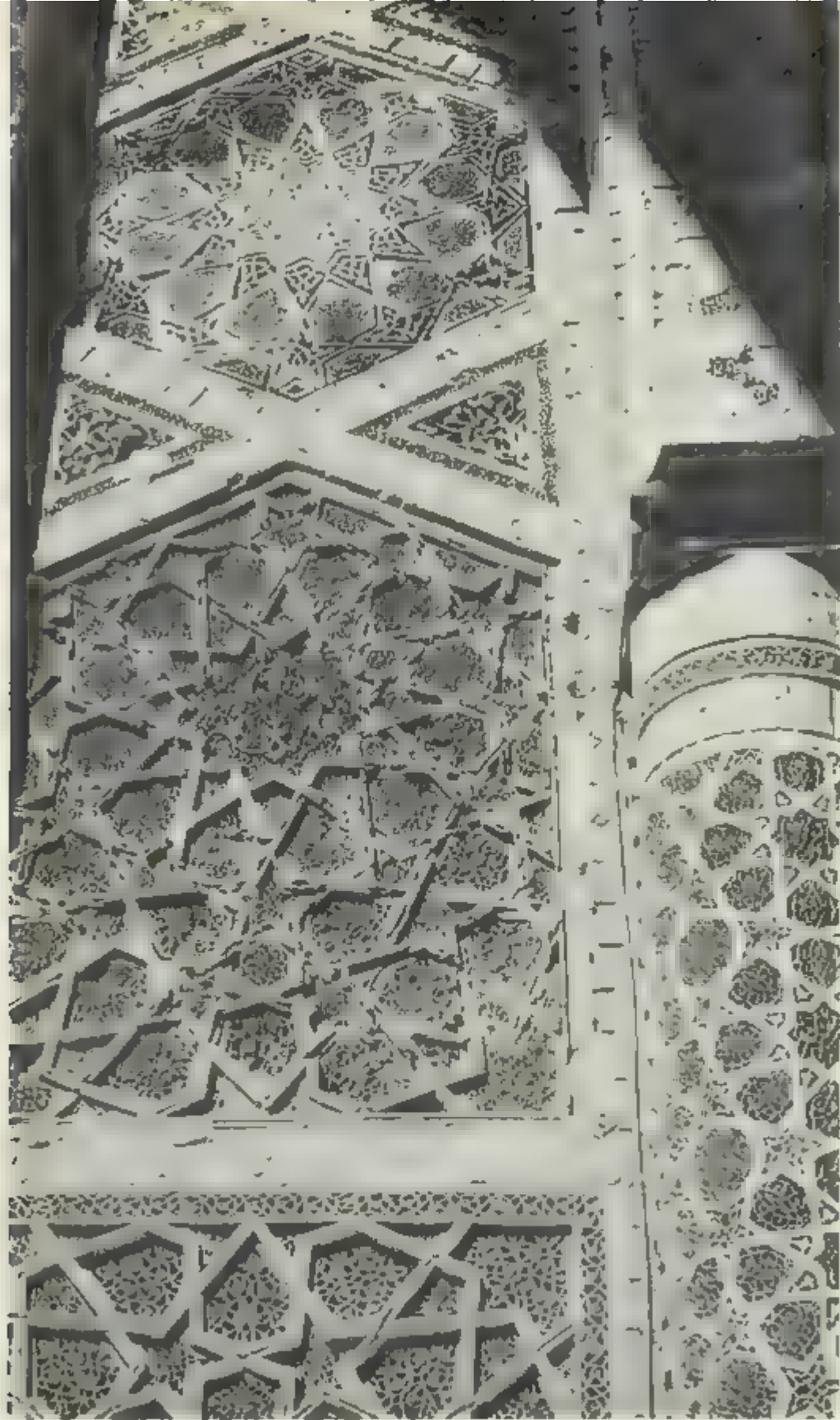
زخرفة في سقف الرواق الكبير (القصر العباسي)



المقرن في أجرابات القبة (التحصن الساسي)



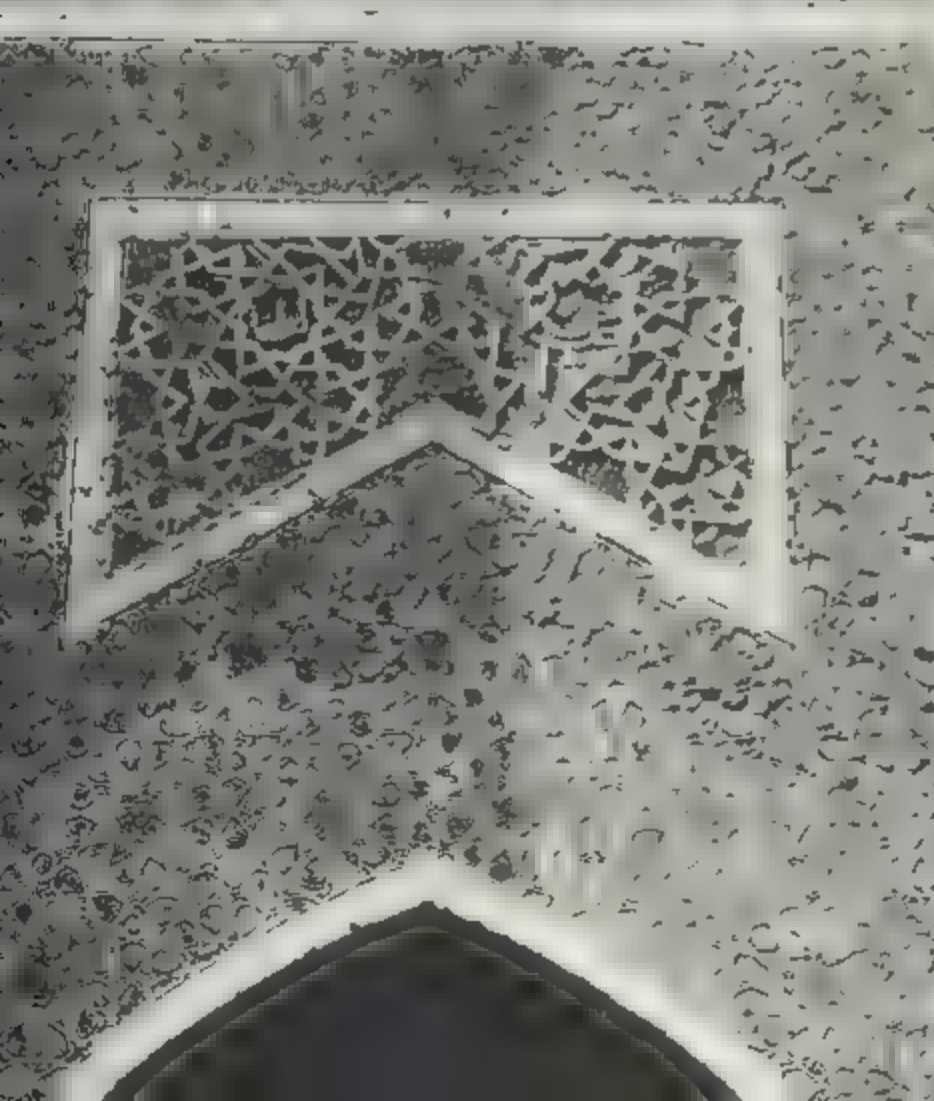
من اسماح الشمع للثكنة الأجرية في دار المساء (العصر الإسلامي)

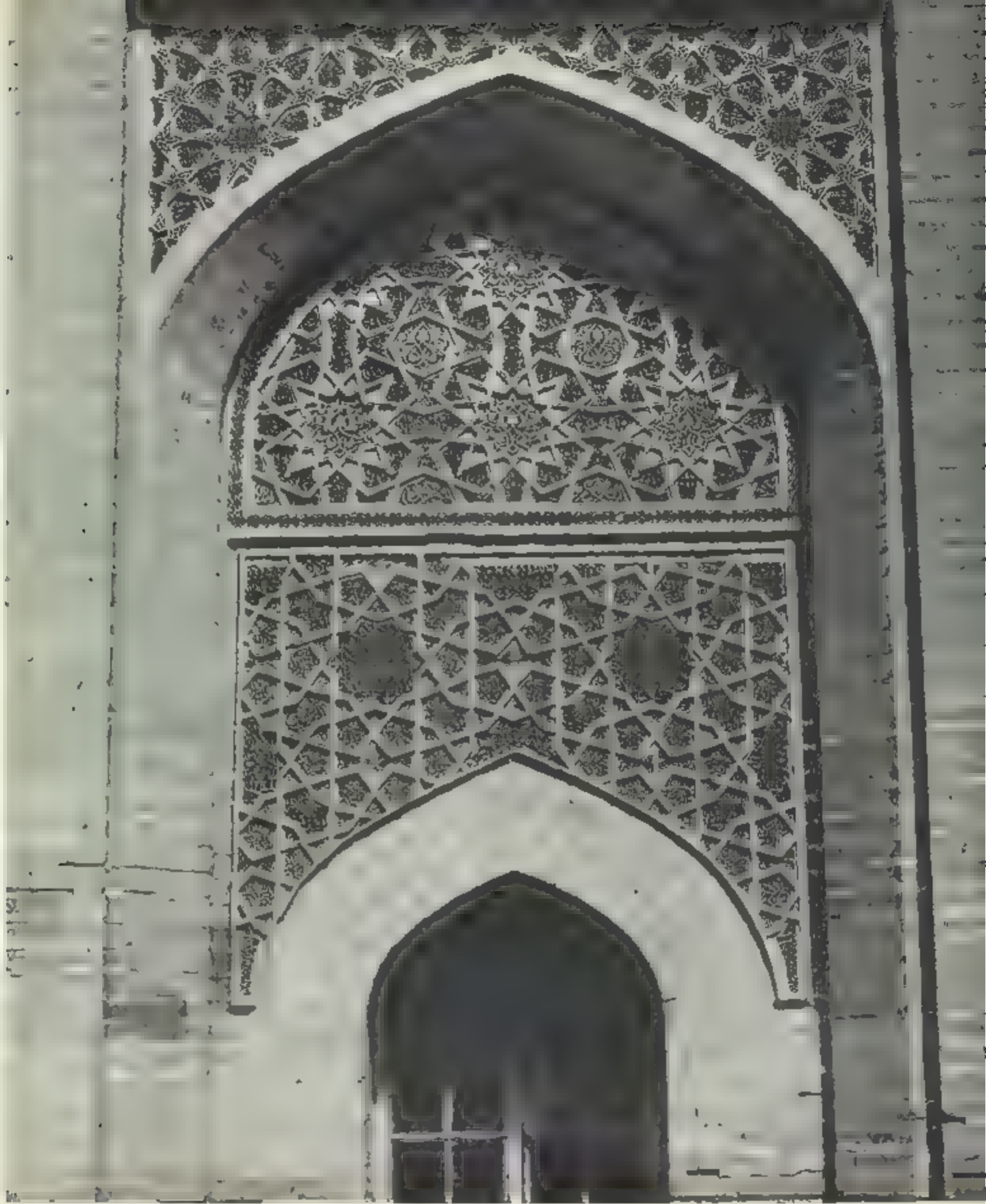


تفصيل إطار الزخرفة للأيوبي الكبير (القصر الملكي)



إطار ازخرفة في مسجد الأجرة (قصر الماسي)

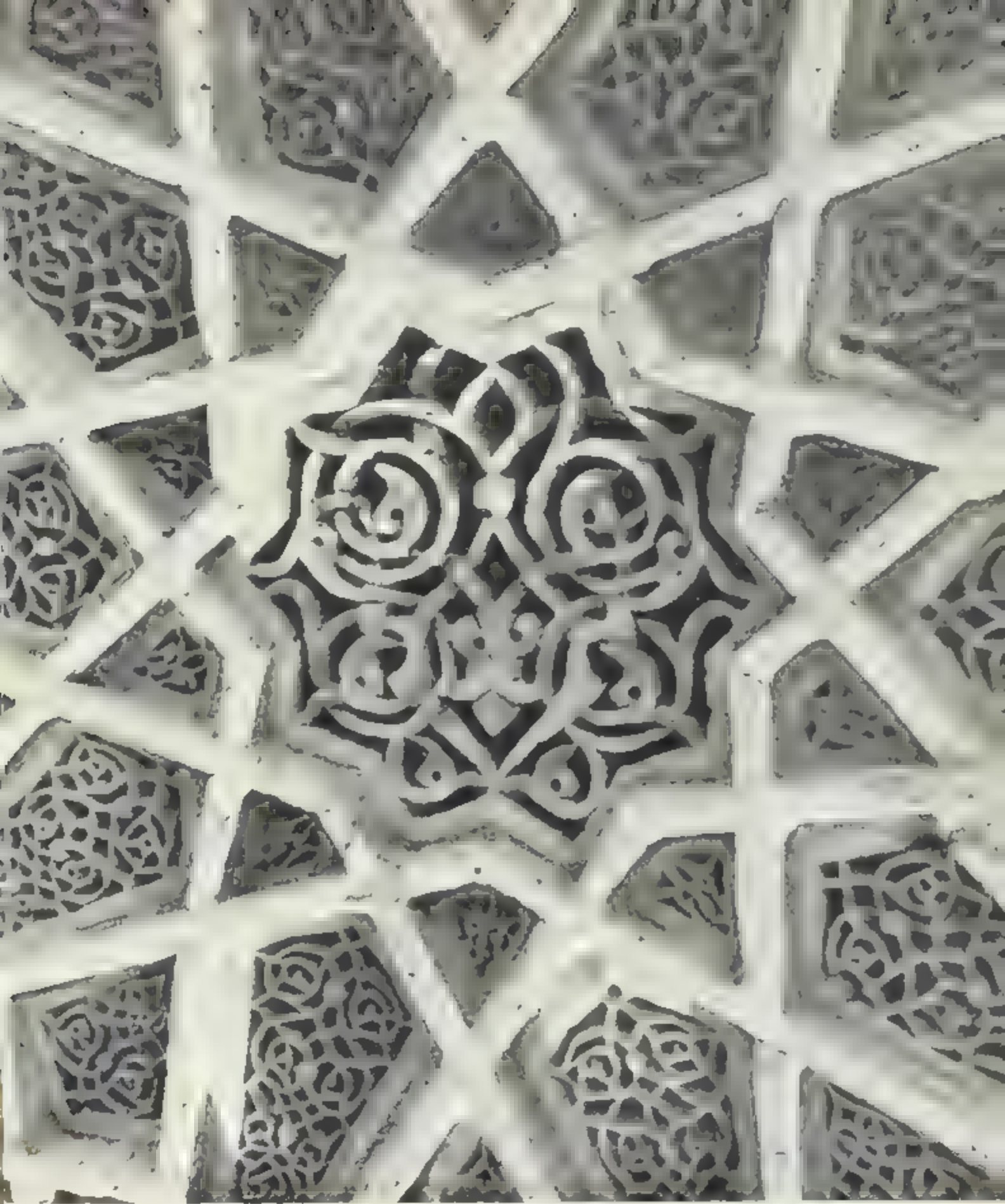




مذبح لتوزيع الزخرفة الهندسية في إطار باب الأعماس (المسجد)



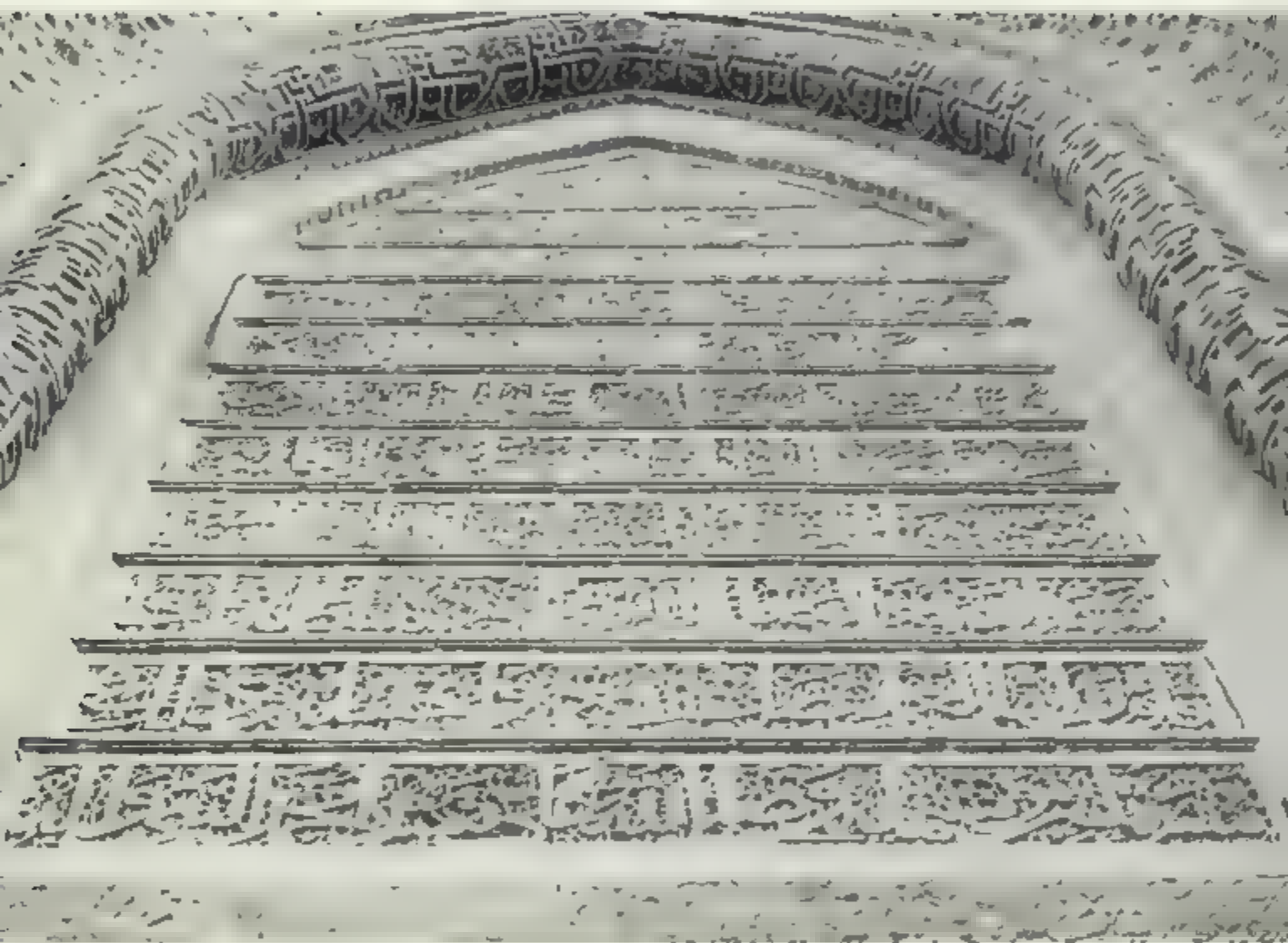
إطار الزخرفة الكتابية - الواجهة النهرية للمدرسة المتصيرية



احدى السادج التي تتكرر في الزخرفة الأجرية البسبادية



لوحة زخرفة حجرية (المدرسة المستعصرية)

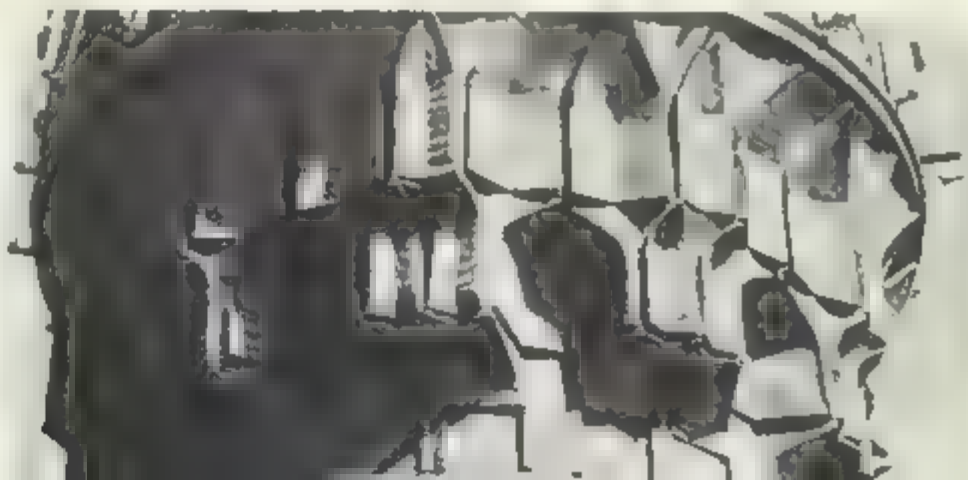


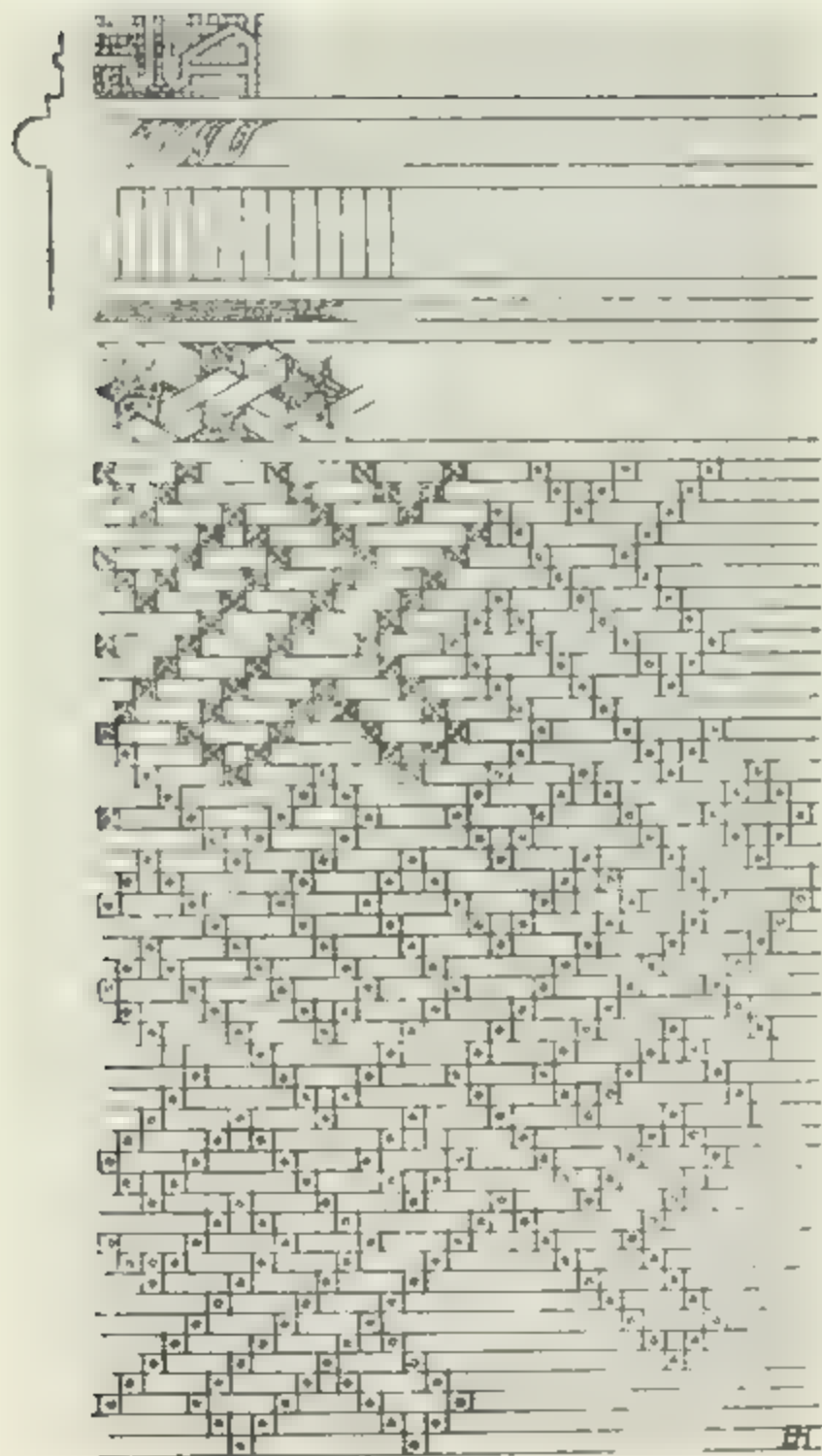
رغرة الكابة في نكية بوابة المقبرة المستعمرة



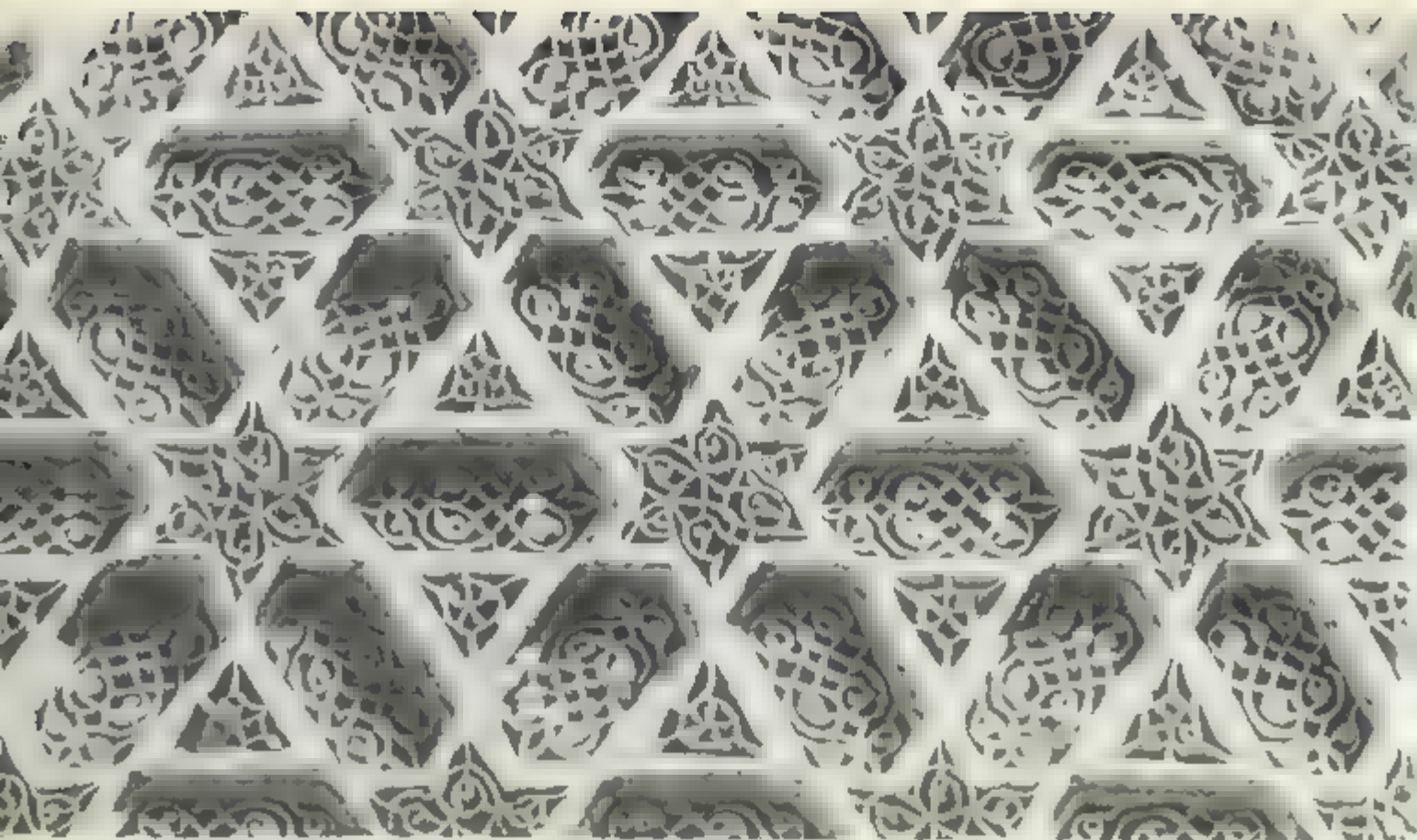
المقرن من المقرن من لوج الأسفل شدة سوي الدار (جامع الخنفاء)

معرض الأثر في مدنه
مسجد الخطائر جامع خفافين

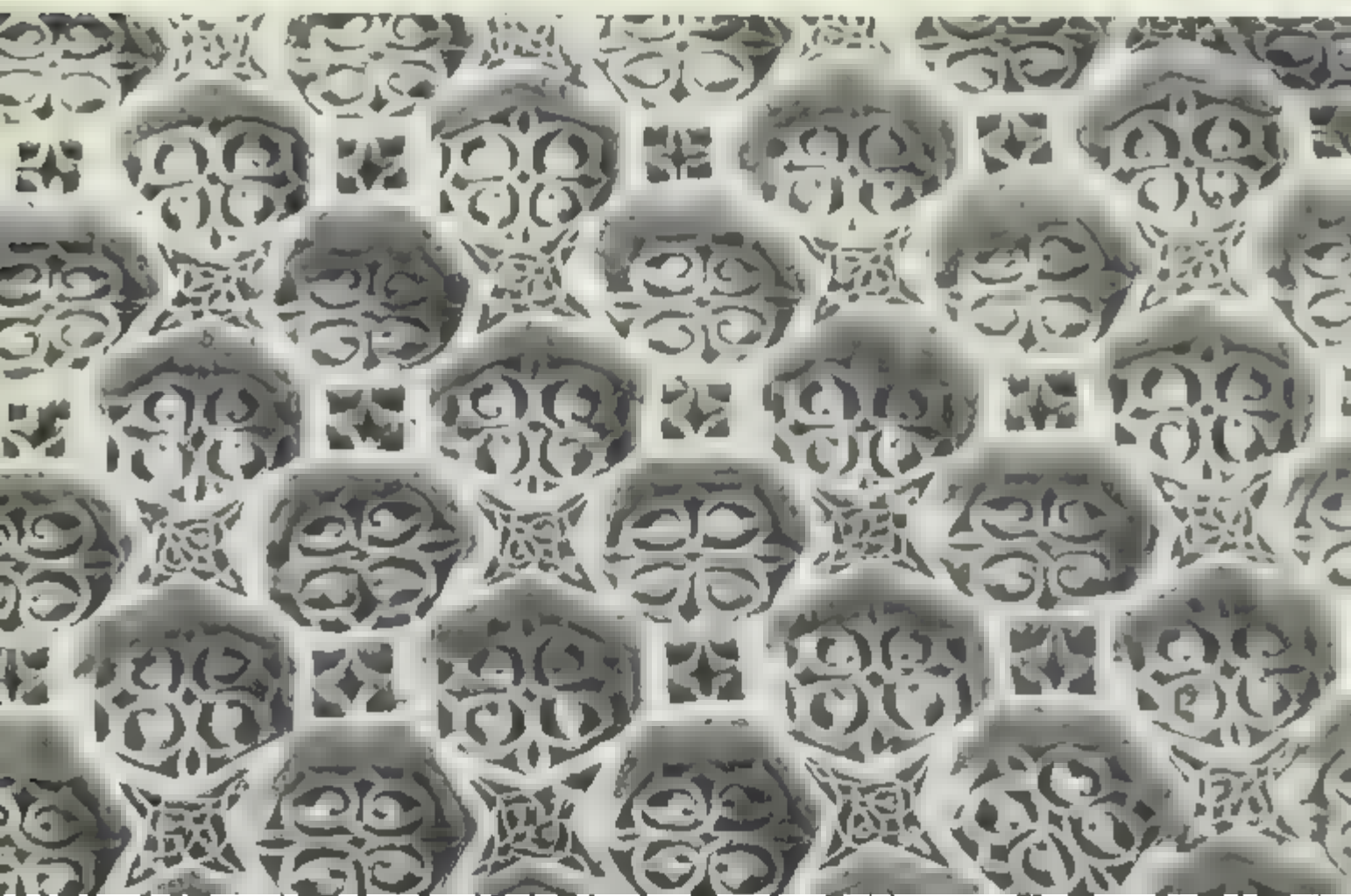


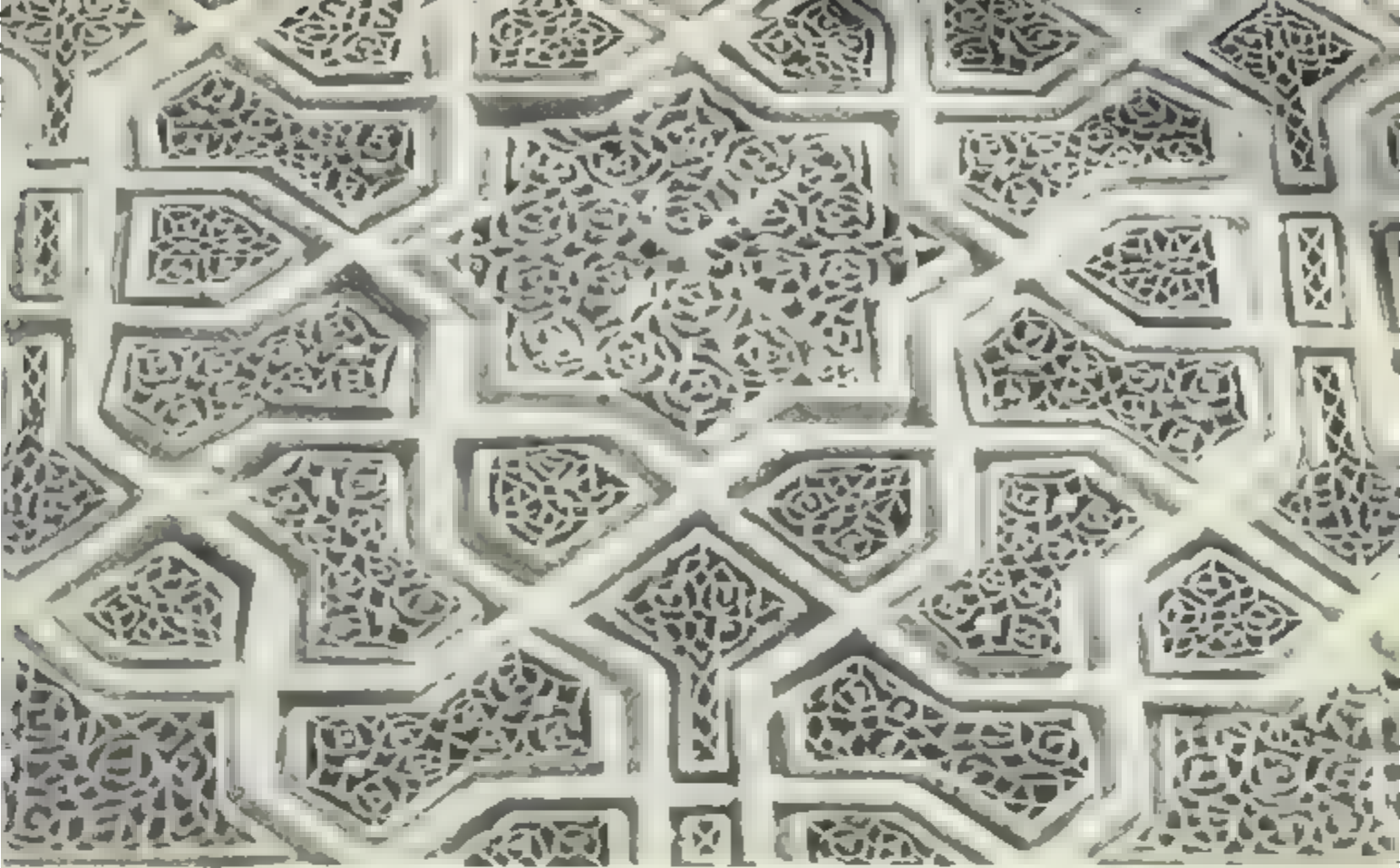


نمط التنظيم الهندسي للتكية الأجرية في مدينة سوق النزل (جامع الخفاف)

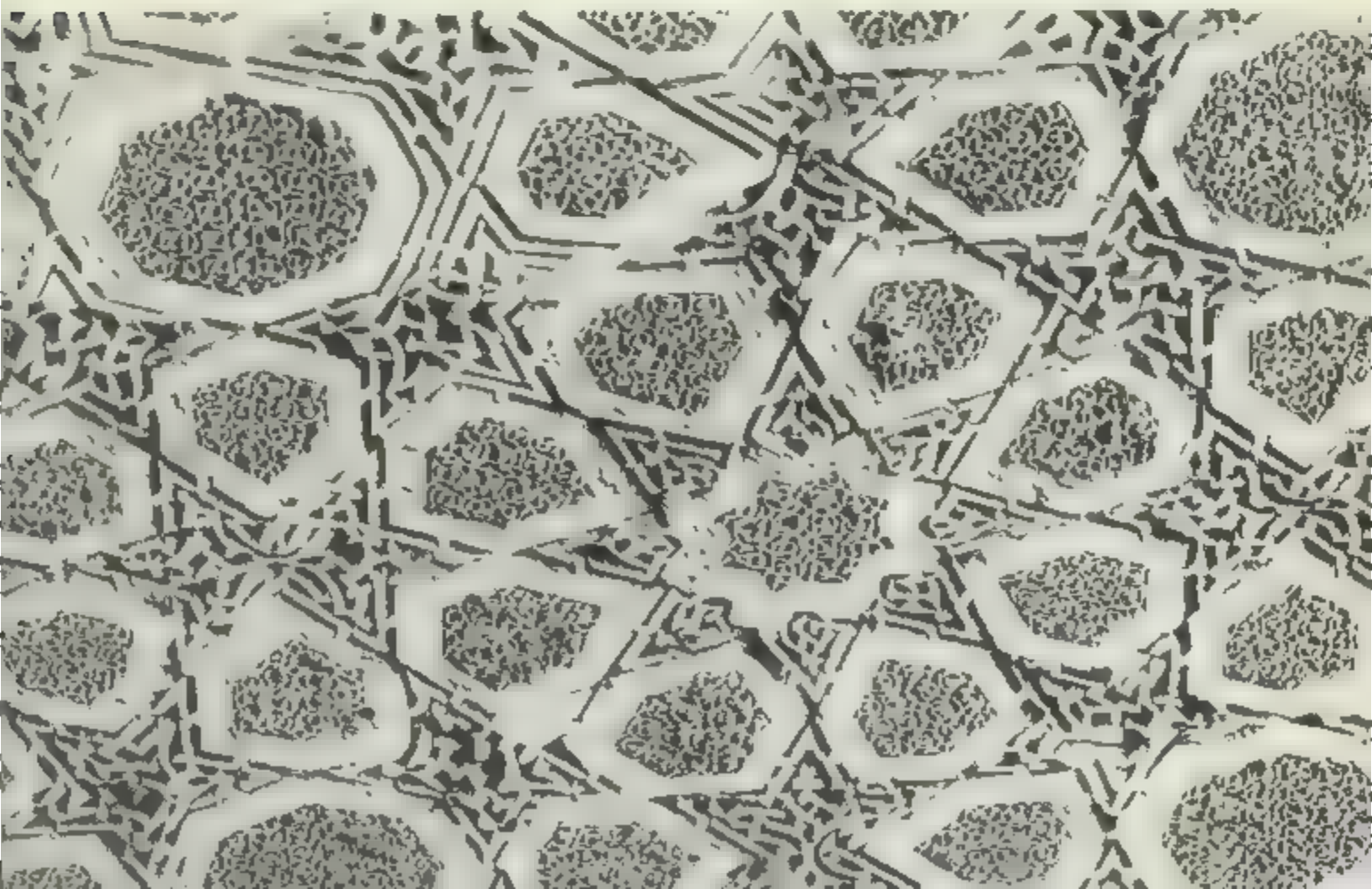


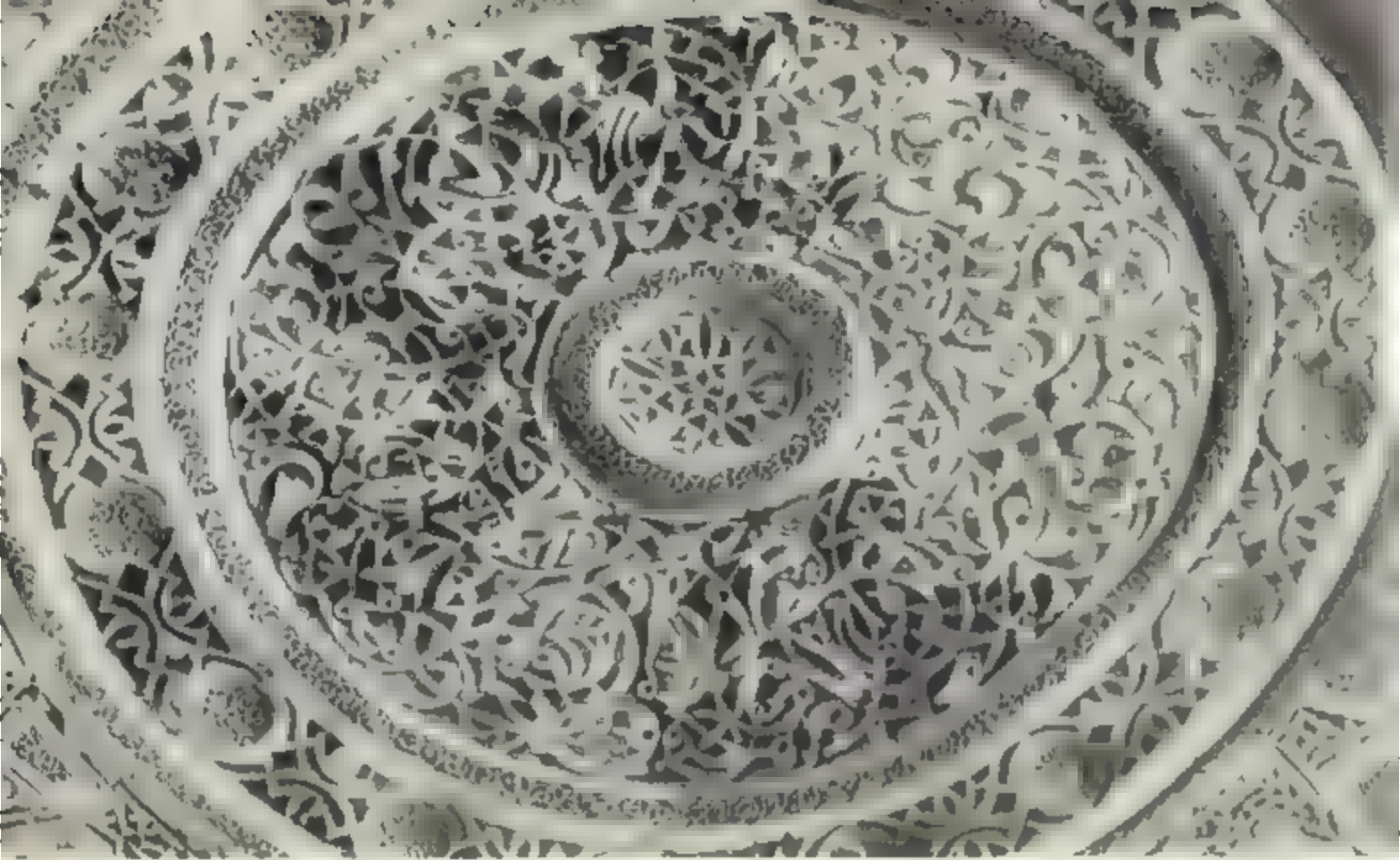
من حارات المرمية - مصر





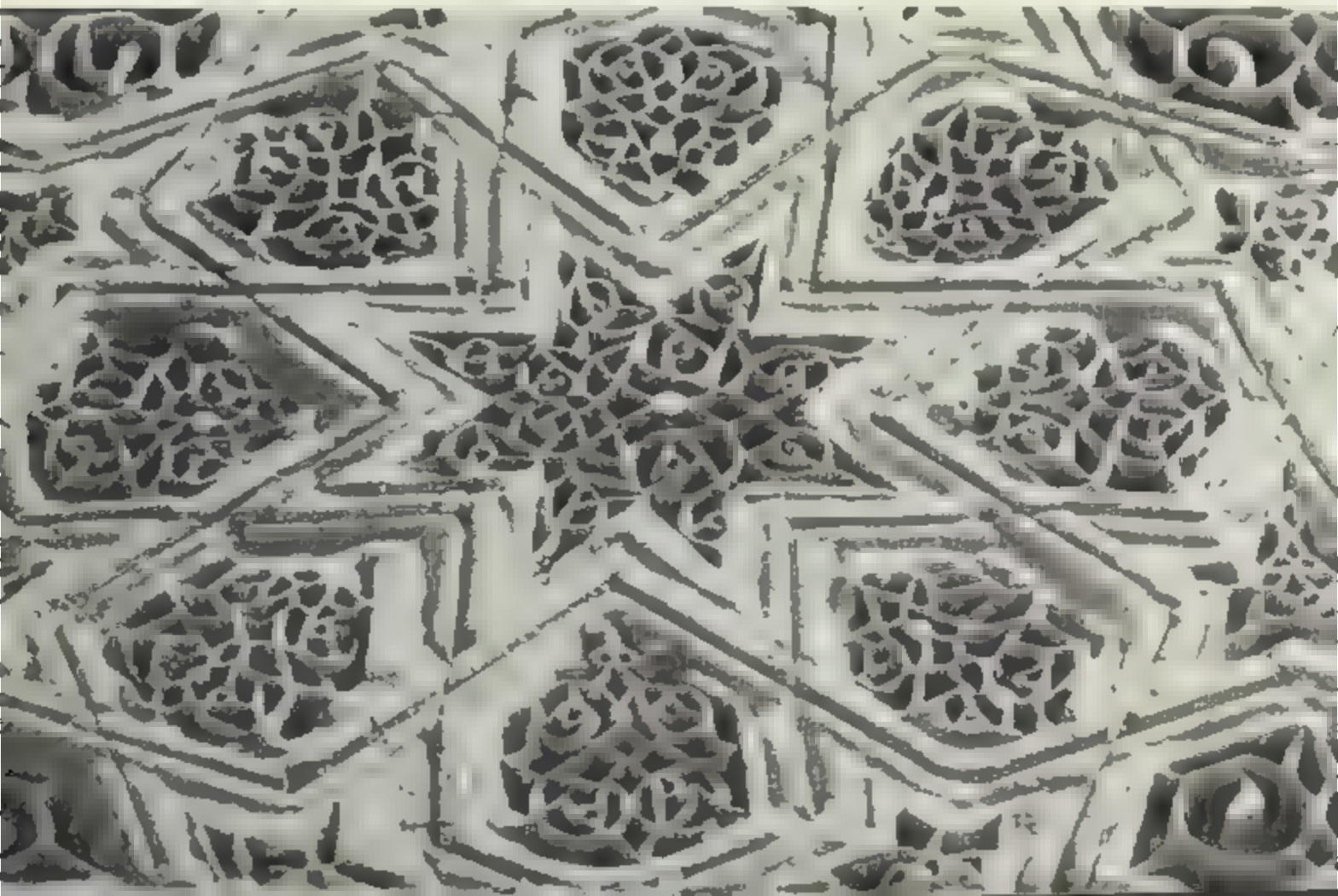
من زخارف المدرسة المشرقية





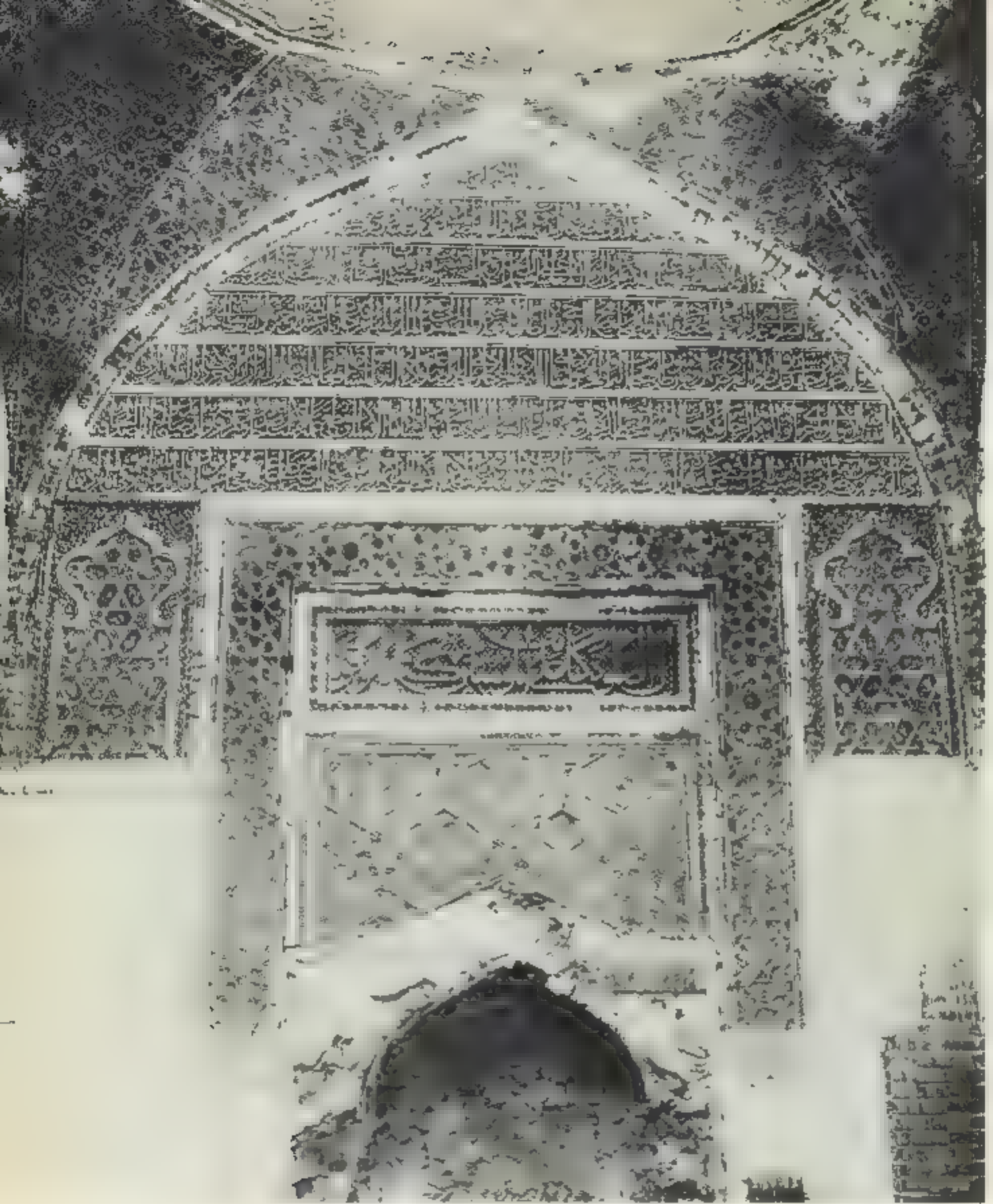
حجرة آجرية تتوسط سقف الايوان الكبير - العصر العباسي

من زخارف المدرسة العباسية





المرحمة الأخرى مع اسماء الفدائي في نقشه بوى سراجين

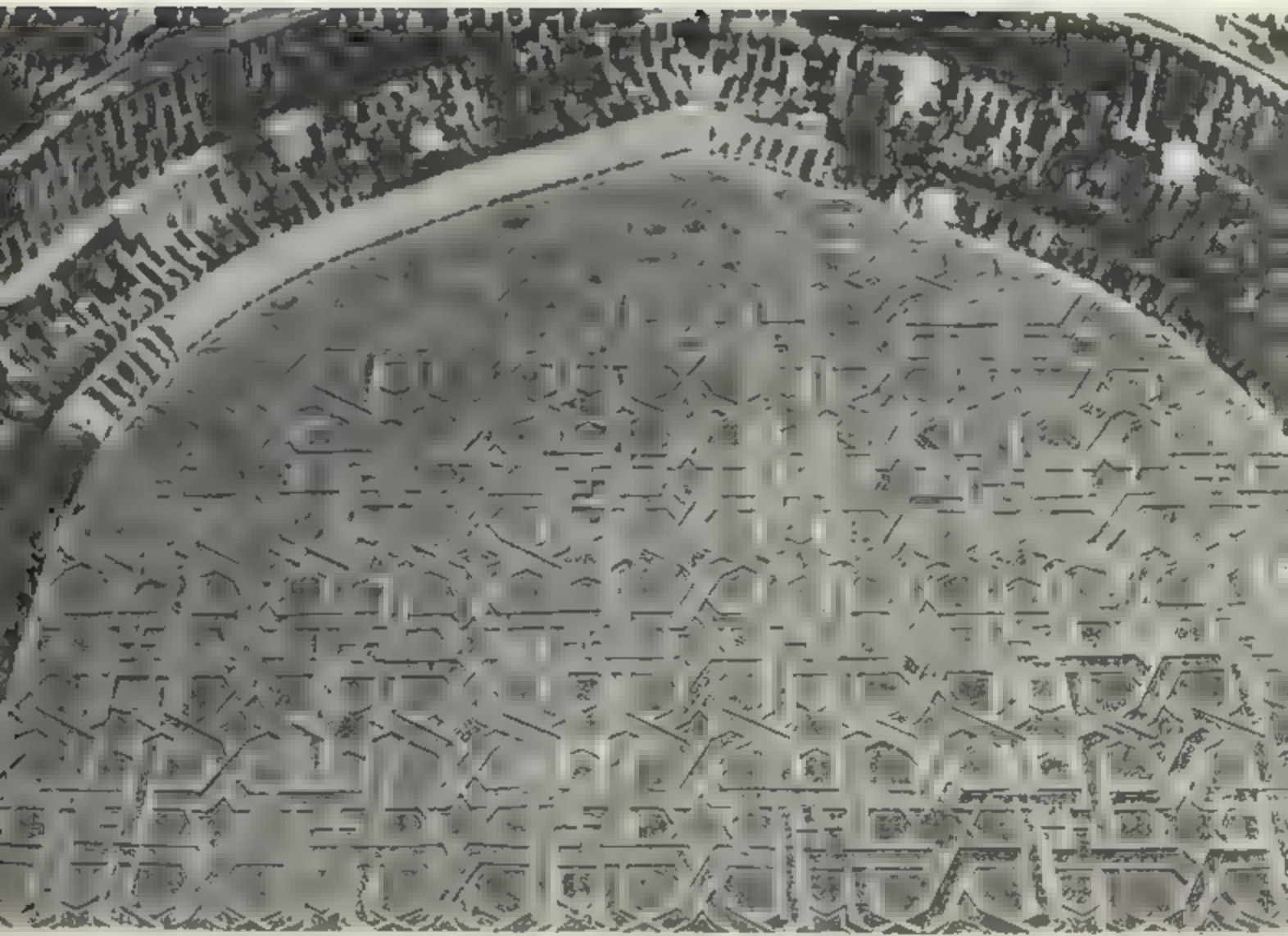


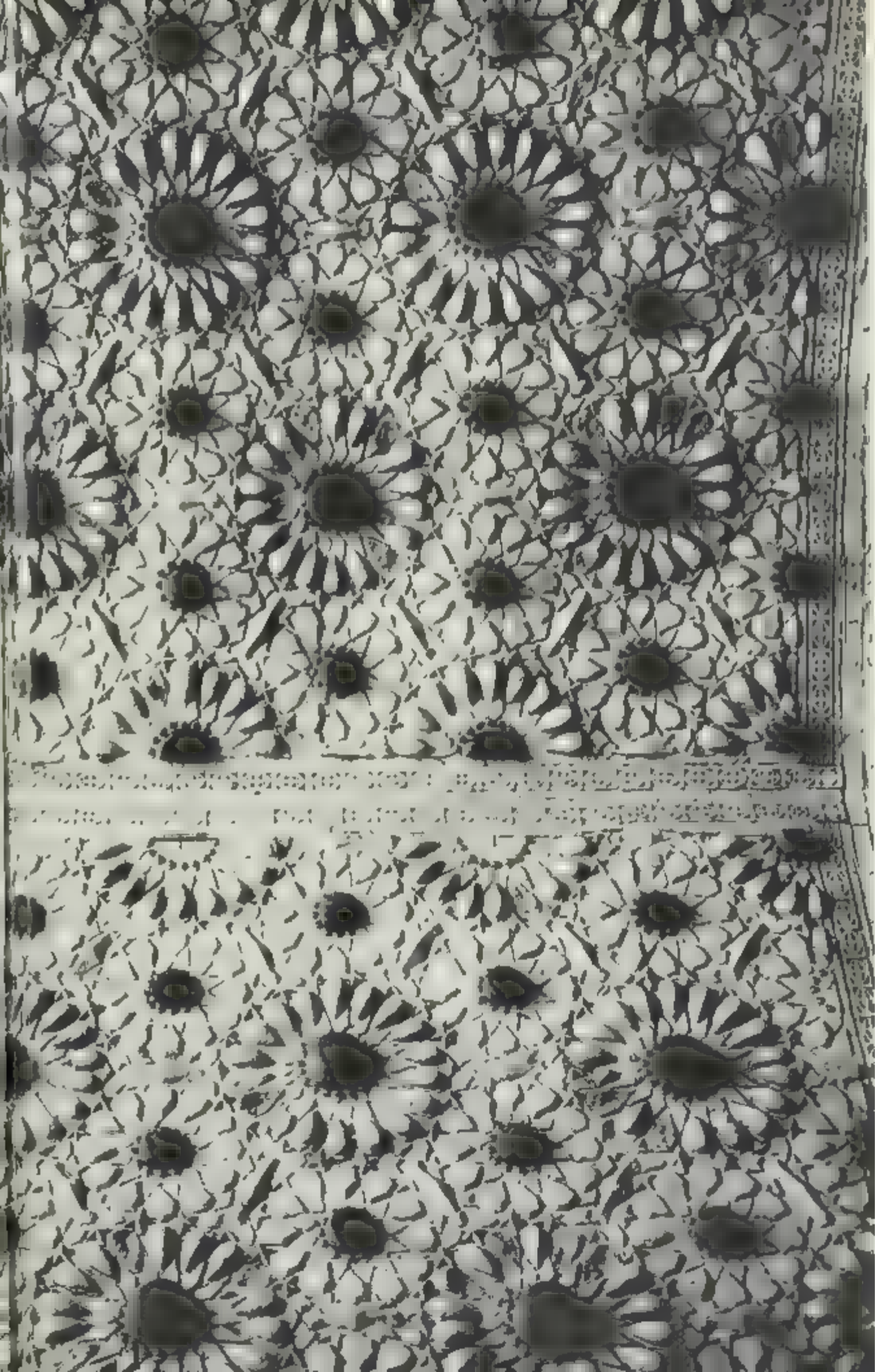
كبابات ورحارف آجره المدرسة المرجاة

رخاروف هندية ومائية، آجر وجص من بيوت سدادنه



حديقة - أبو الهيثم - القاهرة







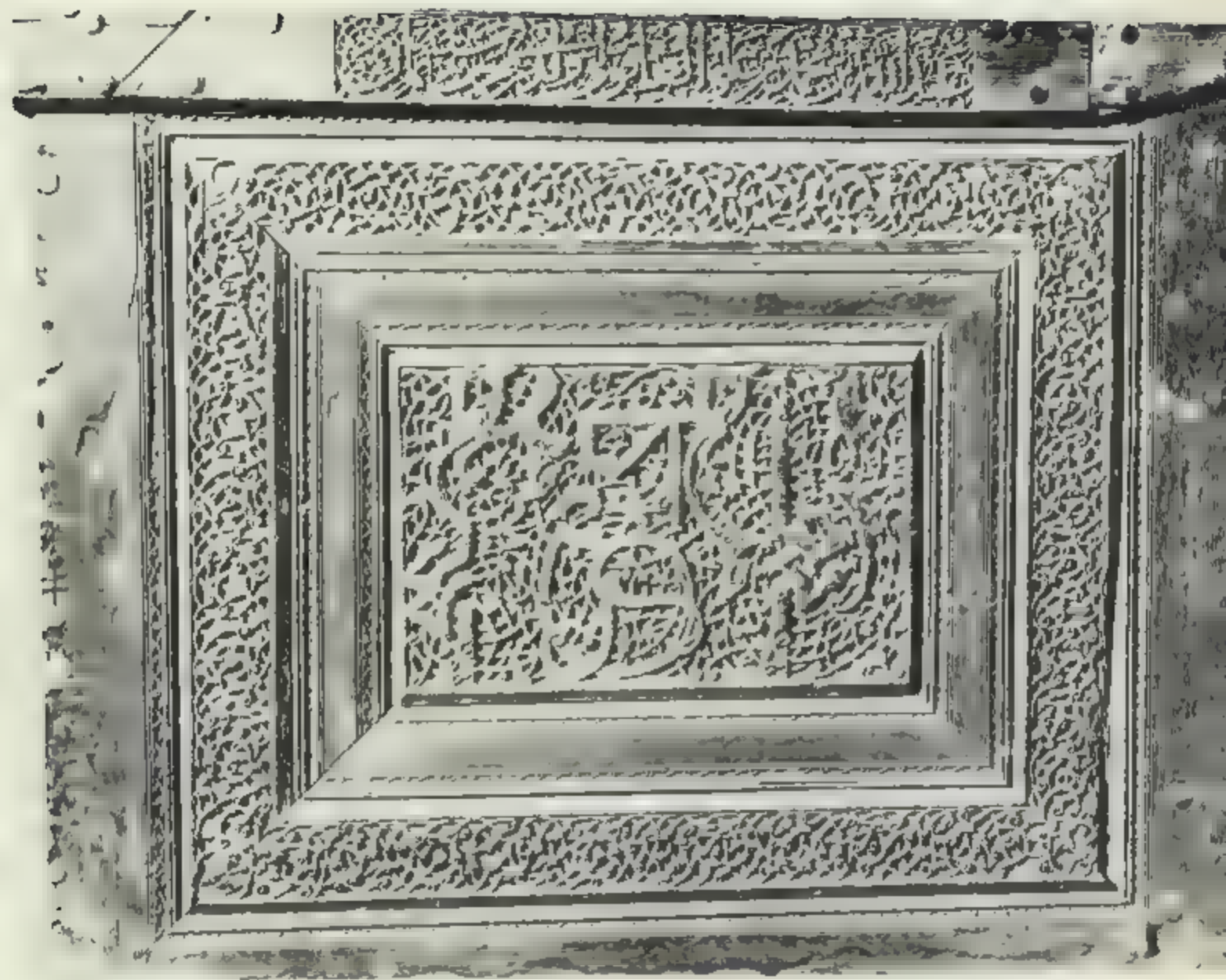
زخرفة آجرية مطعمة بالحل
في سقف مدخل السراي الحكومي

الأعمال الخشبية

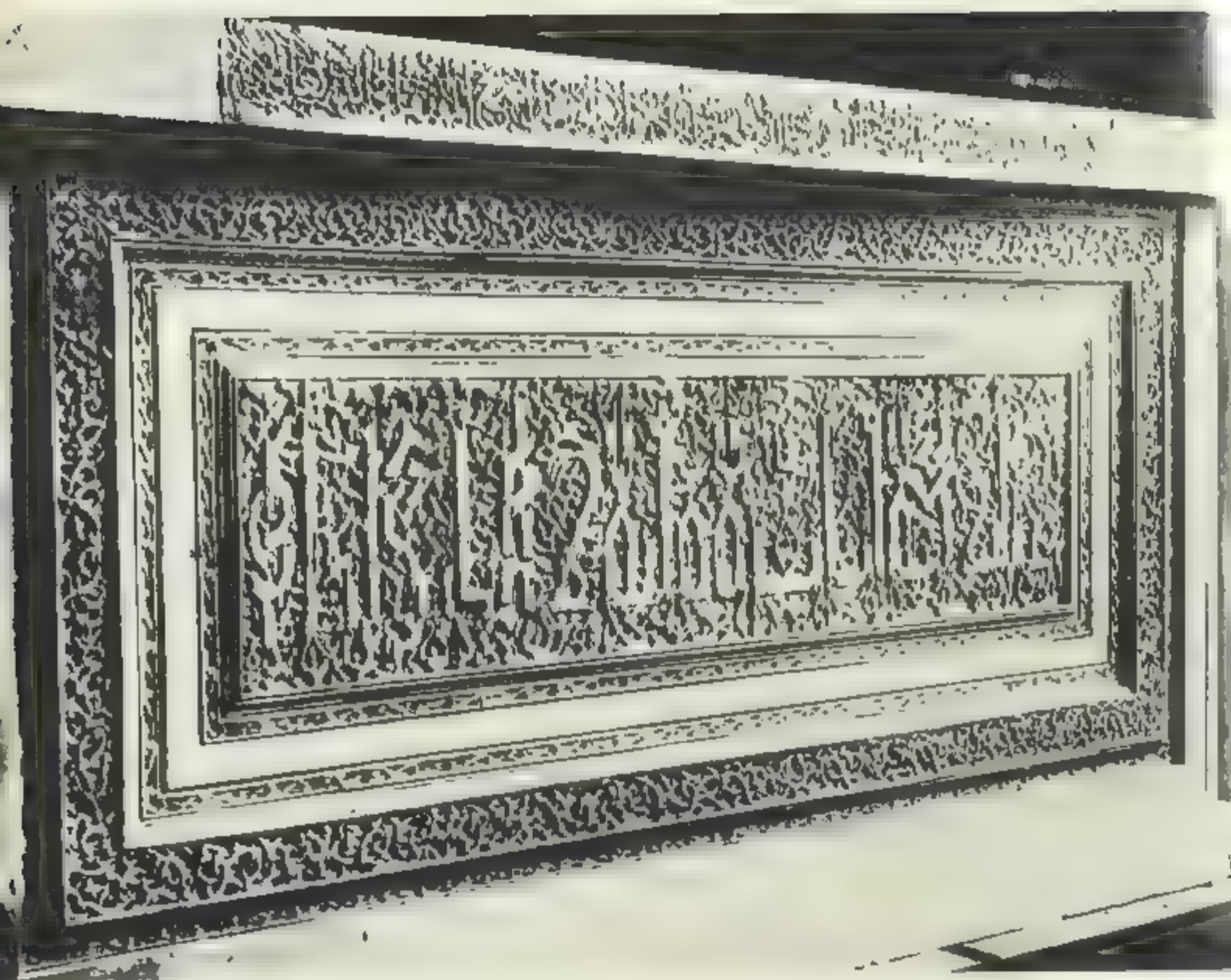
لم تقتصر أعمال النقوش الهدمية
والنباتية (الأرابسك) على الأجر، بل شملت
الأعمال الخشبية في البناء، وأظهر التجارون
موقفاً في الدقة والمهارة في أعمال التكبنة
الخشبية والتوافد. وخاصة في بعض الأبواب
وألواح المشكيات التي ظهرت بمصائص
مميزة في الواجهات الداخلية للآلية .



من أمثلة الزخارف للعشوات الخشبية في الابواب — المشهد الكاظمي



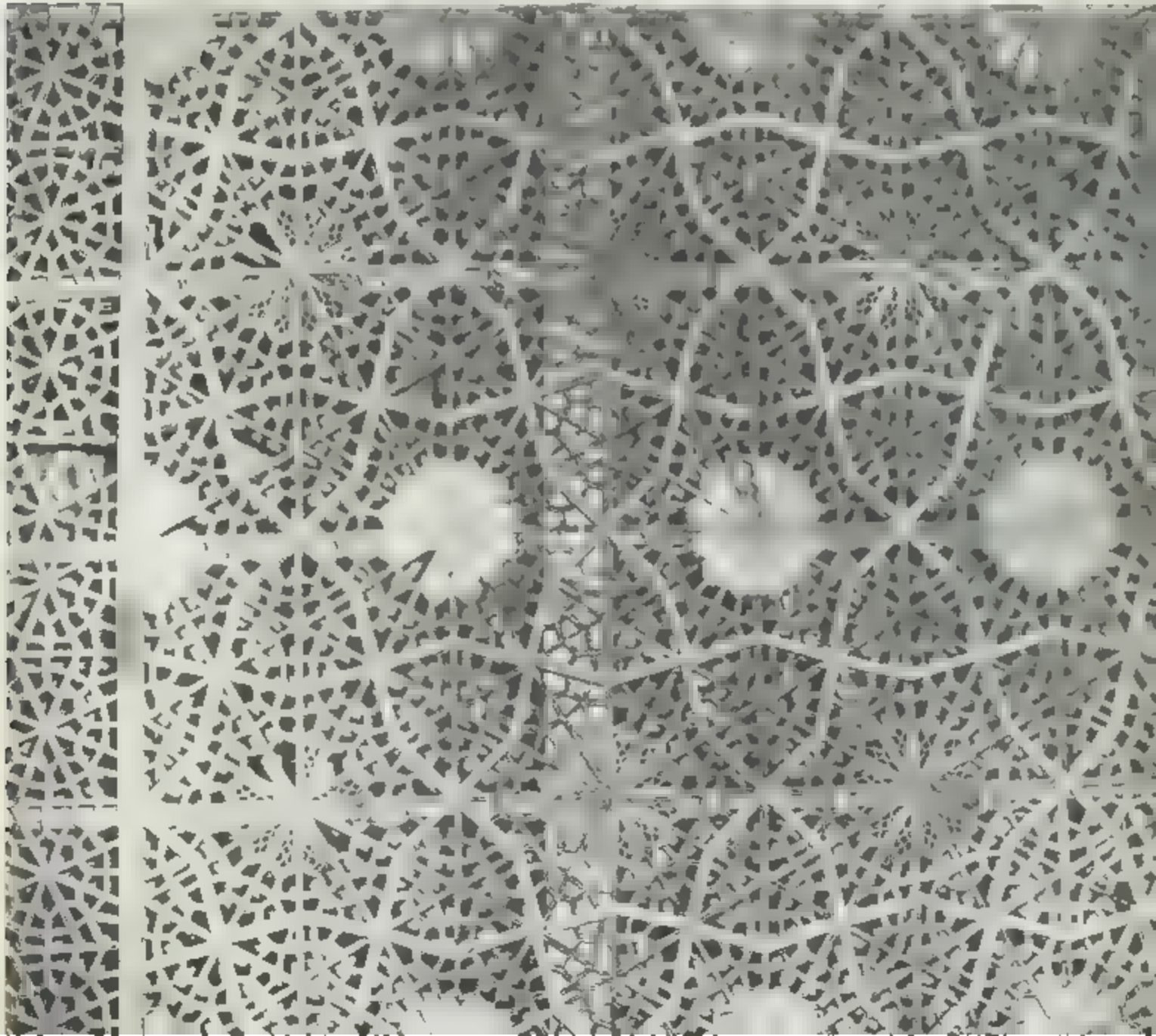
کتابت و رخارف عل صندوق طریح العاقول



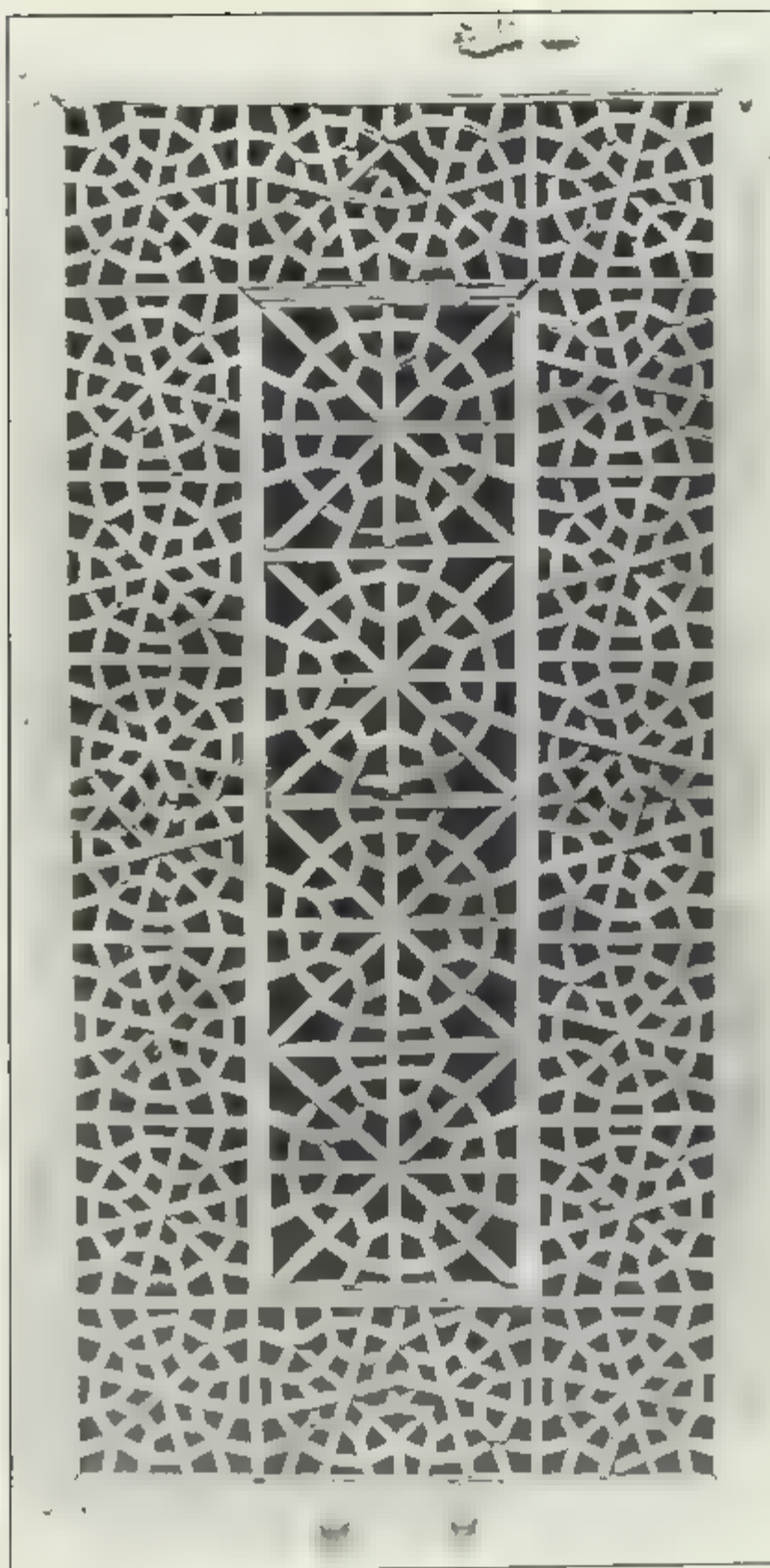
كتابة كوفية وحرارة سانه صدوق صريح في جامع المائوليه



من الزخارف الخشبية الدقيقة الصنع في إحدى البيوت المعدادية — من مجموعة القصر العباسي







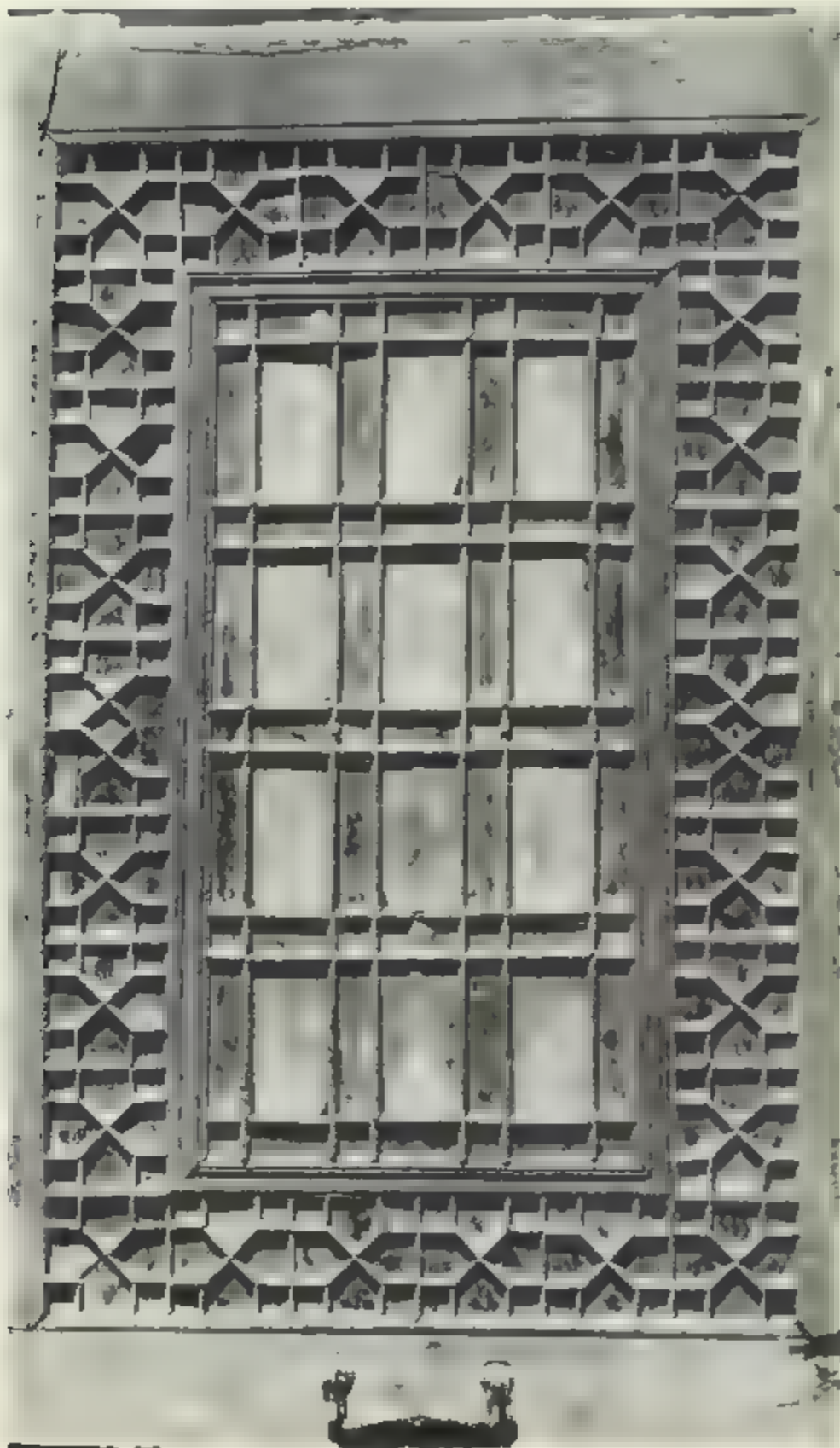
وحدة إطار شاك خشبي - دار السيد أحمد السيد عيسى



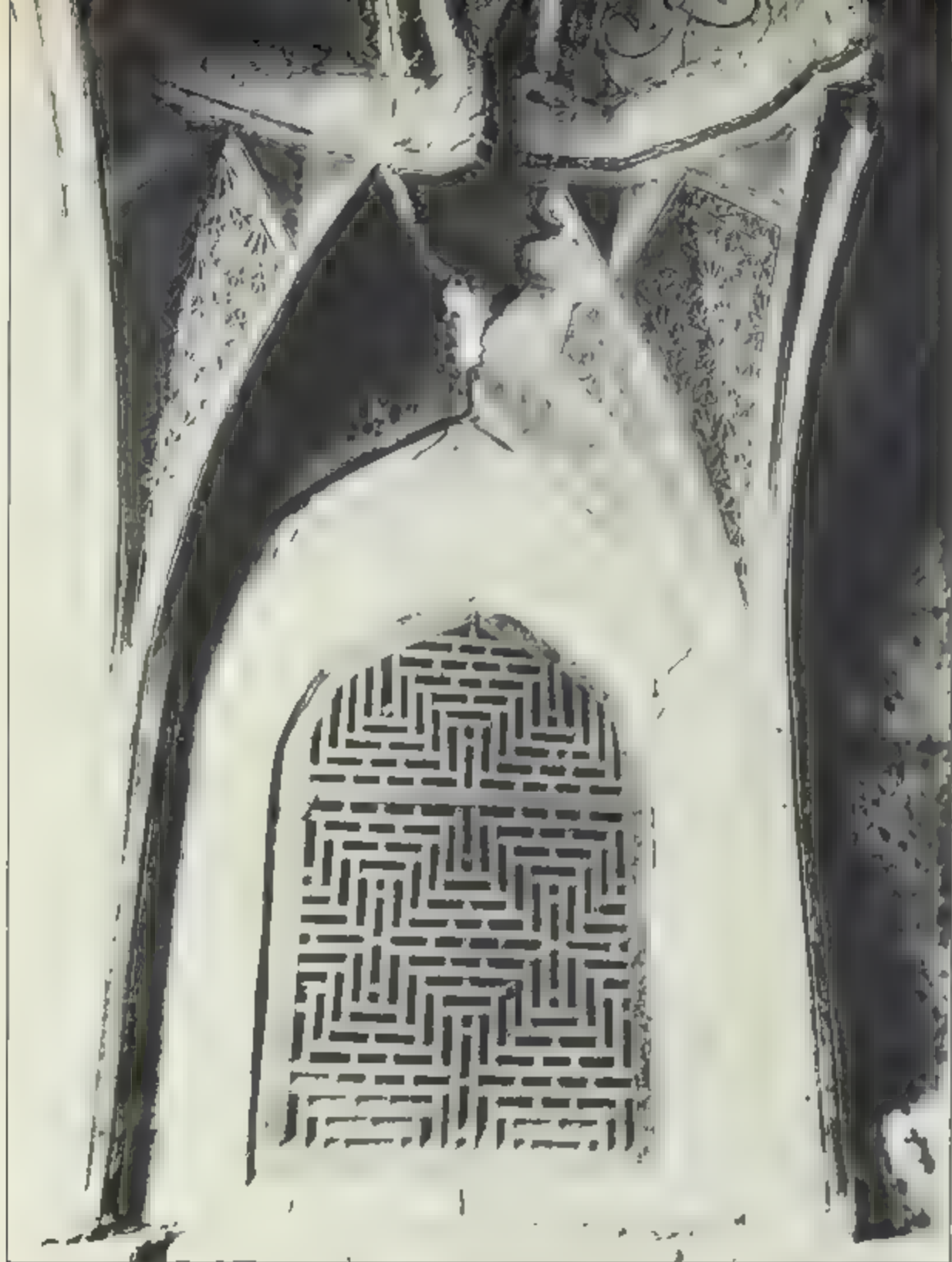
جانب من الواجهة الداخلية - دار السيد أحمد السيد عيسى



أحد ساندج الشايك الزجاجية — دار السيد أحمد المد عيسى



وحده اطار شاك حشي — دار السيد احمد الد عسى



مشک حشی ده لندی



نموذج للزخرفة الخشبية النغرة في إيوان البيوت البدائية



الشايك والأعمال الخشنة في الواجهة لحد حلة للعرى العمومية دار السدر سدر وح





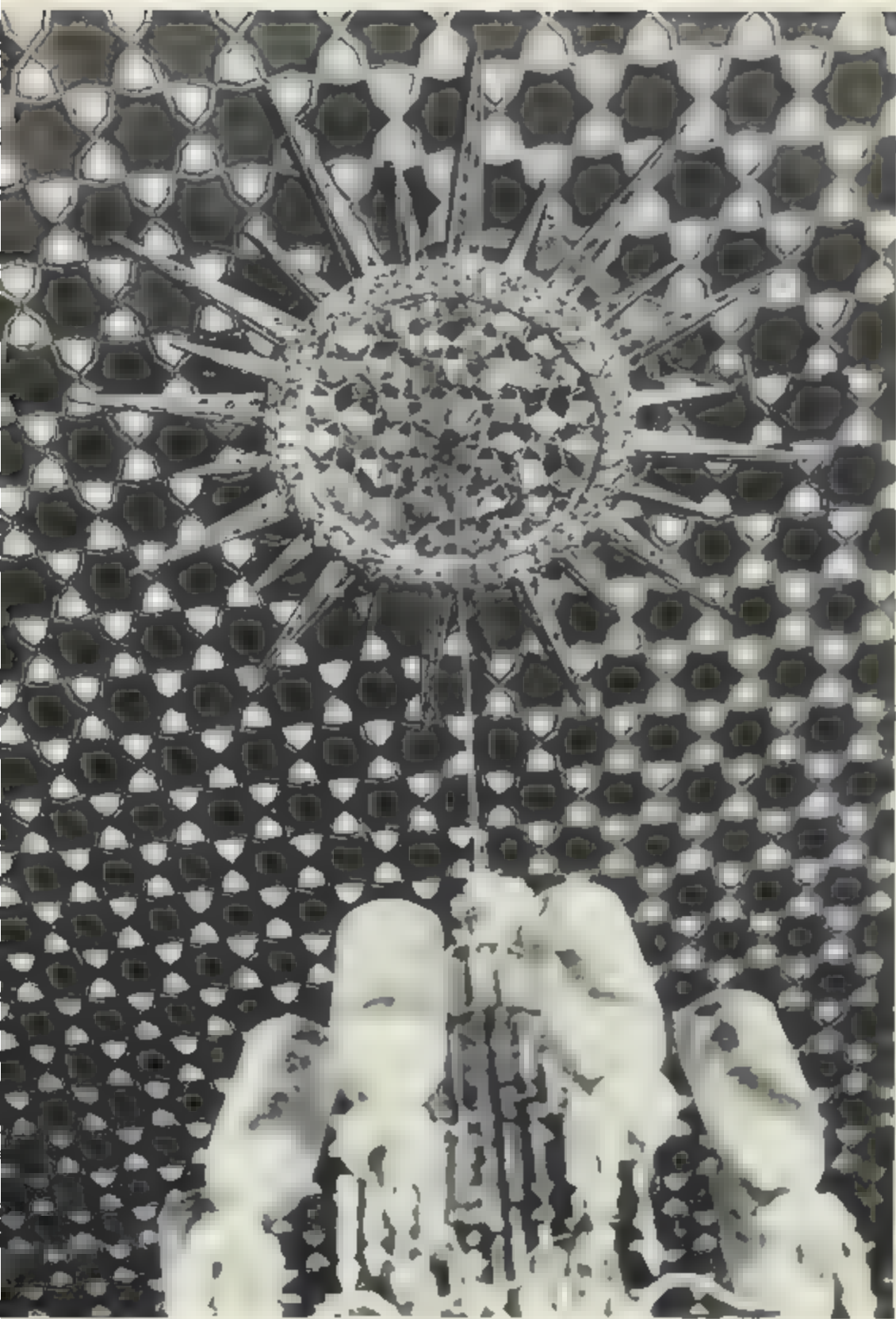
الواجهات الداخلية لغروب البحارة دار الاسرايدي — كاظمه



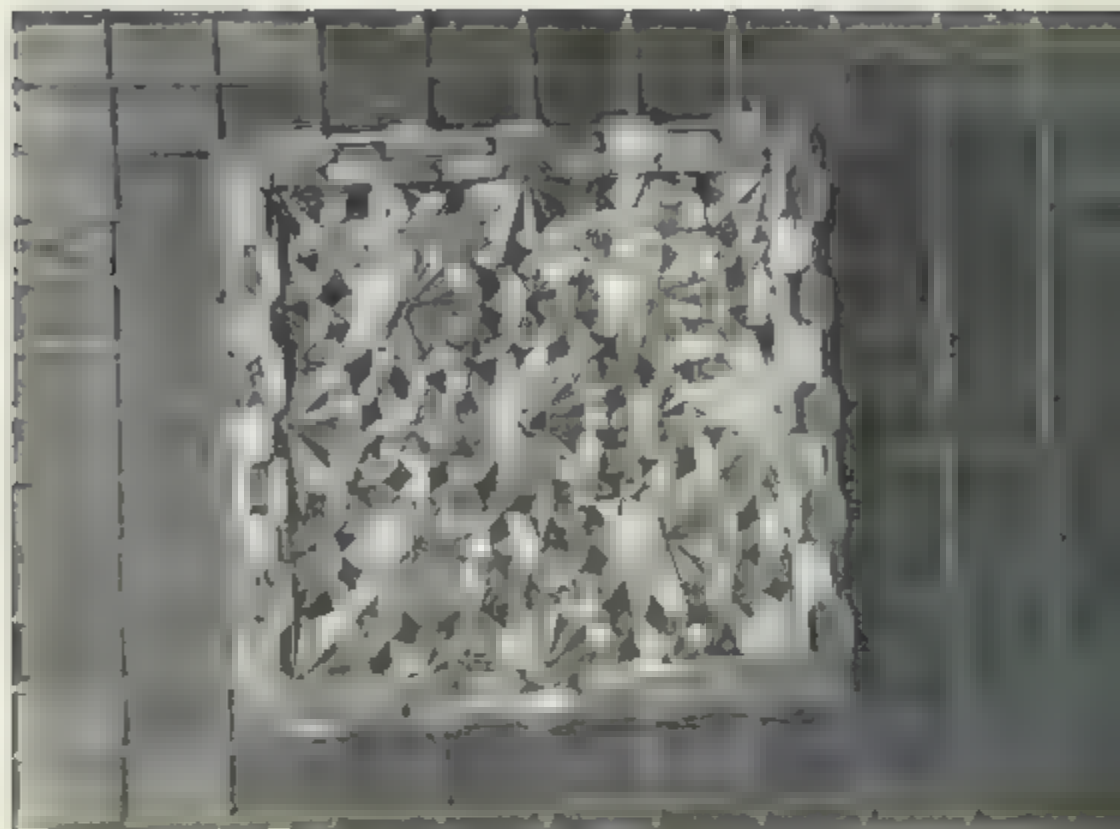
توزيع الاطارات والشايك في الغرف المطلة على الفناء الداخلي



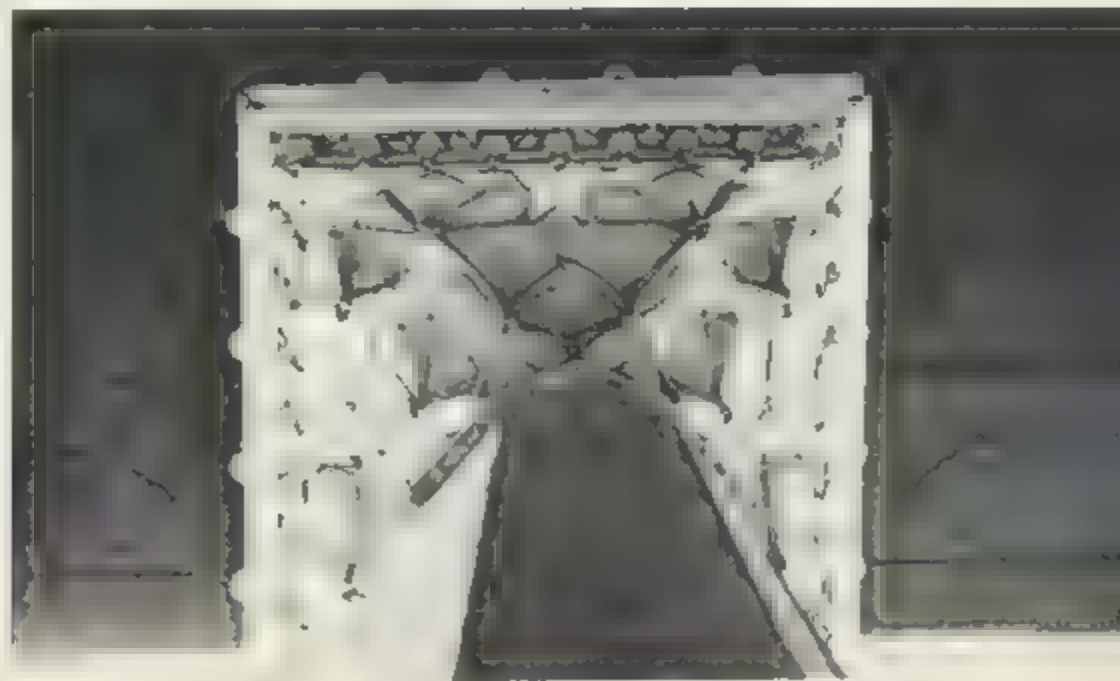
التكسية الخشبية والترسبات في سقف دلو بيت اللاتكة



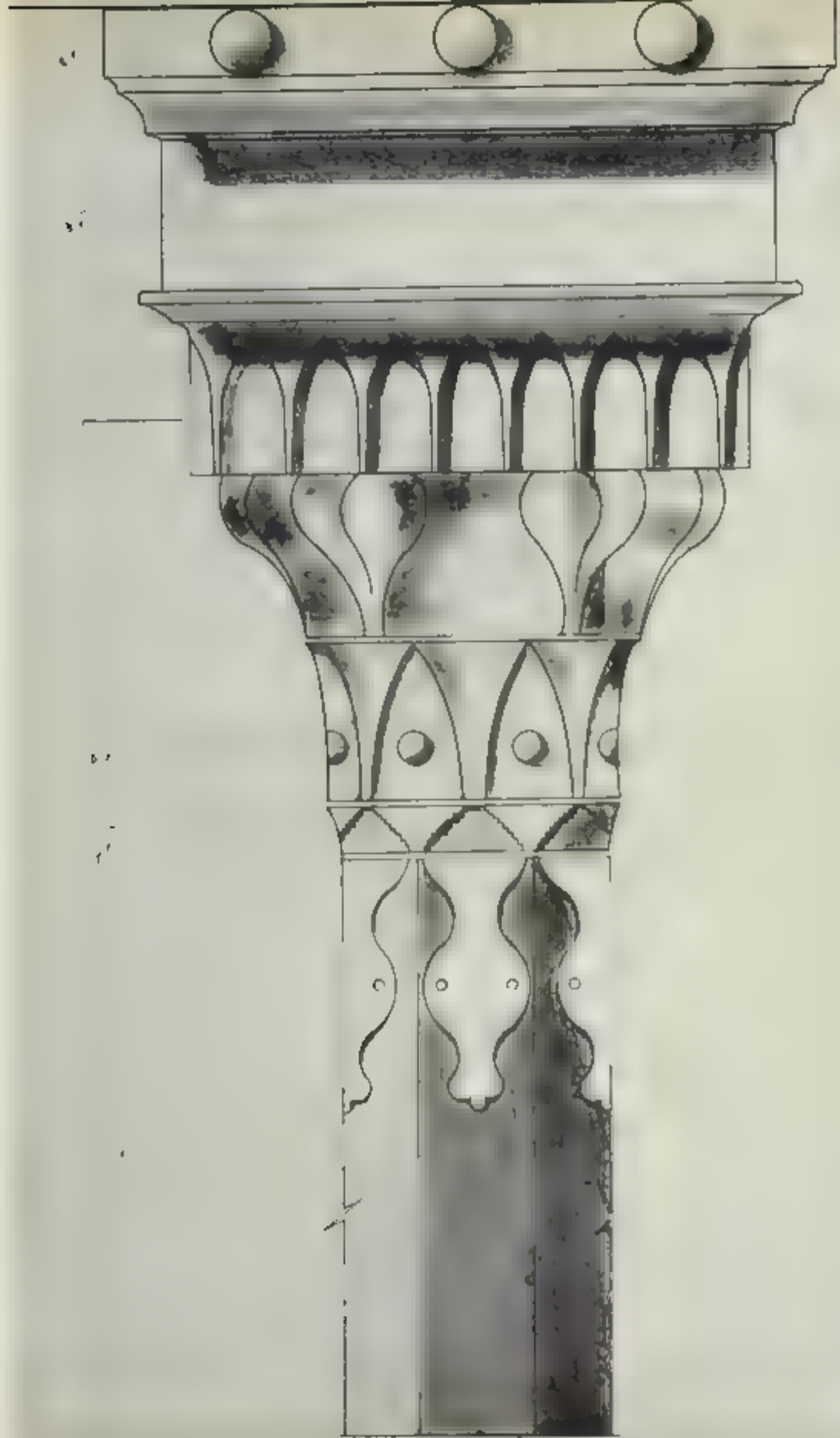
تکيه مقوف الخرف الرئية — دار السيد صبي رشيد دروش علي



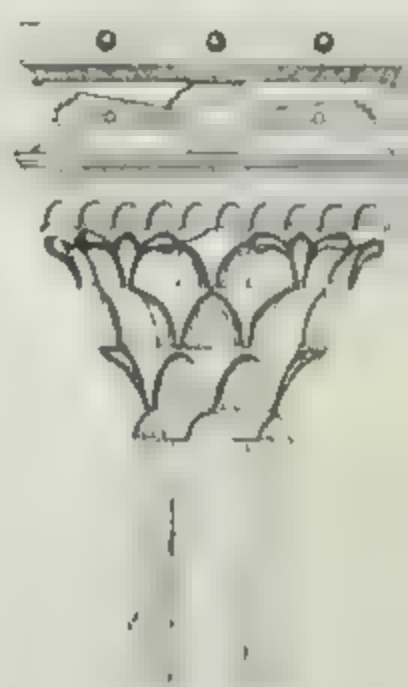
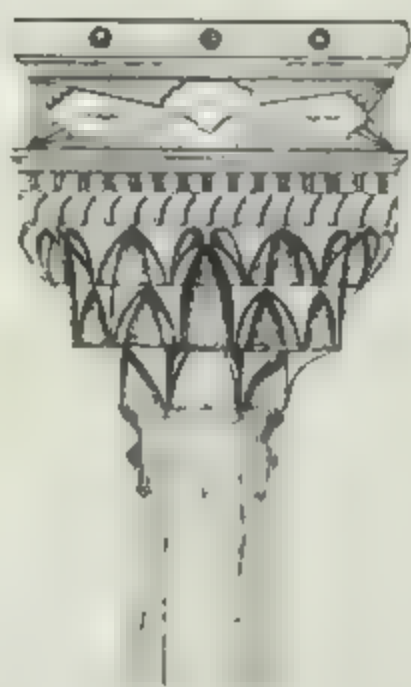
مودع لوحه رخرقة نمط لمقوف البيت المعدنه



مطور بهانه المود الخشي المعداي



نموذج لتيجان الاعمدة الخشبة — مدرسته كفة العنبر يوسف اللاتيه



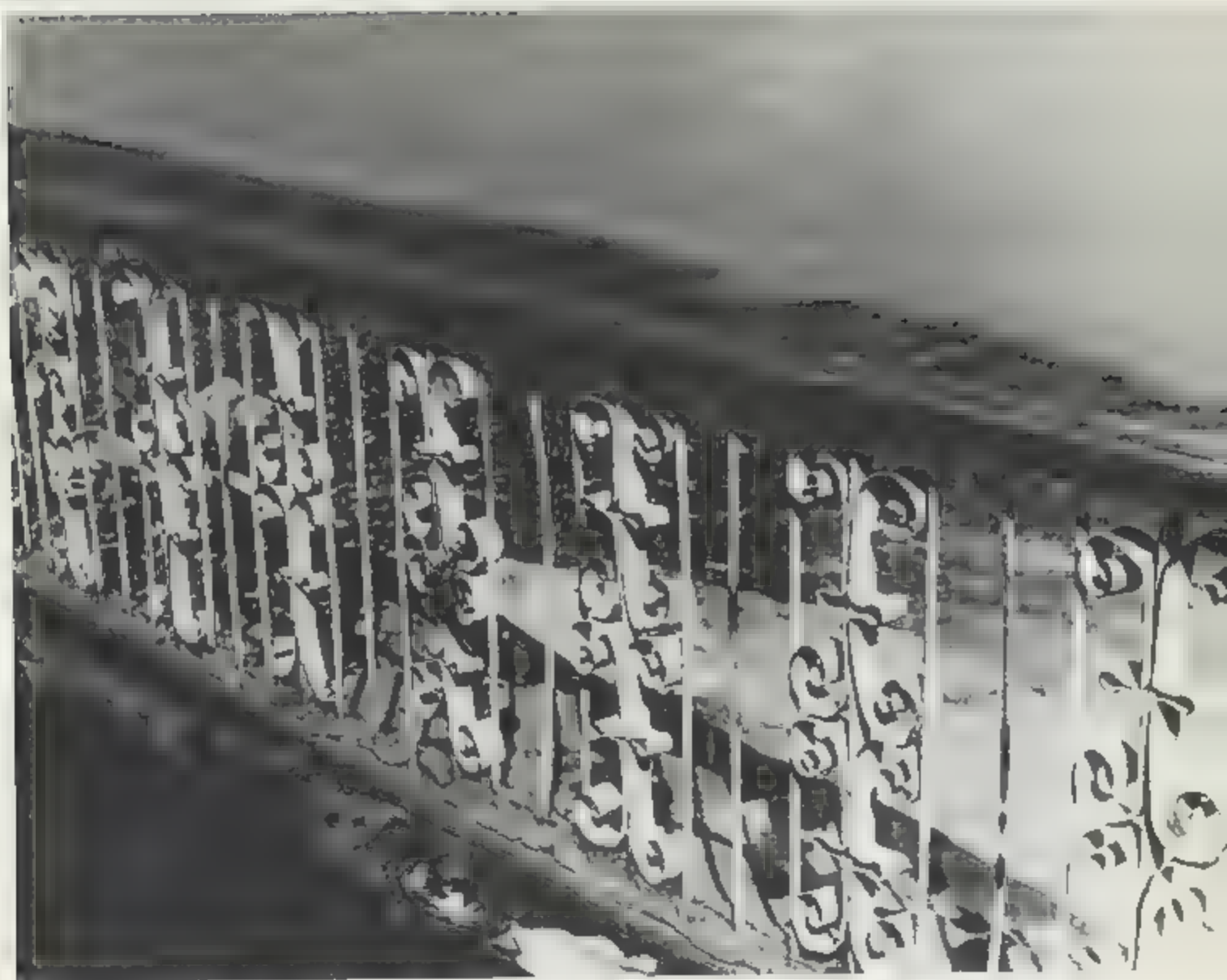
سادج لتيجان الاعمدة الخشبية



اعمال الحديد

■ توضح الرسوم مصر التفاصيل لأعمال
الحديد والمعادن الأخرى واستعمالاتها في
التفاصيل النائية ، وتوضح الأشكال المستعملة
مادج لها طابع متيز بالنسبة للمبارة في
العراق





نموذج من الأشعة الجديدة



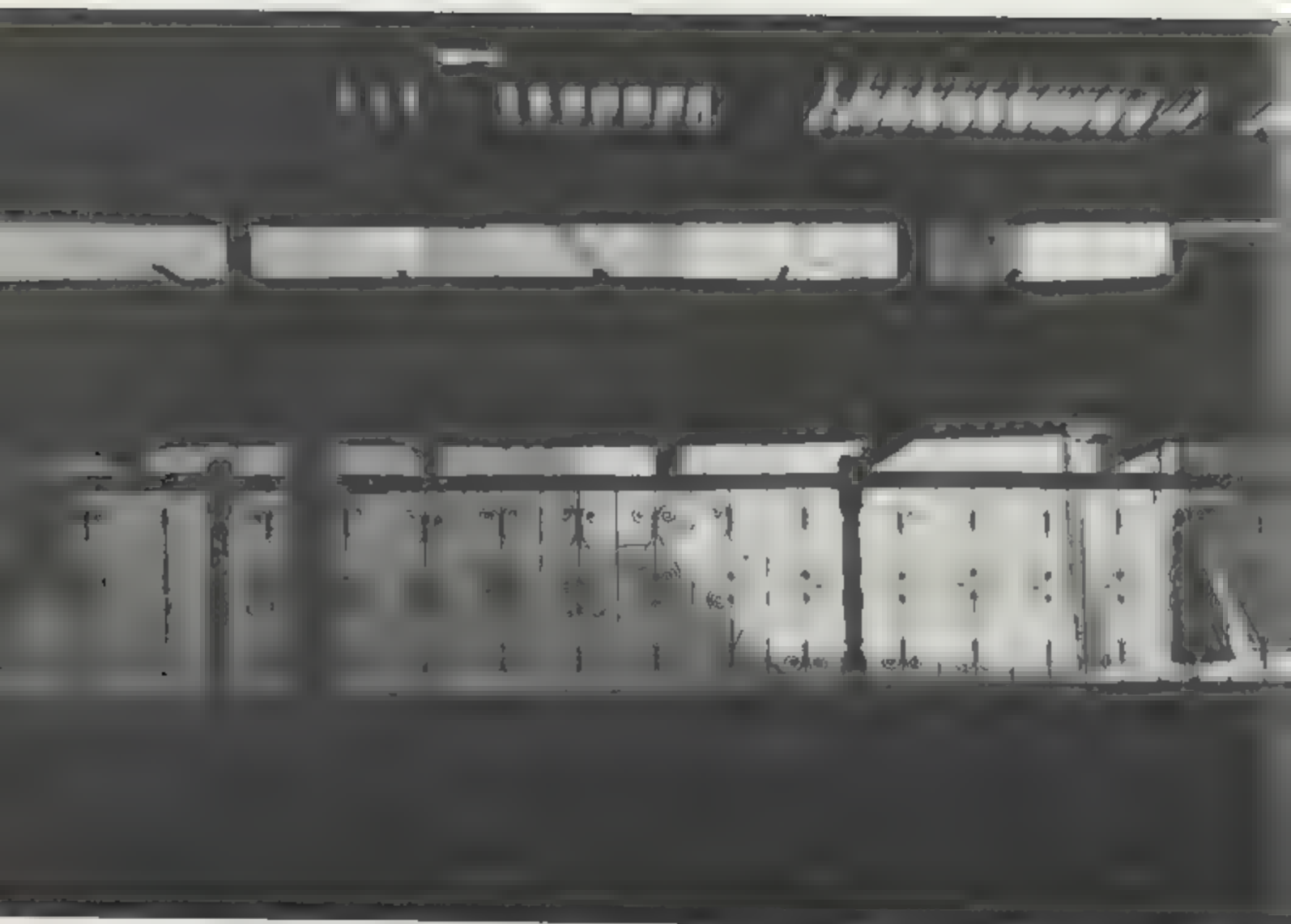
نصب ساح حددي



مذبح صلالة حارثية



سياج حارثي







مطبعة دار معاش





مطرقة باب حجاب



طرقة باب ساسة



مطرقة باب حديدية

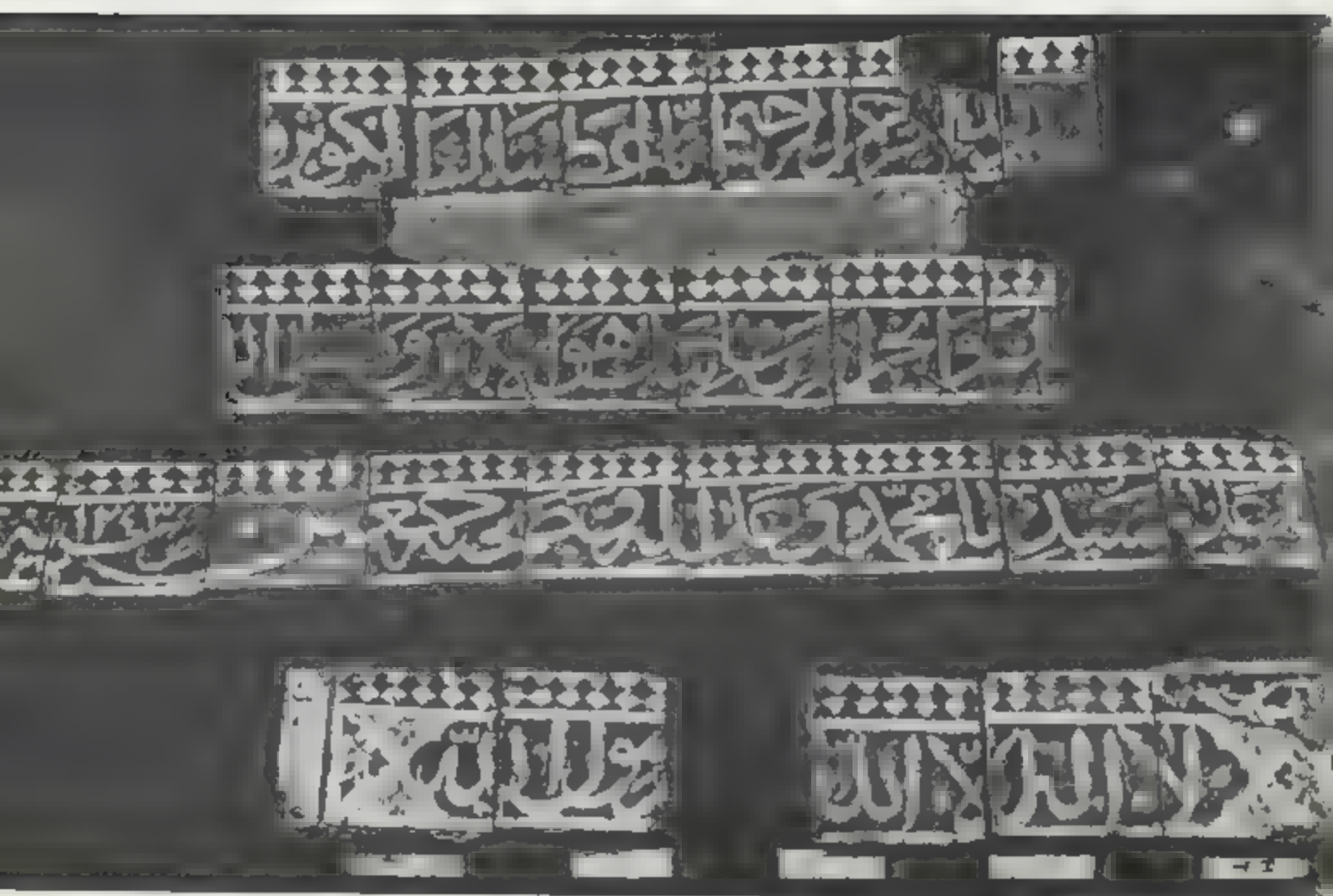
باب كبيره مطعمه بمسامير حديدية فاتنة



القاساني

تميزت التكمية وخاصة في أبنية المساجد والأضرحة باستعمال اللاط المزجج (القاشاني) والذي يعتبر من أهم ما تتميز به العمارة الإسلامية ومدرستها في بغداد .

وهذه المادة المحلية الصنع عرفت عن استعمال الرمر والحجر في مهام التكمية للحيطات والعقود والتقية ، والتي اتصح فيها التفوق والمهارة الفنية بأعلى مستوياتها .



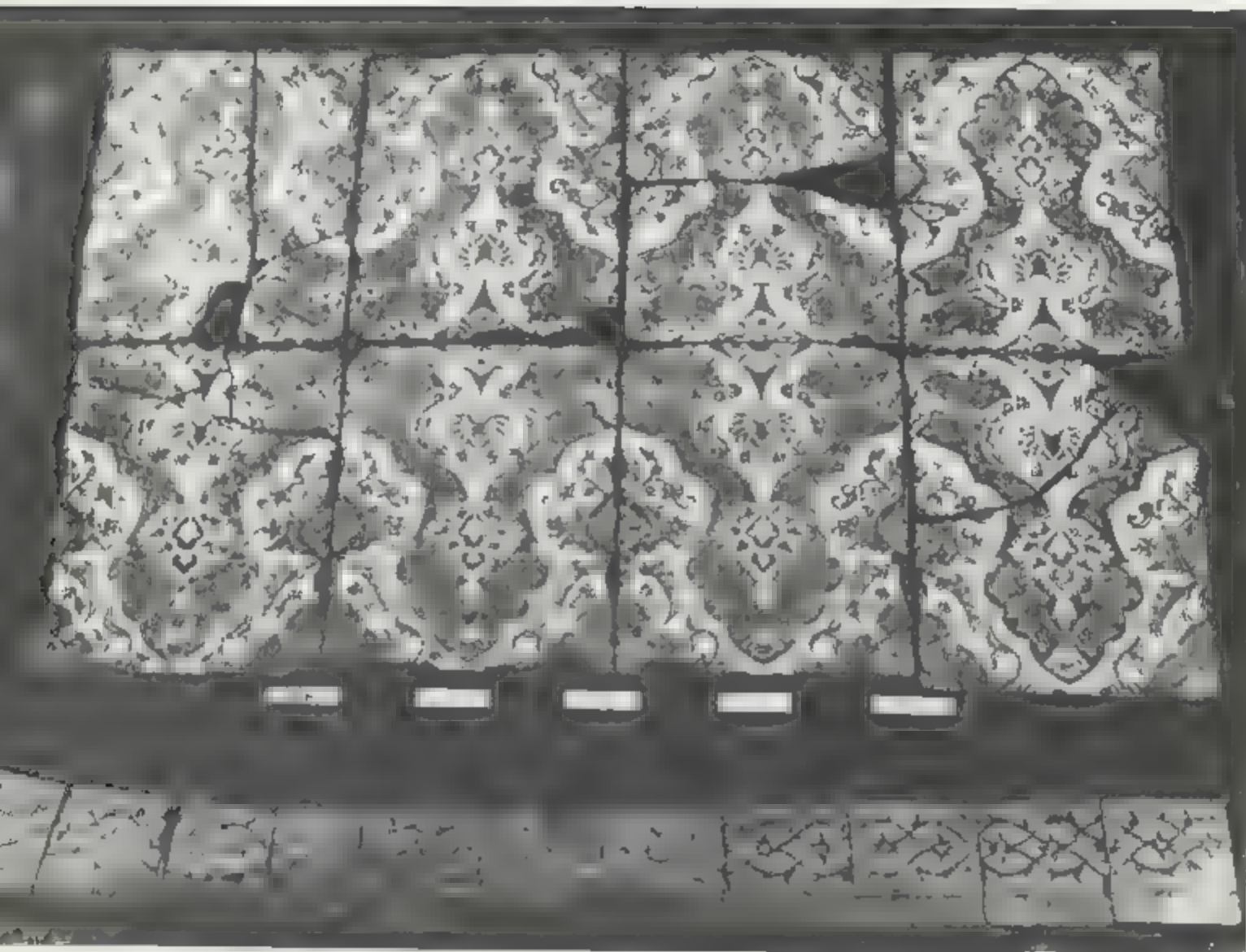
مناذج من النصوص الكتابية في ألواح من إطارات القاشاني



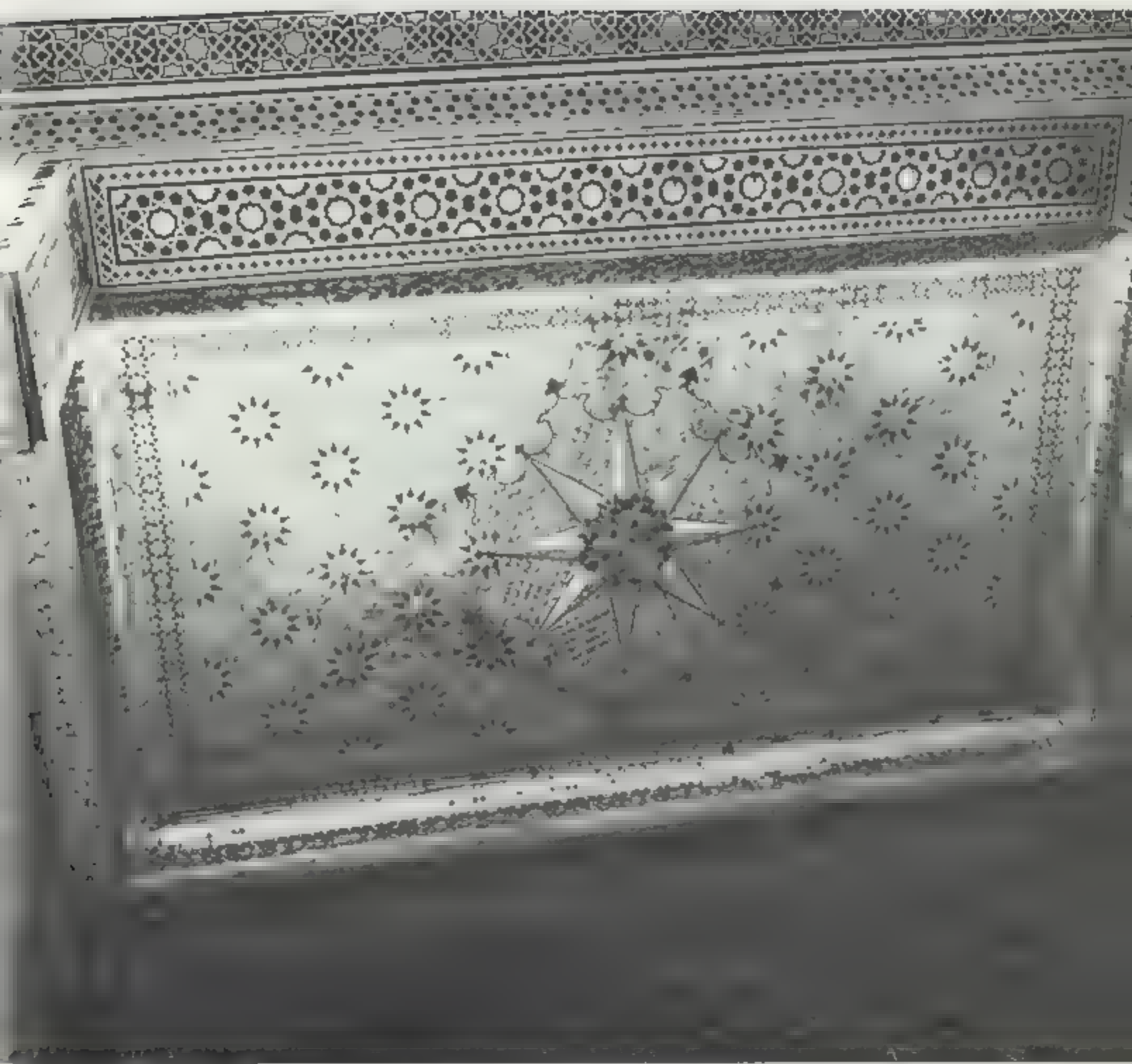
ألواح كتابية قشانية عمادة باطارات ونقوش نباتية



لوحة من حرفة معصوم كويته مرسته



الاحاط القشاني المستعمل في التكملة المندارية



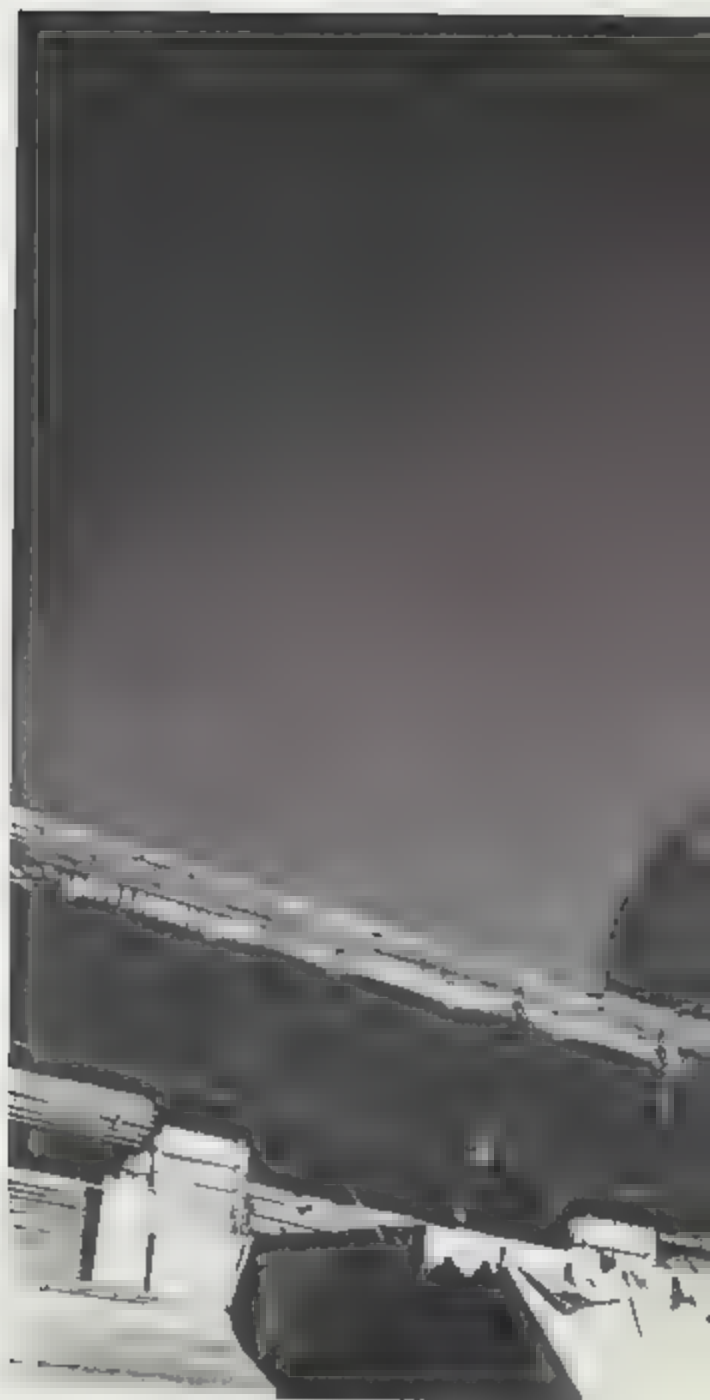
وحدة قاشدة مطعمة بالخشب والزجاج في المسجد الكاظمي



قبة جامع مسجد حانة وتظهر في المقسمة القبة الصغيرة



منظر عام للجامع الميمنية





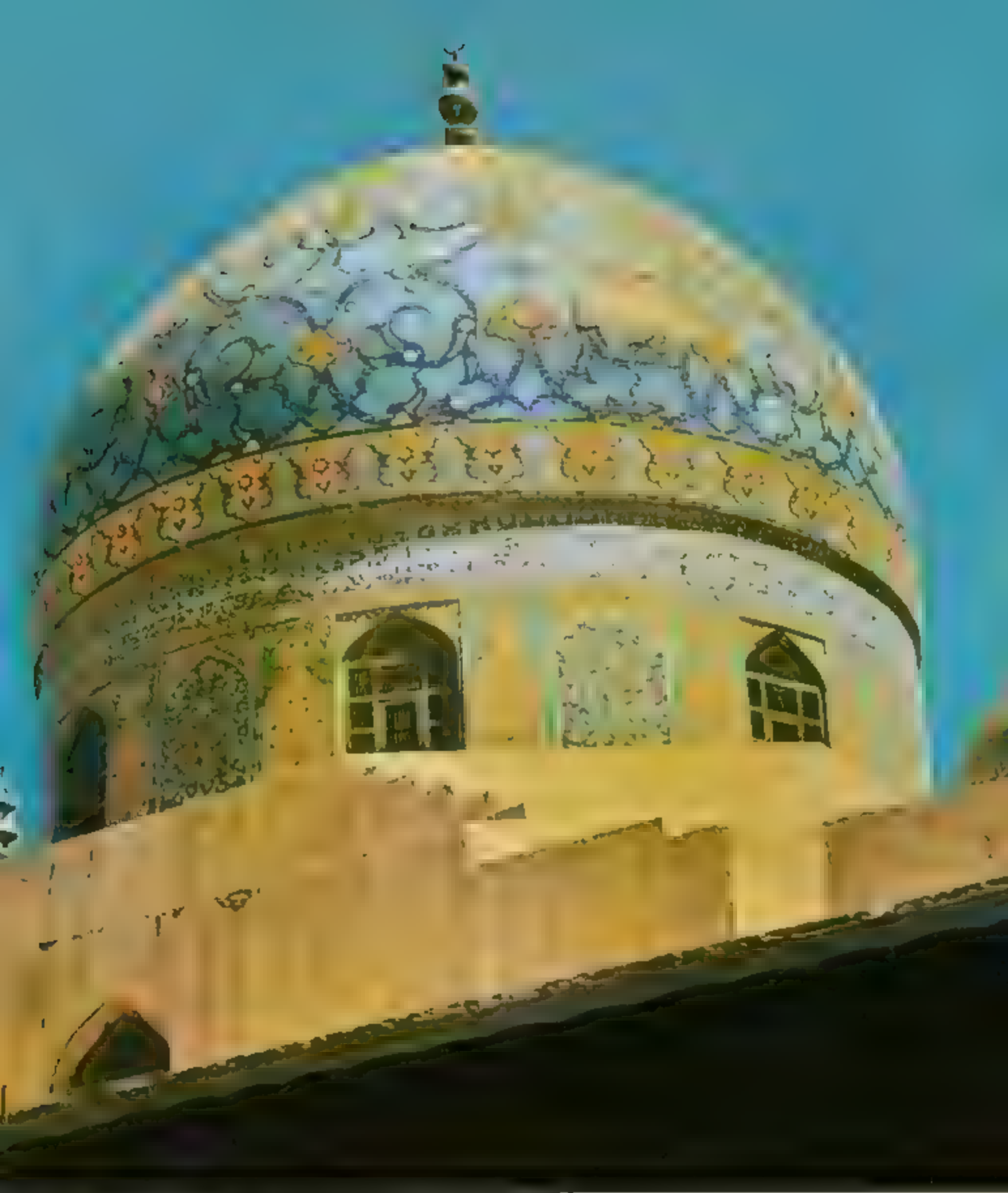
رحارف من ■ شاني تزين صارة جامع المرادية



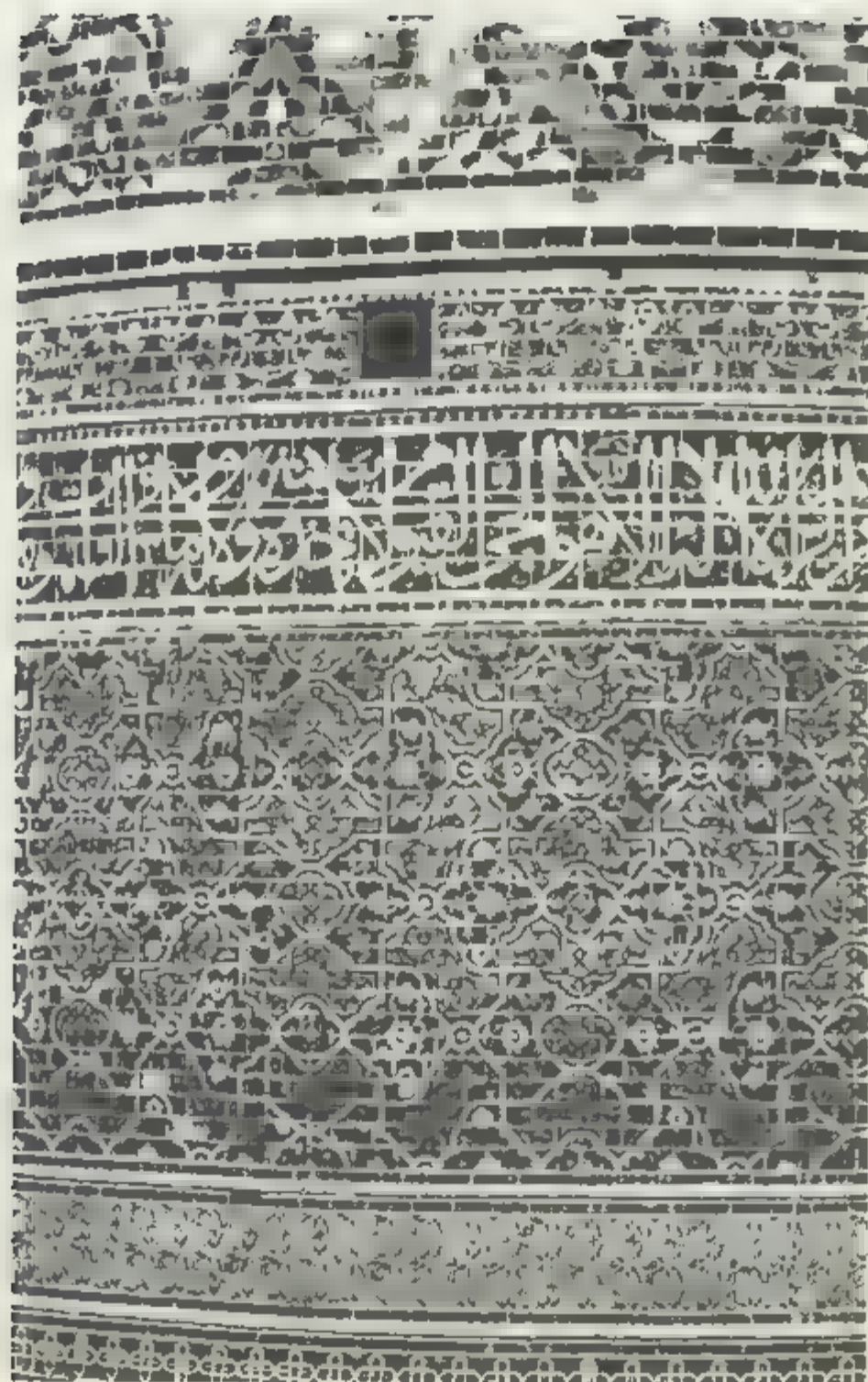


مبداً من الزخرفة النائية





جامع النخية لعمارة النخبة



إطارات كتابة وزخرفة مائية هندسة

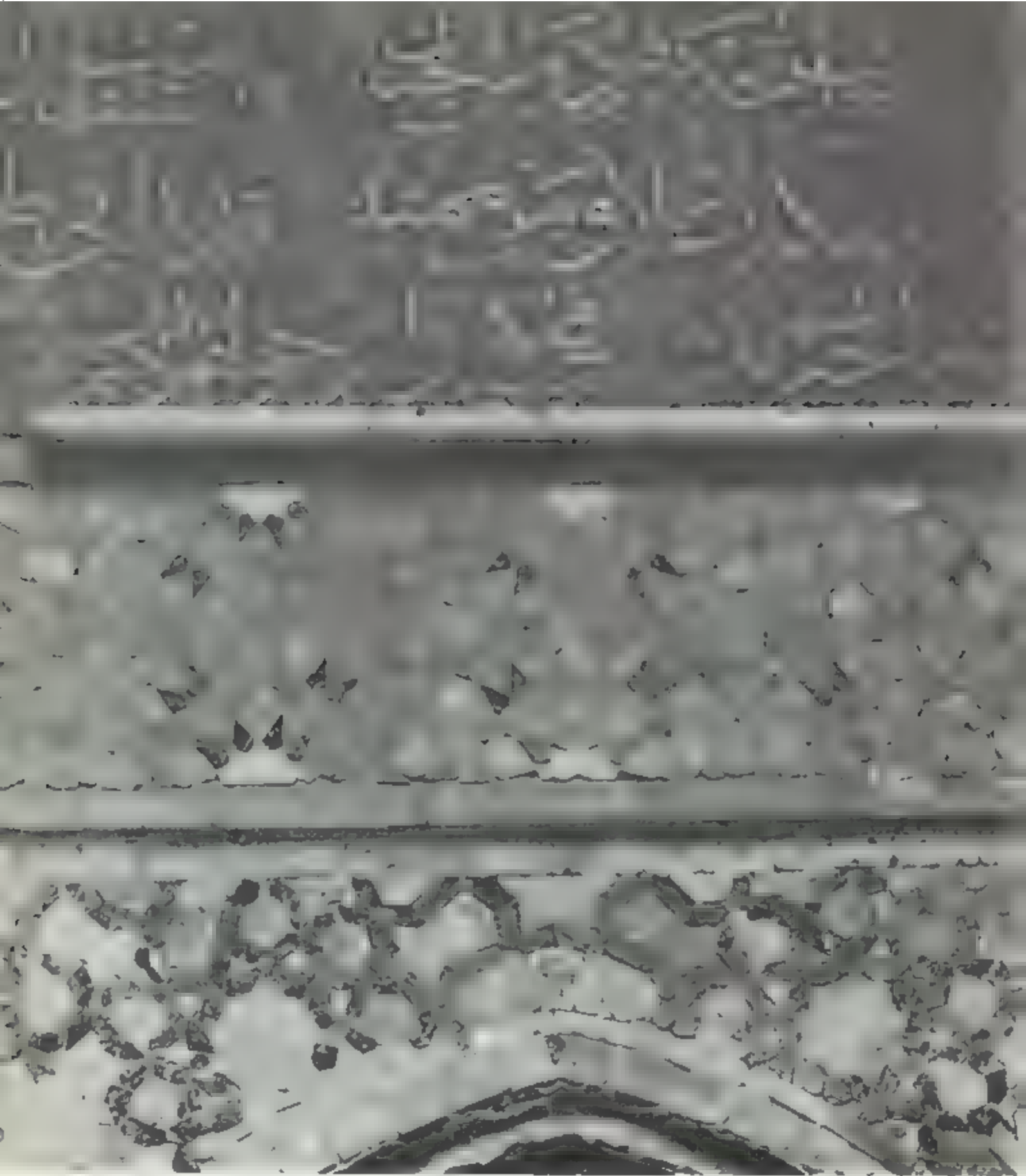


زخرفة ساحة الألواح جدارية مدخل للابواب — مشهد الكلاسيكي

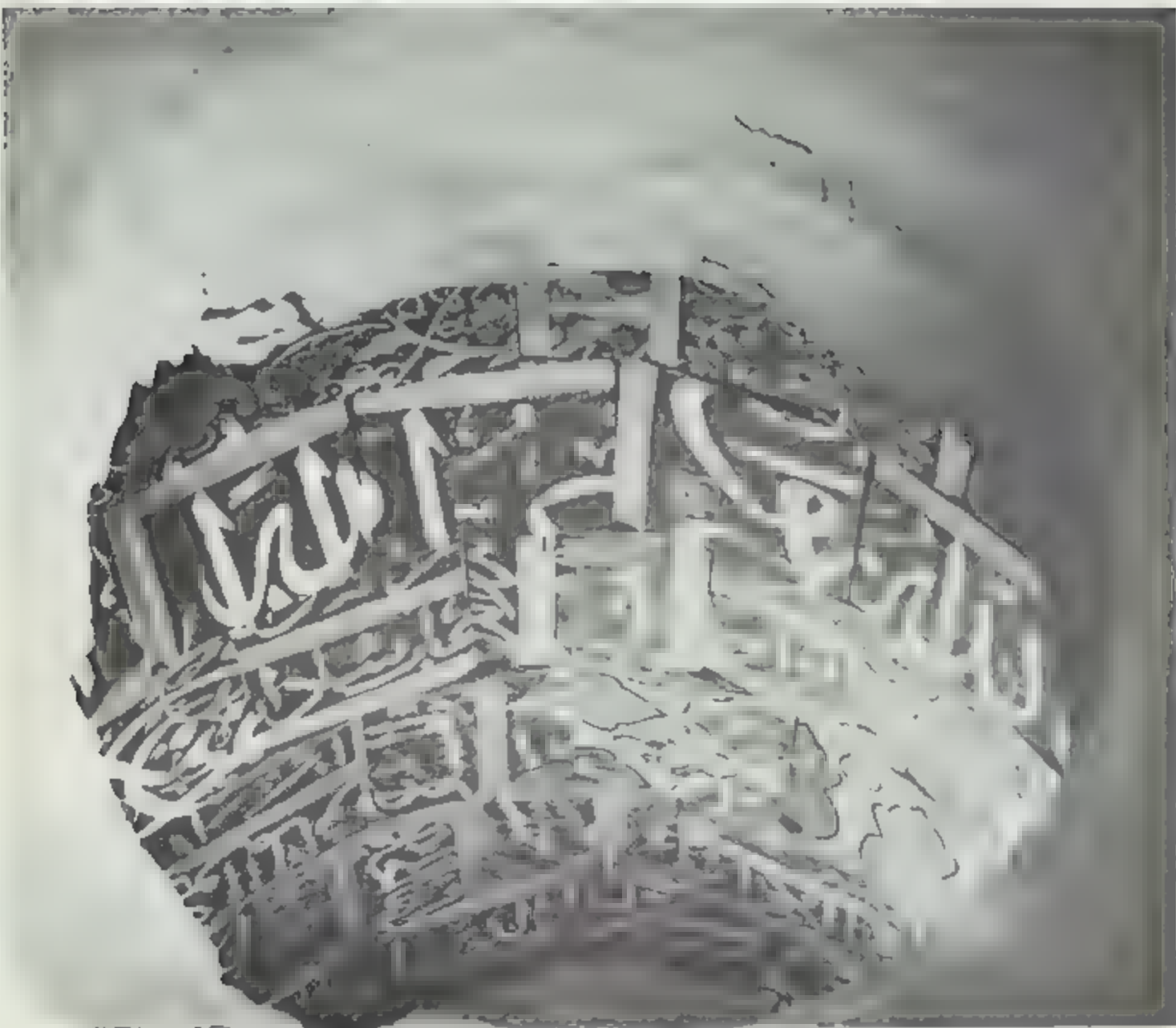




المشهد الكاتمي



جامع الأصعية — كتابات ورسارف



عملية مصر النقاشي



قبة جامع لعاوي في جانب لكرج



سفن وخاروف منارة جامع الأزهرية

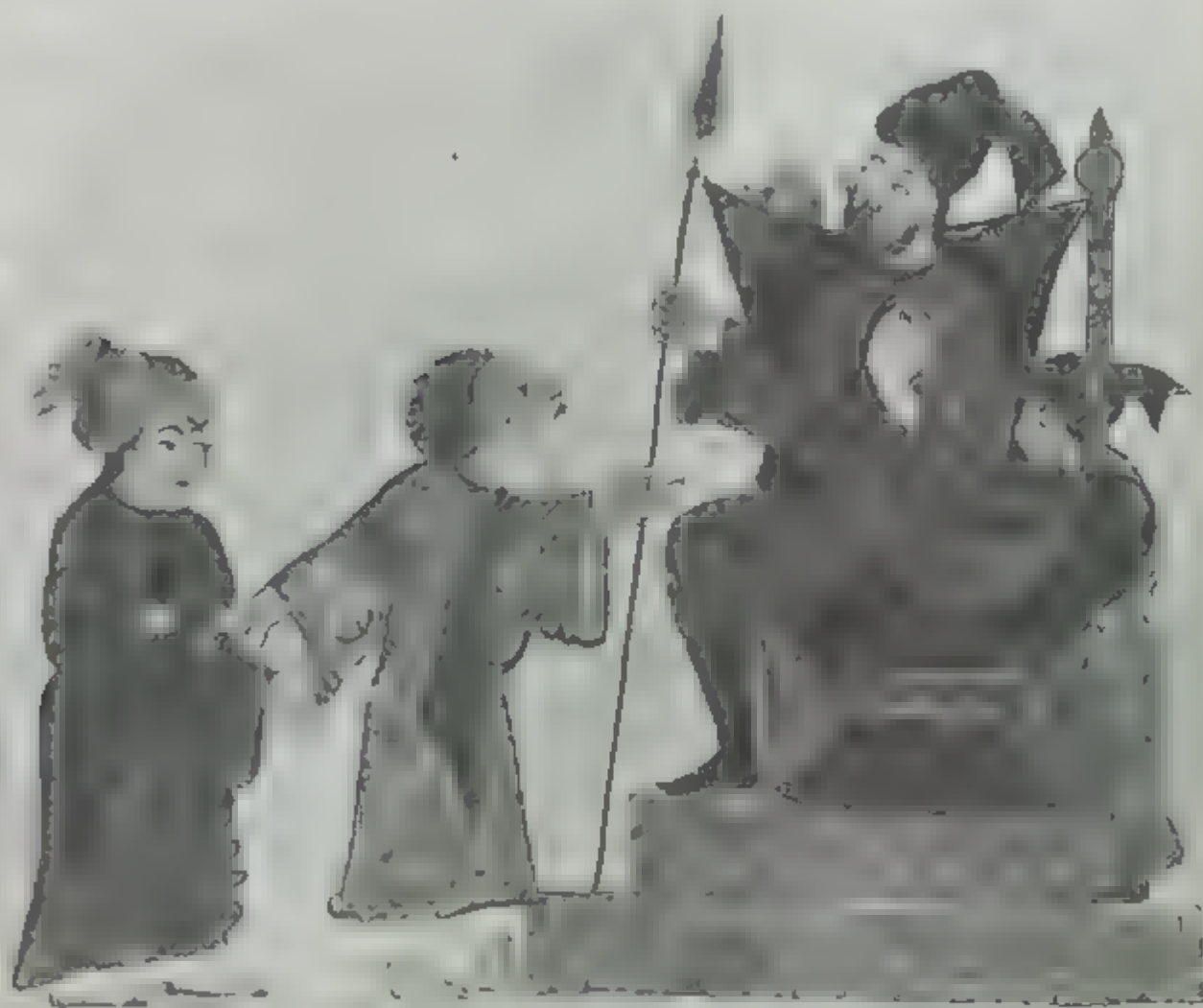


درجہ ہندسیہ نکانات کومہ

مدرسة بغداد للرسم

كانت بغداد الوسط الأمثل لنشوء التصوير
الاسلامي المتميز بطابع الامالة . وقد حصل
الفنان - كما تشير اغلب المصادر التاريخية -
على كثير من الامتيازات الأدبية والاجتماعية
يومذاك . ويمتاز عنصر (التطبيع) من العناصر
التشكيلية المميزة للتراث التصويري الاسلامي
في بغداد وهو بهذا يعتمد عن الاسلوبين اليوناني
والهنسي الشرقي ، لأنه يسمى الخلق عالم
تشكيلي خاص به ويعبر عن مفهوم اجتماعي .
عاشت المدرسة البغدادية للتصوير في الفترة
التاريخية الواقعة بين القرنين السادس والثامن
الهجريين وعاشت حقبة من الزمن المدرسة
المعولية في التصوير . وإليها تعود اولى المصادر
الاسلامية التي وصلت إلينا في فن التصوير
وتزويق الكتب . وبالرغم من ان تلك الآثار
المنوعة لم تكن كلها من انتاج المصيرين البغداديين
إلا أنها اهتمت بطابع هذه المدرسة وتأثرت
بها ، وجازت اساليبها .

والا شوق منه اليهم وفي السبخ الذجيله خائباً وافاج دمه خالاً باله الى بناهد ولم يكن

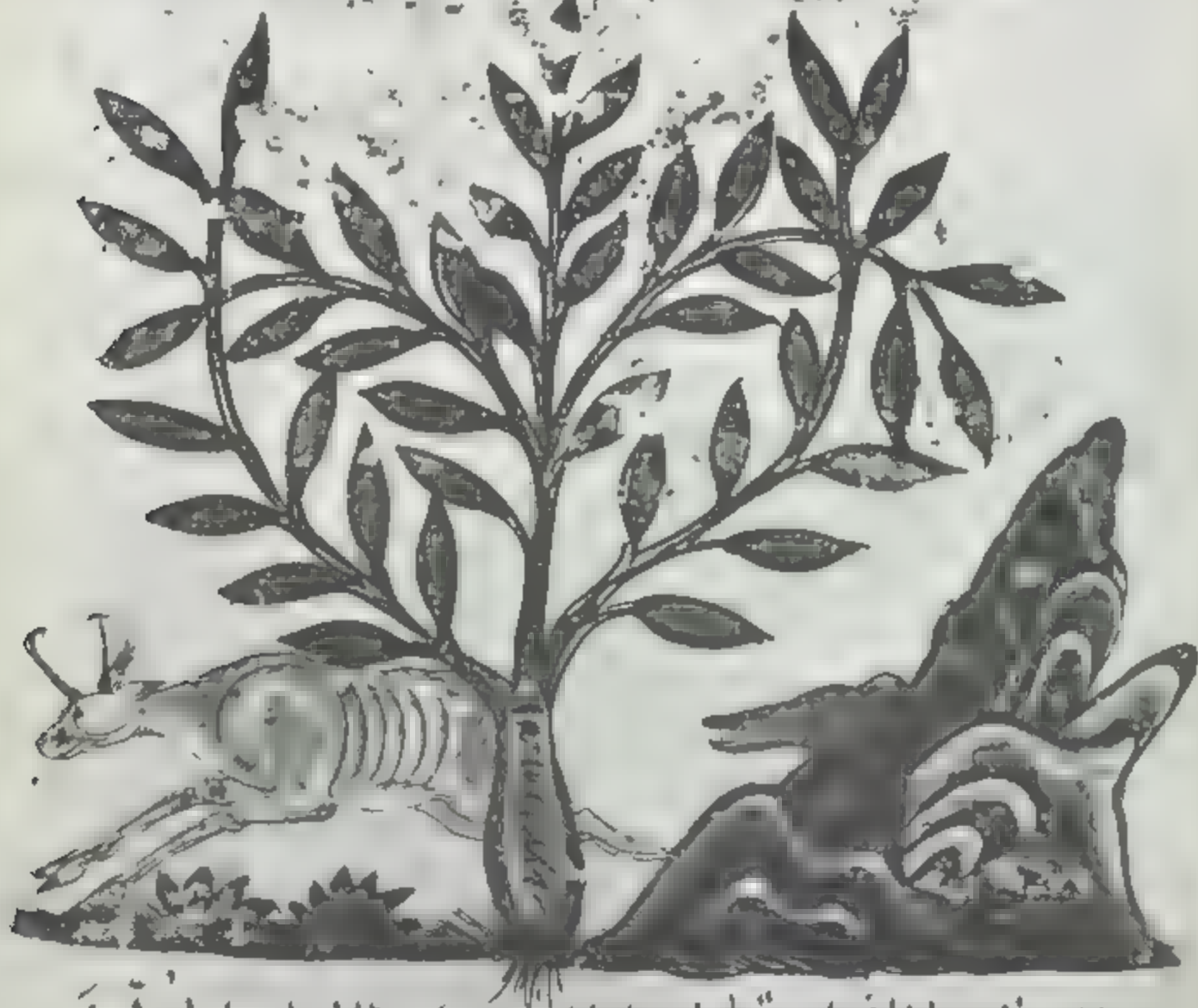


من مقامات الحريري - المقامة العاشرة - من مجموعات المكتبة الوطنية - باريس



من مقابر المري - المقامة الراجعة - من محفوظات معهد الدراسات الشرقية - لسنراد

نَقَالُ لَهُ فَاَنَا وَشَيْءٌ مِنَ النَّارِ يَخْلُجُ الَّذِي يَخْلُجُ النَّارَ وَفِي زِينَتِهِ هَذَا



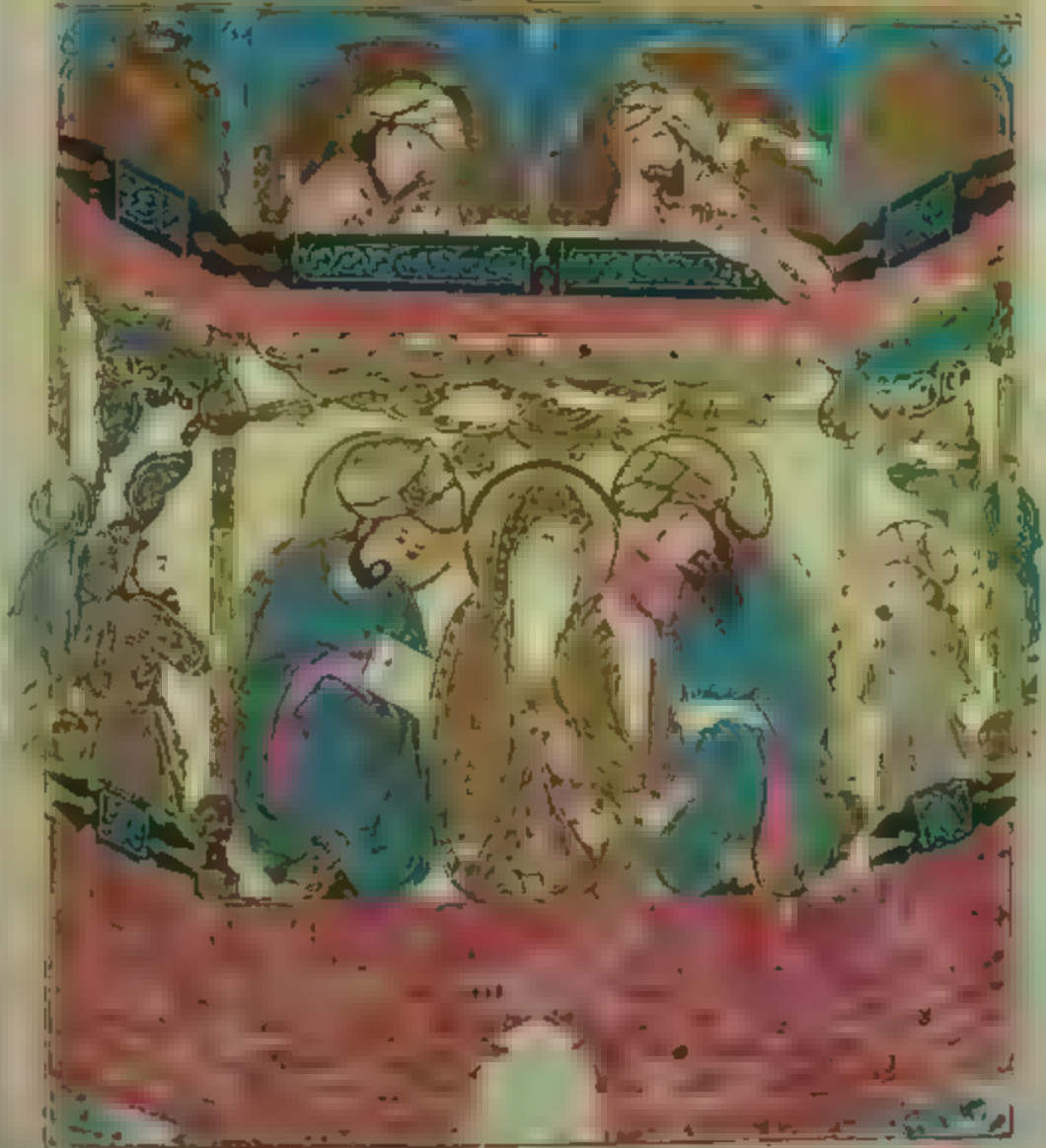
النَّبَاتُ إِذَا شَرِبَ يَقْطَعُ أَسْنَانُ الْبَحْرِ وَيَذَرُ الْبُوكَ وَإِذَا جَفَفَتْ

صورة نبات الارواح من كتاب الصمدية - ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م من محفوظات - انصاروف - اسطنبول



من مقامات الحريري - المقامة التاسعة والثلاثون - من مجموعات معهد الدراسات الشرقية - لبيروت

عسل من نعمة صواب حلاوة لطيف البرية كعسم النحل من حنانه من الحكمة اجنحه
 وندوة ارشاد اخوان الصفا وهم ابو مسلم محمد بن سفيان البستي وعرف بالمعدني وابو حنن
 اعلو روه وريحان وابو احمد الفرهوري البغدي وردن راحة والعاذ الكاظمي





فارسی: در کتاب سده اول احمد، در عجب، (احمد) در سده اول احمد، ۶۶۶، ۶۶۶.



من کتاب مصنف ایرانی - مصنف "دودان" - سبب بن الواسع (۱۶۳۶ - ۱۶۳۷).



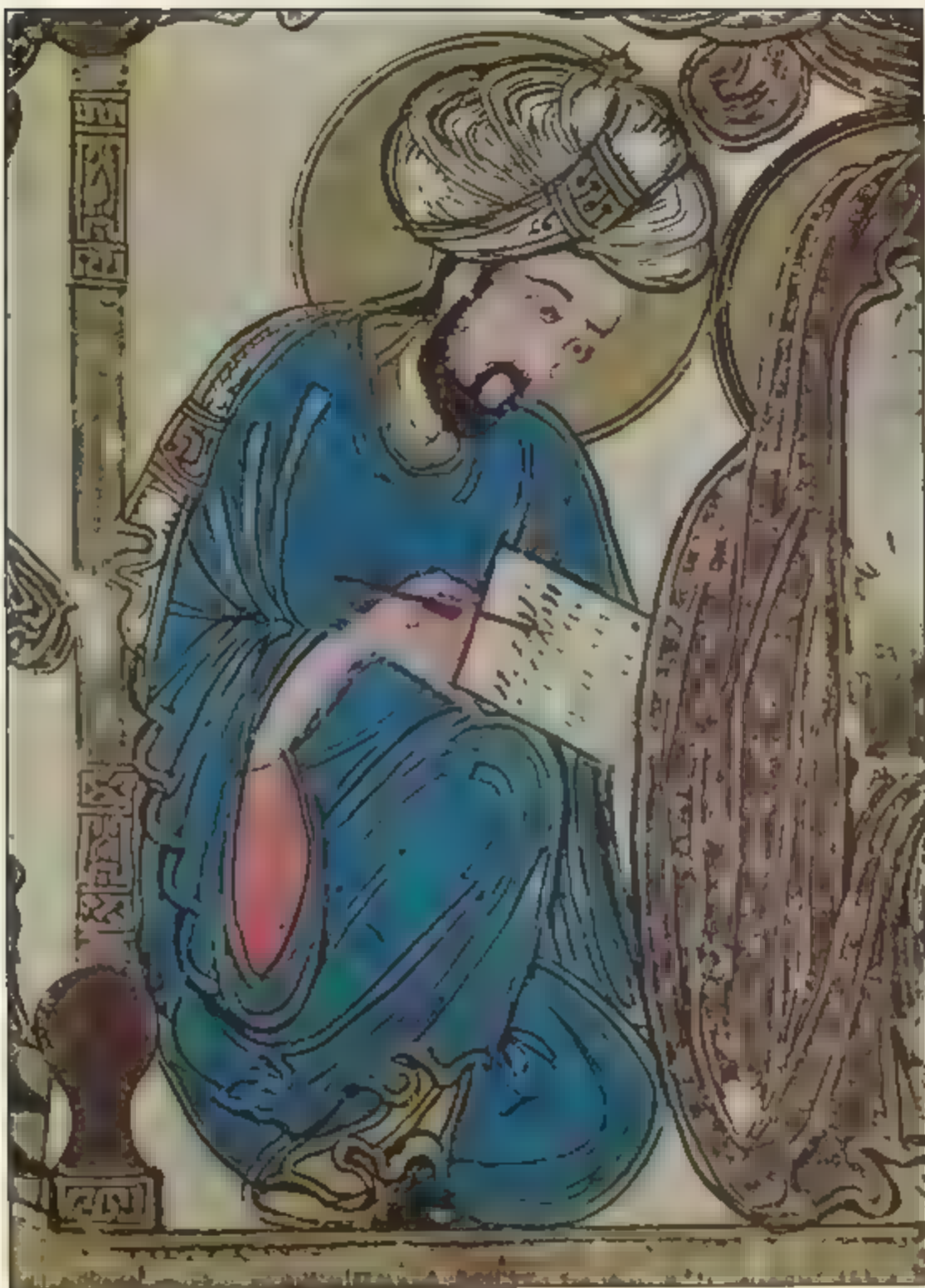
من كتاب مفاتيح الجمرية - المفاتيح السابعة - رسم يحيى الواسطي (١٢٣٧ هـ - ١٢٣٧ م) المدرسة الممنازية



من كتاب معجم الخوارزمي نسخة حقه في ثلاث مجلدات من قبل الناشر (١٣٣١ هـ - ١٣٣٧ م) عامه بعد اذله



من كتاب معمار الحروبى - لعمدة القادى - مع من الماسخى - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - لعمدة القادى



تعلیل لہورہ من کتاب - مسائل احیان تصدق - (۶۸۶ھ - ۱۲۸۷ھ)



من كتاب مغامرات الحريري القلعة الثالثة والأربعون (رسم يحيى الواسطي (١٢٣٤-١٢٣٧م) المدرسة الطحطاوي



من مقامات الحريري - المقامه الثانية والثلاثون - من معرقات معبد الدرامات الشرقية - لستراد



من مقامات الحريري - الخاتمة الباسية والثلاثون - من محفوظات معهد الدراسات الشرقية - ليدن

وَنَسْتَلِي لَإِيْمَامًا رِي عُمَانًا فَكُفِي بُوْرِيْدٍ بِالْحِجْلَةِ وَهَاقَبَ لِلرَّحْلَةِ فَلَمْ يَسْمَحِ الْوَأَكْبَرُ



من مقامات الحريري - المقامة التاسعة والثلاثون - من رسم يحيى الواسطي ٦٦٨هـ - ١٢٣٧م من محفوظات المكتبة الوطنية - باريس

مدرسة فن التصوير الحديثة

اتضح في نشاط مدرسة من التصوير المعاصرة
تأثيرات للتراث التصويري لمدرسة بغداد والذي
يتمحور في أعلى مستوياته بالحنس الرفيع
والتأملات التي أظهرتها رسوم الفنان البغدادي
جواد سليم وغيره ، والرسوم الملحقه تعبر عن
هذه المفومات في الطابع المميز لهذا الكيان
الحديث والتي استوعبت في مضمونها النص
الأدبي المعاصر مصافاً اليه عائدة مستوحاة
من القيم الرمزية والمكانية للثقة العديدة
وتقابلها الموروثة



المروسة — لثلاث خالد الرحال

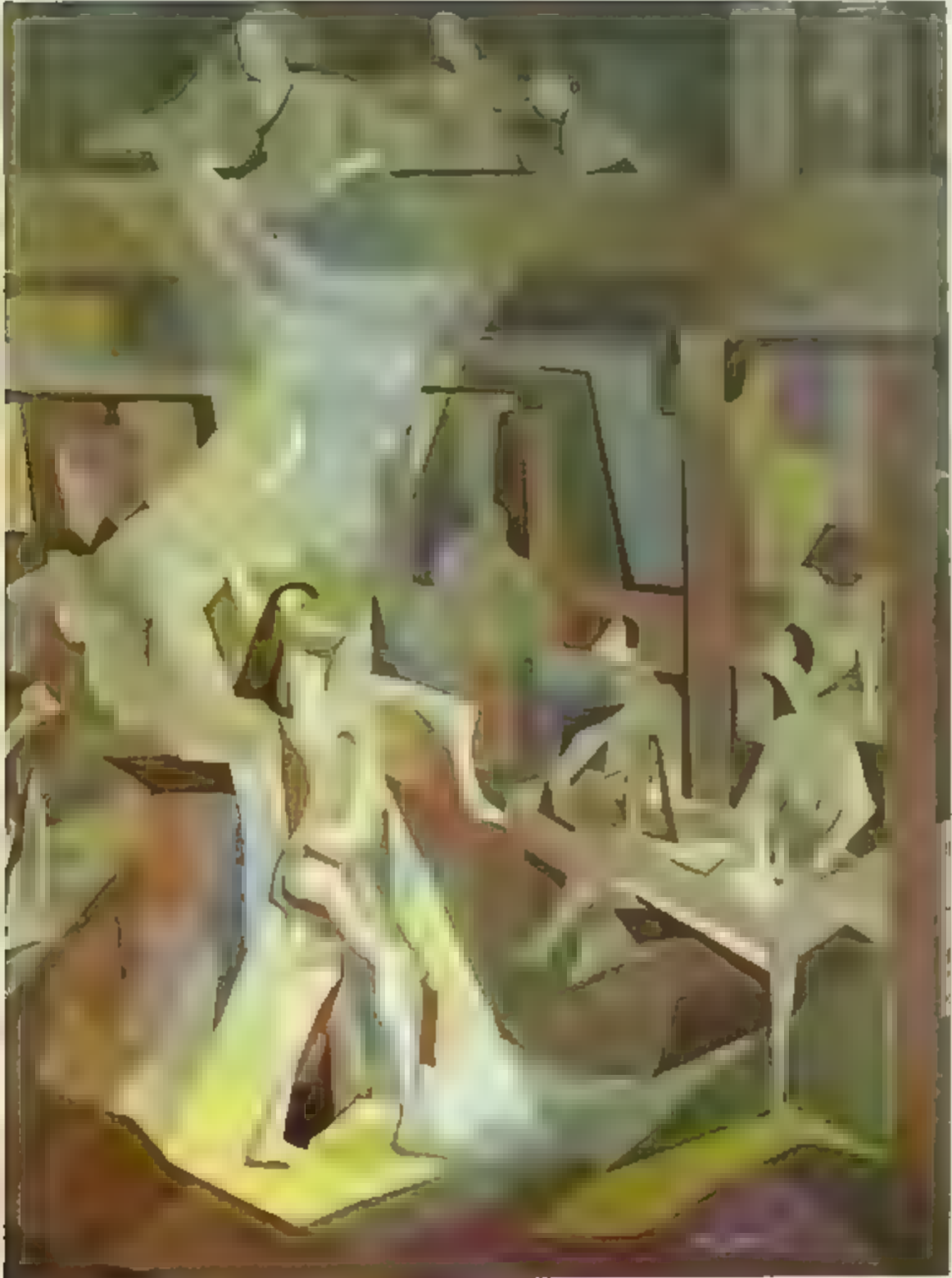


باب خشية — للتمائم محمد بن حكيم



تجسید لہ (کاظم حداد)

الراقصة (ساحل لوبي)



من تفاصيل ألف ليلة وليلة





فتاب (نقاش)



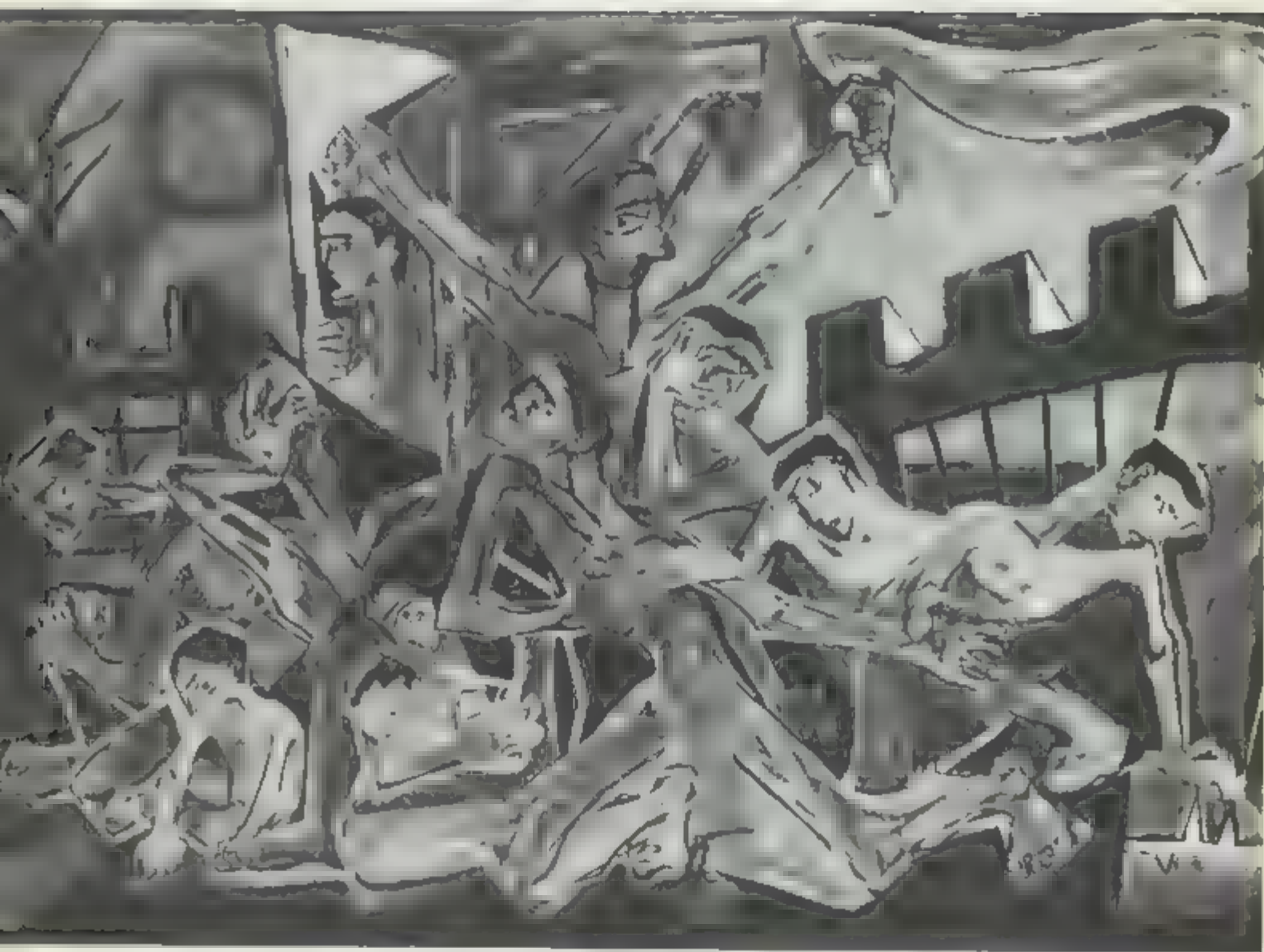
صبيان بكلاں الرقي ل , حود سيم







استراحة ، (ساعر السحي)



الجلسة — الفنان محمود صوري حسن

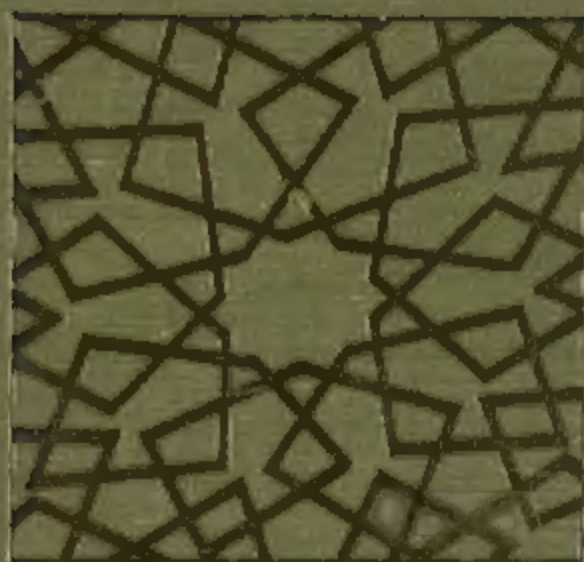


تفصيل من نصب الحرية — للفنان الراحل جواد سليم

Library of



Princeton University.



BAGHDAD